

مختصر

سيرة الرسول

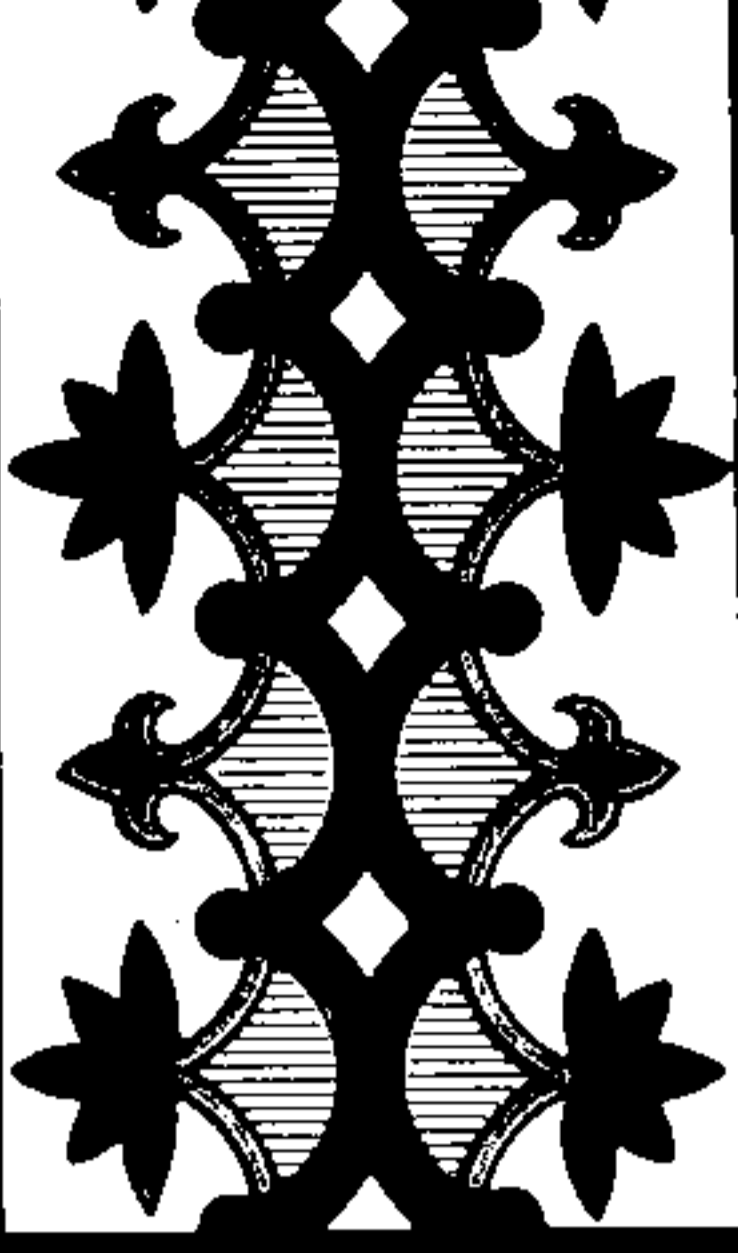
بمطبعة

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



◀



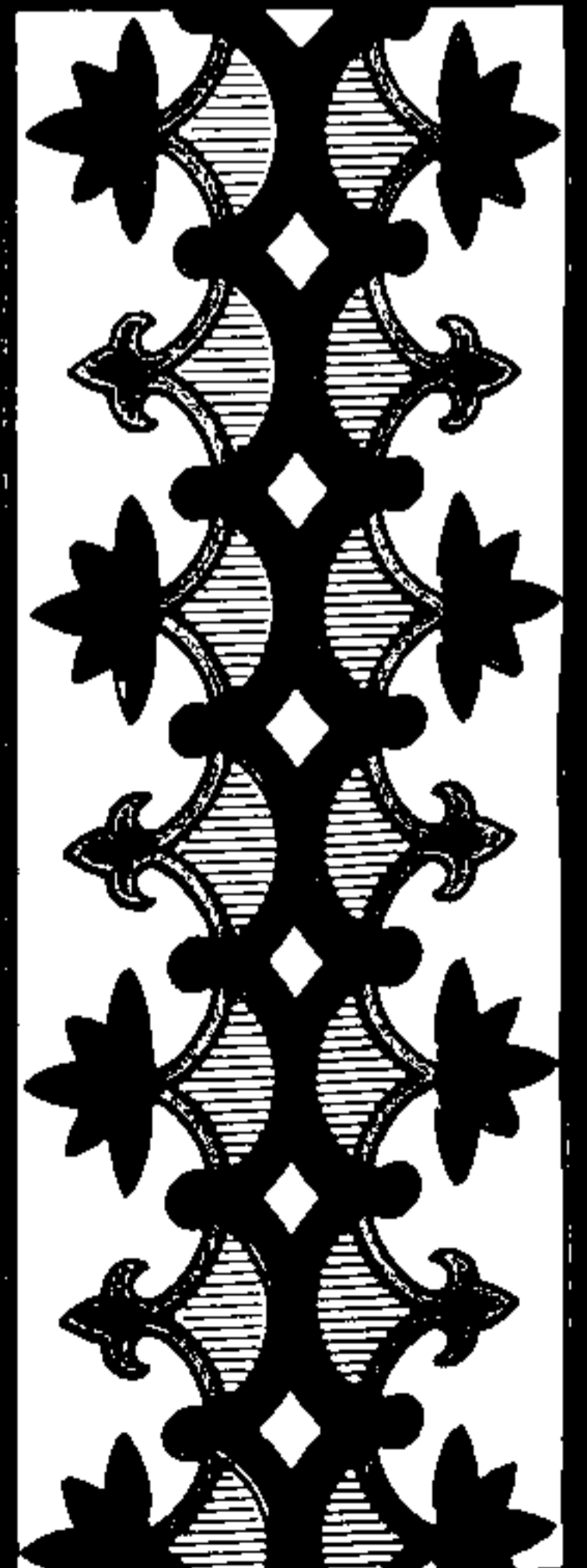
مختصر

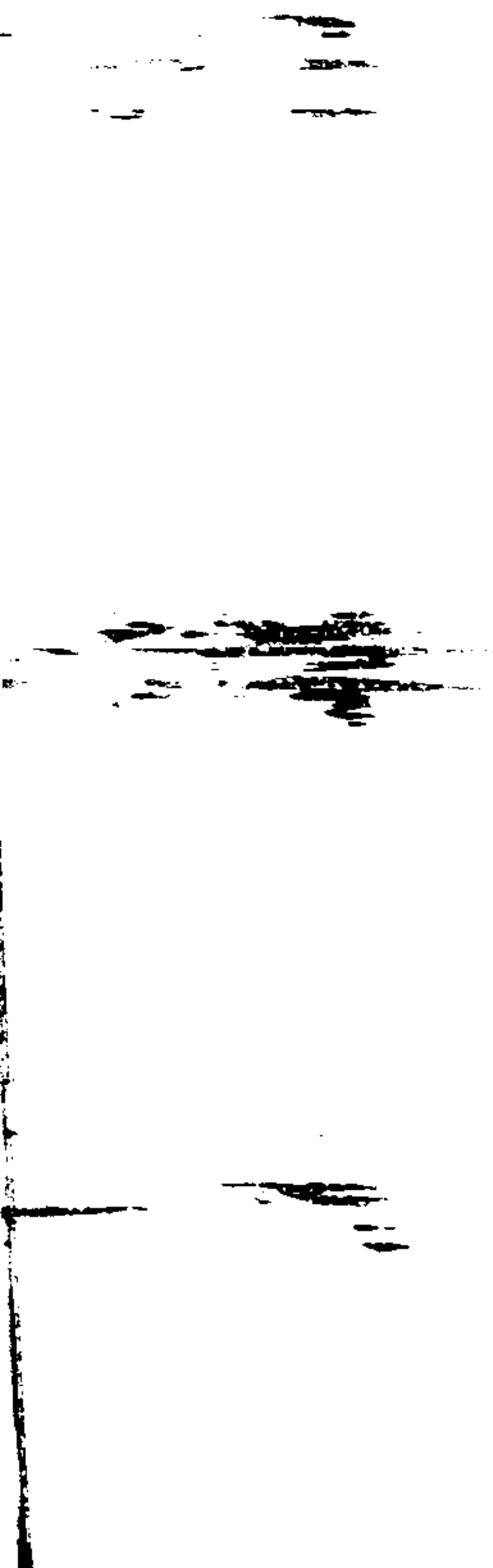
سيرۃ الرسول

على نفقہ

مختصر

مختصر





وقفت على الحق

مختصر

سيرة الرسول ﷺ
صلى الله عليه وسلم

تأليف

الامام العلامة الشيخ عبد بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

علو نفحة

الشيخ ابراهيم بن علي الصديقي

غفر الله له ولوالديه وذريته ولجميع المسلمين

بوزع بجائنا

اهتمام

احمد شاكر

مأجوب

المكتبة السلفية

بلاهور - بكتان

فظرة بن محمد امين

نير

جامعة العلوم الاترية

جهرلم - باكستان

١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ ع

39440

الطبعة الأولى
(٩٠٠٠)

طبع في _____ بختيار برنترز - لاہور
المطبعة العربية - لاہور

اطلبو مجانا

- — اَمَلِكَيْتِ التَّقِيَّ فِي السَّعْيِ وَبِنَا تظفر علی روڈ - گلبرگ - لاہور
- — مَكْتَبُ الدَّعْوَى ٩٤ بابر بلاک - گارڈن ٹاؤن - لاہور
- — الحافظ عبد الغفور ریس الفہم جامعۃ العلوم الاثریہ - حہلم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة



الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمهما الله تعالى

هو الإمام ، الخبيرُ المهام ، بدرُ الأعلام ، مفتي الأنام ، حجةُ الإسلام ، قرُّ الدجى ،
وشمس الضحى ، الثقةُ الثبت ، العلمُ الحجةُ البارِع ، التقىُّ النقى الورع ، الفارسُ فى العلوم ،
والسيفُ الصارمُ المسلول على المبتدعين ، والخبيرُ القامُ بأمور الدين . ذو الهمة والشجاعة
والإقدام ، فائقُ علماء زمانه ، مجتهدُ أوانه . فلكٌ هو قطبه ، يزيدُ عليهم زيادة الشمس على
البدر . إذا ذكر الكلام على المسألة بهت الناس من كثرة نقوله ومقوله ، بجودة إرادته ،
وإعطائه كل قول ما يستحقه . يقول الحق الذى أدى إليه اجتهاده . إلى ما اشتهر عنه من
الورع وكمال الفكر وسرعة الفهم ، مع الخوف من الله والتعظيم لحرمانه . لم يُر تحت أديم
السما بعد والده مثله فى وقته علماء وعملاً وحالاً ومقالاً وحلماً وخلقاً واتباعاً وكرماً وقياماً
فى حق الله . هو عالمٌ نجد ومفتياً بعد والده

ولد فى بلد الدرعية ، وأخذ العلم عن والده وفاق ، وتفقه فى المذاهب وأدرك فى الأصول
والفنون أعلاها ، وتفنن فى علوم الإسلام حتى بلغ عراها . كان عارفاً بالتفسير لا يجارى ،
وبأصول الدين وإليه فيها المنتهى ، وبالحدِيث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق
فى ذلك . وبالفقه وأصوله ، وبالعربية . وبالجملة له اليد الطولى فى كل فن من فنون العلم .
له المصنفات المشهورة المقبولة ، والفتاوى القاطعة غير المعلولة ، والرسائل والنصائح النافعة
المبرورة . منها (جواب أهل السنة ، فى نقض كلام الشيعة والزيدية) مجلد . و (مختصر

السيرة) مجلد ، وهو هذا . وله مشاركة في كتاب (التوضيح عن توحيد الخلاق (١))
وله (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة (٢)) و (منسك في الحج) ورسائل وفتاوى
تبلغ مجلداً

وله مجالس في التدريس مشهورة ، بأحياء علوم أصول الدين معمورة . تأتي إليه العلماء
من الأمصار ، والسؤالات تتوالى عليه من جميع النواحي والأقطار . فيفهم السائلين أحسن
افهام . ويجيب بأحسن جواب بأيجاز وانتظام . أثنت عليه أهل نجد بأسرها وأهل الخبرة من
شرقها وغربها . وقد قال الشيخ حسين بن غنام يثني عليه وعلى اخوانه من علماء الدرعية :

مدارسهم معمورة بعلمهم وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطا
فلمت ترى إلا مفيداً وهادياً عكوفاً على جمع الحديث له ضبطا
وأمرأ بمعروف وتكبير منكر وتنكيل من قد قارف الحوب والسخطا
وحناً على فعل الصلاة جماعة وتوييح من عنها تخلف أو أبطا

وقال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بعد ثنائه على الشيخ :-

وأبناءؤه الفر الكرام قد اقتفوا محبته المثلى وفي نصرها جدوا
فكانوا إلى التوحيد يدعون دأبهم فكم قد أقادوا من يروح ومن يغدو
وكم سنّة أحيوا وكم بدع نفوا وكم شبهة أجلوا وأبوابها سدوا
وقال الشيخ محمد بن احمد الحفظي :-

وحفّ بال الشيخ أعلام مكة على حلقات الذكر والعلم هاديا
مدارس في التوحيد تصنيف والد لما طالما غطت عليها العوافيا
فأصبح توحيد العبادة ظاهراً على الأرض والشرك المحرّم خازيا

(١) المطبوع في القاهرة سنة ١٣١٩ .

(٢) طبعت مرارا ، أجودها بالمطبعة السلفية بالقاهرة

أئمة حق والنصوص طريقهم وأحمد خربت الطريق وحاديا
على مذهب الخبر الإمام ابن حنبل عليهم من المولى سلام موافيا
عقائدهم سنية أجمع الملا عليها خصوصاً تابعاً وصحابيا
أخذ عنه العلم الخلاق الكثير والجم الغفير من الجهابذة النبلاء . منهم بنوه الشيخ سايمان
وعلى وعبد الرحمن ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عبد اللطيف ، والشيخ حسن بن
حسين الفقيه والشيخ عبد الرحمن بن حسين وحمد وعلي بنو الشيخ حسين ابن الشيخ ،
والشيخ محمد بن سلطان والشيخ محمد بن عبد العزيز والشيخ أحمد الوهبي والشيخ عبد العزيز
ابن معمر والشيخ مسعد بن حجي والشيخ جمان ومسفر بن عبد الرحمن من أهل عسير
والشيخ محمد بن مقرن والشيخ عثمان بن عبد الجبار والشيخ ابراهيم بن سيف وغيرهم . وكان
رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول قيام ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله
والانكسار والانطراح بين يديه على عتبة عبوديته ، لم ير في زمانه مثله . وكان رحمه الله
شجاعاً مقداماً ذكر عنه في حرب الدرعية حين حاصرتها العساكر أنه وقف في باب سمحان
المعروف في الدرعية شاهراً سيفه يقاتل حتى كسر العساكر وهو يقول لأهل الدرعية : بطن
الأرض على عز ولا ظهرها على ذل ، وأنا أبو سايمان . هكذا يقول رحمه الله . فلما نقلت
العساكر أهل الدرعية من آل مقرن وآل الشيخ رحلوا به معهم إلى مصر في سنة ١٢٣٣ ،
وتوفي فيها سنة ١٢٤٢ . رحمه الله وعفا عنه وأسكنه الفردوس الأعلى

•

مَجْمَعٌ
سِيَرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

أما بعد فأنا أذكر لك شيئاً من نسب رسول الله محمد سيد البشر ، وشيئاً من أحواله وآياته وأخباره وآدابه إلى أن توفي بالاختصار . وأذكر فيه خلافة الخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم

أما نسبه فهو : أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . هذا متفق على صحته ، وما فوق عدنان مختلف فيه . ولا خلاف أن عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم . واسماعيل هو الذبيح ، على القول الصحيح ، والقول بأنه إسحاق باطل

ولا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة عام الفيل ، وكانت وقعة الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته ، وإلا فأهل الفيل نصارى أهل كتاب ، دينهم خير من دين أهل مكة لأنهم عباد أوثان ، فنصرهم الله نصراً لا صنع للبشر فيه ، تقدمه للنبي الذي خرج من مكة ، وتعظيماً للبلد الحرام

(١) وولد عليه السلام يوم الاثنين ثمان خلون من ربيع الأول ، اختاره

(١) مخروم في الأصل

وقيل لعشر منه ، وقيل لاثنتي عشرة خلت منه . وُنُبِّيُّ يوم الاثنين لأيام خلت من ربيع ^(١) ، ومات ثمان خلون من ربيع الأول

وفي عبد المطلب يجتمع معه بنو علي وبنو جعفر و [بنو عقيل ^(١)] بنو أبي طالب ، وبنو العباس وبنو الحارث وبنو أبي لهب

وفي عبد مناف يجتمع معه [بنو أمية ^(١)] وسائر بني عبد شمس ، وبنو المطلب وبنو نوفل وفي قُصَيٍّ يجتمع معه عليه السلام بنو عبد العزى وبنو عبد الدار ، منهم حَجَبَةَ الكعبة ، ومنهم النضر بن الحارث . ومن بني عبد العزى الزبير بن العوام وخديجة وورقة بن نوفل

وفي كلاب يجتمع معه عليه السلام بنو زهرة بن كلاب ، وأمه منهم ، ومنهم سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف

وفي مُرَّةٍ يجتمع معه عليه السلام بنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة . فمن بني تيم بن مرة أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله . ومن بني مخزوم خالد بن الوليد وأبو جهل ابن هشام

وفي كعب يجتمع معه عليه السلام بنو عدى بن كعب ، ومنهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد ، وبنو جُمَحٍ وشاهيرم أمية بن خلف عدو رسول الله ، وأخوه أبي بن خلف مثله في العداوة لرسول الله ، وبنو سَهْمٍ ومنهم عمرو بن العاص

وفي لُؤَيٍّ يجتمع معه عليه السلام بنو عامر بن لؤي ، ومنهم عمرو بن عبد ود فارس العرب الذي قتله علي بن أبي طالب ، ومنهم سهيل بن عمرو

وفي غالب يجتمع بنو تيم الأدرم ، والأدرم الناقص . وفي فهر يجتمع معه بنو محارب وبنو الحارث ابني فهر ، ومن بني الحارث بنو الخالج ومنهم أبو عبيدة بن الجراح ^(٢) . وفهر

(١) مخزوم في الأصل

(٢) أبو عبيدة من بني ضبة بن الحارث ، والخالج ينتسبون إلى اخوتهم بني قيس ابن الحارث

هذا هو أبو قريش كلها ، فكل من كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده
فليس قرشيا

وفي كنانة يجتمع معه عليه السلام كل من ينتمي إلى كنانة من بني عبد مناة ومالك
وملك وعمرو وعامر أولاد كنانة ، فصار من بني عبد مناة بنو بكر ومن بني بكر بنو الدليل
رهط أبي الأسود الدؤلي ، وبنو مدلج وبنو ليث وبنو ضمرة . ومن بني الحارث الأحابيش
وقد قيل : إن النضر بن كنانة هو قريش ، والصحيح أنه قهر بن مالك

وفي خزيمية يجتمع معه عليه السلام بنو أسد والقارة ، وهم الهون بن خزيمية ، فن الهون
عضل وهي قبيلة أبوم عضل بن الهون ، ومنهم الدبش أخو عضل ، ويقال لهاتين
القبيلتين القارة

وفي مدركة يجتمع معه عليه السلام بنو هذيل بن مدركة ، ومنهم عبد الله بن مسعود
صاحب رسول الله ﷺ

وفي الياس يجتمع معه بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس ، وبنو ضبة بن أد ،
والترباب ومزينة ، وهم بنو عمرو بن أد ، ويقال لهم مزينة نسبة إلى أمهم مزينة ابنة
كلب بن وبرة

وفي مضر يجتمع معه عليه السلام بنو قيس عيلان بن مضر ، وهو بالعين المهملة ، قيل
إن عيلان فرسه وقيل كلبه ، وقد جعل الله لقيس من الكثرة أمرا عظيما ، فن ولده جميع
قبائل عطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وجميع قبائل هوزان ، وسليم ومازن ابنا منصور بن
عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، ومن هو ازن بنو سعد بن بكر ، وبنو كلاب ، وبنو
كعب ، وبنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومن جشم دريد بن الصمة من غزيرة بن
جشم بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، منهم بنو كعب بن ربيعة وبنو هلال وبنو
نمير وبنو جمدة وبنو قشير ، وبنو عقيل بن كعب بن ربيعة منهم بنو المنتفق بن عامر بن
عقيل ، ومنهم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل ، ومن هوازن بنو ساول وبنو ثقيف بن منبه

ابن بكر بن هوازن ، ومن قيس عيلان بنو عبس وذبيان ، ومن ذبيان بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض ، ومنهم عدوان وباهلة ، ومن بني سليم بن منصور رَعْل وذَكوان وعصية بن خُفاف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، وزعب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس . وقد قيل إن ثقيفا من إياد ، وقيل من بقايا ثمود . ومن بني ذبيان النابغة الشاعر المشهور

وفي نزار يجتمع معه عليه السلام بنو ربيعة بن نزار ، منهم بنو أسد وضيعة ابني ربيعة ، ومن بني أسد بكر وتغلب وعنز أبناء وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ومنهم بنو عبد القيس بن أفصى والنمر بن قاسط ، ومنهم بنو حنيفة بن لجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، ومنهم بنو عجل بن لجيم ، ومن رجال بكر مرة وابناه هام وجساس قاتل كليب ، وطرفة بن العبد الشاعر . ومن بني تغلب كليب بن ربيعة ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت بسببه تلك الحرب المعروفة بحرب البسوس بين بني بكر وبني تغلب ، ومن ربيعة عنزة بن أسد بن ربيعة فمنهم بنو عنزة وهم أهل خيبر ، ومن بني عنزة القارضان ، ومن ربيعة سدوس والهازم

ويجتمع معه عليه السلام أيضا في نزار بنو إياد بن نزار وبنو أعمار بن نزار ، فمن بني إياد كعب ابن عامر الذي يضرب بجوده المثل ، وقس بن ساعدة وكان يضرب بفصاحته المثل . والله أعلم

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرنا قرنا ، حق كنت من القرن الذي كنت منه » . وفي صحيح مسلم عن وائلة بن الأسقع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقتهم وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل فجعلني في خير القبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا » رواه الترمذي وقال : حديث حسن

وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الله اختار خلقه فاختر منهم بنى آدم ، ثم اختار بنى آدم فاختر منهم العرب ، ثم اختارني من العرب ، فلم أزل من خيار من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم

وأما عبد الله أبو رسول الله ﷺ فهو ابن عبد المطلب المذكور ، وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم ، وكان أبوه يحبه ، والأكثر يقولون إنه توفي وهو حمل ، وقيل إنه مات ورسول الله ﷺ شهران ، وجميع ما خلفه عبد الله خمسة أجمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن ، وهي حاضنته

وأمه عليه السلام أمينة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

ولد عليه السلام لثمان خلون من ربيع الأول ، وقيل لعشر ، وقيل لاثنتي عشرة ، يوم الاثنين وروى البيهقي أنه ﷺ ولد مختونا مسروراً . قال العباس : فأعجب عبد المطلب جده وحظى عنده ، وقال : ليسكونن لهذا شأن . وذكر البيهقي أيضا أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجح إيوان كسرى وسقط منه أربع عشر شرفة ، وخذت نار فارس ولم تخذ قبل ذلك من ألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة . وفي سقوط الأربع عشرة شرفة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات ، وقد ملك منهم في أربع سنين عشرة وملك الباقرن إلى خلافة عثمان . وروى أحمد وغيره عن العرياض بن سارية عن النبي ﷺ قال « إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » وكذلك أمهات المؤمنين يرين . وعن مبصرة الضبي قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ وفي رواية متى كتبت نبيا؟ قال « وآدم بين الروح والجسد » وروى ابن سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت : لما ولدته خرج من فرجى نور أضاءت له قصور الشام ، وولده نظيفا ما به قدر ، وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال :

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
وَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِيَاءِ وَفِي النُّورِ فَسُبُلَ الرِّشَادِ تَخْتَرِقُ

قال في اللطائف : وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض ، وزالت به ظلمة الشرك . كما قال تعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ الآية . وأما إضاءة بصرى بالنور الذي خرج منه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته ، فانها دار ملكه كما ذكر كعب : إن في الكتب السالفة « محمد رسول الله ، مولده بمكة ، ومهاجره يثرب ، وملكه بالشام » ولهذا أسرى به إلى الشام إلى بيت المقدس ، كما هاجر إبراهيم عليه السلام إلى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام ، وهي أرض المحشر والمنشر

وأرضته عليه السلام ثوية عتيقة أبي لهب ، أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم . وقد روى أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له : ما حالك ؟ فقال : في النار ، إلا أنه خُفِّفَ عَنِّي كُلِّ اثْنَيْنِ ، وَأَمَصَّ مِنْ بَيْنِ إِصْبَعَيْ هَاتَيْنِ مَاءً - وَأَشَارَ بِرَأْسِ إِصْبَعِهِ - وَإِنْ ذَلِكَ بَاعْتَاقِي ثَوِيَّةَ عِنْدَمَا بَشَّرْتَنِي بِوِلَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَبَارِضَاعِهَا لَهُ . قال ابن الجوزي : فاذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بدمه جوزى بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من أمته صلى الله عليه وسلم بسر بمولده ؟ وثوية مولاة أبي لهب أول من أرضعه بعد أمه بلبن ابنها مسروح ، وأرضعت أيضا مع رسول الله بلبن ابنها مسروح حمزة عم رسول الله ، وأياسدة بن عبد الأسد المخزومي . ثم أرضعته صلى الله عليه وسلم حليلة العديّة

وفي السنة الرابعة من مولده ذكر أن الملكين شقا بطنه واستخرجا قلبه وشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء ثم غسلوا قلبه وبطنه بالثلج ، وقال أحدهما : زنه بعشرة من أمته ، فوزنه . ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف ، فقال : والله لو وزنته بأمته لوزنها . وروى أنه وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبرائيل له بالوحي في غار حراء ، ومرة أخرى عند الاسراء ، وروى الشق أيضا وهو ابن عشر . وقد روى أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه ،

وأنه يشم منه مسكا ، وأنه مثل زر الحجلة ، ذكره البخارى . وفي مسلم : **بُجِعَ** عليه خيلان كأنها السائليل السود عند نفض كتفه ، وروى : عند غضروف كتفه اليسرى ، وروى الأيمن . وفي مسلم أيضا : كبيضة الحمامة ، وفي الشمايل : بضعة ناشزة ، وفي الترمذى ودلائل البيهقى : كالتفاحة . وقوله مثل زر الحجلة بالزاي والراء ، والحجلة بالحاء المهملة والجيم ، قال النووى : هى واحد الحجال ، وهى بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى . هذا هو الصواب . وقوله « **بُجِعَ** » بضم الجيم وإسكان الميم أى جمع الكف ، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها . وقوله خيلان بكسر الخاء وإسكان النحوية ، جمع خال ، وهو الشامة على الجسد . والنفض والناغض أعلى الكتف . وفي حديث عتبة بن عبد السلى عند أحمد والطبرانى : إن المسكين لما شفا صدره قال أحدهما للآخر : خطه . فخاطه ، وختم عليه بخاتم النبوة .

ومات أمه عليه السلام ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين ، حين انصرفت من زيارة أخواله بنى النجار ، وكانت خرجت به معها ومعه دابته أم أيمن ، وقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد موتها ، فكفله جده عبد المطلب ، وربي عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده ، فكان لا يفارقه ، وما كان يجلس على فراشه إجلالا له إلا رسول الله ﷺ . وقدم مكة قوم من بنى مدلج من القافة ، فلما نظروا إليه قالوا لجدته : احتفظ به ، فلم نجد قدما أشبه بالقدم الذى فى المقام من قدمه ، فقال لأبى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء واحتفظ به .

وتوفى جده عبد المطلب فى السنة الثامنة من مولده ، وأوصى به إلى أبى طالب . قال ابن اسحاق : وكان عبد المطلب من سادات قريش ، محافظا على اليهود ، يتخلق بمكارم الأخلاق ، يحب المساكين ، ويقوم بالحجيج ، ويطعم حتى الوحوش والطيور فى رموس الجبال ، ويطعم فى الأزمان ، ويقمع الظالمين .

وأم عبد المطلب سلمى بنت زيد من بنى النجار ، تزوجها أبوه هاشم بن عبد مناف ، فخرج إلى الشام وهى عند أهلها وتداحت بعبد المطلب ، فمات بغزة ، فولدت عبد المطلب وسمته « شيبه » . فلما ترعرع خرج إليه المطلب ليأتى به إلى مكة ، فأبت أمه فقال : إنه يلى ملك

أبيه ، فأذنت له فقدم به مكة ، فقال الناس هذا عبد المطلب . فقال : ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم . فولى عبد المطلب ما كان يلي أبوه ، وأقام لقومه ما أقام آباؤه ، وشرف فيهم شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبوه ، وعظم خطرهم فيهم . وكان له أولاد عشرة ، أكبرهم الحارث توفى في حياة أبيه ، وأسلم من أولاد الحارث يوم بدر ربيعة وأبو سفيان وهو عبد الله . ومنهم الزبير بن عبد المطلب شقيق عبد الله ، ولم يدرك الإسلام ، وأسلم من أولاده عبد الله وضباعة . ومنهم أبو طالب واسمه عبد مناف ، وقيل إنه شقيق عبد الله ، وحضر الإسلام ولم يسلم ، وله من الولد طالب وعقيل وجعفر وعلي ، وبين كل واحد [وأخيه] عشر سنين ، أكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي . ومنهم أبو لهب مات عقيب بدر ، وله من الولد عتيبة الذي دعا عليه النبي ﷺ فقتله السبع ، وله عتبة ومعتب أسلما يوم الفتح . ومنهم حمزة والعباس أسلما رضى الله عنهما . ومن أولاد عبد المطلب عبد الله أبو النبي ﷺ ، ولم يولد لأبيه وأمه غيره ﷺ فيما ذكر . وله من البنات ست : البيضاء أم حكيم تزوجها كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولدت له عامرا أبا عبد الله بن عامر الجواد المشهور ، وبنات منهن أروى تزوجها عفان بن أبي أمية فولدت له عثمان بن عفان ، ثم خافه عليها عقبة بن أبي معيط فولدت له الوايد ، وعاشت إلى خلافة ابنها عثمان . ومنهن برة أم أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، ومنهن عاتكة أم عبد الله بن أبي أمية واختلف في إسلامها . ومنهن صفية أم الزبير أسلمت وهاجرت ، وأروى أم آل جيش عبد الله وأبي أحمد وعبيد الله وزينب وحننة

ومات جده عبد المطلب وله ثمان سنين - وقيل أكثر - وله من العمر عشر ومائة سنة ، وكفله عمه أبو طالب ، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله . قال الواقدي : أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ إلى السنة العاشرة من النبوة ثلاثا وأربعين سنة يحوطه ويقوم بأمره ويذب عنه ويلطف به ، وقد أخرج ابن عساكر عن جَاهمة بن عرفة قال : قدمت مكة وهم في قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب ألقط الوادي وأجدب العيال ، فلم فاستسق ، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قماء حوله أغيلة ، فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ باصبعه

الغلام وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من هنا وهنا وأغدق وأغدوق ، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي ، وفي ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهِ ثَمالِ اليتامى عصمة للأرامل

والمثال بكسر المثلثة : الملاجأ والغياث ، وقيل المطعم في الشدة ، وعصمة للأرامل أى يمنهم من الضياع والحاجة ، والأرامل المساكين من رجال ونساء

قال ابن اسحاق : : وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة ومع جده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ، وينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من الكرامة . ولما بلغ رسول الله ﷺ اثني عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب حتى بلغ بصرى فراه بجيرا الراهب - واسمه جرجيس - فعرفه بصفته ، فقال وهو آخذ بيده : هذا سيد العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال : وما علمك بذلك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجدا ، ولا تسجد إلا لني . وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة ، وإنا نجد في كتبنا . وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود . الحديث رواه ابن أبي شيبة ، وفيه أنه أقبل عليه الصلاة والسلام وعليه غمامة تظله . ثم خرج ﷺ مرة أخرى ، ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة لها ، حتى بلغ سوق بصرى وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فنزل تحت ظل شجرة ، فقال نسطور الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي . وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ، فلما رجعوا إلى مكة ساعة الظهر وخديجة في عليه لها رأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره وملكان يظلانه . ذكره أبو نعيم

وتزوج رسول الله ﷺ خديجة بعد ذلك ، وكانت تحت أبي إهاب بن زرارة التيمي ، ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له هنداً ، وكان لها حين تزويجها برسول الله ﷺ من العمر أربعون سنة ، فولدت لرسول الله ﷺ بنين وبنات ، وكل أولاده من خديجة ، حاشا إبراهيم فإنه من مارية القبطية ، فالذكور من ولده : القاسم - وبه كان يكنى - وهو أكبر ولده عاش أياما بسيرة ، ولد قبل النبوة . وولدان آخران اختلف في اسمها ، وعبد الله والطيب

والظاهر ، وأما ابراهيم فولد له بالمدينة وعاش عامين غير شهرين ومات قبل موته عليه السلام بثلاثة أشهر يوم كسوف . وبناته عليه السلام أربع : زينب تزوجها أبو العاص بن الربيع ، وكانت خديجة خالته ، ومات أبو العاص في خلافة عمر وولدت له عليا مات مراهما ، وأمامة تزوجها علي رضي الله عنه بعد فاطمة ولم تلد له ، ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب فمات عنده ولم تلد له ، وماتت زينب في حياة أبيها صلى الله عليه وسلم .
ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا رقية وتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يكن لها زوج غيره ، فولدت له ابنا مات وله أربع سنين ، ثم ماتت رقية بعد بدر بنحو ثلاثة أيام . وكان له عليه السلام فاطمة تزوجها علي بن أبي طالب ، فولدت الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وابنا مات صغيرا اسمه المحسن رضي الله عنه ، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فولدت له علي بن عبد الله له عقب ، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وماتت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر . وكان لرسول الله أيضا أم كلثوم وهي أصغر بناته كانت مملكة بعتبة بن أبي لهب فلم يدخل بها وطلقها ، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فمات عنده في حياة رسول الله ولم تلد له

وخديجة أول امرأة تزوجها ، وأول امرأة ماتت من نساءه ولم ينكح عليها غيرها ، وأمره جبريل أن يقرأ عليها السلام من ربها . ثم حبيب اليه الخلو والتعبد لربه فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه ، وبغضت اليه الأوثان ودين قومه فلم يكن شيء أبغض اليه من ذلك . وأنته الله نباتا حسنا حتى كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأعزهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا حتى سماه قومه « الأمين » لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية . ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة قامت قريش في بناء الكعبة

قال أهل السيرة : كان أمر البيت وولايته بعده اسماعيل عليه السلام إلى ولده ، ثم غلبهم أخوالهم من جُرم ، فلم يزل في أيديهم حتى استحلوا حرمة وأكلوا ما يهدى اليه وظلموا من دخل مكة فرق أمرهم ، فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة

ذلك أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ، فأذنوهم بالحرب فاقتلوا ، وغلبتهم بنو بكر وغبشان فنقوم من مكة ، وكانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم ولا بغي ، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجهم الله منها ، ولا يريد لها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه ، فيقال ما سميت بكة إلا أنها تبك أعناق الجبارة إذا أحدثوا فيها . ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني ، وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثونه كإبراهيم عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة (وهو لحى الخزاعي)

ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل ابنته ، فرغب فيه فزوجه ، فولدت عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا . فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي أنه أولى بالسكبة وبأمر البيت من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشا صريح آل اسمعيل ، فكلم رجلا من قريش وبنى كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة فأجابوه ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، ثم تداعوا إلى الصلح فمكوا عمرو بن عوف أحد بنى بكر ، ففضى بينهم أن قصيا أولى بالسكبة وأمر مكة من خزاعة ، وكل دم أصابه منهم قصي موضوع تحت شدخه ، وما أصابت خزاعة وبنو بكر ففيه الدية ، وأن يخلى بين قصي وبين السكبة ومكة . فوليا قصي ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فمكوه ، إلا أنه أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دينا في نفسه : فأقر آل صفوان على الاجازة بالناس ، قال ابن اسحاق : فكان صفوان هو الذى يجيز للحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان . وأقر عدوان وكانت فيهم الإفاضة من مزدلفة يتوارثون ذلك كإبراهيم عن كابر حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة . وأقر النساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الاسلام فهدم ذلك كله ، فكان قصي أول بنى كعب بن لؤى أصاب ملاحا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، وقطع مكة رباعاً بين قومه

فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة . وقيل إن قريشا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده وأعوانه ، فسمته قريش « مجمعا » لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب غيرهم إلا في داره يعقده لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع إلا في داره يشق عليها فيها مدرعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها إلى أهلها ، فكان أمره في قومه في حياته وبعد موته كالدين المتبع

واتخذ لنفسه (دار الندوة) وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها . قال السهيلي : ولفظها مأخوذ من لفظ النداء ، والنادى والمنتدى هو مجلس القوم الذي يندون حوله أي يذهبون قريبا منه ثم يرجعون . وهذه الدار تصيرت من بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم وذلك في زمن معاوية ، فلامه معاوية على ذلك وقال : بعت مكرمة آبائك وشرفهم . فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وبعتها بمائة ألف درهم وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله ، فأينا الغبون ؟ ذكر هذا الخبر الدارقطني في أسماء رجال الموطاء له . انتهى

فلما كبر قصي ، وكان عبد الدار بكره ، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وعبد العزى وعبد ، قال قصي لعبد الدار : أما والله يا بني لألحقنك بالقوم وإن شرفوا عليك ، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا بيدك ، ولا يشرب رجل من مكة إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا في دارك . فأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة . وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب فيصنع به طعاما للحجاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ، وذلك أن قصيا فرض على قريش فقال لهم : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم ، وإن الحجاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرايا أيام الحج حتى

يصدروا عنكم ، ففعلوا . فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه اليه
فيصنع به طعاما للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الاسلام ، ثم جرى
في الاسلام ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج

وكان قصي لا يخالف ولا يُردّ عليه شيء صنعته ، فلما هلك أقام بنوه أمره لا نزاع
بينهم . ثم إن بنى عبد مناف أرادوا أخذ ما بيد بنى عبد الدار وأنهم أولى بذلك ، ففترقت
قريش بعضهم مع بنى عبد مناف وبعضهم مع عبد الدار ، فعقد كل قوم حلقا مؤكدا على أن
لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بجرّ صوفة . فأخرج بنو عبد مناف حفنة مملوءة
طيبا ، أخرجتها لهم بعض نسائهم ، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، فسموا
المطيبين . ثم تداعوا للصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون
الحجاجة واللواء والندوة لبنى عبد الدار . ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وثبت كل
قوم مع من حالفوا ، حتى جاء الله بالاسلام فقال رسول الله ﷺ « ما كان من حلف
في الجاهلية فان الاسلام لم يزد إلا شدة »

وأما (حلف الفضول) فقال ابن اسحاق : اجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان ،
وكان أكرم حلف سمع به في العرب وأشرفه . وكان أول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن
عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زييد قدم مكة ببضاعة ، واشتراها منه العاص بن وائل
- وكان ذا قدر بمكة وشرف - فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيديّ الأحناف : عبد
الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعديا ، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل ، فعلا جبل أبي
قيس - وقريش في أنديةهم حول الكعبة - فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته ، فمشى
في ذلك [الزبير] بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك . فاجتمعت هائم وزهرة وتيم بن مرة
في دار ابن جدعان ، فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام قياما ، فتعاهدوا
وتعاقدوا بالله ليكون بدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه ما بل بجرّ صوفة .
فسمت قريش ذلك الحلف « الفضول » وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم

مشوا إلى العاص بن وائل فالتزعوا منه . وقال الزبير بن عبد المطلب :

إن الفضول تحالفوا وتعاهدوا
أما يقيم بطن مكة ظالم
أمر عليه توافقوا وتعاهدوا
فالجار والمعتز فيهم سالم

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف يقول : قال رسول الله ﷺ « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » وعبد الله بن جدعان هذا تيمي يكنى أبا زهير ، ابن عم عائشة ، ولذلك قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقري الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم [الدين] ؟ فقال « لا ، لأنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . وفي غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله ﷺ [قال] : كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان [في] صكة عمي يعني في الهجرة ^(۱) قال ابن اسحاق : فولى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان سفارا فلما يقيم بمكة ، وكان مقلدا لولد ، وكان هاشم موصرا ، وكان هاشم أول من من الرحلتين لقريش : رحلة الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريد بمكة ، وكان اسمه عمرو فاسمى هاشما إلا لهشم الخبز بمكة لقومه . قال الشاعر ^(۲) :

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستنين عجاف

قال ابن اسحاق : ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف في القوم وفضل ، وكانت قريش تسميه « الفياض » لسماحته . ثم هلك المطلب . ثم ولى عبد المطلب السقاية والرفادة بعد عمه المطلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما أقام آباؤه ، وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه . ثم إن عبد المطلب أتى في المنام وأمر بحفر زمزم ، وذلك

(۱) الصكة من الاصططك ، أي الازدحام ، إجابة لدعوة ابن جدعان . وعمى اسم رجل من عدوان كان يفيض بالناس عند الهجرة (۲) هو مطرود بن كعب الخزاعي

لأن الجرهمي عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله وقيض الله من أخرجهم من مكة فعمد عمرو إلى نفائس [الكعبة] فجعلها في زمزم وبالغ في طمها ، وفر إلى اليمن ، فأتى عبد المطلب في المنام وأمر بحفرها ، ووُصف له موضعها بعلامات وأمارات ، ففعل ذلك ، ففدا بموله ومعه الحارث ابنه ، ليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها . فلما بدا لعبد المطلب الطلح كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بئر أبينا اسمعيل ، وإن لنا فيها حقا ، فأشركنا فيها . قال ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم . فخاصموه إلى كاهنة بنى سعد . وقيل إنه لما حفر وجد فيها غزالين من ذهب وأدراعا وأسيافا ، فقالت قريش : يا عبد المطلب ، لنا ملك في هذا شرك وحق ، قال لا ، وهلم إلى أمر نَصَف بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال أجعل للكعبة قِدْحين ولى قِدْحين ولكم قِدْحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . فقالوا : أنصفت . فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة ، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدْحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القداح الذي يضرب عليها عند هُبَل ، وقام عبد المطلب يدعو ، وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحاه قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حليت به الكعبة فيما يزعمون . ثم ان عبد المطلب [جعل] سقاية زمزم للناس ، فنذر لله لئن آتاه الله عشرة من الولد يمنعونه لينحرن أحدهم عند الكعبة ، فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم يمنعونه جمعهم فأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم أتوني . ففعلوا . فدخل بهم على هُبَل فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره ، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أحب ولده إليه ، فكان يرى أن السهم إذا أخطأ فقد أشوى ^(١) : فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هُبَل يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح

(١) رمى فأشوى : أى لم يصب الهدف

فخرج عليّ عبد الله ، فأخذه بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل على أساف ونائلة ليذبحه^(١) ، فقامت إليه قريش من أندية فنعموه ، وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عبد الله ابن أخت القوم - والله لا تذبحه حتى تعذر فيه أبدا ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . ثم أتوا عرافة فسألوها . فقالت كم الدية فيكم ؟ قالوا عشرة من الإبل . وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فامحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم . فقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قربوا عبد الله وقربوا عشرة من الإبل ، وعبد المطلب عد . هبل يدعو الله ، فضربوا القدح على عبد الله ، فلم يزالوا يزيدون عشرا عشرا والقدح يخرج على عبد الله إلى أن بلغوا مائة من الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل ، ثم أعادوا الثانية فخرج على الإبل ، ثم أعادوا الثالثة فضربوا فخرج على الإبل ، ففحرت وتركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع ، فحرت الدية في قريش والعرب مائة من الإبل ، وأقرها رسول الله ﷺ في الإسلام . وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا ابن الذبيحين » يعني اسمعيل وأباه عبد الله . وروى الحاكم في المستدرک أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ يسأله اقل : يا ابن الذبيحين ، فتبسم النبي ﷺ ولم ينكر عليه

وقد كان السيل هدم الكعبة فسرق منها لما انهدمت غزال من ذهب وحلى وجوهر فنقضتها قريش ، وكان في حيطانها صور كثيرة بأنواع الأصناف عجيبة ، منها صورة إبراهيم عليه السلام في يده الأوزلام ، ويقابلها صورة ابنة اسمعيل على فرس مخبر ، وبعد هذه الصور صور كثير من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيره في نحو ستين صورة ، في كل واحدة من تلك الصور آله صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله . ونابت قريش الكعبة ورفعت سمكها وتأتى لها ما أرادت في بنائها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر

(١) أساف ونائلة : صنمان كانا عند الصفا والمروة

إلى ساحله التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة لينبئ بها هناك كنيسة ، واتهوا إلى موضع الحجر على ما ذكرنا ، وتنازعوا أيهم يضعه ، اتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبه ، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي ﷺ من ذلك الباب ، وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والأدناس ، فحكوه فيما تنازعوا فيه ، وانقادوا لقضائه ، فبسط ما كان عليه من رداء - وقيل كساء - وأخذ ﷺ الحجر فوضعه في وسطه ، ثم قال لأربعة رجال من قريش وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم ، وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم ، وقيس بن عمرو ابن مخزوم ، وقيس بن عدي السهمي : ليأخذ كل واحد منكم بحنبة من جنبات هذا الرداء ، فشالوه حتى ارتفع من الأرض وأدنوه من موضعه ، فأخذ ﷺ الحجر ووضعه مكانه ، وقريش كلها حضور ، فكان ذلك أول ما ظهر من فعله وقضاياه وأحكامه ، فقال قليل ممن حضر من قريش تعجبا من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنا : واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجملوه رأسا حاكما ، أما واللات والعزى ليفوتهم سبقا ، وليقسمن بينهم حظوظا وجدودا ، وليكونن له بعد هذا اليوم شأنا ونبا عظيما . وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم الحجارة وكانوا يرفعون أزرهم على عواتقهم ، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلبط به - أي طاح على وجهه - ونودي : استر عورتك ، فما رؤيت له عورة بعد ذلك . فلما بلغ خمسة عشر ذراعا سقفوه على ستة أعمدة . وكان البيت يكسى القباطي ، ثم كسى البرود ، ثم كسى الديباج . وأخرجت قريش الحجر لقلعة نقتهم ، ورفعوا بابها عن الأرض لئلا يدخلها إلا من أرادوا ، وكان إذا أراد أن يدخلها من لا يريدون تركوه حتى يباغ الباب ثم يرمونه

وقال ابن اسحق : إنها كانت قبل ذلك رضما فوق القامة . قال السهيلي : والرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط . وقوله « فوق القامة » كلام غير مبين لمقدار ارتفاعها إذ ذاك . وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد اسمعيل ، ولم يكن لها سقف ،

فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادوا فيها تسع أذرع ، قال : وكان بناؤها في الدهر خمس
مرات : الأولى حين بناها شيث بن آدم ، والثانية حين بناها ابراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة
حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام ، والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير
بشرارة طارت من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت . وقيل إن امرأة أرادت تجمرها
فطارت شرارة من الجمرة في أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره ،
فهابوا هدمها وقالوا : ترى أن تصلح ما وهى ، لا تهدم . فقال : إن دار أحدكم اذا احترقت
لم يرض إلا بأكل صلاحها إلا بهدمها ، فهدمها حتى أفضى إلى قواعد ابراهيم ، فأمرهم أن
يزيدوا في الحفر ، فحركوا حجرا منها فأوا تحته نارا وهولا أفزعهم ، فأمروا أن يقرؤا
القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد
فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف ، حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير
امتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها ، فلما استتم
بنيانها ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفا - أى بابا آخر من ورائها - وأدخل الحجر فيها ،
وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ألم ترى أن قومك حين
بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة » ثم قال « لولا حدثان
قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفا وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر » ،
أو كما قال عليه الصلاة والسلام . قال : ابن الزبير فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على
مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان قال : لسنا من تخليط أبي خبيب ،
فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ . فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث
ابن أبي ربيعة المعروف بالقناع ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر ، فحدثه
عن عائشة بالحديث المتقدم ، فندم وجعل ينكت في الأرض بخصرة في يده ويقول : وددت
أنى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك . فهذه المرة الخامسة . فلما قام أبو جعفر المنصور
أراد أن يبنها على ما بناها ابن الزبير فشاور في ذلك فقال له مالك بن أنس : أنشدك الله يا أمير
المؤمنين ، ولن يجعل الله هذا البيت ملعبة للولوك عن بعدك لا يساء أحد منهم أن يغيره إلا

غيره ، فتذهب هيبته من قلوب الناس . فصرفه عن رأيه فيه

وكانت الكعبة قبل أن يبنها شيث خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويأنس بها ، لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حج إلى موضعها من الهند ، وقد قيل أيضا : إن آدم أول من بناها ، ذكره ابن اسحق في غير رواية البكائي . وذكر ابن اسحق أن الماء لم يعلم حين الطوفان . ويذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام : ألا نبنيه ؟ قال : إنما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدى يتخذة الرحمن خليلا . فلما نضح ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج إليه هود وصالح ومن آمن معها وهو كذلك . فلما بعث الله ابراهيم ونبت اسمعيل بمكة أمر ابراهيم ببناء الكعبة ، فدلته عليه السكينة وظلت له على موضع البيت ، فلما بلغ ابراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قبيس . وروى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « أنزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم » . وذكر أيضا عن عبد الله بن عمرو أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب

وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخنتم عليها ولم تدخل عليكم . فاشتري تلك الدور من أهلها وهدمها وبني المسجد المحيط بها . ثم كان عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فاشتري دورا آخر وأغلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد . فلما كان ابن الزبير زاد في اتقانه لا في سعته ، وجعل فيه عمدا من الرخام ، وزاد في أبوابه وحسنها . فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى في البحر إلى جدة ، واحتملت من جدة على العجل إلى مكة . وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج ، وكان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار . ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد في حليها . فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زادا أيضا في اتقان المسجد وتحسين هيئته . انتهى كلام السهيلي ملخصا

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه
ومراجا منيرا ، إلى الأسود والأحمر ، ناسخا بشريعته جميع شرائع الأنبياء قبله . ونذكر
قبل ذلك شيئا من أمور الجاهلية وما كانوا عليه قبل مبعثه

واعلم رحمك الله أن أهل الجاهلية لا عذر لهم في ترك رسالة الله ، لأن الرسالة عمت بني
آدم ، كما قال تعالى ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة
رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . وأصل ذلك ما ذكر الله أنه لما أهبط آدم
ومن معه من الجنة قال سبحانه ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ، فإما يأتينكم مني هدى ﴾ الآية .
وفي الآية الأخرى ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ الآيات . وهداه الذي وعدنا به
هو إرسال الرسل وإزالة الكتب ، وقد وفي بما وعد سبحانه ، فأرسل الرسل مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فتوارث بنو آدم العلم والهدى عن
آبائهم آدم عليه السلام . قال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان بين آدم ونوح
عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ،
فكان أول من بعث نوح . وهكذا قال مجاهد وغير واحد من السلف . وكان أول ما كادهم
به الشيطان من تعظيم الصالحين ، كما ذكر الله ذلك في قوله تعالى ﴿ وقالوا لا تدرن آلهمكم ،
ولا تدرن وُدًا ولا سِوًا ولا بَغوثَ وَيَعوقَ ونَسرا ﴾ فروى البخاري في صحيحه عن ابن
عباس في قوله تعالى ﴿ وقالوا لا تدرن آلهمكم ﴾ الآية أن هذه أسماء رجال صالحين من
قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون
عليها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم بعبادتهم ،
وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد : أما وُد فكانت كعب يدومة
الجنديل ، وأما سِوًا فكانت كهذيل ، وأما بَغوث فكانت لمر دهم لبني غطفان بالجرف
عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نَسْر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع .
وروى عبد الله بن حميد عن محمد بن كعب في قوله تعالى ﴿ ولا تدرن وُدًا ولا سِوًا ﴾
الآية ، قال : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح ، فنشأ قوم بعدهم يأخذون أخدم في

العبادة ، فقال لهم ابليس : لو صورتم صورهم تنظرون اليهم ، فصوروا ، ثم ماتوا ، فنشأ قوم بعدهم ، فقال لهم ابليس : إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونها ، فعبدوها . وروى ابن جرير عن محمد بن قيس أن ينعوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورنا صورهم كان أشوق لنا إلى العبادة اذا ذكرناهم ، فلما ماتوا جاء آخرون دب إليهم ابليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم . وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، وطال عليهم الأمد فعبدوهم . فهؤلاء جمعوا بين الفتنين : فتنة القبور وفتنة التماثيل ، وهما اللتان أشار إليهما النبي ﷺ في قوله « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » . وقال الكلبي : كان هؤلاء قوما صالحين ، فماتوا في شهر ، فجزع عليهم ذوو أقاربهم فصوروا صورهم . قال : فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه ، حتى ذهب ذلك القرن ، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم الأول . ثم جاء القرن الثالث فقالوا : ما عظم أولنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم ، فعبدوهم . فلما بعث الله نوحا وغرق من غرق أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة . فلما نضب الماء بقيت على الشط ، فسفت الريح حتى وارتها . قال : وكان عمرو بن لحي سيد خزاعة كاهنا ، وكان له ربي من الجن ، فأتاه فقال : عجل السير والظن من تهامة ، بالسعد والسلامة . أتت جدة ، تجد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب . فأتى جدة فاستشارها ثم حملها حتى أوردتها تهامة وحضر الحج ، فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه . انتهى ما ذكره هشام بن محمد الكلبي ملخصا . وقيل : إن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب اللقاء وبها يومئذ الماليق فرآهم يعبدون الأصنام ، فاستحسن ذلك وظنه حقا فقال لهم : أفلا تعطوني صنما منها فأسير به إلى أرض العرب ؟ فأعطوه صنما يقال له هُبل ، فقدم به مكة فنصبه ، وأمر الناس بعبادته

وتعظيمه . قال السهيلي : وكان عمرو بن لُحَيّ حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا ، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يعظم الناس ويكسو في الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة ، حتى إن اللات الذي كان يات السوق للحاج على صخرة معروفة فسميت صخرة اللات ، ويقال إن الذي كان يات من ثقيف ، فلما مات قال لهم : إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنى عليها بيت يسمى « اللات » . وذكر أبو الوليد الأزرق في أخبار مكة أن عمرو بن لُحَيّ فقأ عين عشرين بعيرا ، وكانوا يفتقأون عين الفحل إذا بانغت ألفا ، فاذا بانغت ألفين فقأوا عينه الأخرى ، قال الشاعر :

وكان شكر القوم عند النعم كئىء الصحيحات وفقء الأعين

وكانت التلبية من عهد ابراهيم عليه السلام « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » حتى كان عمرو بن لُحَيّ ، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال « لبيك لا شريك لك » فقال الشيخ « إلا شريكا هو لك » فأنكر ذلك عمرو فقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ : قل « تملكه وما ملك » فانه لا بأس بهذا ، فقالت عمرو فدانت بها العرب

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال : حدثت أن رسول الله ﷺ قال « رأيت عمرو بن لُحَيّ يجر قصبه في النار . فسألته عن بيني وبينه من الناس فقال : هلكوا . قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكنم الخزاعي « يا أكنم رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قنعة بن خندف^(١) يجر قصبه في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه » فقال أكنم : عسى ألا يضرني شبهه يا نبي الله ؟ قال « إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أول من غير دين ابراهيم ، فنصب الأوثان ، وجر

(١) في نسب عمرو بن لُحَيّ اختلاف كثير

البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة

وفي الصحيحين عن ابن المسيب قال : البحيرة التي يمنع دَرُّها للطواغيت فلا يجلبها أحد من الناس ، والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء ، قال أبو هريرة : فقال رسول الله ﷺ « رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، كان أول من سيب السوائب » . والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول إنتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر . والحام الفحل يضرب الضراب المدود ، فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأغفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحام

قال ابن اسحق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حتى ضاقت ، والنموا الفسح في البلاد ، فكان لا يظعن منهم ظاعن إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان ، فصاروا إلى ما كانت عليه قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة ومزدلفة وإهداء البُدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم ما لبس فيه . فكانت قريش وكنانة إذا أهلوا قالوا « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » فيوحدونه بالتلبية ، ويدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملسكها بيده . انتهى كلام ابن اسحق . وروى الطبراني عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : كان يلبي أهل الشرك « لبيك اللهم لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » فأنزل الله تعالى ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ، فأنتم فيه سواء ﴾ الآية . قال المفسرون : والمعنى أيرتضى أحد منكم أن يكون

عبده شريكاً له في ماله فهو وهو فيه سواء ؟ قال أبو مجاز : ان مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك ، وليس له ذاك ، كذلك الله لا شريك له . والمعنى إن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف يحملون لله الأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالى ﴿ ويحملون الله ما يكرهون ﴾ أى من البنات ، لأنهم جعلوا الملائكة بنات الله ، وقد كان أحدهم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم

قال هشام بن محمد بن السائب السكبي : وكان من أقدم أصنامهم مناة ، وكان منصوباً على ساحل البحر الأحمر من ناحية المشال بقديد بين مكة والمدينة ، وكانت العرب جميعاً تعظمه ، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له ، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج . قال هشام : وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : كانت الأوس ومن جاورهم من عرب يثرب وغيرها يحجون ، فيقفون مع الناس المواقف كلها ، ولا يحلقون رؤوسهم ، فإذا نفروا أتوا فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك . وكانت مناة لهذيل وخزاعة ، فبعث رسول الله ﷺ عليها فهدمها عام الفتح

ثم اتخذوا اللات بالطائف ، وهى أحدث من مناة ، وكانت صخرة مربعة ، وكانت سدتها من ثقيف ، وكانوا قد بنوا عليها ، وكانت قريش وجميع العرب يعظمونها ، وبها كانت تسمى زيد اللات وتيم اللات . وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم ، فلم تزل كذلك حتى بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه وأبا سفيان بن حرب لما أسلت ثقيف فهدماها وحرقاها بالنار . انتهى . وروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾ قال كان يلبت السويق للحاج فمات ، فسكفوا على قبره . وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلبت السويق للحاج . رواه البخارى بنحوه

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات ، اتخذها ظالم بن سعد بوادى نخلة فوق ذات

عرق ، وبنوا عليها بيتا ، فكانوا يسمعون منها الصوت . قال هشام : وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كانت للعزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال : أتت بطن نخلة فانك ستجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى . فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثانية ، فعضدها . ثم أتى النبي ﷺ قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال فاعضد الثالثة . فأتاها فاذا هو بحبشية نافسة شعرها واضعة يديها على عاتقها تضرب بأنيابها وخلفها سادنها . فقال خالد :

كفرانك لا سبحانه إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففاق رأسها فاذا هي حمة ، ثم عضد الشجرة وقتل السادن ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال : تلك العزى ، ولا عزى بعدها للعرب . انتهى

وقال بعض العلماء : وكانت الطوائف الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة : اللات ، والعزى ، ومناة . كما ذكر الله ذلك في كتابه حيث يقول ﴿ أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ﴾ وكل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب . والأمصار التي كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة : مكة والمدينة والطائف ، فكانت اللات لأهل الطائف ، ذكروا أنه كان في الأصل رجلا صالحا يلبس السويق للحاج ، فمات فعكفوا على قبره مدة ثم اتخذوا تمثاله ، ثم بنوا عليه بنية . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريبا من عرفات ، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون ، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد عقب فتح مكة فأزالها ، وقسم النبي ﷺ مالها ، وخرجت منها شيطانة ، فبُست العزى أن تعبد . وأما مناة فكانت لأهل المدينة يهلون لها شركا بالله ، وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل . ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه ، حتى يتبين له تأويل القرآن ويعرف ما كرهه الله ورسوله ، فلينظر سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه ، وما ذكره الأزرق في أخبار مكة وغيره من العلماء . ولما كان للمشركين مدرة يعلقون بها

أسلحتهم ويسمونها « ذات أنواط » فقال بعض الناس : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط فقال « الله أكبر ، قلت كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . إنها السنن ، لتركن سنن من كان قبلكم » فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يمكفون عليها مطلقين عليها سلاحهم ، فكيف بما هو أطم من ذلك وأعظم من مشابهتهم المشركين ، أو هو الشرك بعينه . انتهى . وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، وذلك أنه إذا لم يعرف ما كان عليه أهل الجاهلية وقع فيه وهو لا يشعر

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وأعظمها عندهم هُبَل وكان فيما بلغني من عتيق أحر على صورة الإنسان ، وكانوا إذا اقتصموا في أمر أو أرادوا سفرا ، أتوه فاستقسموا عنه بالقِداح ، وهو الذي قال أبو سفيان يوم أحد : اعلُ هُبَل . فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله أعلى وأجل

وكان لهم أساف ونائلة ، قيل : إن أصلها أن أساف رجل من جُرم ونائلة بنت زيد ابن جرم ، وكان يتمشقا في أرض اليمن ، فأقبلوا حجاجا ، فلما خلا البيت فوجدا غفلة من الناس ففجر بها في البيت ، فمسحا حجرين ، فأخرجوهما فوضعهما عند الكعبة ايتمظ بها الناس ، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها ، فكانوا يذبحون عندهما . والله أعلم

قال ابن اسحق والسكبي : وكان ذو الخَلْصَة لدؤس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب ، وكان مروة بيضاء منقوشا عليها كهيئة التاج ، وكان له بيت ، فقال رسول الله ﷺ [لجرير بن عبد الله البجلي] : ألا تكفيني ذا الخَلْصَة ؟ فسار اليه بأحس فقاتلته خثعم وباهلة ، فظفر بهم ، وهدم بيت ذي الخَلْصَة وأضرم فيه النار . وذو الخَلْصَة اليوم عتبة باب مسجد بتبالة . وذكر السهيلي أن موضعه اليوم ^(١) لبلدة يقال لها العَبَلات من أرض خثعم . وذكره المبرد عن أبي عبيدة . قال السهيلي : وكان بعث جرير له قبل وفاة النبي ﷺ بشهرين .

(١) يياض بالأصل

قال جرير : قال لي رسول الله ﷺ « ألا ترين من ذي الخلصة » وكان بيتا في خثعم يسمى الكعبة اليمانية ، فانطلقت في خمسين ومائة من أحس إلى ذي الخلصة وكانوا أصحاب خيل ، فقلت : يا رسول الله إني لا أثبت على الخيل ، فضرب بيده في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري وقال « اللهم ثبته ، واجعله هاديا مهديا » فانطلق اليها فكسرها وحرقها فأرسل إلى النبي ﷺ يبشره ، فقال رسول جرير : والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، فبارك على خيل أحس ورجالها خمس مرات . رواه البخاري ومسلم . وثبت عن الصادق المصدوق أنه سيعبد في آخر الزمان ، وثبت في الحديث أنه لا تقوم الساعة حتى تضرب اليات نساء دوس وخثعم حول ذي الخلصة

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين ، فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسي فخرقه

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له الشرى

وكان لقضاة ونخم وجدام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يقال له الأفيصر

وكان لمزينة صنم يقال له بهم ، وبه كانت تسمى عبد بهم

وكان لعنزة صنم يقال له سعير

وكان لطي صنم يقال له الفلج بين سلمى وأجأ

وكان لأهل كل دار بمكة صنم في دارهم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر فكان

[أول] ما يصنع في منزله أن يتمسح به ، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به

قال ابن اسحق : وكان لخولان صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون له

من أنعامهم وحرورهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فمادخل في حق عم أنس من حق الله سموه له وتركوه ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه ، وفيهم أنزل الله تعالى

﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث نصيبا ﴾ الآية

قال ابن اسحق : وكان لبني ملسكان من كنانة بن خزيمه صنم يقال له سعد ، صخرة بفلاة من الأرض طويلة ، فأقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم ، فلما رآه الإبل - وكان تهراق عليه الدماء - تقرت منه ، فذهبت في كل وجه ، فغضب ربها ، فأخذ حجرا فرماه به ثم قال : لا بارك الله فيك ، تقرت عنى إبلى . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ففرقنا سعداً فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغير ولا رشد

وقال أبو رجاء العطاردي : كنا نعبد الحجر في الجاهلية ، فإذا وجدنا حجرا هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه ، فإذا لم نجد حجرا جمعنا حمية من تراب ، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ، ثم طفنا به . وروى الدارمي عن مجاهد قال : حدثني مولاى^(١) أن أهله بعثوا معه بقدر فيه زبد ولبن إلى آلهتهم ، قال : فمضى أن آكل الزبد لمخاقتها . قال : فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن ثم بال على الصنم وهو أساف ونائلة . قال هرون : كان الرجل في الجاهلية إذا سافر حمل معه أربعة أحجار ثلاثة لقدره والرابع يعبده ويربى كلبه ويقتل ولده . وروى أيضا أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان ، فكنا نقتل الأولاد ، فكانت عندى بنت لى ، فلما أحانت وكانت مسرورة بدعائى إذ دعوتها يوما فاتبعنى ، فررت حتى أتيت بثرا من أهلى غير بعيد ، فأخذت بيدها فردت بها فى البئر ، وكان آخر عهدى بها تقول : يا أبتاه يا أبتاه . فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه . فقال رجل : أحزنت رسول الله . فقال له : كف فانه يسأل عما أهله . ثم قال : أعد على حديثك ، فأعاده ، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته ، ثم قال له : إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ، فاستأنف عمك . انتهى

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنما ، فجعل يطعن بسية

(١) مولاة السائب بن أبى السائب أبو الحجاج المكي الامام المقرئ المفسر

قوسه في وجوهها وعيونها يقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد ﴾ وهي تتساقط على رؤوسها . ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت ، أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود بنحوه ، ولم يذكرها وهي تتساقط الخ » وعندهما « فجعل يطعنهما بعود كان في يده الخ »

قال أبو الحسن المسعودي في كتابه مروج الذهب : كانت العرب في جاهليتها فرقا : منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقن بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي ، كقس ابن ساعدة المشهور بالفصاحة ورباب الشنى وبحيرا الراهب وكان من عبد القيس ، ومنهم من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم وأقر بالبعث والإعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الأصنام ، وهم الذين حكى الله تعالى قولهم ﴿ ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام وقصدوها ، ونحروا لها البذن ونسكوا لها التسانك ، وحرموها وأحلوا لها . ومنهم من أقر بالخالق والبدء وكذب بالرسل والبعث ومال إلى قول أهل الدهر ، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ الآية . ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية . وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله ، تعالى وتقدس عن قولهم ، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ﴾ الآية ، وقوله ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾ الآيات . انتهى كلامه . وقال غيره : ومنهم من كان يعبد الجن ، وكانت علومهم علم الأنساب والأنواء والتواريخ وتعبير الرؤيا ، وكانت لأبي بكر رضى الله عنه فيها يد طولى ، وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاء الإسلام بها ، وكانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ، وكان أقبح ما يأتونه الجمع بين الأختين ، وكان الرجل منهم يتزوج امرأة أبيه ، وكانوا يغتسلون من الجنابة ، وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظفار ونف الإبط وحلق العانة والختان ، وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى ، وكانوا يحجون ويعتصرون

وقد قسم المؤرخون العربَ إلى ثلاثة أقسام : بائدة وعاربة ومستعربة . أما البائدة فهم الأولى الذين ذهبوا عن تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم ، وعاد وثود وجُرم الأولى - وكانت على عهد عاد - فبادوا ودرست أخبارهم . وأما جُرم الثانية فهم من ولد قحطان ، وبهم اتصل اسماعيل بن ابراهيم عليها السلام ، ولم يبق من ذكر العرب البائدة إلا القليل . وأما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان ، وأما العرب المستعربة فهم من ولد اسماعيل . انتهى

فصل

قال ابن القيم : وتلاعبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة ، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم ، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صور تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح ، ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج ، ونهى عن الصلاة إلى القبور ، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً ، وقال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل ، فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله ، إما جهلاً وإما عنادا لأهل التوحيد ، ولم يضرهم ذلك شيئاً . وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين ، وأما خواصهم فانهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم ، أو جعلوا لها بيوتاً وسدنة وحجاباً وحجاً وقرباناً ، ولم يزل في هذه الدنيا قديماً وحديثاً ، فمنها بيت على رأس جبل باصهان كان به أصنام أخرجها بعض ملوك الجوس وجعله بيت نار ، ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخر به عثمان بن عفان ، ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغالة فخر به المنتصم . وأشد الأسماء : هذا النوع من الشرك الهند

وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة ، وهم قوم ابراهيم الخليل عليه السلام الذين ناظرهم فطلبوا تحريقه ، وهو مذهب قديم في العالم ، وأهله طوائف شتى : فمنهم عباد الشمس

زعموا أنها ملك من الملائكة السفلية كلها عندهم منها ، وهي عندهم ملك الفلك ، فستحق التعظيم والسجود والدعاء . ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنما بيده جوهر على لون النار ، وله بيت خاص قد بنوه باسمه ، وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع ، وله سدة وقوام وحجبة ، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها ، وإذا غربت ، ولذا توسطت الفلك ، ولهذا يقال نها الشيطان^(١) في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم له ، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحرى الصلاة في هذه الأوقات ، قطعا لمشابهة الكفار ظاهرا ، وسدا لدرية الشرك وعبادة الأصنام

وطائفة أخرى اتخذت القمر صنما وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي ، ومن شريعة عبادته أنهم اتخذوا لهم صنما على شكل عجل ويجره أربعة ويبد الصنم جوهرة ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياما معلومة من كل شهر ، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور ، فاذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه

ومنهم من يعبد أصناما اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيها بزعمهم ، وبنوا لها هياكل ومتعبدات ، لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه ، فانهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه ، ومن هاهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورها ، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائبا منابه وقائما مقامه ، وإلا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد أنه إله ومعبوده . ومن أسباب عبادتها أيضا أن الشياطين تدخل فيها وتخطبهم وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلم على بعض ما يخفى عليهم ، فبجهلهم وسخفهم يظنون أن المتكلم هو الصنم نفسه المخاطب ، وعقلاؤهم يقولون إن هذه روحانيات الأصنام ، وبعضهم يقولون إنها الملائكة . وبالجملة فإن أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان ، ولم يتخاصر .

(١) كذا الأصل ، ولعل فيه تحريفا

منها إلا الحنفاء أتباع ملة ابراهيم . وعبادتها في الأرض من قبل نوح كما تقدم ، وهياكلها وسدتها ومحارمها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الأرض . قال إمام الحنفا . ﴿ واجتنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلهية ، وشبهوه بالله سبحانه ، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم ، الذي أبطله الله وبعث رسله وأنزل كتبه بانكاره والرد على أهله ، قال الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ وقال ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ الآية . وقال عن أهل النار ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين ﴾ وقال ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ فهاهم أن يضربوا له مثلا من خلقه ، فان هذا لم يقله أحد ولم يكونونه يفعلونه ، فان الله سبحانه أجل وأعظم وأكبر من [ذلك في] فطر الناس كلهم ، ولكن المشبهون يفعلون فيمن يعظونه ، فيشبهونه بالخالق . والله أعلم

ذكر أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

وفي الصحاحين عن ابن المسيب قال : البحيرة هي التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة التي يسيبونها لأهنتهم لا يحمل عليها . والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثني بعد أنثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينها ذكر . والحامى فحل الإبل يضرب الضراب للعدود ، فاذا ضربه ودعوه للطواغيت ، وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه ، وسموه الحامى . انتهى

وقال ابن اسحاق : البحيرة بنت السائبة ، هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سببت ، فلم يركب ظهرها ولم يجرز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذننها ثم خلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يجرز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها ، فهي البحيرة بنت السائبة . والوصيلة الشاة إذا أنامت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا : قد وصلت ،

فكان ما ولد بعد ذلك للذكور منهم دون انثهم ، إلا أن يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم وإنثهم . والحامى إذا نتج له عشر إنث متتابعات ليس بينهن ذكر حتى ظهره فلم يركب ولم يبرز وبره وخلى في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك . قال ابن اسحاق فلما بعث الله رسوله محمدا ﷺ أنزل الله ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ الآية ، وأنزل ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ﴾ الآية . وقوله ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ﴾ الآية

أمر الحمس

قال ابن اسحاق : وقد كانت قريش - لا أدري قبل الفيل أو بعده - ابتدعت للحمس رأيا رأوه وأرادوه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت وقاطنو مكة وساكنوها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلنا ، ولا تعرف له مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل مثل ما تعظمون الحرم ، فانكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتم وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا نحن إهل الحرم ، وليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيره كما يعظم ، نحن الحمس والحمس أهل الحرم . ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من مساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك ، ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم حتى قالوا : لا ينبغي للحمس أن يقطعوا الأقط ولا يسلوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الادم ما كانوا حرما . ثم رفعوا في ذلك فقالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس ، فان لم يجدوا شيئا طافوا بالبيت عراة فان تكرم

منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب أحس وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل
ألقاها إذا فرغ من طوافه ولم ينتفع بها ولم يمساها هو ولا أحد غيره ، فكانت العرب تسمى
تلك الثياب « اللقي » فحملوا على ذلك العرب فدانت به ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما
النساء فتضع المرأة ثيابها كلها إلا درعا مفرجا ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا ﷺ فأنزل الله ﷻ ثم أفيضوا من حيث أفاض
الناس يعني قريشا والعرب ، وأنزل فيما حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند
البيت ﷻ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﷻ إلى سوره تعالى ﷻ قل من حرم زينة
الله ﷻ الآية

ذكر أهل الفترة

بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم

قال المسعودي : وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الفترة جماعة من أهل
التوحيد ومن يقر بالبعث قد اختلف الناس فيهم ، فمن الناس من رأى أن منهم أنبياء ،
ومنهم من رأى غير ذلك . فمن ذكر ريب الشني وكان من عبد القيس ثم من شن وكان على
دين المسيح قبل مبعث رسول الله ﷺ ، فسمعوا مناديا ينادي من قبل السماء قبل مبعثه ﷺ :
خير أهل الأرض ريب الشني وبجيرا الراهب ورجل آخر لم يأت بعد ، يعني النبي ﷺ .
وكان لا يموت أحد من ولد ريب إلا راوا طشا على قبره

ومنهم أسعد أبو كرب الحميري وكان مؤمنا بالنبي ﷺ قبل مبعثه تسعمائة سنة ، قال :

شهدت على أحد أنه رسول من الله باري النسم

فلو مد عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود ، ولذلك يقول بعض حمير :

وكسونا البيت الذي حرم الله

ومنهم قس بن ساعدة من إياد بن معد ، وكان حكيم العرب ، وكان مقرا بالبعث ، وهو الذي يقول « من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » وقد ضرب العرب بحكمته الأمثال قال الأعشى :

وأحكم من قس وأجرى من الذي بذى الغيل من غسان أصبح حادرا

وقدم وفد من أياد إلى النبي ﷺ فسألم عنه ، فقالوا : هلك . فقال : رحمه الله . كآني أنظر إليه بسوق عكاظ على جبل له أحمر وهو يقول « أيها الناس ، استمعوا وعوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . أما بعد فان في السماء نجرا ، وإن في الأرض لعبرا . بحر يغور ، ونجوم تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع . أقسم قس بالله قسما : إن له دينا أرضى من دين أتم عليه . ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ سبيل مؤتلف ، وعمل مختلف » وقال أبيان لا أحفظها . فقام أبو بكر فقال : أنا أحفظها يا رسول الله ، فقال :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكار والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله ﷺ : رحم الله قسا ، إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده

ومن كان في الفترة زيد بن عمرو أبو سعيد بن زيد أحد المشرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وقد كان زيد رغب عن عبادة الأوثان وعابها ، فأولع به عمه الخطاب سفهاء مكة فسلطهم عليه فأذوه . قال ابن اسحاق : واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من

أصنامهم وكانوا يعظمونه وينحرون له ويمكفون عنده ويدبرون به وكان ذلك عيدا لهم [في كل] سنة يوما ، فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل . وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وعبيد الله بن جحش - وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب - وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى . فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حبر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا ، فانكم والله ما أنتم على شيء . فتفرقوا في البلدان يلتمسون دين إبراهيم ، فأما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب . وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هناك نصرانيا ، وخلف رسول الله ﷺ [علي] زوجته أم حبيبة بعهده ، فأرسل إلى النجاشي عمرو بن أمية فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمئة دينار . وأما عثمان ابن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده . وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذباح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة وقال : أعبد رب إبراهيم ، وبادأ قومه بعباد ما هم عليه . وقال ابن اسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري . ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك ، ولكن لا أعلمه . ثم يسجد على راحته . قال ابن اسحاق : وحدثني ابنه سعيد بن زيد بن عمرو وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالوا لرسول الله ﷺ : أنتغفر لزيد بن عمرو ؟ قال نعم ، فإنه يبعث أمة وحده . وقال الليث كتب إلى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري .

وكان يُحبي الموءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها فأنا أ كفيك مؤتمها
 فيأخذها ، فاذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها اليك ، وإن شئت كفيتك مؤتمها .
 وروى البخاري أيضا عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل
 بلدح قبل أن ينزل عليه الوحي ، فقدمت إلى النبي ﷺ (١) فأبى أن يأكل منها . ثم قال
 زيد : لست آكل مما تذبحون على أصنامكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن
 زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من
 السماء الماء وأبنت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، انكارا لذلك وإعظاما
 له . قال موسى : حدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه يحدث إلا عن ابن عمر أن زيد بن عمرو
 ابن نفيل خرج إلى الشام بسأل عن الدين ويبتغيه ، فأتى عالما من اليهود ، فسأله عن دينهم
 فقال : لعل أدين بدينكم ، فقال : لا تكن على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال
 زيد : ما أفر إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئا أستطيعه ، فهل تدلني على
 غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ،
 لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا الله . فخرج زيد فأتى عالما من النصارى فذكر مثله
 فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : ما أفر إلا من لعنة الله ،
 ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضب الله شيئا أبدا وأنا أستطيع . فهل تدلني على غيره ؟ قال
 ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهوديا ولا
 نصرانيا ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه وقال :
 اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . انتهى

قال ابن اسحاق : قال زيد بن عمرو في فراق دين قومه وما كان لقي منهم في ذلك :

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقست الأمور
 فلا عزي أدين ولا ابنتها ولا صنمي بني عمرو أوزور

(١) لعله سقط هنا كلمة ذبيحة ، أو لحوم ذبيحة ،

لنا في الدهر إذ حلّى يسير
ليغفر ذنبي الرب الغفور
متى ما تحفظوها لا تبور
وللكفار حامية سعير

ولا غنماً أدين وكان رباً
ولكن أعبد الرحمن ربي
فتقوى الله ربكم احفظوها
تري الأبرار دارهم جنات

وقال أيضاً:

وقولا رضيا لا ينى الدهر باقيا
إله ولا ربّ يكون مدانيا
فانك لا تخفى عن الله خافيا
فان سبيل الرشد أصبح باديا
وأنت إلهى ربنا ورجائيا
أدين إلهاً غيرك الله ثانيًا
بعثت إلى موسى رسولا مناديا
إلى الله فرعون الذى كان طاغيا
بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
بلا عمد ارفق اذا بك بانيا
منيرا إذا ما جنسه الليل هاديا
فيصبح ما مَسَّت من الأرض ضاحيا
فيصبح منه البقل يهتز رابيا
وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وقد بات فى أضعاف حوت لياليا
لأكثر إلا ما غفرت خطايا
على وبارك فى بنو وماليا

إلى الله أهدي مدحتى وثنائيا
إلى الملك الأعلى الذى ايس فوقه
ألا أيها الإنسان إياك والردى
وإياك لا تجعل مع الله غيره
حنانك إن الجن كانت رجاءم
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى
وأنت الذى من فضل منّ ورحمة
وقلت له اذهب وهزون فادعوا
وقولا له آنت سويت هذه
وقولا له آنت رفعت هذه
وقولا له آنت سيرت وسطها
وقولا له من يرسل الشمس غدوة
وقولا له من ينبت الحب فى الثرى
ويخرج منه حبه فى رءوسه
وأنت بفضل منك نجيت يونس
وإني وإن سبحت باسمك ربنا
فربّ العباد ألقى سيبا ورحمة

وقال ابن هشام هي لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له . وقال زيد أيضا :

وأسلت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقلا
دحاها فلما رآها استوت على الماء أرمى عليها الجبالا
وأسلت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

وكان الخطاب قد أدى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة ، وكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم . ثم خرج يطلب دين ابراهيم بسأل الأخبار والرهبان حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء إلى الشام كلها حتى انتهى إلى راهب بيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الخيفية دين ابراهيم فقال : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج في بلادك التي خرجت منها يبعث يدين ابراهيم الخيفية ، فالحق بها فانه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئا ، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه ، فقال ورقة بن نوفل يبكيه :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما
بدينك ربا ليس رب كمله
وإدراكك الدين الذي قد طلبته
فأصبحت في دار كريم مقامها
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن
وقد تدرك الانسان رحمة ربه
تجنبت تنورا من النار حاميا
وتركك أوثان الطواغى كما هيا
ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
تعلى فيها بالكرامة لاهيا
من الناس جبارا الى النار هاويا
ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

ومن كان في الفترة أمية بن أبي الصلت الثقفى ، وكان عاقلاً ، وكان يتجر الى الشام فيلقى أهل الكتاب من اليهود ويقرأ الكتب ، وقد كان علم أن نبيا سيبعث في العرب فطمع أن يكون هو ، فلما بعث رسول الله ﷺ وصرفت عنه النبوة حسد وكفر ، فكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والأرض والشمس والقمر والملائكة والأنبياء ، ويذكر البعث والنشور والجنة والنار ويعظم الله وحده ، ومن ذلك قوله :

الحمد لله لا شريك له من لم يكن هكذا فقد ظلما

ووصف أهل الجنة في بعض كلامه فقال :

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي ﷺ اغتاض لذلك وتأسف ، وأتى المدينة ليسلم فردّه الحسد ، فرجع الى الطائف ، فبينما هو ذات يوم مع فتية يشرب اذ وقع عليه غراب فتعق ثلاثة أصوات وطار ، فقال أمية : أتدرون ما قال ؟ قالوا : لا . قال انه يقول : ان أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت . فقال القوم : لنكذبن قوله . قال : احشو كأسكم فحنوها ، فلما انتهت الكأس الثالثة الى أمية أغمى عليه ، فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول :

لَبَيْتُكُمْ لِيَكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمْ

أنا من خفت عليه النعمة ، ولم يحمد الشكر

ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما

ثم أنشأ يقول :

إن يوم الحساب يوم عظيم شاب منه الصغير شيئا طويلا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى فى رعوس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول دهرا صار مرة الى أن يزولا

ثم شق شهقة كانت فيها نفسه

وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ الآية : إنه أمية بن أبي الصلت . وهو أول من كتب « باسمك اللهم » ومنه تعلت قريش ، وتعلمه هذه الكلمة سبب عجيب ذكر المسعودي

وقد أسلمت عائكة أخت أمية هذا . فخبرت عنه بخبر ذكره عبد الرزاق في تفسيره أنها جاءت إلى النبي ﷺ فحدثته أنها رأت وهي في اليقظة نسرَيْن نزلَا على سَفْ بَيْتِهَا ، وفيه أخوها أمية نائمًا . فشقا السقف ، فنزل أحدهما على أمية فشق صدره وحشاه بشيء ، ثم أصلحه فخرج . فقال له النسر الآخر : وعى ؟ قال : نعم . قال : هل زكا ؟ قال : لا . فكذلك كان ينطق بالحكمة في أشعاره ويذكر التوحيد ويعظم الرب ويذكر الجنة والنار ، فلما قتل بيد من قتل من أشرف قريش بكاهم ورثاهم وحقد على الاسلام وحرم التوفيق . وما ذكر من شعره قوله :

إن آيات ربنا باقيات . ما يمارى فيهن إلا كفور
 خالق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدر
 ثم يجلو النهار رب كريم بمهابة شعاعها منشور
 حبس القيل بالشمس حتى ظل يجبو كأنه مقور
 لازما حلقة الجران كما قطـ من صخر ككب محذور
 حوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب صفور
 خلقوه ثم ابذعروا جميعا كلهم عظم ساقه مكسور
 كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة بوز

ومن ذلك قوله أيضا :

إله محمد حقا إلهي وديني دينه غير اتحال
 إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
 بناها وابتنى سبعا شدادا بلا عمد يرين ولا حبال

وسواها وزينها بنور
ومن شهب تلالاً في دجاها
وأنا المزن تَدْجُجُ بالروايا
ليبقى الحرث والأنعام منها
وشق الأرض فانبجست عيوننا
وبارك في نواحيها وزكّى
وأجرى الفلك في تيار موج
وكل مُعَمَّر لا بد يوماً
ويبقى بعد جدته ويلى
كأننا لم نعش الا قليلا
ونادى مسمع الموتى فجننا
فلا أنساب بين الناس ترجى
سوى التقوى ولا مولى يُرَجَّى
وسبق المجرمون وهم عصاة
إذا نضجت جلودهم أعيدت
ونادوا مالكا ودعوا ثبورا
فليسوا ميتين فيستريحوا
وحلّ المتقون بدار صدق
ظلال بين أعناب ونخل
لهم ما يشتهون وما تمنوا
ومن استبرق يكسون فيها
وكأس لذة لا غول فيها

من الشمس المضيئة والهلل
مراميا أشد من النصال
خلال الرعد مرسله العزالي
سجال الماء حالا بعد حال
وأنهارا من العذب الزلال
بها ما كان من حرث ومال
تفيض على المداليع الثقال
وذى دنيا بصير الى زوال
سوى الباقي المقدس ذى الجلال
إذا كئنا من الهوم الهوالى
من الأجداث كالسفن العجال
ولا رحم بصير الى وصال
سوى الرب الرحيم من الموالى
الى ذات المقام والنكال
كما كانت وعادوا في سفال
وعجوا في سلاسلها الطوال
وكلامو بحر النار صال
وعيش ناعم تحت الظلال
وبنيان من الفردوس عال
من اللذات فيها والجمال
عطايا حمة من ذى المعالى
من الحر المشعّة الحلال

وله أشعار كثيرة غير ذلك . وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :
أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وكاد أمية بن أبي الصلت أن
يسلم . وعن عمرو بن الشريد^(١) عن أبيه قال : استنشدني النبي ﷺ من شعر أمية بن أبي
الصلت ، فأنشدته ، حتى أنشدته مائة قافية . رواه البخاري في الأدب المفرد^(٢) . وعمن كان في
الفترة أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الأنصار من بني النجار ، وقد كان ترهب ولبس
المسوح وهر الأوثان ودخل بيتا فآخذ مسجدا لا تدخله طلمث ولا جنب ، وقال : أعبد رب
ابراهيم ، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه ، وفيه نزلت آية السحور ﴿ كلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ ، وهو القائل في
النبي ﷺ :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى حبيبا موايا

وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا وأوصيكم بالله والبر والتقى
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم
وإن أنتم أمرتم فتعففوا
وإن ناب غزيم فادح فارضوم

ألا ما استطعم من وصائي فافعلوا
وأعراضكم ، والبر بالله أول
وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
فأنفكم دون العشيرة فاجعلوا
وما حملكم في الملأ فاحلوا
وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

ومن ذلك قوله أيضا :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمس وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال

(١) في الأصل : الرشيد (٢) رقم ٨٦٩ طبع السلفية

يا بَنِي الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضفاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم وليا عالما يهتدى بنسب السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه إن مال اليتيم يرعاه وال
واجمعوا أمركم على البر والتقوى وذكروا الخلق وأخذوا الحلال

ومنهم أبو عامر الأوسى واسمه عبد عمرو بن صبيح بن النعمان من بنى عمرو بن عوف ،
وابنه حنظلة بن أبي عامر وهو غسيل الملائكة ، وكان سيدا في الجاهلية قد ترهب فيها
ولبس المسوح ، وكان يسمى في الجاهلية الراهب ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاهره
بالعداوة فخرج فارا إلى قريش بمالهم على حرب رسول الله ﷺ وجاء معهم يوم أحد وحفر
حفائر بين الصفيين فوق في إحداهن رسول الله ﷺ ، وتقدم في أول المبارزة فاستالم إلى
نصره ، فلما عرفوه قالوا : ألا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ، ونالوا منه ، فرجع وهو
يقول : لقد أصاب قومي بعدى شر ، ودعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت طريدا بعيدا فنالته
الدعوة ، وذلك أنه لما رأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع ذهب إلى هرقل يستنصره على
النبي ﷺ ، فوعده ومناه ، وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من أهل النفاق من قومه بعدم
أنه سيقدم عليهم بجيش ، فيخرج محمدا وأصحابه . وأمرهم أن يبنوا مسجدا ويستعدوا بما
استطاعوا من قوة وسلاح ، فبنوا مسجد الضرار ، فلما فرغوا أتوا إلى النبي ﷺ فقالوا : إنا
قد فرغنا من مسجدنا فنحب أن تصلى فيه وتدعونا بالبركة ، فأنزل الله فيه القرآن والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ﴿ الآيات . وأمر به رسول الله ﷺ بعد أن رجع من
تبوك فخرقه .

ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمد بن لبيد عن عبد الله
ابن العباس قال : حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان

من أهل قرية يقال لها جى ، وكان أبى دهقان أهل قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل حبه إياى حتى حبسنى كما تحبس الجارية ، واجتهدتُ فى الجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لا يتركها تحبو ساعة . قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال فشغل فى بنيان له يوماً فقال لى : يا بنى قد اشتغلت فى بنيانى هذا عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطعمها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال : ولا تحبس عنى فانك إن احتبست عنى كنت عندى أهم إلى من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شئ من أمرى . قال فخرجت أريد ضيعتى التى بمثنى إليها فررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون . فلما رأيتهم أعجبتنى صفتهم فى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركنت ضيعة أبى فلم آتها . ثم قلت لهم : من أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أى بنى أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قال قلت له : يا أبت مررت بنصارى يصلون بكنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آباءك خير منه . قال قلت له : كلا والله إنه لخير من ديننا . فخافنى ، فجعل فى رجلى قيذا ثم احتبسنى فى بيته . قال وبعثت إلى النصارى وقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى ، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنونى بهم . فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم فألقيت الحديد من رجلى ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام . فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأمقف فى الكنيسة . قال فجئت فقلت له : إني قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك . قال : ادخل . فدخلت معه . قال : فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، قال

وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع . ثم مات ، فاجتمعت له النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغمكم فيها فاذا جثتموه بها اكنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا . فقالوا الى وما عليك بذلك ؟ قلت لهم : إني أدلكم على كنزهِ . قالوا : فدنا عليه . قال فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً ، وورقا . قال فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبدا ، فصلبوه ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل فجعلوه مكانه . قال يقول سلمان : فما رأيت رجلا يصلح لحمس أرى أنه أفضل ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا منه . قال فأحبيته حبا شديدا لم أحب شيئا قبله . قال فأقت معه زمانا . ثم حضرته الوفاة فقلت له : يا فلان إني قد كنت معك فأحبيتك حبا لم أحبه شيئا من قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله ، فإلى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالموصل وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه . فالحق به . قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له : يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقم عندي . فأقت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني أن ألحق بأمرك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بي ، وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان . فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي . فقال : أقم عندي ، فأقت عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه فأقت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي ، وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم بتي أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم ، فانه على مثل ما نحن عليه ، فان أحببت فانه فانه على أمرنا . فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري فقال : أقم عندي . فأقت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم . قال فأكنسبت ، حتى صار لي بقرات وغنيمة . قال

ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي ، وبم تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم أصبح اليوم أحد من الناس على مثل ما كان عليه هؤلاء أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة . فان استطعت أن تالحق بتلك البلاد فافعل . ثم مات وغيب . قال ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمي هذه . قالوا نعم . فأعطيتهم إياها وحمولني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني على رجل يهودي عبدا ، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي ، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من قريظة من المدينة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة ، فولد الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها وبعث رسول الله ﷺ وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق . ثم هاجر إلى المدينة فولد الله إني لقي رأس عذق لسيدى أعمل له بعض العمل ، وسيدى جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة^(١) والله إنهم الآن ليجتمعون بقبا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي . قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العرواء وهي الحمى النافض - قال ابن هشام : العرواء هي المرعدة من البرد والانفاس - حتى ظننت أني ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ قال تغضب سيدى . فلكني لكمة شديدة ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك . قال فقلت له : لا شيء . إنما أردت أن أستثبته عما قال . قال : وقد كنت عندى شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقيا ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني إنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء

(١) بنو قيلة هم الأوس والخزرج أهل المدينة .

ذو حاجة ، وهذا كان عندي للصدقة ، فرأيتم أحق به من غيركم . قال : فقرته اليه ، فقال
ﷺ : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . فقلت في نفسي : هذه واحدة . ثم انصرفت عنه
فجعت شيئا ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة فجنته به فقلت له : انى قد رأيتك لا تأكل
الصدقة ، وهذه هدية أكرمك بها . قال : فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا
معه منها . قال فقلت في نفسي : هاتان ثنتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يبيع الفرقد قد
تبع جنازة أحد أصحابه عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر
الى ظهره هل أرى الذى وصف لى صاحبي ، فلما رأيتنى استدبرته عرف أنى استتبت فى
شئ ، ووصف لى ، فألقى رداه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبل
فبكى وأبكى ، فقال لى ﷺ : تحول ، فتحولت فجلست بين يديه فقصت عليه حديثى
كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سلمان
الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد ، قال سلمان : ثم قال لى ﷺ : كاتب
ياسمان ، فكاتبته صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبها له بالفقير ، وهى شبه الآبار الصغار
المدسة^(۱) للنخل وأربعين أوقية زاد البلاد^(۱) ، وشئ من ذهب . فقال ﷺ لأصحابه : أعينوا
أخاكم ، فأعطوني بالنخل الرجل ثلاثين ودية^(۲) والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر
والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية ، فقال لى رسول
الله ﷺ : اذهب يا سلمان فققر لها^(۳) فاذا فرغت فأتى أكون أنا واضعها بيدي . قال فقمرت
وأعأتى أصحابى ، حتى إذا فرغت جنته فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معى اليها ، فجعلنا
تقرب اليه الودية ويضعه ﷺ بيده حتى فرغنا ، فوالذى نفس سلمان بيده مامات منها ودية
واحدة ، فأديت النخل وبقى على المال ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب
من بعض المعادن فقال : ما فعل الفارسي المسكاتب ؟ قال فدُعيت له ، فقال : خذ هذه فأدّها

(۱) كذا ، ولم أقف على أصله

(۲) الودية : النخلة الصغيرة كالفسيل

(۳) أى احفر لها موضعا تغرس فيه ، واسم الحفرة فقرة وفقير

مما عليك يا سلمان . قال قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله من الذي علي ؟ فقال : خذها فان الله سيؤديها عنك . قال : فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية فأوقيتهم حقهم منها . وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرا ، ثم لم يفتني مشهد . انتهى . وفي صحيح البخاري عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب . وفيه عن أبي عثمان قال : سمعت سلمان يقول : أنا من رام هرمز . وفيه عن عثمان عن سلمان قال : فترة ما بين عيسى ومحمد ستائة سنة . وفي صحيح مسلم من حديث عياض ابن حمار عن النبي ﷺ أن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب

ذكر صفات رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو قال : وجدت في التوراة في صفة النبي ﷺ يقول الله سبحانه « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للامتين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظا ولا غليظا ولا صخابا في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح عيوننا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا إله إلا الله » وذكر الواقدي من حديث النعمان قال : كان من أحبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبي ﷺ قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال : إن أبى كان يحتم على سفر يقول : لا تقرأه حتى تسمع بنى قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعت به فتحت السفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة ، وإذا فيه ما يحمل وما يحرم ، وإذا فيه أنك خير الأنبياء ، وأمتك خير الأمم ، واسمك أحمد ﷺ ، وأمتك الحامدون ، وقربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم ، لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن النسر على فراخه . ثم قال لى : إذا سمعت به فخرج اليه وآمن به وصدق به . فكان النبي ﷺ يجب أن يسمع أصحابه حديثه . فأناه فقال ﷺ : يا نعمان حدثنا . فابتدا النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله ﷺ يتسم ، ثم قال : اشهد أنى

رسول الله . وهو الذي قتله الأسود العنسي وقطعه عضوا عضوا وهو يقول : أشهد أن محمدا رسول الله وأنت كاذب مفتر على الله ، تم حرقه بالنار . وقال أبو العباس رحمه الله في الرد على النصارى^(١) : وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة ، وصنفوا في ذلك مصنفات . وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح عليه السلام ، واليهود يقرون باللفظ لكن يدعون أن البشر به ليس هو المسيح بن مريم وإنما هو آخر ينتظر ، وهم في الحقيقة لا ينتظرون إلا المسيح الدجال ، وينتظرون أيضا لحيء عيسى بن مريم إذا نزل من السماء ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون إنها لا تدل على نبي منتظر ، كما قالوا في قوله سأقيم لبي اسرائيل من إخوانهم مثلك يا موسى ، أنزل عليه تورا ، أجعل كلامي على فيه . قال بعضهم : ليس هذا اخبارا بل استفهام إنكار ، وقدروا ألف استفهام أي أسأفهم ، وليس في النص شيء من ذلك . واليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح ، وذلك عند المسلمين والنصارى لا يقدر في البشارة بالمسيح بل يبين دلالة المنصوص عليه وبطلان تحريف اليهود ، وكذلك البشارات بمحمد ﷺ في الكتب المتقدمة لا يقدر فيها تحريف أهل الكتاب اليهود والنصارى بل يبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد ﷺ وبطلان تحريف أهل الكتاب . وشهادة الكتب لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله ، وهو حجة أهل الكتاب على أصناف المشركين الملحدين ، كما ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه كما في قوله تعالى ﴿ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ، فإن كنت في شك مما أنزلنا فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ﴾ وقوله ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ الآية ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب . أولم تأتهم بيعة ما في الصحف الأولى ﴾ وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية : جاء الله من طور سيناء . وبعضهم يقول : تجلى

(١) هو شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)

الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلى من جبال فاران . قال كثير من العلماء واللفظ لأبي محمد : ليس بهذا خفاء ، على من يذكره ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من أتبعه نصارى ، وكما يجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران وهي جبال مكة . وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر أن ذلك من تحريفهم وإفكهم . قلنا : أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ، وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتاب بعد المسيح ، أو ليس استعلن وعلا وهما بمعنى واحد وهو ظهر وانكشف ، فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الإسلام ونشأ في مشارقها ومغاربها فشوّة ؟ قال ابن ظفر : ساعير جبل بالشام منه ظهور نبوة المسيح . قلت : ويجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمى إلى اليوم ساعير ولها جبال تسمى ساعير ، وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكانا بساعير ، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم ، وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا : جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه وفيه كان نزول أول الوحي على النبي ﷺ وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل إن بمكة اثني عشر ألف جبل ، وذلك المكان يسمى بربة فاران إلى هذا اليوم ، والبرية التي بين مكة وطور سيناء بربة فلران ، ولا يمكن أن أحدا بعد المسيح نزل عليه كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي ، فعمل أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ ، وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزمني ، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهداه ، وقال في الأول : جاء وظهر ، وفي الثاني أشرق ، وفي الثالث استعلن ، فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك ، ونزول الإنجيل مثل اشراق الشمس زاد به النور والهدى ، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال « واستعلن من

جبال فاران « فإن محمداً ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أظهر مما ظهر
 بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغربها ولهذا
 سماه الله ﴿سراجاً منيراً﴾ وسمى الشمس ﴿سراجاً وهاجاً﴾ ، والخلق يحتاجون إلى السراج
 المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج ، فإن السراج الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون
 وقت ، وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان ، ليلاً ونهاراً سرا
 وعلانية ، وقد قال النبي ﷺ « زويت لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغربها ، وسبأغ ملك
 أمتي ما زوى لي منها » وهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى ﴿ والتين
 والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين ﴾ فأقسم بالتين والزيتون وهو الأرض المقدسة التي
 نبت فيها ذلك ومنها بعث المسيح وأنزل عليه الإنجيل ، وأقسم بطور سينين ، وهو الجبل
 الذي كلم الله فيه موسى وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة ، وأقسم بالبلد
 الأمين وهي مكة ، وهو البلد الذي أسكن فيه إبراهيم ابنه اسماعيل وأمه . فقوله تعالى
 ﴿ والتين والزيتون ﴾ الآية إقسام منه تعالى بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها
 نوره وهداه وأنزل فيها الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن كما ذكر الثلاثة في التوراة
 بقوله : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران . ولما كان ما في
 التوراة خبراً عنها أخبر بها علي ترتيبها الزمني فقدم الأسبق ، وأما القرآن فإنه أقسم بها
 تعظيماً لشأنها ، وذلك لقدرته وآياته وكتبه ورسله ، فأقسم بها على وجه التدرج كما في قوله
 درجة بعد درجة ، فحتمها بأعلى الدرجات ، فأقسم أولاً بالتين والزيتون ثم بطور سيناء ثم بمكة
 ثم بها الله ، لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل ، وكذا الأنبياء فأقسم
 بها على وجه التدرج كما في قواه تعالى ﴿ والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرأ ، فالجاريات
 يسرا ، فالقلمات أمرا ﴾ فأقسم بطبقات المخلوقات طبقه بعد طبقة ، فأقسم بالرياح الذاريات ،
 ثم بالسحاب الحاملات للمطر فإنها فوق الرياح ، ثم بالجاريات يسرا وقد قيل إنها السفن ،
 ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب المذكورة في قوله ﴿ فلا أقسم بالخنس ، الجوار
 الكنس ﴾ والكواكب فوق السحاب . ثم قال ﴿ فالقلمات أمرا ﴾ وهي الملائكة التي

هي أعلى درجة من هذا كله . وما ذكره ابن قتيبة وغيره من تربية إسماعيل في بركة قارن
فهكذا هو في التوراة . وقال داود في الزبور في قوله : سبحوا الله تسبيحا جديدا ، وليفرح
بالخلق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على
مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الأمم
الذين لا يعبدونه . وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد وأمته ، فهم الذين يكبرون الله
بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلاة الخمس ، وعلى الأماكن العالية ، كما قال جابر بن عبد الله
كنا مع رسول الله ﷺ إذا علونا كبرنا ، وإذا هبطنا سبحنا . فوضعت الصلاة على ذلك .
رواه أبو داود وغيره . وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم عيد الفطر وعيد النحر
في الصلاة والخطبة ، وفي أذانهم للصلاة ، وفي أيام منى الحجاج وسائر أهل الأمصار يكبرون
عقيب الصلاة ويكبرون على قرابينهم وهداياهم ، والنصارى يسمون عيد المسلمين عيد
الله الأكبر لظهور التكبير فيه ، وليس هذا لأحد من الأمم غير المسلمين ، وإنما كان موسى
يجمع بنى اسرائيل بالبوق ، والنصارى شعارهم ناقوس . وكذلك قوله « بأيديهم سيوف ذات
شفرتين » وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد . وقوله « يسبحون على
مضاجعهم » بيان لنعته المؤمنين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويصلون
أحدهم [الفرض] ^(١) قائما ، فان لم يستطع فقاعدا ، فان لم يستطع فعلى جنب ، ويصلون في
البيوت وعلى المضاجع ، بخلاف أهل الكتاب ، والصلاة أعظم التسبيح

فصل

وقال داود في مزاميره وهي الزبور « ومن أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد ، فتقلد
أيها الجبار بالسيف لأن البهاء ^(٢) لوجهك والحمد الغالب عليك ، اركب كلمة الحق وسمه التاله ،

(١) عن الجواب الصحيح ٣ : ٢٩٩

(٢) في الأصل « لا الها ، والتصحيح من الجواب الصحيح ٣ : ٣٠٠ وأمثال ذلك من

الأخطاء صححت من مواضعها في الجواب الصحيح

فإن ناموسك وشرائك مقرونة بهيبة يمينك ، ومنهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك . قالوا
فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوى محمد ﷺ ، وهو الذي خرت له الأمم تحته ،
وقرنت شرائعه بالهيبه كما قال ﷺ « نصرت بالرعب مسيرة شهر » . وقد أخبر داود أن له
ناموسا وشرائعه ، وخاطبه بلفظ الجبار إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله ، بخلاف المستضعف
المقهور ، وهو ﷺ نبي الرحمة ونبي الملحمة ، وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على
المؤمنين أعزة على الكافرين ، بخلاف من كان ذليلا للطائفتين من النصارى المقهورين مع
الكفار ، أو كان عزيزا على المؤمنين من اليهود ، بل كان مستكبرا كلما جاءهم رسول بما
لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون . قالوا وقال داود في مزموره له : إن ربنا عظيم
محمود جدا . وفي رواية : إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا . قالوا فقد نص داود
على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله ، فأخبر أن كلمته تم الأرض كلها . وقد تقدم الحديث
الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو : أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، وذكر
صفته موجودة بنبوذة أشعيا ، وليست موجودة في نفس كتاب موسى ، ولفظ « التوراة »
يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب ، وكذلك ما يوجد كثيرا في قول كعب
الأخبار وغيره قرأت في التوراة ، إنما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب ،
لا يخصون بذلك كتاب موسى . وأهل الكتاب يجدونه مكتوبا في الكتب التي بأيديهم ،
وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة ، فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب
فلا يستريب عاقل في كثرة نعمته وذكره ، وأمت أمته في تلك الكتب ، ومعلوم أن الله أراد
الاستشهاد به في تلك الكتب وإقامة الحججة بذكره ، فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى
أشهر وأظهر وأكثر كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى .
قالوا : وقال داود في مزموره « ويجوز عن البحر إلى البحر ، ومن لدن الأنهار إلى منقطع
الأرض ، وتخر أهل الجزائر بين يديه ، وتلحس أعداؤه التراب ، وتسجد له ملوك الفرس ،
وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه ، وينقذ الضعيف
الذي لا ناصر له ، ويرأف بالمساكين والضعفاء ، وبصلى عليه ويبارك في كل حين » .

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمه لا على المسيح ، فانه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته

فصل

قالوا وقال أشعيا النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله « إني جعلت أمرك محمدا يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد » ونص على خاتم النبوة « ولد لنا غلام يكون عجبا وبشرا ، والشامة على كنفه ، اركون السلام إله جبار وسلطانه سلطان السلم ، يجلس على كرمي داود ، فهل يبقى بعد ذلك لزائع أو لطاعن مجال ؟ قالوا : الاركون هو العظيم بلغة الانجيل ، والأراكنة المعظمون ، فقد شهد أشعيا بصحة نبوة محمد ووصفه بأخص علامته وأوضحها وهي شامته ، فلمرى لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ، وقد وصفه بالجلوس على كرمي داود ، يعنى أنه سيرث بنى امرائيل نبوتهم وملكتهم [ويبنزهم] ربانهم

قالوا وقال أشعيا في نبوته « قيل لى قم نظارا فانظر ماذا ترى ؟ فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار والآخر على جمل ، ويقول أحدهما لصاحبه سقطت أصنام بابل وأصحابها للبحر^(١) . قالوا فراكب الحمار هو المسيح وراكب الجمل هو محمد ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار ، وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل

فصل

قالوا وقال حزقيال^(٢) وهو يصف لهم أمة محمد : وان الله يظهرم عليكم وباعث فيهم نبيا ومنزل عليهم كتابا ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويدلونكم بالحق ويخرج رجال بنى قيذار في جماعات الشعوب ومعهم ملائكة على خيل بيض مسلحين فيحيطون بكم وتكون عاقبتكم إلى النار ، نعوذ بالله من النار . وذلك أن رجال بنى قيذار هم ربيعة ومضر ابنا عدنان ، وهم جميعا من ولد [قيذار بن إسماعيل ، والعرب كلهم من بنى عدنان وبنى قحطان ، فعدنان أبو

(١) فى الجواب الصحيح (٤٠٣ : ٣) السحر

(٢) فى الجواب الصحيح (٣١٢ : ٣) دانيال

ربيعة ومضر وأنمار من ولد^(١) [اسماعيل باتفاق الناس ، وأما قحطان فقبيل هم من ولد اسماعيل وقيل من ولد هود ، ومضر ولده الياس بن مضر ، وقريش هم من ولد الياس بن مضر ، وهوازن مثل عقيل وكلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف وغيرهم من ولد الياس بن مضر ، وهؤلاء انتشروا في الأرض فاستولوا على أرض الشام والجزيرة [ومصر والعراق^(١)] وغيرها ، حتى انهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة سكنت مضر في حران وما قرب منها فسميت ديار مضر ، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها فسميت ديار ربيعة . وقوله « تنزل معهم ملائكة على خيل بيض » فهذا مما تواترت به الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض

فصل

وقال دانيال عليه السلام وذكر محمدا رسول الله باسمه قال « ستنزح في قسيك اغراقا ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء » فهذا تصريح بغير تعريض ، وتصحيح لبس فيه تربص ، فان نازع في ذلك منازع فليوجد لنا آخر اسمه محمد له سهام تنزع ، وأمر مطاع لا يدفع . وقال دانيال النبي أيضا : سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل ، هل يتوب عليهم ويرد اليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء ، أو يجعل ذلك في غيرهم ؟ قال دانيال : فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يا دانيال ، إن الله يقول : إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا على وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ومن بعد الصدق إلى الكذب ، فسلطت عليهم بخت نصر ، فقتل رجالهم وسبي ذراريهم وهدم بيت مقدسهم وحرقت كتبهم ، وكذلك فعل من بعدهم ، وأنا غير راض عنهم ولا مقبلهم عثراتهم فلا يزالون مغلوبين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبيا من بني اسماعيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت اليها ملاكي فبشرها ، وأوحى إلى ذلك النبي وأعلمه الأسماء وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره والتقوى ضميره والصدق

(١) عن الجواب الصحيح ٣ : ٢١٢

قوله والوفاء طبيعته والقصد سيرته والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه وناسخ لبعض ما فيها . أسرى به إلى وأرقبه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عليه وأوحى إليه ثم أرده إلى عبادى بالسرور والغبطة حافظاً لما استودع صادقاً بما أمر يدعو إلى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا لفظ ولا غليظ ولا صخب فى الأسواق . روف بمن والاه رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه ، فيدعو قومه إلى توحيدى وعبادتى ، ويخبرهم بما رأى من آياتى فيكذبونه ويؤذونه

قال الناقل لهذه البشارة : ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ حرفاً حرفاً مما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته بالتفخة وانقضاء الدنيا ونبوته كثيرة ، وهى الآن عند النصارى واليهود يقرون بها [ويقولون : لم يظهر صاحبها بعد^(١)] وفيها ما وصفنا من ما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها واتصال ملكهم بالقيمة . قلت : فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح والبشارة بمحمد ﷺ ، وفيها من وصف محمد ووصف أمته بالتفضيل ما يطول وصفه . وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق كما ذكر ذلك العلماء ، منهم أبو العالية : ذكر أنهم لما فتحوا تستر وجدوا دانيال ميتاً ووحده عنده مصحف ، قال أبو العالية : أنا قرأت ذلك المصحف ، وفيه صفتكم ولحون كلامكم ، وكان أهل الناحية إذا أجذبوا كشفوا عن قبره فيسقون . فكتب أبو موسى فى ذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل فى واحد منها لئلا يفتن الناس به

وعن جبير بن مطعم قال : لما بعث الله نبيه فظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى فقالوا لى : أمن الحرم أنت ؟ قلت نعم . قالوا : فعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟ قلت نعم . قال فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً لهم فيه آئيل قالوا انظر هل ترى صورة هذا النبي الذى بعث فيكم ، فنظرت فلم أر صورته ، قلت : لا أرى صورته ، فأدخلوني إلى دير أكبر من ذلك الدير فيه صور أكثر مما فى ذلك الدير فقالوا لى :

(١) عن الجواب الصحيح ٤ : ٤

انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فاذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورته ، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته ، وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ . فقالوا لي : انظر هل ترى صفته ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا ؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو . قالوا أنعرف هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلت نعم . قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم وإن هذا خليفته من بعده . رواه البخاري في تاريخه قال : الذي أراه أن الصور لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي . ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة . وروى موسى بن عقبة أن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله - ورجلا آخر قد سماه - بعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر ، قال : فدخلنا على جيلة بن الأيهم وهو بالنعوطة فذكر الحديث ، وأنه انطاق بهم إلى الملك ، وأنهم وجدوا عنده شبه الرقعة العظيمة مذهبة ، وإذا فيها أبواب صفار ، ففتح بابا فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة آدم ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح ، ثم أراهم حريرة فيها صفة محمد ﷺ وقال : هذا آخر الأبواب ، لكني عجلمته لأنظر ما عندكم . ثم فتح أبوابا أخرى فأراهم صور بقية الأنبياء : موسى وهرون وداود وسليمان وعيسى بن مريم وصفة لوط وصفة إسحاق ، وذكر أن هذا كان عندهم قديما من عهد آدم وأن دانيال صورها بأعيانها . وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبه أنه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية أخرج له صور الأنبياء فأخرج له صورة نبينا ﷺ فعرّفها

ذكر حدوث الرمي ، وإنذار الكهان برسول الله ﷺ

قال ابن اسحاق : وكانت الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل بعثته بما يقارب زمانه ، وأما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فمن ما وجدوا في كتبهم صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهان من العرب فتأثيرهم به الشياطين من الجن فيما تسرق من السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منها ذكر بعض أموره ولا تاتي العرب لذلك فيه بالا ، حتى بعث الله ، ووقعت تلك

الأمر التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقارب زمان رسول الله ﷺ وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين القاعدة التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله . قال ابن اسحق : وذلك لئلا يلتبس بالوحي ، وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة . قال السهيلي : وما قاله صحيح ، ولكن القذف بالنجوم كان قديما ، وذلك موجود في أشعار القدماء في الجاهلية . وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد . وفي قوله ﴿ وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ﴾ فلم يقل حرسا دليل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بعث النبي ﷺ ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وذلك ما أخبر الله من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فان ذلك التخليط والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه - أعني استراق السمع - بقايا يسيرة ، بدليل وجودهم على الدور في بعض الأزمنة والأمكنة ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال « ليسوا بشيء » ، فقيل إنهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا فقال « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرقرها في أذن وليه قرقرة الدجاجة ، فيخلط معها أكثر من مائة كذبة » وروى كقر الزجاجة . وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال إذا رمى الشهاب الجنى لم يخطئه ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله . وعن الحسن قال : يقتله في أسرع من طرفة عين . وروى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لهب يقال له لهيب قال : حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة ، فقلت (١) : بأبي وأمي ، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك - وكان شيخا كبيرا قد أنت عليه مائتا سنة وثمانون سنة - وكان من أعلم كهاننا قلنا : يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها ؟ فانا قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتها . فقال : ائتنوني بسحرة ، أخبركم الخبر ،

(١) في الأصل ، فقال ، والتصحيح من الروض الأثف ١ : ١٢٨

مخير أم ضرر ، أو لأمن أو حذر . قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر
أتينا ، فاذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه ، فناديناه يا خطر ، فأوماً إلينا أن أمسكوا ،
فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ السكاهن رافعا صوته : أصابه إصابه . خامره عقابه .
عاجله عذابه . أحرقه شهابه . زايله جواربه . ياويله ما حاله . بلبله بلباله ، عاوده خباله .
تقطعت حباله ، وغيرت أحواله . ثم أمسك طويلا وهو يقول :

يامعشر بنى قحطان أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان والبلد المؤمن السدان
قد منع السمع عتاة الجان بثاقب بكف ذى سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالمهدى وفاصل الفرقان تبطل به عبادة الأوثان

قال قلت : ويحك يا خطر ، إلك لتذكر عظيمًا ، فاذا ترى لقومك ؟ قال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى أن يتبعوا خير نبي الإنس
بمحكم التنزيل غير اللبس برهانه مثل شعاع الشمس
يبعث في مكة دار الحمس

قلنا له : يا خطر ومن هو ؟ فقال والحياة والعيش . إنه لمن قريش . ما في حله طيش .
ولا في خلقه هيش . يكون في جيش أى جيش . من آل قحطان وآل أبش . قلنا له : بين
من أى قريش هو ؟ فقال : والبيت ذى الدعائم . والركن والأجامم . إنه لمن نجل هاشم . ومن
معشر أكارم . يبعث بالملاحم . وقتل كل ظالم . ثم قال : هذا هو البيان . أخبرنى به رئيس
الجان . ثم قال : الله أكبر . جاء الحق وظهر . وانقطع عن الجن الخبر . ثم سكنت وأنمى عليه
فما أفاق إلا بعد ثلاثة فقل : لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : لقد نطق عن مثل نبوة ،
وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده . قال الحافظ أبو القاسم^(١) في هذا الأثر أصابه إصابه هكذا قيده

(١) أى السهيلي صاحب (الروض الأنف) وهو فيه ١ : ١٣٨

- بكسر الهمزة من إصابه - على بن أبي بكر بن طاهر ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح والمعنى أصابه وصابه جمع وصب مثل جل وجمال ، وقوله « من آل قحطان وآل أيش » يعني بآل قحطان الأنصار لأنهم من قحطان ، وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين منسوبون إلى أيش ، فإن يكن هذا وإلا فله معنى في المدح غريب تقول فلان أيش هو وابن أيش هو ، ومعناه أى شيء عظيم ، فكأنه قال من قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا كما يقال هم وما هم وزيد وما زيد وأى شيء زيد ، وأيش في معنى أى شيء كما يقال ويله في معنى ويل أمه على الحذف لكثرة الاستعمال

ذكر خبر سواد بن قارب

عن محمد بن كعب القرظي قال : بينما عمر بن الخطاب ذات يوم جالسا إذ مر به رجل ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب الذي أتاه رثيّه بظهور النبي ﷺ . قال فأرسل اليه عمر فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم . قال : أنت الذي أتاك رثيكت بظهور النبي ﷺ ؟ قال : نعم . قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك . قال فغضب وقال : ما استقبلني بهذا أحد منذ أن أسلمت يا أمير المؤمنين . فقال عمر : سبحان الله ، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك . قال : فأخبرني باتيان رثيكت بظهور النبي ﷺ . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثي فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأفتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قداماها كاذنابها

ثم ذكر أنه أتاه ليلتين بعد الأولى هو فيها كلها بين النائم واليقظان وقال له : قم

يا سواد بن قارب ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من أوى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته . وأنشده في كل ليلة أبياتا بمعنى المتدمات على قواف آخر ، وذكر تمام الخبر . وفي آخر شعر سواد : قدم على رسول الله ﷺ فأنشده ما كان من أمر الجنى وذلك قوله :

أتانى نجي بعد هذه ورقة
ثلاث ليال قوله كل ليلة
فرنت أذيال الإزار وأرقلت
فأشهد أن الله لا رب غيره
وإنك أدنى المرسلين وسيلة
ففرني بما يأتيك من وحى ربنا
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
أتاك رسول من لوى بن غالب
من العرمس الوجنا هجول السباب
وأنت مأمون على كل غائب
إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
وإن كان في ما قلت شيب الذوائب
عن فتيلنا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغتهم وفاة رسول الله ﷺ ، فقام حينئذ سواد فقال : يا معشر الأزد ، إن من سعادة القوم أن يتمظوا بنيرهم ، ومن شقاوتهم ألا يتمظوا إلا بأنفسهم ، وإن من لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل ، وإيمانهم اليوم بما أسلمتم به أمس . وقد علمتم أن رسول الله ﷺ قد تناول قوما أبعدهم منكم فظفر بهم ، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعهم منكم عدة ولا عدد ، وكل بلاء منسى إلا ما بقي أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية . وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه ، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهل البلاء داخلين فيما فيه أهل العافية حتى قدم على رسول الله ﷺ خطيبكم ونقيبكم فعبير الخطيب عن الشاهد ونقب النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جولة . فان يكن فالسلامة منها الأمانة ، والله يحبها فأحبوها . فأجابه القوم وسموا قواه ، فقال في ذلك سواد بن قارب :

جئت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمد صلى الإله عليه ما يعتاد

حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا وهل لمن فقد النبي فؤاد
كنا نحل به جنابا ممرعا جف الجناب فأجذب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا وتصدعت وجدا به الأكباد
كان العيان هو الطريف وحزنه باق لعمرك في النفوس تلاد
إن النبي وفاته كحياته الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبي محمدا بذات له الأموال والأولاد
وتسارعت فيه النفوس بيدها هذا له الأغنياب والأشهاد
هذا وهذا لا يرد نبينا لو كان يفديه فداء سواد
إني أحاذر والحوادث جمة أمرا لعاصف ريحه إرعاد
إن حل منه ما يخاف فأنتم للأرض إن رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب زدتم ، وليس لمنية مزداد

فأعجب القوم شعره وقوله ، فأجابوه إلى ما سأل وأحب

ذكر إنذار اليهود برسول الله ﷺ

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قال : إن مما دعانا إلى الاسلام مع رحمة الله وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن تقتلكم معه قتل عاد وإرم . فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه فآمننا به وكفروا به وكذبوه ، فقينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات من البقرة ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ الآيات . قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي : هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن شعبة

وأسيدي بن شعيب وأسد بن عبيد إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الاسلام ؟ قال قلت لا . قال : إن رجلا من يهود من أهل الشام يقال له الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنتين فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قحط المطر علينا قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير . قال فخرجها : ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي الله لنا ، فوالله ما يبرح يجلسه حتى يمر السحاب ونسقى وقد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الحمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال فقانا : أنت أعلم . قال فاني قدمت هذه البلدة أتوقع خروج نبي قد أظلم زمانه ، هذه البلدة مهاجرة ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه . قد أظلم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود ، فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتيمة وكانوا شبابا أحداثا : يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان . قالوا : ليس به . قالوا بلى والله ، إنه لهو بصفته . فنزلوا فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأهلهم

كتاب المبعث

قال ابن اسحق : ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة العالمين ، وكافة للناس أجمعين . وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، وأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، الآية .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حجب إليه الخلاء

فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعمد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لا يعلم ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، حتى دخل على خديجة فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . ثم قال لخديجة أي خديجة مالي ؟ فأخبرها الخبر . لقد خشيت على نفسي . فقالت له خديجة : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم ، وتضيق الحديد ، وتحمل الكل ، ونكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد وهو ابن عمها . وكان امرءا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت خديجة : أي عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الأكبر الذي أنزل على موسى . ياليتني فيها جذع ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك . قال رسول الله : أوخرجني هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي . وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة ، حتى حزن رسول الله ﷺ حزنا شديدا فيما بلغنا ، غدا منه مرارا كي يتردى من رعوس الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل كي يلتقي نفسه منها تبدي جبرائيل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا . فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، فيرجع . فإذا طال عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك ، فإذا وافى ذروة الجبل تبدي له جبرائيل فقال مثل ذلك . قال ابن اسحق : حدثني وهب بن كيسان مولى الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما تبدي به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبرائيل ؟ قال فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن

عنده من الناس : كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهرا ، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية ، والنحنث التبرز ، فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فاذا قضي رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسلته ورحم العباد بها جاء جبرائيل بأمر الله . فذكر الحديث نحو ما تقدم ، وفيه : فلما قضي رسول الله ﷺ جواره وانصرف راجعا صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة طاف بها ، فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبتنه ولتوذبتنه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله . انتهى

ومما ذكر من شعر ورقة فيما أخبرته به خديجة عن النبي ﷺ :

يا للرجال لصرف الدهر والقدر	وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها	أمرأ أراه سيأتي الناس من آخر
فخبرتني بأمر قد سمعت به	فيا مضى من قديم الدهر والمصر
بأن أحد يأتيه فيخبره	جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت عل الذي ترجين ينجزه	لك الإله فرجى الخير وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسأله	عن أمره ما يرى في النوم والسير
فقال حين أتانا منطلقا عجبا	يقف منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني	في صورة كملت في أهيب الصور

ثم استمر فكان الخوف يذعرنى مما يسلم ما حولى من الشجر
فقلت ظنى وما أدرى أصدقنى أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أنابك إن أعلنت دعوته من الجهاد بلا من ولا كدر

قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة ما ذكر لها غلامها
ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى إذ كان الملكان يظلاله . فقال ورقة : لئن كان
هذا حقا يا خديجة إن محمدًا نبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كأن لهذه الأمة ينتظر هذا زمانه ،
أو كما قال . فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة في ذلك :

لججت وكنت في الذكرى لجوجا لهم طلا بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف وقد طال انتظاري يا خديجا
بيطن المكتين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا
وما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن عمدا سيسود قوما ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فياق من يحاربه خسارا ويبقى من يسأله فلوجا
فياقنى إذا ما كان ذاكم شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولو جأ في الذى كرهت قریش ولو عجت بمكتهما عجيجا
أرجى بالذى كرهوا جميعا إلى ذى العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السفاهة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وأبق تكن أمور يصيح الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى لمياقنى من الأقدار متلفعة خروجا

ومن قول ورقة أيضا من رواية يونس عن ابن اسحاق :

أبكر أم أنت العشية رأمح وفي الصدر من إضمارك الحزن قادح

لفرقة قوم لا أحب فراقهم كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذي وجهت ترجى خيره بغور وبالنجدين حيث الضحاضح
إلى سوق بصرى فى الركاب التى غدت وهن من الإهال قصص دوالح
فخبرا عن كل خير بعلمه وللاحق أبواب هن مفاتيح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظنى به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له مها ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حثياً لثوى بن غالب شبابهم والأشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس عصره فانى به مستبشر الود قارح
وإلا فانى يا خديجة فاعلمى عن أرضك فى الأرض العريضة نازح

وفى الصحيح قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال فى حديثه : بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرمعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت إلى أهلى فقلت : زملونى زملونى ، فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر - إلى قوله - والرجز فاهجر ﴾ فخمى الوحي وتتابع

فصل

فى ذكر فوائد تتعلق بهذه الاخبار

قال بعض العلماء : وكان نزول جبريل فيما ذكر يوم الاثنين لسبع من رمضان ، وقيل لسبع عشرة مضت ، رواه البراء بن عازب . وروى عن أبى هريرة أنه كان فى السابع والعشرين من رجب ، وقال ابن عمر لثمان عشرة من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل . وقال ابن القيم : واحتج القائلون بأنه كان فى رمضان بقول الله تعالى ﴿ شهر رمضان

الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ﴿ . قالوا : أول ما أكرم الله بنبوته ، أنزل عليه القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة ، ثم نزل نجوماً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة كما روى ذلك عن ابن عباس . انتهى . قال بعض العلماء : والحكمة في الفظة ثلاث مرات شغله عن الالتفات لشيء آخر ، وإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيهاً على ثقل القول الذي سبقت إليه . وقول ورقة « ياليتني فيها جذع » الضمير للنبوة أي ليتني كنت شاباً حين ظهورها حتى أبلغ في نصرتها وحمايتها ، وقوله فغطني أي خنقني ، والناموس صاحب سر الملك ، وقال بعضهم : الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر ، ومؤزر رأس الأزر وهو القوة والعون ، واليافوخ مهموز ولا يقال لرأس الصبي يافوخ حتى يشتد ، وإنما يقال له الغاذية قال السهيلي : وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكل به إسرافيل فكان يترأى له ثلاث سنين ، فكان يأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي في أحوال مختلفة :

فمنها النوم كما في حديث ابن اسحق ، وكما قالت عائشة رضي الله عنها . وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ فقال له ابنه ﴿ افعل ماتومر ﴾ فدل على أن الوحي كان يأتيهم في النوم كما يأتيهم في اليقظة . قال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحى ، ثم تلا الآية

ومنها أن ينفث في روعه الكلام نفثاً ، كما قال النبي ﷺ « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته » رواه ابن أبي الدنيا في القناعة ، وصححه الحاكم

ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليه . وقيل إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع ، وأتقن لما يلقى ، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد ، حتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض . وجاءه مرة كذلك وخذها على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترضاها

ومنها أن يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ، فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة ، ويروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعصر إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام في قوله ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا اتْفُضُوا إِلَيْهَا ﴾ قال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله

ومنها أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ينثر منها اللؤلؤ والياقوت ، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحىه ، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم

ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب ، إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي قال « أتاني ربي في أحسن صورة فقال : فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ فقلت : في الكفارات لا أدري ، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثنودتي . وتجلى لي علم كل شيء وقال لي : يا محمد فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ فقلت : في الكفارات . فقال : وما هن ؟ فقلت الوضوء عند الكريهات ، ونقل الأقدام إلى الجماعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فمن فعل ذلك عاش حميدا ، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وذكر الحديث

فهذه ست أحوال . قال ابن القيم : زاد بعضهم مرتبة سابعة ، وهي تكلم الله له بغير حجاب

قلت : وزاد بعضهم مرتبة أخرى ، وهي العلم الذي يلقيه الله في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام ، لأنه عليه الصلاة والسلام إذا اجتهد أصاب قطعا وكان معسوما من الخطأ ، وهذا خرق للمادة في حقه دون الأمة ، وهو يفارق النفث في الروح من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه . وقد ذكر بعضهم أن الحال كان يختلف بالوحي باختلاف مقتضاه ، فإن نزل بوعده وبشارة نزل الملك في صورة الآدمي وحاطبه من غير كد ، وإن نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس . انتهى

قال السهيلي وفي قوله تعالى ﴿ اقرأ بسم ربك ﴾ من الفقه أنك لا تقرأه بحونك ولا
بصفة نفسك ولا بعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به ، فهو يملك كما خلقك ،
وكما نزع عنك علق الدم ومغمز الشيطان بعد ما خلقه فيك كما خلقه في كل إنسان ، فالآيتان
المقدمتان لمحمد ﷺ والآخرتان لأمته . وهما قوله ﴿ الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾
لأنها كانت أمة أمية لا تكتب ، فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم ، فنعلموا القرآن بالقلم
وتعلمه نبيهم تلقيا من جبريل ، نزله على قلبه باذن الله ليكون من المرسلين . وفيه من الفقه
وجوب القراءة بيسم الله الرحمن الرحيم غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسمائه يفتح
حتى جاء البيان بعد في قوله ﴿ بسم الله مجراها ومرساها ﴾ ثم قوله ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم
الله الرحمن الرحيم ﴾ ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل بسم الله الرحمن الرحيم مع
كل سورة

وقول ورقة « لتكذبه ولتؤذنه » لا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت ،
وقوله « أو مخرجي هم » لا بد من تشديد الباء في مخرجي لأنها جمع ، والأصل مخرجوني
فادغمت الواو في الباء وهو خير ابتداء مقدم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهرا لجاز تخفيف الباء
ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ كما تقول أضارب قومك أخرج إخوانك فتفرد ، لأنك
رفعت به فاعلا ، وهو حسن في مذهب سيبويه والأخفش . وذكر في الحديث أنه قال لرسول
الله ﷺ لتكذبه فلم يقل شيئا ثم قال ولتؤذنه فلم يقل شيئا ثم قال ولتخرجنه قال : أو مخرجي
هم ؟ في هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتة على النفس . وأيضا فانه حرم الله وجوار
بينه وبلد أبيه اسماعيل فلماذا تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك فقال
« أو مخرجي هم » . والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام
مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم ويشعر
المخاطب بأن الاستفهام على وجه الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه . انتهى
كلام السهيلي

وقال شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : أول منازل من القرآن فيه مسائل : الأولى الأمر بالقراءة . الثانية الجمع بين التوكل والسبب خلافاً لغلاة المنفقهة وغلاذ المنصوفة . الثالثة السر الذي في الإضافة في قوله ﴿ بسم ربك ﴾ المقتضى للتوكل . الرابعة وصفه سبحانه بالخالق الذي هو أظهر آياته . الخامسة ذكر خلقه للإنسان خاصة . السادسة كونه من علق . السابعة تكرير الأمر بالقراءة . الثامنة الوصف بأنه الأكرم . التاسعة ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة . العاشرة تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم . الحادية عشرة أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده . الثانية عشرة الحث على التواضع لقوله ﴿ من علق ﴾ . الثالثة عشرة فيه معنى اعرف نفسك تعرف ربك . الرابعة عشرة معنى أن العلم والإيمان مكانها ، من ابتغاهما وجدها إلى يوم القيامة . الخامسة عشرة رجاء فضله لأجل ما تقدم من فضله . السادسة عشرة لصفاته لكونه الأكرم . السابعة عشرة الجمع بين الخالق والتعظيم . الثامنة عشرة الدلالة على التوحيد . التاسعة عشرة الدلالة على النبوة . العشرون الرد على الجهمية . الحادية والعشرون أن الاستحالة تطهر . الثانية والعشرون الرد على القدرية . الثالثة والعشرون الرد على الجبرية . الرابعة والعشرون أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية . الخامسة والعشرون ذكر شرف العلم

وأما قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ففيه مسائل : الأولى أن الدعوة إلى الله لا تقتصر على نفسه . الثانية خطابه بالمدثر . الثالثة أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها . الرابعة تعظيم الله علماً وعملاً . الخامسة هجران الرجز . السادسة قوله ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ . السابعة قوله ﴿ ولربك فاصبر ﴾ فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم وهو الصبر خالصاً . ففيها آداب الداعي ، لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين ما تركت هذه الوصايا أو بعضها . فمنها الحرص على الدنيا فنهى عنه بقوله ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ ، ومنها عدم الجحد فيه عليه بقوله ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ، ومنها رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع ، ومنها أن التقصير في تعظيم العلم هو من التقصير في تعظيم الله . ومنها عدم الصبر على مشاق الدعوة . ومنها

عدم الاخلاص . ومنها عدم هجران الرجز والتقصير في ذلك وهو من أضرها على الناس ،
وهو من تطهير الثياب لكن أفردته بالذكر كمنظأره

فاول اقرأ فيه الأمر بطلب العلم وأول المدثر فيه الأمر بالعمل به . الثانية أول اقرأ فيه
إنعامه عليك وأول المدثر فيه حقه عليك ^(١) . الرابعة أول اقرأ فيه الاستعانة ، وأول المدثر فيه
الصبر . الخامسة أول اقرأ فيه إخلاص الاستعانة وأول المدثر فيه إخلاص الصبر . السادسة
أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه العبادة . السابعة أول اقرأ فيه أدب المتعلم وأول المدثر
فيه أدب العالم . الثامنة أول اقرأ فيه معرفة الله ومعرفة النفس وأول المدثر فيه الأمر
والنهي . التاسعة أول اقرأ فيه معرفتك بنفسك وبربك وأول المدثر فيه العمل المختص
والمتعدي . العاشرة أول اقرأ فيه أصل الأسماء والصفات وهما العلم والقدرة وأول المدثر فيه
أصل الأمر والنهي وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك . الحادية عشرة في أول اقرأ
ذكر القلم الذي لا يستقيم العلم إلا به وفي أول المدثر ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به .
الثانية عشرة في أول اقرأ ذكر التوكل وأنه يفتح المغلق وأول المدثر فيه الصبر الذي يفتحه .
الثالثة عشرة في أول اقرأ العمل المختص وأول المدثر فيه العمل المتعدي . الرابعة عشرة في أول
اقرأ ست مسائل من الخير وفي أول المدثر ست مسائل من الإنشاء . الخامسة عشرة في أول
اقرأ ذكر بدء الخلق وأول المدثر ذكر الحكمة فيه . السادسة عشرة في أول اقرأ ذكر أصل
الإنسان وأول المدثر فيه كماله . السابعة عشرة في أول اقرأ الربوبية العامة وأول المدثر الربوبية
الخاصة . الثامنة عشرة في أول اقرأ شاهد لقوله « اعقلها واتكل » وفي أول المدثر الصبر الذي
هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد . التاسعة عشرة في أول اقرأ ابتداء النبوة وأول المدثر
ابتداء الرسالة . العشرون في السورتين شاهد لقوله « العلم قبل العمل » . انتهى كلام شيخنا

فصل

في الصحيحين عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل

(١) الثالثة لم تذكر في الأصل ، ولعلها سقطت من النسخ

إليه في ركب من قريش كانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أباسفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بايلياء ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان فقلت : أنا أقربهم نسبا . قال : أدنوه مني وقربوا أصحابه واجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبتني فكذبوه . فوالله لولا الحياء من أن يأتري على كذبا لكذبت عليه . ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آباءه من ملك ؟ فقلت : لا . قال : فأشراف اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم . قال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قائلتموه ؟ قلت نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه . قال : بماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال لترجمانه : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت لرجل يتأسى بقول قيل قبله . وسألتك : هل كان في آباءه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آباءه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل تهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك

الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الرسل لا يغدرون . وسألتك : بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم بأن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبينها كم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج فلم أكن أظن أنه فيكم ، فلو أعلم أنتي أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه ، فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام : أسلم تسلم ، أسلم يؤتتك الله أجرك مرتين . وإن توليت فان عليك إثم الأريسيين . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا . فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر امرؤ ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه ملك بني الأصفر ، فازلت موقناً أنه سيظهر ، حتى أدخل الله على الاسلام

وكان ابن الناظور صاحب إيليا وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيليا أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال له بعض بطارقه : قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناظور : وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم أن ملك الختان قد ظهر ، فمن يختن من هذه الأمة ؟ فقالوا : ليس يختن إلا اليهود ، فلا يهمك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمر أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبره عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أختن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه يختن ، وسأله عن العرب فقال : هم يختنون . فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى

أناه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ، وأنه نبي ، فأذن هرقل لعطاء الروم في دسكرة له بممص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي ؟ فخاصوا حبيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم على . وقال : إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل .

فصل

ولما دعا رسول الله ﷺ إلى الله استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان أول من آمن بالله ورسوله خديجة صديقة النساء ، وقامت باعباء الصديقية . قال ابن اسحق : وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء من عند الله ، ووازرته على أمره ، فحفف الله بذلك عن رسوله ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتهون عليه أمر الناس ، حتى ماتت رضى الله عنها . انتهى .

قال ابن القيم : ولما قال لها « لقد خشيت على نفسي » قالت له : أبشر ، فوالله لا يمزيك الله أبداً . ثم استدلت بما فيه من الصفات والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يمزى أبداً ، فعلت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال للصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأيدته وإحسانه ، لا تناسب الخزي والخذلان ، وإنما يناسبه أصدادها من إكرام الله له وتمام نعمته عليه . ومن ركب على أفتح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يناسبه ما يابق به . وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسل إليها ربها السلام منه مع رسوله جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأمر رسول الله ﷺ أن يبشرها بيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . والقصب هو الثؤلؤ المجوف . وهي أول امرأة تزوجها ، وأول امرأة ماتت من نساءه ، ولم يتزوج عليها ، وكل أولاده منها

ثم أسلم أبو بكر ، واسمه عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ابن مرة بن كعب ، يجتمع هو ورسول ﷺ في مرة . وقيل اسمه عتيق ، وقيل عتيق لقب لحسن وجهه . واسم أبي قحافة عثمان . وهو أول من أسلم من الرجال ، فلما أسلم أظهر إسلامه ودعا معه إلى الله . وكان أبو بكر مألفا لقومه ، محببا سهلا . وكان أنسب قريش لقريش وبما كان فيها من خير وشر . وكان تاجرا ذا خلق ومعروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لتجارته وحسن مجالسته وغير ذلك ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، وسعد ابن أبي وقاص واسمه مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، والزبير بن العوام ابن خويلد بن سعد بن عبد العزى بن قصي ، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد ابن زهرة ، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة . وأسلم غير هؤلاء علي بن أبي طالب وهو صبي ، وكان في كفالة رسول الله ﷺ أخذه من عمه في سنة محل إعانة له ، وبادر إلى الإسلام زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وكان غلاما لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ لما تزوجها ، وقدم أبوه وعمه في فدائه فسألا عن النبي ﷺ فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه فقالا : يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه ، أتم أهل حرم الله وجيرانه ، تفكون العاني وتطعمون الأسير ، جئناك في ابنا عبدك فامن علينا وأحسن إلينا في فدائه . قال : من هو ؟ قالوا زيد بن حارثة . فقال رسول الله ﷺ : فهلا غير ذلك ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : ادعوه فأخبره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا . قالوا : قد زدتنا على النصف . فدعاه فقال : أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم . قال : من هذا ؟ قال هذا أبي ، وهذا عمي . قال : أنا من قد علمت ورأيت صحبتي ، فاخترني أو اخترها . قال : ما أنا بالذي أختار عليك أحدا ، أنت مني بمكان الأب والعم . قالوا : ويحك يا زيد ، أختار العبودية على الحرية وعلى أهلك وعمك وعلى أهل بيتك ؟ قال : نعم ، قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا . فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجته إلى الحجر فقال : أشهدكم أن زيدا ابني أرنه ويرثني . فلما رأى

ذلك أبوه وعمه طابت قوسهما فانصرفا ، ودعى زيد بن محمد . حتى جاء الله بالاسلام فنزلت ﴿ ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ فدعى يومئذ زيد بن حارثة . قال معمر في جامعه : ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة ، وهو الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه أنعم عليه وأنعم عليه رسوله وسماه باسمه . وقيل إن عليا أول من أسلم بعد خديجة . قال أبو عمر : ومن ذهب إلى هذا سلمان وأبو ذر والمقداد وجابر وأبو سعيد الخدري وزيد بن أرقم وابن شهاب وقتادة وغيرهم . وقيل أول رجل أسلم ورقة بن نوفل . وفي جامع الترمذي أن رسول الله ﷺ رآه في المنام في هيئة حسنة . وفي حديث آخر أنه رأى عليه ثيابا بيضا . قال ابن الصلاح : والأورع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن الصبيان الأحداث علي ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال . انتهى . وعن ابن عباس أنه كان يقول : أول الناس إسلاما أبو بكر ، واستشهد بقول حسان :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالى الثانى الحمود مشهده وأول الناس طرا صدق الرسلا
خير البرية أتقاها وأعد لها بعد النبي وأوقاها بما حملا

وذكر أن النبي ﷺ سمعه فلم ينكر ، وأسلم غير هؤلاء عمرو بن عبسة السلمى ، وخالد ابن سعيد بن العاص بن أمية ، وكان بلال وخالد وسعد وعمر وعلي أولهم إسلاما ثم أسلم بعد هؤلاء أبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضبة ابن الحارث ، فهو وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ابن مرة ، وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عيص بن كعب ابن لؤى ، وأخوه قدامة ، وعبد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد المزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وكان أبوه زيد قد رفض الأوثان في الجاهلية ووجد الله وأخبر رسول الله ﷺ أنه يبعث أمة وحده ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب . وقال ابن سعد : أول امرأة أسلمت بعد خديجة

أم الفضل زوجة العباس ، وأسلم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص أخو
سعد وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة وكان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط ، وكان سبب
إسلامه أن رسول الله ﷺ حلب من غنمه شاة حائلا فدرت ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو
ابن سعد ، ومليط بن عمرو بن ود بن نصر بن مالك بن عامر بن لؤي ، وعياش بن أبي ربيعة
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وامراته أسماء بنت مخزوم التميمية ، وخنيس بن حذافة
ابن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص وهو زوج حفصة بنت عمر
ابن الخطاب قبل رسول الله ﷺ ، وعامر بن أبي ربيعة العنزي باسكان النون من غنزة بن
وائل من ربيعة حليف آل الخطاب ، وعبد الله بن جحش بن رباب بن معمر بن ضمرة بن مرة
ابن كثير بن عمر بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية ، وأخوه أبو أحمد بن جحش
وكان أعمى ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث
ابن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وامراته فاطمة بنت المحلل بن عبد الله ،
وأخوه خطاب بن الحارث ، وامراته فكيهة بنت يسار ، ومعمر بن الحارث بن معمر
ابن حبيب ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث
ابن زهرة وامراته رملة بنت أبي عوف بن ضمرة بن سهم ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله
ابن أسد بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، وعامر بن فهيرة أزدى
أمه فهيرة مولاة أبي بكر الصديق ، وأميمة بنت خالد الخزاعية امرأة خالد بن سعيد بن العاص ،
وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد مناف ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عزيز
ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بني عدى ، وخباب بن الأرت
ابن جندبة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة الخزاعي ولأه الزهري حلفا ،
وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث
ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدى ، وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة ابن
قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس وهو
زيد بن مالك ومالك جماع مذحج ابن أدد حليف بني مخزوم ، وأسلم يامر والد عمار ، وأسلم

صهيب ابن سنان بن مالك ويقال له الرومي ، وكان مولى لعبد الله بن جدعان ، ذكره أبو عمر في السابقين ، وذكر فيهم عتبة بن مسعود أخا عبد الله بن مسعود . قال ابن اسحق : ثم دخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدثت به قريش ثم ان الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه ، فكان عدة إخفاء رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله باظهاره الدين ثلاث سنين فيما بلغني ، ثم قال الله له ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ ثم قال ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾ ، فلما نادى رسول الله ﷺ وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أذعوه وناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله عنهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحلب على رسول الله ﷺ أبو طالب ومنه ، وقام دونه ، لأنه كان شريفا معظما في قريش مطاعا في أهل مكة لا يتجامرون على مكاشفته بشيء من الأذى . قال ابن القيم : وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها . وأما أنجابه فمن كانت له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته ، وسائرهم تصدوا له بالأذى والعذاب ، منهم عمار بن ياسر وأمه وأهل بيته فانهم عذبوا في الله ، وكان رسول الله ﷺ إذا مر بهم وهم يعذبون يقول صبرا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة ، ولقي أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب أمرا عظيما لما ذخره الله لهم في الآخرة من الكرامة ، فطعن الفاسق أبو جهل سمية أم عمار بحربة في قلبها فقتلها رضى الله عنها . وكان سادات بلال وهم من بني جمح يأخذونه ويلبسونه على الرمضاء في حر مكة ثم يلقون على بطنه الصخرة العظيمة ثم يأخذونه ويلبسونه في ذلك الحر الشديد درع حديد ويضعون في عنقه حبالا ويسلمونه إلى الصبيان يطوفون به وهو في كل ذلك صابر محتسب لا يبالي بما لقي في ذات الله ، وكان كلما اشتد به العذاب يقول : أحد ، أحد . وأسلم سلمة ابن [هشام والوليد] بن الوليد بن المغيرة وأبو حذيفة ، هشم بن عتبة بن ربيعة وغيرهم ، وأعتق أبو بكر الصديق رضى الله عنه بلال بن رباح وأمه حمامة مولاته ، وأعتق ابن فهيرة وأعتق أم عيس وزبيدة والنهدية ابنتها وجارية لبني عدى كان عمر بن الخطاب يعذبها على الاسلام

وذلك قبل أن يسلم ، وقيل إن أبا قحافة قال له : يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أعتقت
فوما جلداً يمنعوك . فقال له أبو بكر : يا أبت إني أريد ما أريد ، ففيه نزلت ﴿ وسيجنبها
الأتقى الذي يوثى ماله يتزكى ﴾ إلى آخر السورة . قال ابن اسحق : وكان رسول الله ﷺ
يقول فيما بلغني « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ،
إلا ما كان من أبي بكر ما تردد فيه »

ذكر ابتداء فرض الصلاة

قال ابن اسحق : حدثني صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت : افترضت الصلاة
على رسول الله ﷺ أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله أمها في الحضر
أربعاً وأقرت في السفر على فرضها ركعتين . قال ابن اسحق : وحدثني بعض أهل العلم أن
الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ أثناء جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية
الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ﷺ ينظر ليريه كيف الطهور ، ثم توضأ
رسول الله ﷺ كما رأى جبريل ، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله ﷺ بصلاته ،
ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها ليريه كيف الطهور
للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ ثم صلى بها رسول الله ﷺ كما صلى
به جبريل فصلت ، كذا ذكره ابن اسحق مقطوعاً . وقد وصله الحارث بن أبي أسامة فقال :
حدثني الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهري عن عروة عن أسامة
ابن زيد حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ في أول ما أوحى إليه أتاه جبريل فعلمه
الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه . وقد روى ابن ماجه عن
ابن لهيعة عن عقيل عن الزهري بسنده معناه . وروى نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس
وفي حديث ابن عباس : وكان ذلك من أول الفريضة . فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني
بالتلاوة لأن آية الوضوء مدنية . وإنما قالت عائشة فانزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء
- وهي هي - لأن الوضوء قد كان مفروضاً ، غير أنه لم يكن قرآناً يتلى حتى نزلت آية المائدة

وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله في أول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالمشي لقوله تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك بالمشي والابكار ﴾ قال في فتح الباري : كان ﷺ قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك أصحابه ، ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا ؟ فقيل : إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى .

وقال النووي : أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد ، ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في سورة المزمل ، ثم نسخه بما في آخرها ، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة . قال السهيلي : يحتمل أن يكون قول عائشة « فزيد في صلاة الحضر » أي زيد فيها حتى أكلت خمسا فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات ، ويكون قولها « فرضت الصلاة ركعتين » أي قبل الاسراء وقد قال به طائفة منهم ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها « فرضت الصلاة » أي ليلة الاسراء حين فرضت الخمس ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشعبي أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه ذكره أبو عمر . وذكر البخاري عن رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ففرضت أربعاً ، وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شباب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وسن جميع أعمامه وسائر قومه فيصلحان الصلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلحان فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال « أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أيننا إبراهيم - أو كما قال ﷺ - بعثني الله به رسولا للعباد ، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجبني إليه وأهانني عليه » أو كما قال . فقال أبو طالب : أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أقارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت . وذكروا أنه قال لعل : أي بنى ، ما هذا الذي أنت عليه ؟ قال : يا أبت آمنت برسول الله

وصدقت بما جاء به وصليت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما انه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه . وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى تقاتلوا ، وضرب سعد يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أهرق في الاسلام . انتهى

فصل

عن ابن عباس قال : لما أنزل الله ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعده ، ثم نادى : يا صباحاه . فاجتمع الناس اليه - بين رجل يأتي اليه وبين رجل يبعث رسوله - فقال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبالك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله ﴿ تب يدا أبي لهب وتب ﴾ أخرجاه في الصحيحين ، وروى مسلم عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾ دعا رسول الله ﷺ فعم وخص فقال « يا معشر قريش ، اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم اتقوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب اتقوا أنفسكم من النار ، يا قاطمة بنت محمد اتقوا أنفسكم من النار ، فاني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها بيلها »

فصل

قال ابن اسحق : ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرا لأمره لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وحب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف

قريش إلى أبي طالب - عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأبو سفيان ابن حرب بن أمية واسمه صخر - قال ابن هشام : وأبو البختري واسمه العاص بن هشام ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، قال ابن اسحق : والأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى بن قصي ، وأبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، والعاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أعلامنا وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عاينه من خلافه فنكفيك . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، ورد عليهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه . وقال السدي : إن أتابنا من قريش اجتمعوا - فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش - فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب فانكلمه فيه فاینصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وتدّعه وإلهه الذي يعبد ، فاننا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون : تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه . فبعثوا رجلا منهم يُدعى المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال : هؤلاء مشيخة قريش ومسرّاتهم يستأذنون عليك . قال : أدخامهم . فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، فمره فليكف عن شتم آلهتنا ، وتدّعه وإلهه . قال فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك ومسرّاتهم ، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك ، قال : يا عم أفلا تدعوهم إلى ما هو خير لهم ؟ قال : وإلى ما تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدبّر لهم بها العرب ويملكون بها العجم . فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك انعطيكم رءس أمثالها ؟ قال : تقولون « لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا : سلنا غيرها . قال لو جثتموني بالشمس حتى تضموها في يدي ما سألتكم غيرها . فقاموا من عنده غضبا وقالوا : والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا . وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتم إن هذا لشيء يراد .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد : فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ معه إلى قول لا إله إلا الله ، فأبى وقال : على دين الأشياخ . ونزلت ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ وقال مقاتل : كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعو إلى الإسلام ، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي سوءا فقال أبو طالب : حين تروح الإبل فان حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته اليكم ، فقال :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكفت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة انه	من خير أديان البرية دينا
لولا اللامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مينا

فصل

ولما اشتد أذى المشركين على من آمن ، وقتن منهم من فتن حتى يقولوا لأحدهم اللات إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجعل ليربهم فيقولون : وهذا إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . وروى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ، فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره ﴾ الآية . ورواه البيهقي أيضا وفيه أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير . وأنه قال : يا رسول الله ما تركت حتى سببتك ، قال : كيف تجرد قلبك ؟ قال : مطمئنا . قال : إن عادوا فعد

فلما اشتد البلاء عليهم أذن رسول الله ﷺ لهم في الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة وقال : إن بها ملكا لا يظلم الناس . وكان أول من هاجر إليها عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ، وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل ، وأبو سلمة وامرأته أم سلمة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلي

بنت أبي حنمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم وحاجب بن معمر ، وسهيل بن وهب ، وعبد الله ابن مسعود ، خرجوا متسللين سرا فوق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار فملوهم فيها إلى أرض الحبشة ، وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من المبعث ، فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحدا ، ثم رجعوا إلى مكة في شوال لما بلغهم أن قريشا صافوا رسول الله ﷺ وكفوا عنه . وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم فلما بلغ ﴿ أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى . فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، وقد علمنا أن الله يخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا تشفع عنده . فلما بلغ السجدة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون ، إلا شيخا من قريش رفع إلى جبهته حصي فسجد عليه وقال : يكفيني هذا . فحزن النبي ﷺ حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما . فأنزل الله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ الآيات . ولما استمر رسول الله ﷺ على سب آلهتهم عادوا إلى شر ما كانوا عليه ، وازدادوا شدة على من أسلم . فلما قرب مهاجرة الحبشة من مكة وبلغهم أمرهم توقفوا عن الدخول ، ثم دخل كل رجل في جوار رجل من قريش ، ثم اشتد عليهم البلاء والعذاب من قريش وسطت بهم عشائرهم ، وصعب عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره ، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية فخرجوا ، فكان خروجهم الثاني أشق عليهم وأصعب ، فكان عدة من خرج في هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلا إن كان فيهم عمار بن ياسر فإنه يشك فيه ، قاله ابن اسحق . ومن النساء تسع عشرة امرأة وهم جعفر ابن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس فولدت له هناك محمدا وعبد الله وعونا ، ومن بنى أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ابن محرت الكنانى ، وأخوه خالد بن سعيد ومعه امرأته أميمة بنت خاف بن أسعد الخزاعية ولدت له هناك سعيدا وأمة وهي أم خالد وهي التي تزوجها الزبير بعد ذلك فولدت له خالدًا وعمرا ، ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمه عبد الله بن جهش ، وأخوه عبيد الله معه

امراته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتتصر هناك ومات مرتداً ، وقيس بن عبد الله رجل منهم معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب . ومعيقب بن أبي فاطمة عديد لبني العاص ابن أمية وهو من دوس ، ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب من قيس عيلان حليف بني نوفل وهو الذي بنى البصرة وأسسها أيام عمر . ومن بني أسد ابن عبد العزى الزبير بن العوام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وعمرو بن أمية بن الحارث ابن أسد . ومن بني عبد بن قصي طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد ، وقد انقرض جميع بني عبد بن قصي . ومن بني عبد الدار بن قصي سويبط بن عبد الدار ومعه امرأته حرمة بنت مالك بن عميلة بن السباق^(١) بن عبد الدار وجهم بن قيس بن [عبد^(٢)] شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته حرمة بنت عبد الدار بن خزيمة بن قيس بن عامر ابن بياضة من خزاعة وابناه عمرو وخزيمة بنت جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بني زهرة عبد الرحمن ابن عوف ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أزر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة معه امرأته رمة بنت أبي عون بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب ، ومن حلفائهم من هذيل عبد الله بن مسعود وأخوه عتبة والمقداد بن عمرو بن ثعلبة وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف ابن زهرة ، وذلك أنه تنبأ في الجاهلية وحالفه ، ومن بني تيم بن مرة الحارث بن خالد ابن صخر ومعه امرأته ربيعة بنت الحارث من بني تيم ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة وزينب وفاطمة وعمرو بن عثمان بن عمرو من بني تيم ، ومن بني مخزوم أبو سلمة ابن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة فولدت له بأرض الحبشة زينب ، وشماس بن عثمان ،

(١) في الأصل : حريملة بنت مالك بن عميلة بنت السابق بن عبد الدار . والتصحيح عن

كتاب نسب قريش للصبغ الزبيرى ص ٢٥٦

(٢) عن نسب قريش ص ٢٥٥

وهبار بن سفيان وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة ، وسلمة بن هشام ، وعياش
ابن أبي ربيعة ، ومن حلفائهم معتب بن عوف من خزاعة . ومن بني جُمح عثمان بن مظعون
وابنه السائب وأخوه قدامة وأخوه عبد الله ، وحاطب بن الحارث معه امرأته قاطمة بنت
الحلال وابناه محمد والحارث ، وأخوه خطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار ،
وسفيان بن معمر معه ابناه جابر وجنادة وامرأته حسنة وهي أمهما وأخوها من أمهما شرحبيل
ابن حسنة . قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر أخى تميم بن مر ،
قال ابن اسحق : وعثمان بن ربيعة . ومن بني مسم خنيس بن حذافة وأخوه قيس ، وعبد الله
وهشام بن العاص أخو عمرو بن العاص ، وعمر بن رثاب وأبو قيس بن الحارث وأخوه
الحارث بن الحارث وعمر بن الحارث وسعيد بن الحارث وبشر بن الحارث ، ومحمية بن جزء
الزبيدي ومعمر بن الحارث وأخ له من أمه من بني تميم يقال له سعيد بن عمرو ، والسائب
ابن الحارث . ومن بني عدى بن كعب معمر بن عبد الله ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى
ابن نضلة وابنه النعمان ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته .
ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رهم معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ،
وعبد الله بن مخرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسليط بن عمر وأخوه السكران
ابن عمر ومعهم امرأته سودة بنت زمعة ومالك بن زمعة معه امرأته عمرة بنت السعدى
وأبو حاطب بن عمرو وسعد بن خولة حليف لهم . ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة
ابن الجراح ، وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب ولكن أمه غلبت على نسبه وهي دعد
بنت جحدم وكانت تدعى بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح ، وعياض بن زهير ، وعمرو
ان الحارث بن زهير ، وعثمان بن غنم ، وسعد بن عبد قيس ، والحارث بن عبد قيس . قال
ابن القيم : وقد ذكر في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهد بدرًا فإما أن
يكون هذا وهما وإما أن يكون لهم قدمة أخرى قبل بدر ، فيكون لهم ثلاث قدمات :
قدمة قبل الهجرة وقدمة قبل بدر وقدمة عام خيبر ، ولذلك قال ابن سعد وغيره : إنهم
لما سموا مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وعن النساء ثمان ،

فمات منهم رجلان بمكة وحبس سبعة وشهد بدرا أربعة وعشرون رجلا وأقاموا عند النجاشي على أحسن حال وبلغ ذلك قريشا

فصل

فلما كان بعد بدر اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا : إن لنا في الدين عند النجاشي ثارا ، فاجمعوا مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده ، ولينتدب في ذلك رجلان من أهل رأيكم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدية فركبا البحر ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالوا : قومنا لك ناصحون ، وإنهم بعثونا إليك لتحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك ، لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه إلا السفهاء ، فضيقنا عليهم وأجانا بهم إلى شعب بأرضنا لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد ، فقتلهم الجوع والعطش ، فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم ، وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي كنت تحيا بها ، رغبة عن دينك . فلما دعاهم النجاشي وحضروا صاح جعفر بن أبي طالب بالباب : يستأذن عليك حزب الله . فقال النجاشي : مروا هذا الصائح فليعد كلامه ، ففعل ، فقال : نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته . فدخلوا ولم يسجدوا له . قال : ما منعكم أن تسجدوا لي ؟ قالوا : نسجد لله الذي خلقك وملكك . وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان ، فبعث الله فينا نبيا صادقا ، وأمرنا بالتحية التي رضىها وهي السلام تحية أهل الجنة . فعرف النجاشي أن ذلك حق ، وأنه في التوراة والإنجيل . فقال : أيركم الهاتف يستأذن ؟ قال جعفر : أنا . قال : فتكلم . قال : إنك ملك لا يصاح عندك كثرة الكلام ولا الظلم ، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي ، فرهذين الرجلين فليتكلم أحدهما فتسمع كلامنا . فقال عمرو بن العاص لجعفر : تكلم . فقال جعفر للنجاشي : سله أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنا عبيدا قد أبقنا من موالينا فارددنا إليهم ، فقال عمرو : بل أحرار كرام . فقال : هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا ؟ قال : لا ، ولا قطرة . قال : فهل أخذنا

أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها ؟ قال عمرو : ولا قيراط . قال النجاشي : فما تطلبون منهم ؟ قال : كنا وهم على دين واحد ، على دين آبائنا ، فتركوا ذلك واتبعوا غيره . فقال النجاشي لجعفر : ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتموه ؟ واصدقني . فقال جعفر : أما الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان ، كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة ، وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الاسلام ، جاءنا به من الله رسول ، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافق له . فقال النجاشي : تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك . ثم أمر بضرب الناقوس ، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب ، فقال : أنشدكم الله الذي أنزل الانجيل على عيسى ، هل تجدون بين عيسى وبين القيمة نبيا مرسلا ؟ قالوا : اللهم نعم ، قد بشرنا به عيسى وقال : من آمن به فقد آمن بي ، ومن كفر به فقد كفر بي . فقال النجاشي لجعفر : ماذا يقول لكم هذا الرجل ؟ وماذا يأمركم به وماذا ينهاكم عنه ؟ قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف ، وينهانا عن المنكر ، ويأمرنا بحسن الجوار ، وصلة الرحم ، وبر اليتيم ، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له . فقال اقرأ ما يقرأ عليكم . فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ، ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع . قال : زدنا من هذا الحديث الطيب . فقرأ عليهم سورة الكهف ، فأراد عمرو أن بغضب النجاشي فقال : إنهم يستجون عيسى وأمه ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فلما أتى على ذكر عيسى وأمه رفع النجاشي نقاعة من سواكه قدر ما يقضى العين فقال : والله ما زاد المسيح على ما يقول هؤلاء نقدا . قال ابن اسحق : فلما قال ذلك تناخرت بطارقه . فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي . والسيوم الآمنون . من سبكم غرم ، فلا هوادة اليوم على حزب ابراهيم ، ما أحب أن لي دبراً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم . والدبر بلسان الحبشة الجبل ، ردوا عليها هداياها فلا حاجة لي فيها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه . فخرجوا مقبوحين مردودا عليها ما جاء به ، وفيهم نزلت ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ الآيات قاله قتادة وغير واحد . وقيل بعثت قريش في شأنهم إلى النجاشي مرتين : الأولى عند هجرتهم

والثانية عقب وقعة بدر ، وكان عمرو بن العاص رسولا في المرتين ومعه في إحداها عمارة ابن الوليد وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميان

فصل

فلما كان في ربيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ كتابا إلى النجاشي يدعو به إلى الاسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري . فلما قرى عليه الكتاب أسلم وقال : لو قدرت أن آتية لأتيته . وكتب إليه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت من هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر هناك ومات ، فزوجه إياها ، وأصدقها عنه أربعمائة دينار . وكان الذي تولى تزويجها خالد بن سعيد بن العاص ، وكتب إليه أن يبعث إليه من بقي من أصحابه ويحملهم ففعل ، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية ، وقدما على رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج إلى المدنى فكبر أربع تكبيرات وقال : استغفروا لأخيكم . قال السهيلي : وكان موت النجاشي في رجب سنة تسع ، ولما صلى عليه رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه بالمدينة . وتكلم المنافقون وقالوا : يصلى على عاج مات بأرض الحبشة . قال ابن اسحق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال على قبره نور . وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهبأ لهم سفنا وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه بشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكنيته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة . وصفوا له فقال : يا معشر الحبشة ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا بلى . قال : وكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما بالكم ؟ قالوا : فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد . قال : فما تقولون

ثم في عيسى؟ قالوا تقول هو ابن الله، فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو
يشهد أن عيسى ابن مريم، لم يزد على هذا شيئا، وإنما يعني ما كتب. فرضوا وانصرفوا. فبلغ
ذلك النبي ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له. قال السهيلي: والنجاشي اسم لكل
ملك يلى الحبشة، كما أن كسرى اسم لملك الفرس، وخاقان اسم لملك الترك، وبطليموس
اسم لمن ملك اليونان^(١) واسم هذا النجاشي أصحمة بن الحر وتفسيره عطية

وفيه من الفقه الخروج من الوطن وإن كان الوطن مكة على فضلها إذا كان الخروج فرارا
الدين، وإن لم يكن إلى أرض الإسلام، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ويقولون
هو ابن الله، وسموا بهذه الهجرة مهاجرين، وهم أصحاب الميقاتين الذين أثنى الله عليهم
السبق فقال ﴿والسابقون الأولون﴾ وجاء في التفسير أنهم الذين صلوا القباتين وهاجروا
لهجرتين. فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة وهم قد خرجوا من بلد الله الحرام إلى بلاد
كفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم، وأن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم يذكرونه
آمنين مطمئنين. وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر على بلد وأودى على الحق مؤمن ورأى
باطل قاهرا للحق ورجا أن يكون في بلد آخر أي بلد كان يبين فيه دينه وبظهر فيه عبادة
به، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن. وهذه الهجرة لا تنقطع إلى يوم القيمة
﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ انتهى كلام السهيلي

وفي الصحيح عن عائشة قالت: لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر يوم
لا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية. فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر
ساجرا إلى أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيده ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين
يذهب يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي.
قال ابن الدغنة إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتحمل
لكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك.

(١) أي الذين حكموا منهم في الاسكندرية، ويقال لهم البطالسة

خرج أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم :
إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أخرجون رجلا يكسب المدوم ويصل الرحم ويحمل
الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ،
وقالوا لابن الدغنة : فأمر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك
ولا يستعلن ، فإننا نخشى أن يُفتن نساؤنا وأبناؤنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر ، فلبث
أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره . ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، فكان يصلي
فيه ويقرأ القرآن ، فتتصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان
أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين ،
فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في
داره ، وقد جاوز ذلك وابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقرآن فيه ، وإنا قد خشينا
أن يُفتن أبناؤنا ونساؤنا ، فانه ، فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبي
إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفر في ذمتك ، ولنا
مقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر ، فقال : قد علمت
الذي عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي ، فإني لا أحب
أن تسمع العرب أني خفرت في رجل عقدت له ، فقال أبو بكر فإني أرد إليك جوارك وأرضي
بجوار الله

فصل

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب . قال ابن اسحق : حدثني رجل من أسلم
وكان واعية أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ فأذاه وشمته ونال منه بعض ما يكره من العيب
لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن
لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه عامداً إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث
حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص يرهبه

ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم ير على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعزّ فتى في قريش وأشدّه شكيمَةً . فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله إلى بيته قالت : يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آتفا من أبي الحكم بن هشام ، وجده ههنا جالسا فأذاه وشتته وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى لم يقف لأحد ، معدّ الأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به . فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجة منكرة ، ثم قال : أنثتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فردّ عليّ إن استطعت . فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباقبيحا . وتمّ حمزة على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ ، ففرت قريش أن رسول الله قد عزّ وامتنع ، وأن حمزة سيمينه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

وزاد غير ابن اسحق في إسلام حمزة أنه قال : لما حملني الغضب وقلت أنا على قوله ، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي ، وبتُّ من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم . ثم أتيت الكعبة وتضرعت إلى الله أن يشرح صدري ويذهب عني الريب ، فما استتمت دعائي حتى زال عني الباطل وامتلاً قلبي يقينا . أو كما قال . فأنيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمري ، فدعاني بأن يثبتني الله . وقال حمزة بن عبد المطلب :

حدثُ الله حين هدى قواذي إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا تحدر دمعُ ذي اللبّ الحنيف
وأحمد مصطفي فينا مطاع فلا تشوه بالقول العنيف
فلا والله نُسله لقوم ولما هض فيهم بالسيوف

ونترك منهم قتل بقاع لورد الطير كالورد الكوف

وأخرج الترمذی وصححه عن ابن عمر ، والطبرانی عن ابن مسعود وأنس ، أن النبي ﷺ قال « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل ابن هشام » .

وأخرج أبو نعیم فی الدلائل وابن عساکر عن ابن عباس قال : قلت لعمر : لأی شیء سمیت « الفاروق » ؟ قال : أسلم حمزة قبلی بثلاثة أيام ، فخرجت فاذا فلان المخزومی ، فقلت له : أرغبت عن دین آبائک واتبعت دین محمد ؟ فقال : إن فعلتُ فقد فعله من هو أعظم عليك حقا منی . قلت : من ذلك ؟ قال أختک وختنک . فانطلقت فوجدت هممة ، فدخلت فقلت : ما هذا ؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختی فضربتہ وأدميته ، فقامت الی فأخذت برأسی فقالت : وقد كان ذلك علی رغم أنفک . فاستحييت حين رأيت الدماء ، فجلست فقلت : أروني هذا الكتاب . فقالت : إنه لا يمسه إلا المطهرون . فقممت فاغتسلت ، فأخرجوا لي صحيفة فيها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فقلت : أسماء طيبة طاهرة ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لنشقي ، إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا من خلق الأرض والسماوات العلى ﴾ الی قوله ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ فتعظمت في صدري ، فقلت ما هذا قريش . فأسلمت . فقلت : أين رسول الله ؟ قالت : فانه في دار الأرقم . فأتيته فضربت الباب فاستجمع القوم ، وقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر . قال : وعمر ، افتحوا له الباب ، فانه إن أقبل قبلناه ، وإن أدبر قتلناه . فسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج ، فتشهد عمر ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسعد . قلت : يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال : بلى . قلت : فقيم الاختفاء ؟ فخرجنا في صفين : أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر ، حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إلى وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة . فسأني رسول الله ﷺ « الفاروق » يومئذ ، وفي رواية أنس عن أبي يعلى والحاكم والبيهقي قال : خرج عمر متقلدا

(۱) بياض بالأصل

بالسيف ، فلقية رجل من بنى زهرة فقال : أين تعمد يا عمر ؟ فقال له : أريد أن أقتل محمدا .
 قال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا ؟ قال : ما أراك إلا صبوت .
 قال : أفلا أدلك على العجب ؟ إن أختك وختك قد صبوا وتركا دينك . فشى عمر فأتاها
 وعندها خباب ، فلما سمع عمر تواري في البيت ، فدخل فقال : ما هذه الهيمنة ؟ وكانوا
 يقرأون طه . قالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا . قال : فلعلكما قد صبوتما ؟ فقال ختنة : يا عمر
 إن كان الحق في غير دينك . فوثب عليه عمر فوطئه وطنا شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن
 زوجها فنفحها بيده فدمى وجهها ، فقالت وهي غضبي : إن كان الحق في غير دينك ، إني
 أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . فقال عمر : اعطوني الكتاب الذي عندهم
 فأقرأه ، وكان عمر يقرأ الكتاب ، فقالت أخته : إنك رجس ، ولا يسه إلا المطهرون ،
 فقم واغتسل وتوضأ ، فقام وتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله ﴿ إني أنا الله
 لا إله إلا أنا فاعبدني ، وأقم الصلاة لذكري ﴾ فقال عمر : دلوني على محمد . فلما سمع خباب
 قول عمر خرج فقال : أبشر يا عمر ، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ليلة الخميس
 اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام ، وكان رسول الله ﷺ في أصل
 الدار التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس . فقال
 حمزة : هذا عمر ، إن يرد الله به خيرا يسلم ، وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا .
 قال والنبي ﷺ داخل يوحى إليه ، فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحائل السيف
 فقال : ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة :
 فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت عبد الله ورسوله . وفي الصحيح عن سعيد بن زيد
 قال : والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقى على الإسلام قبل أن يسلم عمر .

قال ابن اسحق : وكان عمر ذا شكيمة لا يرام . فلما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ
 وبحمزة ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم
 عمر . وفي البخاري عنه : ما زلنا أعززة منذ أسلم عمر . قال الذهبي : أسلم في السنة السادسة
 من النبوة وله سبع وعشرون سنة ، وكان من أشرف قريش ، فكانوا إذا أرادوا حربا

بعثوه رسولا ، وإذا نافرهم منافرا أو فاخرهم مفاخر أرسلوه له منافرا ومفاخرا . وفي الصحيح عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر اجتمع الناس اليه عند داره وقالوا صبأ عمر ، وأنا غلام فوق ظهر بيتي . فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال : صبأ عمر فما ذاك ؟ فأناله جار . قال فرأيت الناس تصدعوا عنه ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا العاص بن وائل . وفي رواية في الصحيح عنه قال : بينما هو في الدار خائفا إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير ، وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية ، فقال له : ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلوني ان أسلمت . قال : أمنت ، لا سبيل لهم اليك

فصل

قال ابن اسحق : فلما رأت قريش أن أمر رسول الله ﷺ يتزايد ويقوى ، مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنا وشرفا ومنزلة ، وإننا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا . فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إن قومك جاءوني وقالوا لي كذا وكذا - للذي كانوا قالوه له - فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق . قال فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بدء ، وأنه خاذله ومسله ، وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال له رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه . قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، ثم قام . فلما ولي ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي . قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ . فقال : أقبل يا ابن أخي فقل ما أحبيت ، فوالله لا أسلك لشيء أبدا

قال ابن اسحق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبي خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا اليه بهارة بن الوليد فقالوا له فيما بلغني :

يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذته فلك عقله ونصره
 واتخذته ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق
 جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله ، فانما هو رجل كرجل . قال : والله لبئس ما تسومونني ،
 تعطونني ابنكم أغذيه لكم ، وأعطيتكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال فقال
 المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك ، وجهدوا
 على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا . فقال : والله ما أنصفتونني ،
 ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ ، فاصنع ما بدالك . أو كما قال . فحقب
 الأمر وحيت الحرب وتنابد القوم وبأدى بعضهم بعضا . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض
 بالمطعم ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سأله وما
 تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمر والوليد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حجاب كثير رغاؤه	يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق	إذا ما علا الفياء قيل له وبر
أرى أخونا من أيننا وأمنا	إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهم أمر ولكن تجرجا	كأجر جمت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا	ها نبذانا مثل ما ينبذ الحجر
ها أغمرا للقوم في أخويها	فقد أصبحا منهم أ كفها صفر
ها أشركا في المجد من لا أباله	من الناس إلا أنت يرس له ذكر
ونيم ومخزوم وزهرة منهم	وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر
فوالله ما تنفك منا عداوة	ولا منهم ما كان من نسلنا شفر

الشفر : هو حرف جفن العين

قال ابن اسحق : ثم إن قريشا تذاصروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب

رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم بعه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه ، إلا ما كان من أبي لهب وولده فانهم ظاهروا قريشا على قومهم . انتهى

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : إنهم أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية ، فبلغ ذلك أبا طالب ، فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله ، فمنهم من فعل ذلك حمية ، ومنهم من فعل ذلك إيمانا و يقينا . فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا كتابا على بني هاشم وبني عبد المطلب ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل . وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة ، وقيل بغيض بن عامر ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فثلت يده . وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، فأنحاز بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب فدخلوا معه شعبه ، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، وقال ابن سعد سنتين ، حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شيء إلا سرا ، وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقطعت قريش عنهم الأسواق حتى كان يسمع أصوات نسائهم وأبنائهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع ، واشتدوا على من أسلم ممن لم يدخل الشعب ، وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزا شديدا . قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد اغتياله ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم ، وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة قال :

ولما رأيت القوم لا وُدَّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد حالفوا قوماً علينا أضنة
صبرت لهم نفسى بسراء سمحة
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى
أعوذ برب الناس من كل طاعن
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
وثور ومن أرمى ثيرا مكانه
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر المسود إذ يسحونه
وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبة
وأشواط بين المروتين إلى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
وبالمشر الأقصى إذا عمدوا له
وتوقفهم فوق الجبال عشية
فهل بعد هذا من عماد لعائد
كذبتهم وبيت الله نترك مكة
كذبتهم وبيت الله نرى محمدا
ونسله حتى نصرع حوله
وينهض قوم فى الحديد اليكم
وإنا لعمر الله ان جد ما أرى
بكفى فتى مثل الشهاب سميدع
وما ترك قوم لا أبالك سيدا
وأبيض يستقى الغمام بوجهه
تلوذه به الهلاك من آل هاشم

يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
وأبيض غضب من تراث المقاول
وأمسكت من أثوابه بالوصائل
علينا بسوء أو ملح يباطل
ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
وراق ليرقى فى حراء ونازل
وبالله ان الله ليس بغافل
إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
على قدميه حافيا غير ناعل
وما فيها من صورة وائل
ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
الال إلى مفضى الشراج القوابل
يقيمون بالأيدى صدور الرواحل
وهل من معيد يتقى الله عادل
ونظن إلا أمرم فى بلابل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
لنتبسن أسيافنا بالأماثل
أخى ثقة حامى الحقيقة باسل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
نمال اليتامى عصمة للأراطل
فهم عنده فى رحمة وفواضل

وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا
أضاق عليه بغضنا كل تلمعة
فتبة لا تسمع بنا قول كاشح
وكنت امرءاً ممن يعاش برأيه
ومر أبو سفيان غنى معرضاً
يفر إلى نجد وبرد مياحه
ويخبرنا فعل المناصح أنه
أمطعم لم أخذك في يوم نجدة
أمطعم إن القوم ساموك خطة
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
بميزان قسط لا يخس شعيرة
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
فكل صديق وابن أخت نعه
سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
أشم من الشم البهليل ينتمى
لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد
فمن مثله في الناس أى مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش
فوالله لولا أن أجيء بسبة
لكنا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب

بسميك فينا معرضاً كالخاتل
من الأرض بين أخشب وجنادل
حسود كذوب مبغض ذى دغاول
ورحمته فينا ولست بجاهل
كما مرّ قيل من عظام المقاول
ويزعم أنى لست عنكم بغافل
شفيق ويخفى عارمات الدواخل
ولا معظم عند الأمور الجلائل
وإنى متى أوكل فلت بوائل
عقوبة شر عاجلا غير آجل
له شاهد من نفسه غير عائل
بنى خلف قيضا بنا والفياطل
وآلى قصى فى الخطوب الأوائل
لعمرى وجدنا غبه غير طائل
براء الينا من معقة خاذل
زهير حساما مفردا من حمائل
إلى حسب فى حومة المجد قاضل
وإخوته داب الحب المواصل
إذا قامه الحكم عند التفاضل
يوالى إلها ليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا فى الحافل
من الدهر جدا غير قول التهازل
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

فاصبح فينا أحد في أرومة تقصر عنها سورة المتناول
حدثت بنفسى دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلا كل

ثم بعد ذلك تألف قوم من قريش على نقض تلك الصحيفة ، كان أحسنهم فيها غناء
هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى ، فإنه لقي
زهير بن أمية بن المغيرة فغيره بإسلام أخواله ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فأجابه
زهير إلى نقض الصحيفة ، ثم مشى هشام إلى المطعم بن عدى فذكره أرحام بني هاشم وبني
المطلب ابني عبد مناف فأجابه إلى ذلك ، ثم مشى إلى أبي البختري بن هشام فقال له مثل
ما قال للمطعم بن عدى ، ثم مشى إلى زمعة بن الأسود فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم
فقال : وهل معى على هذا الأمر الذى تدعونى اليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سعى له القوم .
واتعدوا حطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا وتاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة .
وقال زهير ، أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير
ابن أبى أمية عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنا كل
الطعام وتلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يباع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق
هذه الصحيفة القاطمة الظالمة . فقال أبو جهل - وكان فى ناحية المسجد - كذبت والله لا تشق .
قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت . فقال أبو البختري :
صدق زمعة ، لا ترضى ما كتب فيها ولا تقربه . قال المطعم بن عدى : صدقم وكذب من
قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها وما كتب فيها . وقال هشام بن عمرو نحو ما من ذلك . قال
أبو جهل : هذا أمر قضى بليل ، وتشوور فيه بغير هذا المكان . وأبو طالب جالس فى ناحية
المسجد ، فقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشتقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم
وما كان فيها من اسم الله فأنها لم تأكله

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : إن الله أطلع رسوله على الذى صنع بصحيفتهم ،
فذكر ذلك لعمه فقال : لا والثواقب ما كذبتنى . فانطلق يمشى بعصابة من بنى عبد المطلب
حتى آتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم رأوا أنهم قد خرجوا من شدة الجوع

وأتوا ليعطوهم رسول الله ﷺ . فتكلم أبو طالب فقال : إنه قد حدث أمر لعله أن يكون بيننا وبينكم صلحا ، فأتوا بصحيفتكم . وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها . فأتوا معجبين لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوع اليهم ، قالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا ، فأثما قطع بيننا وبينكم رجل واحد قد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم . فقال أبو طالب : لأعطينكم أمرا لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله برىء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحاكل اسم له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم ، فإن كان ما قال حقا فوالله لانسلمه إليكم حتى نموت عن آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتموه . قالوا قد رضينا . ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر ، فقالوا : هذا سحر من صاحبكم . فارتكسوا وعادوا لشر مما كانوا عليه . فتكلم عند ذلك نفر الذين تعاقدوا ومزقت الصحيفة . قال ابن اسحاق : فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب في ما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في قضاها بمدحهم شعرا :

ألا هل أتى بحرّينا صنع ربنا ^(۱)	على نأيهم والله بالناس أروود ^(۲)
فيخبرهم أن الصحيفة مُزقت	وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفاك وسحر مجمع	ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطارها في رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بائمة	ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المسكتين فيهربوا	قرائعهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره	أيهم فيهم عند ذاك وينجد
فمن ينس من حضار مكة عزه	فمزتنا في بطن مكة أتلد

(۱) بحرّينا : يعنى الذين بأرض الحبشة من المهاجرين المسلمين ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه

(۲) أروود : أرفق . ومنه رويداء ، أى رفقاً

نشأنا بها والناس فيها قليل
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
جزى الله رهطاً بالحجون تابعوا
قمود لذي حطم الحجون كأنهم
أعان عليها كل صقر كأنه
جرىء على كل الخطوب كأنه
من الأكرمين من لؤى بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيد وابن سيد
ويبنى لأبناء المشيرة صالحاً
ألفظ بهذا الصلح كل مبرأ
قضوا أمرهم في ليلهم ثم أصبحوا
هو رجعوا مهل بن بيضاء راضياً
متى شرك الأقوم في جل أمرنا
وكنا قديماً لا نفر ظلامه
فيال قصى هل لكم في نفوسكم
فانى وإياكم كما قال قائل

فلم تنفكك زداد خيراً ونحمد
إذا جعلت أيدي المضيفين ترعد
على ملأ يهدى لحزم ويرشد
مقاولة بل هم أعز وأجد
إذا ما مشى في رفرع الدرع أجرد
شهاب بكفى قابس يتوقد
إذا سيم خسفاً وجهه يتردد
على وجهه نسق الغمام ونسعد
يحض على مقرى الضيوف ويحشد
إذا نحن طفنا بالبلاد ويمهد
عظيم اللواء أمره ثم يحمد
على مهل وسائر الناس رقد
وسر أبو بكر بها ومحمد
وكنا قديماً قبلها نتودد
وندرك ما شئنا ولا نتشدد
وهل لكم فيما يجيء به غد
لديك البيان لو تكلمت أسود^(۱)

وأسلم هشام بن عمرو يوم الفتح، وخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس . قال
ابن عبد البر: وذلك بعد عشرة أعوام من المبعث، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر،
ومات خديجة بعده بثلاثة أيام

(۱) أسود: جبل كان قد قتل فيه قتيل ولم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه
المقالة، يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلم لأبان عن القاتل ولعرف الجاني، ولكنه
لا يتكلم، فذهبت مقالاتهم مثلاً

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال : يا عم قل « لا إله إلا الله » كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال له : ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه رسول الله ، فأعاد ، فكان آخر ما كلمهم به هو : على ملة عبد المطلب . وأبي أن يقول « لا إله إلا الله » . فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ، ما لم أنه عنك . فأنزل الله ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي ﴾ وأنزل في أبي طالب ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ الآية . وفي الصحيح عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويفضبك لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال « نعم ، وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته في نضاح » وفي رواية « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في نضاح من النار يبلغ كفيه بغلي منه دماغه » وفي رواية « ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » انتهى . وكان موته في رمضان بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح . وقيل : إن رسول الله ﷺ بسمي ذلك العام « عام الحزن » ، وكانت مدة إقامة خديجة معه عليه السلام خمسا وعشرين سنة على الصحيح ، ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة

فصل

فلما مات أبو طالب اشتد البلاء على رسول الله ﷺ من قومه وتجرؤوا عليه وكاشفوه بالأذى ، وأرادوا قتله ، فمنعهم الله من ذلك . وذكر العلماء من أهل السير وغيرهم فيما لقي رسول الله ﷺ من قومه أمورا كثيرة : فمنها ما قاله ابن اسحق حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : حضرتهم وقد اجتمعوا في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه ، سفه أحلامنا وشم آباءنا وفرق جماعتنا . فبينما هم إذ أقبل رسول الله ﷺ فاستلم الركن ، فلما مرَّ بهم غمزوه ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . ثم مضى . فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . ثم مرَّ بهم الثالثة فوقف ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ، لقد جئتكم بالذبح . وإنهم قالوا له :

يا أبا القاسم ما كنت جهولا ، فانصرف راشدا . فلما كان من الغد اجتمعوا كذلك إذ طلع ، فقالوا : قوموا اليه وثبة رجل واحد ، فلقد رأيت عقبة بن أبي معيط أخذ بمجمع رداءه ، وقام أبو بكر وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وفي حديث أسماء فأتى الصريح إلى أبي بكر فقال : أدرك صاحبك . فخرج من عندنا وعليه غدائر أربع ، فخرج وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . فلهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر ، فرجع الينا لا نمس شيئا من غدائره إلا رجع معنا . وفي رواية البخاري عن عروة قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال : بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فخنفه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ فقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . الآية . ومنها ما ذكره البخاري أيضا في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم : ألا نظرون إلى هذا المرأى ، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجىء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه . فانبعث أشقاهم ، فلما سجد عاياه الصلاة والسلام وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي ﷺ ساجدا ، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك وأنا قائم أنظر لو كان لي منعه طرحتة عن ظهر رسول الله ﷺ . فانطلق منطلق إلى فاطمة ، وهي جويرية ، فأقبلت تسعى . وثبت النبي ﷺ ساجدا حتى ألقته عنه ، وأقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ رفع صوته ثم دعا عليه ، وكان إذا دعا ثلاثا ، فإذا سأل سأل ثلاثا ، ثم قال : اللهم عليك بقريش ، ثم سمي : اللهم عليك بعمر بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد . قال عبد الله : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر قد غيرتهم الشمس في يوم حار ، ثم سحبوا إلى القلب قلب بدر ، ثم قال رسول الله ﷺ واتبع أصحاب القلب لعنة . انتهى . ومنها ما ذكر أن عقبة بن أبي معيط وطىء على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان . ومنها حشو سفاهم التراب على وجهه ورأسه . ذكره ابن إسحاق . ومنها

أنهم يطرحون القرث والدم على بابه . ومنها بصق أمية في وجهه

قال ابن اسحق : وكان نفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب والحكم ابن أبي العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط وعدى بن حراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه ، لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص ، وكان أحدهم فيما ذكر لي يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجرا يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسول الله إذا طرحوا عليه ذلك الأذى كما حدثني عمرو بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله ﷺ على العود فيقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ ثم يلتقيه في الطريق . وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة قال : لما نثر ذلك السفية على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، قامت إليه إحدى بناته فجعلت تفسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك . قال ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب

ومنها تعذيب أصحابه وهو ينظر ، قال ابن اسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد قال : لقي أبا بكر سفية من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فثأ على رأسه ترابا ، قال فرأى بكر الوائد بن المنيرة والعاص بن وائل قال فقال أبو بكر : ألا ترى ما يفعل هذا السفية ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك ، وهو يقول : أي رب ما أحلك ، أي رب ما أحلك ؟ وفي الصحيح عن خباب قال : أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله ؟ فعمد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان فيمن كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه . قال ابن اسحق : حدثني بعض

أهل العلم عن سعيد بن جبیر عن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس قال : اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المنيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبیه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمیه بن خلف ومن اجتمع إليهم ، قال : اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تذرنا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم . فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلموه بدء ، وكان عليهم حرباً يحب رشدهم ويعز عليه عنهم ، حتى جاس إليهم ، فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد سببت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وصفيت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي من قبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك . أو كما قالوا له . وإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك ، وإن كان الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رثياً - فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب الطيب لك حتى نبرئك منه أو نمذرك فيك . قال لهم رسول الله ﷺ : ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل على كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . أو كما قال . قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماء ولا أشد عيشاً منا ، فاسأل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث من مضى سن

آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا قصى بن كلاب فإنه كان شيخ صدق قسأله عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فان صدقوك وصنعت ما سألتك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ : ما بهذا بعثت اليكم ، إنما جئتمكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على فأصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم . قالوا : فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وأما لا فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبغى ، فانك تقوم في الأسواق تلتمس المعاش كما تلتمس حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم . فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه . ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا - أو كما قال - فان تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على فأصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل . قال : فقال رسول الله ﷺ : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل . قالوا : يا محمد ، فاعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك فيعملك بما تراجعنا به ويخبرك بما هو صانع في ذلك بنا اذ لم تقبل منك ما جئتنا به ، إنه قد باعنا أنك إنما يعملك هذا رجل باليامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا تؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا اليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن تؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك لرسول الله قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عانكة بنت عبد المطلب فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألك أن تجعل لهم بعض ما يخوفهم من العذاب فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أو من بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم

ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك
 كما تقول، وإيم الله ان لو فعات ذلك ماظنت أنى أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله ﷺ
 وانصرف الى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من
 مباعدهم إياه . فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا قد
 أبى إلما ترون من عيب ديننا وشم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله
 لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله - أو كما قال - فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ،
 فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فلتصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله
 لانسلك لشيء ابدا فامض لما تريد . فلما أصبى أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول
 الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته
 الى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه
 وبين الشام . فقام رسول الله ﷺ يصلى وقد غدت قريش فى أنتديتهم فجلسوا فيها ينظرون
 ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى
 اذا دنا منه رجع منهزما منتقما لونه مرعوبا قد يبت يداه على حجره حتى قذف الحجر من
 يده ، وقامت اليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : أقتت اليه لأفعل ماقلت
 لكم البارحة ، فلما دنوت عرض لى دونه فحل من الإبل والله مارأيت مثل هامة ولا قصرته
 ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يا كلنى . قال ابن اسحق : فذكر لى أن رسول الله ﷺ
 قال : ذاك جبرائيل ، لو دنا لأخذه . فلما قال ذلك لهم أبو جهل قام النضر بن الحارث بن
 كلدة فقال : يا معشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم
 غلاما حدثا أرضا كم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب
 وجاءكم بما جاءكم به قلم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة نقثم وعقدهم .
 وقتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم . وقتم شاعر
 لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه . وقتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ،
 لقد رأينا الجنون فاهو بمنقته ولا وسوسته ولا تخليطه . يا معشر قريش ، فانظروا فى شأنكم ،

فانه والله قد نزل بكم أمر عظيم

وكان النضر من شياطين قريش ومن كان يؤذى رسول الله ﷺ وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ محلّسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قباهم من الأمم من نعمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ، وقال : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه ، فهل فانا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟ قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغني : سأنزل مثل ما أنزل الله . قال ابن اسحق فكان ابن عباس يقول فيما بلغني : نزل فيه ثلاث آيات من القرآن : قوله تعالى ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ وكل ما ذكر فيه أساطير الأولين

فلما قال لهم النضر بن الحارث ذلك بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أخبار يهود بالمدينة وقالوا لها : سلام عن محمد ، وصفا لهم صفته وأخبارهم بقوله ، فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من الأنبياء . فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أخبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وأخبارهم ببعض قوله وقالوا لهم انكم أهل التوراة قد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لها أخبار يهود : سلوه عن ثلاث فأمركم بهن ، فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ، فانه قد كان لهم حديث عجب . وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان تبأه . وسلوه عن الروح ما هي ؟ فاذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فاقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف حتى قدما مكة على قريش فقالوا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فان أخبركم بها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم ، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كان لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟

فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم بما سألتكم عنه غدا. ولم يستثن. فأنصرفوا عنه، فكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث اليه في ذلك وحى ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء. مما سأله عنه. حتى أحزن رسول الله ﷺ ملبث الوحي، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاء جبريل من الله بسورة الكهف فيها معانته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، والروح. قال ابن اسحق: إن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سوتُ ظنا. فقال له جبريل ﴿وما تنزل الآيات من ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾ الآية. وقال فيما سأله عنه من الروح ﴿ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي﴾ الآية

قال ابن اسحق: وحدثت عن ابن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالت أحبار يهود: أرايت قولك ﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾ ايانا تريد أم قومك؟ قال: كلا. قالوا: فانك تتلو في ماجاءك انا قد اوتينا التوراة فيها بيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو ائتمموه. فانزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل. قال: وانزل الله عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آباؤهم من الموتى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا﴾ أي إني لا أصنع من ذلك إلا ما شاء الله. وانزل الله عليه في قولهم خذ لنفسك ما سأله أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ويبعث معه ملكا بصدقه بما يقول ويرد عليه ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا﴾ الى قوله ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا﴾ أي من أن تمشي في الأسواق وتلتبس المعاش ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الآية. وانزل الله عليه في ذلك من قولهم ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون

وكان ربك بصيراً ﴿ أى جعلنا بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لعلات . وأنزل عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية ﴿ وقالوا لن تؤمن لك حتى تقبر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ إلى قوله ﴿ هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ وأنزل عليه فيما عرضوا من أموالهم ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله ﴾ ، فلما جاءهم رسول الله بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الصيوب حين سأله عما سأله عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فتوا على الله ، وتركوا أمره عياناً ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ أى اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزواً لعلكم تغلبونه بذلك ، فانكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم . فقال أبو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق : يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويجسونكم فيها تسعة عشر ، وأتم أكثر الناس عدداً وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فانزل الله في ذلك من قوله ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ إلى آخر القصة . فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذى يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاح له يستمع منه . قال ابن اسحق : حدثني داود ابن الحصين مولى عمرو بن عثمان أن عكرمة مولى ابن عباس حدثه أن عبد الله بن عباس حدثهم أنما نزلت هذه الآية ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ من أجل أولئك ، يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها فلا يسمعها من يجب أن يسمعها ممن يسترق السمع ذلك دونهم ، فلهذا يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به . انتهى . قلت : وقد روى البخارى في صحيحه عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾

الآية قال : نزلت ورسول الله ﷺ مخف بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله عز وجل ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ زاد مسلم في روايته : وابتغ بين ذلك سبيلا ، يقول : بين الجهر والخافتة

قال ابن اسحق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان ابن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق الثقفي حليف بنى زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى من الليل في بيته ، فآخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلوراكم بعض سفهائكم لا وقعتم في قلبه شيئا . ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى تعاهد لا نعود ، ثم تعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبا ثعلبة لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا والذي حافت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تمادينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فنتي ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق . فقام عنه الأخنس وتركه

ذكر خبر الوليد بن المغيرة

قال ابن اسحق : ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش ، وكان ذاسن فيهم وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا . قالوا : فأت يا أبا عبد شمس قتل وأقم لنا رأيا نقول به . قال : بل أنتم قولوا وأسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما بزمنة الكاهن ولا سبجه . قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بمنخقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : نقول ساحر . قال : وما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرم ، فما هو بنفته ولا عقده . قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله أمذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وعشيرته . ففترقوا عنه بذلك ، فجلسوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره . فأنزل الله في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله تعالى ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ إلى قوله ﴿ سأصليه سقر ﴾ وأنزل الله في النفر الذين كانوا يصنفون القول في رسول الله فيما جاء به من الله ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أي أصنافا ﴿ فوركك لسألنهم أجمعين ﴾ الآية

وعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : اقرأ علي . قرأ عليه ﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ الآية ، قال : أعد . فأعاد عليه . قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمعذب ، وما يقول هذا بشر . وفي رواية : فبلغ ذلك أبا جهل فأناه فقال : يا عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قل : ولم ؟

قال : أتيت محمداً لتعوض مما قبله . قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له . قال : ماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار مني

ذكر خبر عتبة بن ربيعة لرسول الله ﷺ

روى عبد بن حميد وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلامكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكنمه ولينظر ماذا يرد عليه . فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فنكلم حتى نسمع قولك . إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب . لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً . والله ما تنتظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيف حتى تقتلنا . أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلتزوّجك عشراً ، فقال رسول الله ﷺ : فرغت ؟ قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ حتى بلغ ﴿ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (۱) ﴾ . فقال عتبة : حسبك حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا . فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً إنكم تكلمونه به إلا كلته . قالوا : فهل أجابك : قال : نعم ، لا والذي نصبها بنية (۲) ما فهمت شيئاً مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . وقد سآه البخوي في تفسيره عن محمد بن فضيل عن الأجلع عن لذيال بن حرملة عن جابر ،

(۱) سورة فصلت

(۲) البنية هي الكعبة بيت الله الحرام

فذكر الحديث إلى قوله ﴿ فان عرضوا قتل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله لا ترى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه . فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد ، وأعجبتك طعامه ، فان كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما نغنيك عن طعام محمد . فغضب غضبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً وقال : والله إني من أكثر قريش مالا ، ولكني أثبتته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله ﴿ فان عرضوا قتل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسكتُ بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم المذاب . ورواه محمد بن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب القرظي ، وفي روايته : ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لما وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فلكم ملككم وعزته وعزمكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم

ذكر خبر المستهزئين

منهم عمه أبو لهب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب ، سماها الله حمالة الحطب لأنها كانت فيما بلغني تحمل الشوك فطرحة على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر ،

فأنزل الله فيها ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ إلى آخر السورة . وقيل إنها كانت تمشى بالنميمة ،
وتنقل الحديث ، وتلقى العداوة بين الناس ، وتوقد ناراً كما توقد النار بالحطب

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن أم جميل حين سمعت ما نزل في زوجها من القرآن
أنت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر ، وفي يدها فهر من
حجارة ، فلما وقفت عليها أخذ الله يبصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر ،
قالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر
فاه . أما والله إني لشاعرة

مذمماً عصينا وأمره أيننا ودينه قلينا

ثم انصرفت . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأيتك ؟ قال : ما رأيتنى ، لقد
أخذ الله بصرها عنى

قال ابن اسحاق : وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ مذمماً ، ثم يسبونه . وكان
رسول الله ﷺ يقول : ألا تعجبون لما بصرف الله عنى من أذى قريش ؟ يسبون ويهجون .
مذمماً ، وأنا محمد

وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج إذا رأى النبي ﷺ همزه ولمزه ، فأنزل
الله فيه ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ إلى آخر السورة كلها . قال ابن هشام : الهمزة الذى يشتم
لرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به ، قال حسان بن ثابت :

همزتك فاخترت لذل نفس بقافية تأجج كالشواظ

وجمه همزات ، والهمزة الذى يعيب الناس سرأ ويؤذيهم

قال ابن اسحاق : وكان خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ قيناً بمكة يعمل
لسيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً علمها له حتى كانت له عليه مال ، فجاءه
بمقاضاه ، فقال له : يا خباب أليس يزعم صاحبكم محمد هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة

ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خباب: بلى. قال أنظرنى إلى يوم
القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأفضيك هناك حقك، والله لا تكون أنت
وصاحبك يا خباب آثر عند الله منى ولا أعظم حظاً فى ذلك. فأنزل الله تعالى ﴿أفرايت الذى
كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً﴾ إلى قوله ﴿ويا تبنا فرداً﴾. قلت: وفى الصحيح عن
خباب رضى الله عنه قال: كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمى، فجئت أقتاضاه،
فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ. فقال: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يميتك.
قال: إذا أمانى الله ثم بعثى بعشى ولى مال وولد. فأنزل الله ﴿أفرايت الذى كفر بآياتنا وقال
لأوتين مالا وولداً﴾ إلى قوله ﴿ويا تبنا فرداً﴾ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال
أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيت
يفعل ذلك لأطأن رقبة ولأعفرن وجهه فى التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو
بصلى، زعم ليطأ على رقبة. فما فجَّتهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، فقالوا:
مالك يا أبا الحكم. قال: ان بينى وبينه لخنذقه من نار وهو لا وأجنحة. فقال رسول الله
«لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» وأنزل الله لا تدرى فى حديث أبى هريرة أو
شىء بلغه ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ الآيات

قال ابن إسحاق: لقي أبو جهل ابن هشام رسول الله ﷺ فيما بلغنى فقال له: والله يا محمد
لتركن سب آلهتنا أو لنسبنا إلهك الذى نعبد، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله فیسبوا الله عدواً بغير علم﴾ الآية، فذكر لى أن رسول الله ﷺ كف عن سب
آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله، وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً فدعا فيه إلى الله وتلا
فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأم الخالية، خلفه النضر بن الحارث فى مجلسه إذا قام
فحدثهم عن رستم وإسفنديار وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً منى، وما
حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها، فأنزل الله فيه ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتبها ففى تملى
عليه بكرة وأصيلا. قل أنزله الذى يعلم السر﴾ الآية. ونزل فيه ﴿إذا تلى عليه آياتنا قال

أساطير الأولين ﴿ ونزل فيه ﴿ وبل لكل أفك أثيم ، بسمع آيات الله تنلى عليه ﴾ إلى قوله ﴿ فبشره بعذاب أليم ﴾

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله ﷺ يوماً فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ، فمرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أغمه ، ثم تلا عليه ﴿ انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون ﴾ الآيات ، ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما تعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبير : أما والله لو وجدته لخصمته ، فاسألوا محمداً أكل ما يعبدون من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة واليهود يعبدون عزيزاً والنصارى يعبدون عيسى بن مريم . فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قوله ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، انهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله عليه ﴿ إن الذين سبقتم لنا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ الآيات . ونزل في ما ذكر من أمر عيسى بن مريم عليه السلام أنه يعبد من دون الله ، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله . ثم ذكر عيسى فقال ﴿ ان هو إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ إلى قوله ﴿ وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها ﴾ أي ما وضعت على يديه من الآيات ومن إحياء اللوثى وإبراء الأسقام ، وكفى به دليلاً على علم الساعة فلا تمترن بها واتبعون

قال ابن إسحاق : وقال الوليد بن المغيرة : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ؟ فنحن عظيماء مكة والطائف القريتين ، فأنزل الله فيما بلغني ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .

أهم يقسمون رحمة ربك ﴿ الآية . قال ابن اسحق : وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعقبة بن أبي مُعيط وكانا متصافين حسناً ما بينهما ، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ، فبلغ ذلك أياً ، فأتى عقبة فقال له : ألم يباغى عنك أنك جالست محمدًا وسمعت منه ؟ ثم قال : وجهي من وجهك حرام أن أكلك - واستغلف من اليمين - إن أنت جالست محمدًا وسمعت منه ، أو لم تأته فتتلف في وجهه . ففعل ذلك عدو الله عقبة ، فأنزل الله فيها ﴿ ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾ إلى قوله ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ . ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بال قد أرفت فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرى ؟ ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار ، فأنزل الله فيه ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ الآيات قال ابن اسحق واعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبي بن خلف والمص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنانهم في قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ، فنتشرك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله فيهم ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ السورة كلها قال أبو جهل بن هشام : يامعشر قريش هل تدررون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا لا . قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكننا منها لتزقمنها تزقماً . فأنزل الله فيه ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ أي ليس كما يقول . وأنزل فيه ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم ﴾ الآية

ذكر نزول سورة عبس

قال ابن اسحق : ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ ورسول الله يكلمه وقد

طمع في إسلامه . فيما هو في ذلك إذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى فسلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره ، وذلك أنه شغل عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ عبس وتولى أن جاء الأعمى ﴾ إلى قوله ﴿ مطهرة ﴾ أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ولم أختص بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تصد به لمن لا يريد . وابن أم مكتوم أحد بني عامر بن لؤي ، واسمه عبد الله . انتهى . وكان رسول الله ﷺ يكرمه ، وإذا رآه قال : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي . ويقول : هل لك من حاجة ؟ ويستخلفه على المدينة إذا غزا . قال أنس بن مالك فرأيت يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء .

قال ابن اسحق : وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خباب وعمار وأبو فكيهة وبار مولى صفوان بن أمية وصهيب وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء به وما خصهم الله به . انتهى . قلت : روى الإمام أحمد بإسناده عن ابن مسعود قال : مرّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال ، فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء عن قومك ؟ فنزل القرآن ﴿ وأنذر الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ إلى قوله ﴿ والله أعلم بالظالمين ﴾ رواه ابن جرير ، وفيه : فقالوا : يا محمد ، أرضيت هؤلاء من قومك ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أنحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم ، فذاك أخرى إن طردتهم أنت تتبعك . فنزل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ الآيتين قال ابن اسحق : وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني خير عبد لبني الحضرمي ، وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا خير النصراني غلام بنى الحضرمي ، فأنزل الله في ذلك ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ يلحدون يعيلون ، الإلحاد الميل

ذكر نزول سورة الكوثر

قال ابن اسحق : وكان العاص بن وائل السهمي فيما بلغتني إذا ذكر رسول الله ﷺ قال : دعوه فانما هو رجل أبتز لا عقب له ، لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحم منه . فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ما هو خير من الدنيا وما فيها ، والكوثر العظيم . وحدثني جعفر بن عمرو عن عبد الله بن مسلم ، أخى محمد بن مسلم بن شهاب عن أنس ابن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ ، وقيل له : يا رسول الله ما الكوثر الذي أعطاك الله ؟ قال : نهر كابن صنعاء إلى أيلة ، آيته كعدد نجوم السماء ، ترده طير لها أعناق كأعناق الابل . قال يقول عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لناعمة ؟ قال : آكلها أنعم منها . وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره « من شرب منه لم يظمأ أبداً » قلت : روى البخارى عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه . قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ، قال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله . انتهى . والعرب تسمى كل شئ كثير في العدد أو كثير في القدر كوثرًا . ثم قال تعالى ﴿ إن شانئك ﴾ قال ابن عباس : عدوك ، ﴿ هو الأبتز ﴾ أى الأقل الأردل المنقطع من كل خير

قال ابن اسحق : حدثني أبي اسحق بن يسار قال : كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش ، فخلا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله ﷺ : يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إني لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعتك . قال فقال رسول الله ﷺ : أفرأيت إن صرعتك تعلم أن ما أقول حق ؟ قال : فهلم حتى أصارعتك . قال فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه ، ثم قال : عد يا محمد . فأعاد ، فصرعه . قال قال : والله يا محمد إن هذا للعجب ، أتصرعنى ؟ قال رسول الله ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعث أمرى . قال : وما هو ؟ قال : أدعوك هذه الشجرة التى ترى فتأينى

قال : ادعها . فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ . قال فقال لها : ارجعي إلى مكانك . فرجيت إلى مكانها . قال فذهب ركاة إلى قومه فقال : يا بني عبد مناف ، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض ، فوالله ما رأيت أسحر منه قط . ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع

قال ابن اسحاق : ودعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام ، وكلمهم فأبغ اليهم ، فقال له زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث والأسود بن عبد بنوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك . فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ وقالوا لولا أنزل إليه ملك . ولو أنزلنا ملكا لفضى الأمر ﴾ إلى قوله ﴿ ما يلبسون ﴾ قال : ومر رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأميمة بن خلف وأبي جهل بن هشام ، فتمزوه واستهزأوا به ، فغاضه ذلك ، فأنزل الله عليه في ذلك من أمرهم ﴿ ولقد استهزى برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾

فصل

قال الشيخ أبو العباس بن تيمية رحمه الله في كتاب الرد على النصارى ، في تقرير نبوة محمد ﷺ بالأدلة العقلية والنقلية ^(١) : ومما ينبغي أن يعلم أن الله إذا أرسل نبياً وأتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة ، فمن طالبه بثانية [لم تجب إجابته إلى ذلك ، بل وقد لا ينبغي ذلك ، لأنه إذا جاء بآية ثانية طوب ^(٢)] بثالثة ، وإذا جاء بثالثة طوب برابعة ، فإن طلب المعتنين لا أمده . ومعلوم أنه من قامت عليه الحجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها أو قال أنا لا أقبل حجة حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظلماً متعدياً ولا يمكن الحكم الخصوم من ذلك . فحق الله الذي أوجب على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا قامت بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله أن

(١) الجواب الصحيح ج ٤ ص ٢٧٥ طبعة سنة ١٣٢٣

(٢) سقط من الأصل ، وأكمل من الجواب الصحيح

لا يجب إجابة إلى ثانية وثالثة . ثم قد يكون في تابع الآيات حكمة فيتابع الله سبحانه بين الآيات ، فان الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأبسر لمعرفة الحق ، فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف دلالة الآخر وقد يبلغ هذا ما لا يبلغ هذا ، كما فعل بآيات موسى وآيات محمد صلى الله عليها وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانوه ويسعوا في معارضته والقدح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه ، بخلاف ما لو اتبعوا ابتداء بدون ذلك فانه قد كان يظن أنهم قادرين على معارضته ، وكذلك أيضاً يكون في ذلك من يقينه وصبره وجهاده ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة . وقد تقتضى الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاءوا بها . فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة ، وتارة لا يجيبهم لما في ذلك من المصرة والمفسدة . وقد كان الرسول محمد ﷺ ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم بيجاب بأن تلك الآيات لا تستلزم الهدى . بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال [ان كذب بها] والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كفرعون وأبي لهب وغيرها لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرها . وقد تبين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة ، قال تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها . قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ الآيتين بعدها وقال ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ الآية ، بين سبحانه أنه ما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا به الهلاك ، فاذا كذب هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال . وهذا المعنى مذكور في كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين ، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فقد ذكر أهل التفسير ما رواه الأعمش عن جعفر ابن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضی الله عنهما قال : سأل أهل مكة النبي

ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحى عنهم الجبال حتى يزرعوا ، قال فقيل له : إن شئت
تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما هلكت الأمم من
قبلهم . قال : بل أستأني بهم ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب
بها الأولون ﴾ وروى ابن أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال : سمعت الحسن البصري في
قوله ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات ﴾ قال : رحمة الله لكم أيتها الأمة أنا لو أرسلنا الآيات
فكذبت بها أصابكم ما أصاب من قبلكم ، وقد كانت الآيات يأتي بها محمد ﷺ آية بعد
آية فلا يؤمنون بها قال تعالى ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين .
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ إلى قوله ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ إلى قوله ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾
أخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم ، وما تأتيهم من آية إلا أعرضوا عنها ﴿ وأنهم يتكذبون
الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب
الرسول ، فإن الله يقول ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم
آياتنا ﴾ الآية ، وأخبر بشدة كفرهم بأنه لو أنزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا إن هذا لسحر مبين . . . الآيات . بين سبحانه أنه لو جعل الرسول ملكاً لعله
على صورة الرجل ، إذ كانوا لا يستطيعون أن يروا الملائكة في صورهم ، وحينئذ فكان يقع
لللبس لظنهم الرسول بشراً لا ملكاً . وقال تعالى ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الأرض ينبوعاً ﴾ إلى قوله ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا ﴾ . وهذه الآيات التي
اقترحوها لو أجيئوا بها ثم لم يؤمنوا أتاها عذاب الاستئصال كما تقدم . وأيضاً هي مما لا يصلح
الإتيان به ، فإن قولهم ﴿ حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ يقتضي تفجير ينبوع بمكة فيصير
واديها ذا زرع ، والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذي زرع لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس
فيه من الدنيا فيكون حجهم الدنيا لا لله ، وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار
خلالها تفجيراً كان في هذا من التوسع من الدنيا ما يقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته ،
وكذلك إذا كان له بيت من زخرف ، والزخرف الذهب . وأما إسقاط السماء كفاً فهذا

لا يكون إلا يوم القيامة ، وهو لم يخبرهم أن هذا لا يكون إلا يوم القيامة ، فقولهم كما زعمت كذب عايبه ، إلا أن يريدوا التمثيل فيكون القياس قاسداً . . . وأما الاتيان بالله والملائكة قبيلاً فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة ، قال تعالى ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة ﴾ الآيتين . وأما إنزال الكتاب فقال تعالى ﴿ بسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ، فقد سألو موسى أكثر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ الآية . بين سبحانه أن أهل الكتاب سألو إنزال كتاب من السماء وأن المشركين سألو ذلك ، وبين سبحانه أن الطائفتين لا يؤمنون إذا جاءهم ذلك ، وإنما سألوه تعنتاً . فقال عن المشركين ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألو موسى أكبر من ذلك وهو رؤية الله جهرة ، فهم مع هذا نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله وقتلوا النبيين بغير حق الى أمثال ذلك ، وأنه بسبب ظلمهم وصددهم عن سبيل الله حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم ، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد ﷺ أن هذه الأمة المكذبة الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها لم يكن في مجيئها منفعة لهم ، بل فيها ما يوجب عقوبة الاستئصال اذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها وتغليظ الأمر عليهم ، فكان أن لا ينزل مثل هذه الآيات الموجبة عذاب الاستئصال أعظم رحمة وحكمة ، وقد عرض الله على محمد ﷺ أن يهلك قومه لما كذبوه فقال : بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده الله لا يشرك به شيئاً ، كما في الصحيح عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلاب فلم يجيبني إلى ما أردت ، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فإذا فيها جبريل فناداني فقال : ان الله سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم على وقال : ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعثني اليك لتأمرني بما شئت ، إن شئت أطبق عليهم

الأخشبين ، فقال : أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً »
أخرجاه . ولما طلب من المسيح المائدة كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذاباً لم يعذبه
أحد من العالمين ، قال تعالى ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن
ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ الى قوله ﴿ فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ . وكان
قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين المرسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلاً يهلك الله به
جميع المكذبين كما أهلك قوم نوح ، وكما أهلك عاداً وثموداً وأهل مدين وقوم لوط ، وكما
أهلك قوم فرعون ، وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى أبقى ذكرها وخبرها في الأرض ، إذ
كان بعد نزول التوراة لم يهلك الله أمة بعذاب الاستئصال ، بل قال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى
الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ ، بل كان بنو اسرائيل لما يفعلون ما يفعلون
من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقى بعضهم إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر ، ولهذا لم يزل
في الأرض من بنى اسرائيل أمة باقية ، قال تعالى لما ذكر بنى اسرائيل ﴿ وقطعناهم في الأرض
أمماً منهم الصالحون ﴾ الآية . وقال ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله ﴾ الآيات
وكان من حكمته ورحمته سبحانه لما أرسل محمداً ﷺ أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال
كما أهلكت الأم قبلهم ، بل عذب بعضهم بدون ذلك من أنواع العذاب كما عذب طائفة ممن
كذبه بأنواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ فعذب كل
واحد بعذاب معروف ، كالذي دعا عليه النبي ﷺ أن بسط الله عليه كلباً من كلابه فكان
يحترس بقومه فجاء الأسد فأخذه من بينهم ، وهو من المشهور عند أهل السير وغيرهم ، وهو عتبية
ابن أبي لهب . وكان أبو لهب لما عادى النبي ﷺ أمر ابنه أن يطلق ابنتي النبي ﷺ رقية وأم
كلثوم قبل الدخول ، وقال عتبية لرسول الله ﷺ : كفرتُ بدينك وفارقت ابنتك ، لا تحبني
ولا أحبك . ثم تسلط عليه بالأذى وشق قبضه . فقال رسول الله ﷺ « اللهم سلط عليه كلباً
من كلابك » فخرج في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلاً ،
فطاف بهم الأسد تلك الليلة فجمل عتبية يقول : يا ويل أخي ، هو والله آكلى كما دعا محمد
علي ، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام . فدعا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه . وفي

رواية هشام بن عروة عن أبيه قال : لما طاف الأسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم وجعلوا عتية في وسطهم ، فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ برأس عتية ففدغه . قال تعالى ﴿ قل هل يربصون بنا إلا إحدى الحسين ونحن نربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ﴾ فأخبر أنه يعذب الكفار تارة بعذاب من عنده ، وتارة بأيدي عباده المؤمنين بالجهاد وإقامة الحدود ، وتارة بعذاب غير ذلك . فكان تعذيبهم يمثل هذه الأسباب مما يوجب إيمان أكثرهم ، كما جرى لقريش وغيرهم فانهم لما كذبوه لو أهلكتهم كما أهلكت قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة به عنهم ولم يبق لهم ذرية تؤمن ، بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب ولو بالهزيمة والأسر وقتل بعضهم كما عذبوا يوم بدر فإن في هذا من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم مع بقائهم ، والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها لا تكاد تنصرف عنها ، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها فإن ذلك مما يدعو إلى التوبة كما يقال : من العصاة ألا تقدر . فكان ما وقع بهم تعجيزاً وزاجراً وداعياً إلى التوبة ، ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك ولم يقتل منهم إلا قليل وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة كما روى عن النبي ﷺ أنه قال عن أبي جهل « هذا فرعون هذه الأمة » وقد ذكر الله لموسى في التوراة : إني أقسى قلب فرعون فلا يؤمن بك لتظهر آياتي ومعجائبي ، بين أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته على صدق أنبيائه في الأرض . إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له ، فأظهر الله من الآيات ما يبقى ذكره في الأرض ، وكان في ضمن ذلك من تقسية قلب فرعون ما أوجب إهلاكه وقومه أجمعين . وفرعون كان جاحداً للصانع منكرراً ربوبيته لا يقربه ، فلذلك أتى من الآيات ما يناسب حاله . وأما بنو إسرائيل مع المسيح فكانوا مقرين بالكتاب الأول فلا يحتاجون إلى مثل ما احتاج إليه موسى ، ومحمد لم يكن محتاجاً إلى تقرير جنس النبوة إذ كانت الرسل قبله جاءت بما يثبت ذلك ، وقومه كانوا مقرين بالصانع ، وإنما كانت الحاجة داعية إلى إثبات النبوة له ، ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم ، ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل كما استحقه قوم فرعون وهود وصالح

وشعيب وغيرهم ، فلماذا بين الله في القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم إذ كانوا لا يؤمنون بها ، ولكن تضرهم إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حينئذ ، ومع وجود المانع وعدم المقتضى لا يصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة ، ومن لم يعلم فلا يطلبها نبياً ولا حكمة بل يرد الأمر إلى محض المشيئة ، قال تعالى ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ وهو يعلم أن قلوب هؤلاء كقلوب أولئك الأولين فيكذبون بها فيستحقون ما استحقه أولئك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم قال تعالى ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون . أتواصوا به ﴾ وقال تعالى ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ وقال عن أهل الكتاب ﴿ بضاهنون قول الذين كفروا من قبل ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ أ كفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ، أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ذكر هذا في سورة اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر وإعراضهم عن الآيات وقولهم ﴿ هذا سحر مستمر ﴾ وتكذيبهم واتباعهم أهواءهم ، وقال تعالى ﴿ ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر ﴾ أي من أنبياء النيب وما أخبر به ما فيه مزدجر أي ما يجرهم عن الكفر ، إذ كان في تلك الآيات بيان صدق الرسول والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون ، ولهذا يقول عقيب القصة ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي ، وكيف كان إنذارى بذلك قبل مجيئه ؟ يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل ، وعقوبته لمن كذب . ثم ذكر قصة المكذبين لنوح وهود وصالح ولوط ، إلى قوله ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ فان قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى وجميع آيات الأنبياء ، وكذبوا بجميع الآيات الدالة على وجود الرب وقدرته ومشيبته ، إذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا بآياته كلها . ثم قال ﴿ أ كفاركم خير من أولئكم ﴾ أي كفاركم أيتها الأمة التي أرسل إليها محمد ﷺ خير من أولئكم الذين كذبوا نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً وموسى ﴿ أم لكم براءة في الزبر ، أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ وذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتم إما أن يكون لكونكم خيراً منهم

لا تستحقون مثل ما استحقوا ، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فيكون لكم براءة في الزبر ، فتعلمون ذلك بخبره فان ما يفعله الله تارة يعلم بخبره وتارة لمشيئته وحكمته وعدله ، فاما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه أو من هذا الوجه ، هذا إن نظر إلى فعل الله الذي لا طاقة للبشر به ، وان نظر إلى قوة الرسول وأتباعه فيقولون ﴿ نحن جميع منتصر ﴾ فانهم أكثر وأقوى ، كقوله ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً ﴾ أى أموالاً ومنظراً . فقال تعالى ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ أخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الأتباع وضعف منهم ولا يظن أخذ بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو قبل أن يقاتلهم ، وكان كما أخبر فانهم يوم بدر وغيره هزم جمعهم وولوا الدبر ، وتلك سنة الله في الأولين والآخرين ، وقال تعالى ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً . سنة الله ﴾ الآية . وحيث ظهر الكفار فانما ذلك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم ، ثم إذا تابوا فأكمل إيمانهم نصرهم ، كما قال تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ ولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا . قل هو من عند أنفسكم ﴾ فاذا كان من تمام الحكمة والرحمة ألا يهلكهم هلاك الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم كما قال ﴿ أ كفاركم خير من أولئكم ﴾ كان أن لا يأتى بموجب عذاب الاستئصال مع إتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح المحجة أكل في الحكمة والرحمة ، إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والمهدي وبيان الحجة على من كفر ، وما امتنع به دفع به من عذاب الاستئصال والمهلك والمذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يؤمنوا أو يتوبوا أو يهتدوا . وكان في إرسال محمد ﷺ لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابعة ما لم يكن في رسالة رسول قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

فصل

قال ابن اسحاق : ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من

ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا اليه فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أدينتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن قاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدفوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم : خبيكم الله من ركب ، بئسكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم وتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطعن مجالسكم بعده حتى فارقت دينكم وصدفتموه بما قال ، ما نعلم ركبا أحق منكم . أو كما قالوا لهم . فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا . ويقال : إن نفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان . فيقال والله أعلم : فيهم نزلت هؤلاء الآيات ﴿ والذين آتيناهم الكتاب من قبل هم به مؤمنون ﴾ إلى قوله ﴿ سلام عليكم لا ينتفى الجاهلين ﴾

قال ابن إسحاق : وقد سألت الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت ؟ فقال : ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه ، والآيات نزلت في سورة المائدة يقول الله ﴿ ذلك بأن فيهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾ إلى قوله ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾

قال ابن هشام : وحدثني خالد بن قررة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . اسم الأعشى ميمون بن قيس ، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام ، فقال بمدح رسول الله ﷺ :

ألم تغمض عينك ليلة أرمدا	وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما	تأسيت قبل اليوم صحبة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن	إذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا
كهولا وشباناً فقدت وزوة	فله هذا الدهر كيف ترددا

وما زلت أبغى المال مذ أنا يافع
وأبتذل العيش المراقيل تعلى
ألا أيها ذا السائل أين يمت
فان تسألني عنى فيارب سائل
أجدت برجليها النجاء وراجعت
وفيها إذا ما هجرت عجرية
وأما إذا ما أدجت فترى لها
وآليت لا أوى لها من كلاله
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
نبي يرى ما لا يرون وذكره
له صدقات ما تُغب ونائل
أجدك لم تسمع وصاة محمد
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ندمت على أن لا تكون كمثل
فاياك والميتات لا تقربها
وذا النصب المنسوب لا تنسكته
ولا تقربن جارة كان مرها
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه
وسبح على حين المشيات والضحى
ولا تسخرن من بائس ذى ضرورة

وليداً وكهلاً حين شبت وأمردا
مسافة ما بين النجير فصرخدا
فان لها في أهل يثرب موعدا
حتى عن الأعشى به حيث أصعدا
يذاها خفافاً لينا غير أحردا
إذا خلت حرباء الظهره أصيدا
رقيبين جدياً ما يغيب وفرقدا
ولا من حتى تلاقى محمدا
تراحى وتاقى من فواضله ندى
أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
عولافيت بعد الموت من قد تزودا
فترصد للأمر الذى كان أرسدا
ولا تأخذن سهماً حديداً لنفصدا
ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
عليك حراماً فانكحن أو تأبدا
لعاقبة وصدق وفك المقيدا
ولا تحمد الشيطان والله فاحدا
ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره ، فأخبره
أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير أنه يحرم الزنا . فقال الأعشى :
والله ان ذلك لأمر مالى فيه من أرب . فقال له : يا أبا بصير فانه يحرم الخمر . فقال الأعشى :

أما هذه فوالله ان في النفس منها لعلالات ، ولكني منصور فاتروى منها عامي هذا . ثم آتية فأسلم . فانصرف فمات من عامه ذلك ، ولم يعد الى رسول الله ﷺ

فصل

ولما اشتد البلاء من قريش على رسول الله ﷺ بعد موت عمه أبي طالب من سفهاء قومه وتجرأوا عليه وكاشفوه بالأذى كما تقدم ، خرج إلى الطائف ، ورجا أن يؤووه وينصروه على قومه ، ويمنعوه منهم ، ودعاهم إلى الله ، فلم ير من يؤوى ولم ير ناصرأ ، ونالوه مع ذلك بأشد الأذى ونالوا منه ما لم ينل قومه ، وكان معه زيد بن حارثة مولاه ، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكله ، فقالوا : اخرج من بلادنا ، وأغروا به سفهاءهم . قال موسى بن عقبة : ورجعوا عراقبيه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء . زاد غيره : وكان إذا أذلقته الحجارة قعد الى الأرض فيأخذونه بعضديه ويقيمونه ، فاذا مشى رجوه وهم بضحكون ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً ، فانصرف راجعاً من الطائف الى مكة محزوناً ، وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . أنت أرحم الراحمين ، ورب المستضعفين ، وأنت ربي . الى من تسكني ؟ الى عدو بعيد يتجهمني ، أو الى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » . أورده ابن اسحاق ، وذكر أنه دعا به حين أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وأجأوه إلى حائط اعبية بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فلما اطمان دعا بهذا الدعاء . ورواه الظهري عن عبد الله بن جعفر قال : لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال « اللهم أشكو إليك » فذكره . وقوله

« يتجهمني » بتقديم الجيم على الهاء أى يلقانى بالغاظة والوجه الكريه . فأرسل اليه ربه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة ، وهما الجبلان اللذان هى بينهما ، فقال « بل أستأنى بهم ، اهل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » أخرجاه فى الصحيحين من حديث عائشة

قال ابن اسحق فى روايته : فلما رآه ابنا ربيعة ورأيا مالتى من ثقيف تحركت له رحمها ، فبعثا اليه مع غلامهما عداس النصرانى قطف عنب ، فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فى القطف قال : بسم الله ثم أكل ، ثم نظر عداس الى وجهه وقال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة . فقال له صلى الله عليه وسلم : من أى البلاد أنت ، وما دينك ؟ قال : نصرانى من أهل نينوى قال : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال عداس : وما يدريك ؟ قال : ذلك أخى ، وهو نبى مثلى . فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلهما . قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءها عداس قال له : وبلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى ما فى الأرض خير من هذا ، فقد أخبرنى ما لا يعلمه الا نبى . قالوا : ويحك يا عداس لا بصرفتك عن دينك ، فان دينك خير من دينه

فلما نزل بنخلة فى مرجعه قام يصلى فى جوف الليل ، فصرف الله اليه نفرا من الجن فاستمعوا قراءته ، وكانوا من أهل نصيبين ، فاستمعوا له ولم يشمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما فرغ من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا به وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ الآيات : قال الحافظ ابن كثير : وقد ذكر ابن اسحق خبر خروجه عليه السلام الى أهل الطائف ودعائه إياهم وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين . قال وهذا صحيح ، لكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر ، فان الجن كان استماعهم فى ابتداء الإيحاء ، وبدل عليه حديث ابن عباس عند أحمد قال : كان الجن يستمعون للوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرافىكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا ، وكانت

النجوم لا يرى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب منه ، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث . فبث جنوده ، فاذا بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض . رواه النسائي . قال وخروجه ﷺ إلى الطائف بعد موت عمه

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن يبطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا أنصتوا ، فانزل الله ﷻ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴿ الآيات . فهذا - مع رواية ابن عباس - يقتضى أن رسول الله ﷺ لم يشعر بمحضورهم في هذه المرة ، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج . انتهى

وأقام رسول الله ﷺ بنخلة أياما ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك ؟ يعنى قريشا . فقال : يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر دينه . ثم انتهى إلى مكة ، فأرسل رجلا من خزاعة إلى المطعم بن عدى : أدخل في جوارك ؟ فقال : نعم . ودعا بنيه وقومه فقال : البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت ، فإني قد أجرت محمدا . فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة ، حتى انتهى إلى المسجد الحرام ، فقام المطعم بن عدى على راحلته فنادى : يا معشر قريش ، إني قد أجرت محمدا ، فلا يهيجه منكم أحد . فأنهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته والمطعم بن عدى وولده محققون به بالسلاح حتى دخل بيته

وذكر ابن اسحق أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يدخل مكة بعد رجوعه من الطائف أرسل إلى الاخنس بن شريق : أدخل في جوارك ؟ فقال : إني حليف ، والحليف لا يجير . فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال : إن بني عامر لا تجير على بني كعب ، فبعث إلى المطعم فأجابه إلى ذلك انتهى

فصل

قال العلماء : وجعل رسول الله ﷺ يدعو الى الله ، فأسلم الطفيل بن عمرو الدوسي ودعا قومه الى الاسلام ، ودعا رسول الله ﷺ أن يجعل له آية فجعل الله في وجهه نورا ، فقال : يا رسول الله أخشى أن يقولوا هذه مثله . فدعا له رسول الله ﷺ فصار النور في سوطه ، فهو يعرف بندى النور . فأسلم بعض قومه . فأقام الطفيل في بلاده الى أن هاجر بعد الخندق ما بين السبعين والثمانين بيتا من قومه ، فوافوا رسول الله ﷺ بخيبر . ذكر محمد بن اسحق أنه أسهم لهم ، وأنه كان عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى قبض الله رسوله ، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة الأمدى ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه الى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ، إني رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فادخلتني فرجها وأرى ابني يطلبني طالبا حثيثا ، ثم رأيت حبس عني . قالوا خيرا . قال : أما أنا فقد أولتها . قالوا ماذا ؟ قل فأما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطير الذي خرج من فمي فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر فأغيب فيها ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني . فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبسل فيها ثم قتل عام اليرموك شهيدا في زمن عمر رضي الله عنهما

فصل

ثم أسرى برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام الى بيت المقدس راكبا على البراق صحبة جبريل عليهما السلام ، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماما ، وربط للبراق بحاقة باب المسجد ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس الى السماء الدنيا ، فاستفتح له جبريل ففتح لها ، فرأى هناك آدم أبا البشر فسلم عليه ، فرحب به ورد عليه السلام وأقر بنبوته ، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه ، وأرواح الأشقياء عن شماله . ثم عرج به الى السماء الثانية

فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، فلقبهما وسلم عليهما ، فردا عليه السلام ورحباً به وأقرباً بنبوته . ثم عرج به الى السماء الثالثة ، فرأى فيها يوسف الصديق ، فسلم ورحب به . ثم عرج به الى السماء الرابعة ، فرأى فيها إدريس ، فسلم عليه ورحب به . ثم عرج به الى السماء الخامسة ، فلقى فيها هرون بن عمران ، فسلم عليه ورحب به وأقرباً بنبوته . ثم عرج به الى السماء السادسة ، فلقى فيها موسى ، فسلم عليه ورحب به وأقرباً بنبوته . فلما جاوزه بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : إن غلاماً بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . ثم عرج به الى السماء السابعة ، فلقى فيها إبراهيم ، فسلم عليه ورحب به وأقرباً بنبوته . ثم رفع الى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . ثم رفع له البيت المعمور . ثم عرج به الى الجبار جل جلاله ، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، وفرض عليه خمسين صلاة . فرجع حتى مر على موسى فقال : بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة . فقال : إن أمتك لا يطيقون ذلك ، ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فالتفت الى جبريل كأن يستشيريه في ذلك ، فأشار أن نعم إن شئت . فعلا جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه . هذا لفظ البخاري في صحيحه في بعض الطرق ، فوضع عنه عشراً . ثم نزل حتى مر بموسى فأخبره ، فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف . فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه تعالى حتى جعلها خمسا . فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف ، فقال : قد استحييت من ربي ، ولكن أرضى وأسلم . فلما نفذ نادى مناد : قد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبدي

واختلف الصحابة رضي الله عنهم : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه . وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده . وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك وقالوا : إن قوله ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ إنما هو جبريل . وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ؟ قال « نور ، أرى أراه » ؟ أي حال بيني وبين رؤيته النور ، كما في اللفظ الآخر « رأيت نورا » . وعند ابن خزيمة عن أبي ذر قال : رآه بقلبه ، ولم يره بعينه . وبهذا يبين مراده في حديث أبي ذر بذكر النور ، أي أن النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره . ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالماً بالله على

الدوام ، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره . وروى ابن خزيمة عن أنس قال : رأى محمد ربه . وإسناده قوى . وروى يونس عن ابن اسحق عن داود بن الحصين قال : سألت مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم . وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن النصري ، وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، قال الزهري : ليست عندنا أعلم من ابن عباس . وفي تفسير ابن سلام عن عروة ، أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة للرؤية يشتد عليه . وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدا رأى ربه . ومن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام أحمد بن حنبل ، فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي : قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية ، فبأى معنى تدفع قولها ؟ قال : يقول النبي ﷺ « رأيت ربي » قول النبي أكبر من قولها . وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وليس قول ابن عباس أنه رآه مناقضا لهذا ، ولا قوله رآه بفؤاده . وقد صح عنه أنه قال « رأيت ربي تبارك وتعالى » ولكن لم يكن هذا في الاسراء ، ولكن كان بالمدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تلك الليلة . وعلى هذا بنى الإمام أحمد فقال : نعم رآه ، فإن رؤيا الانبياء حق ولا بد . ولكن لم يقل أحد إنه رآه يقظة . ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه . ولكن مرة قال : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده . فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه - يعني بعيني رأسه - وهذه نصوصه موجودة ليس فيها ذلك . ومن العلماء من جمع بين حديثي عائشة وابن عباس وقال : إن عائشة أنسكت رؤية العين ، واحتجت بقوله « لا تدركه الأبصار » وابن عباس ذكر رؤية الفؤاد ، ولا مناقاة بينهما . ومنهم من جعلهما قولين مختلفين . وأكثر أهل السنة يرجحون قول ابن عباس لما فيه من الإثبات ، ومن قل أن النبي ﷺ رآه بعينه في الدنيا فهو أيضا غلط قائل قولاً لم يقله أحد من الصحابة ولا الأئمة . والمنقول في رؤية العين في الدنيا عن النبي ﷺ كانه كذب موضوع باتفاق أهل العلم ، وكذلك عن أحمد فانه لم يقل قط انه رآه بعينه . وأما أحاديث المراج فليس في شيء منها ذكر رؤيته البتة أصلاً .

قالوا جب اتباع الآثار الثابتة في ذلك . وما كان عليه السلف والأئمة هو اثبات مطلق
الرؤية بالقواد . انتهى كلامه

فصل

فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى ، فاشتد
تكذيبهم له وأذاهم ، ومرّ به أبو جهل عدو الله فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزى :
هل كان من شيء ؟ قال : نعم . قال : وما هو ؟ قال أسرى بي الليلة . قال : إلى أين ؟ قال :
إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرائنا ؟ قال : نعم . قال فلم يُره أنه يكذبه مخافة
أن يحمده الحديث إن دعا قومه إليه . قال : إن دعوت قومك أمحدثهم بما حدثتني به ؟ قال :
نعم . قال : يا معشر بني كعب بن لؤي . فانقضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليها .
فقال : حدث قومك بما حدثتني . فقال رسول الله ﷺ : إني أسرى بي الليلة . قولوا : إلى
أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرائنا ؟ قال : نعم . فمن بين مصعق ،
ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً . فقال الماطم بن عدي : كل أمرك قبل اليوم كان تماماً
غير قولك [هذا] . أنا أشهد أنك كاذب . نحن نضرب أ كباد الإبل إلى بيت المقدس
مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً ، تزعم أنك أتيت في ليلة اللات والعزى لا أصدقك . فقال
أبو بكر : يا مطعم بن شمس ما قلت لابن أخيك ، جهته وكذبتة . أنا أشهد أنه صادق . فقالوا :
يا محمد ، صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل ؟ وفي القوم
من سافر إليه . فذهب ينعت لهم : بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا . فإزال ينعت
لهم حتى التبس عليه النعت ، فكرب كرباً ما كرب مثله ، فجىء بالمسجد حتى وضع دون
دار عقيل أو عقال . فقالوا : فكم للمسجد [من باب] ؟ ولم يكن عدّها . فجعل ينظر إليه
ويعدّها باباً باباً ويعلمهم ، وأبو بكر يقول : صدقت ، أشهد أنك رسول الله . فقال القوم :
أما النعت فوالله لقد أصاب . فقالوا لأبي بكر : فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء
قبل أن يصبح ؟ قال : نعم إني لأصدقته بما هو أبعد من ذلك ، أصدقته بخبر السماء في غدوة أو
روحة . فبذلك سمى أبو بكر « الصديق » . ثم قالوا : يا محمد ، أخبرنا عن غيرنا . فأخبرهم عنها

فی مسراه ورجوعه ، وأخبرهم عن وقت قدومها ، وعن البعير الذى يقدمها . وكان الأمر كما قال . فرموه بالسحر وقالوا : صدق الوليد . ولم يزدكم ذلك إلا ثبوراً ، وأبى الظالمون إلا كفوراً

فصل

عن الزهري قال : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة . وقال السدي بستة عشر شهراً ، وقال ابن عبد البر وغيره : كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران . والصحيح أن الإسراء مرة واحدة ، وقيل مرتان : مرة يقظة ومرة مناماً ، وأرباب هذا القول كأئهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله « ثم استيقظت » وبين سائر الروايات . ومنهم من قال مرتين قبل الوحي لقوله في حديث شريك : وذلك قبل أن يوحى إليه . ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث . وقد صرح بعض من المتأخرين بأنه عليه السلام أمرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء ، ومن ظن بهذا المسلك فانه ظن بشيء تخلص به من الإشكالات . فهذا بعيد جداً ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ، قاله ابن كثير في التفسير . وقال صاحب الهدى رحمه الله : والصواب الذى عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة . ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مراراً كيف ساغ لهم أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وموسى حتى تصير خمساً فيقول : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي . ثم يعيدها في المرة الثانية الى خمسين ثم يحطها عشرأعشراً . وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المسند منه ثم قال : فقدم وأخر وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله . انتهى . وحكى القاضى عياض عن الزهري أنه كان بعد المبعث بخمس سنين ، ورجعه القرطبي والنووي واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة رضى الله عنها صلت معه بعد فرض الصلاة ، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث وإما بخمس ، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء . وتعقب بأن موت خديجة بعد

المبعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان ، وذلك قبل أن تفرض الصلاة . ويؤيده إطلاق حديث عائشة بأن خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المتمد . وأما تردده في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر . وقيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة ، قاله ابن حزم وادعى فيه الإجماع . وذكر النووي في فتاويه أنه كان في ثالث عشر ربيع الآخر ، وقال في شرح مسلم : في ربيع الأول ، وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسي . والله أعلم

فصل

في مبدأ الهجرة التي فرق الله فيها بين أوليائه وأعدائه

وجعلها مبدأ لإعزاز دينه ونصر عبده ورسوله

قال الترمذي : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي الموسم كل عام ينبع الناس في منازلهم وفي المواسم بمكاه ومجنته وذى المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلم يجد أحداً ينصره ولا يجيبه ، حتى لبسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فإذا تم كنتم ملوكا في الجنة ، وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب . فيردون على رسول الله ﷺ أفبح الرد ويؤذونه ويقولون : أمرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، وهو يدعوهم إلى الله ويقول : اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا قال : وكان ممن سمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث ابن كعب وعذرة والحضارمة . فلم يستجب منهم أحد ، انتهى . وذكر بعض أهل السير عن

ابن عباس قال : حدثني علي بن أبي طالب قال : لما مر رسول الله ﷺ على قبائل العرب خرج هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وأنا معه ، فدفننا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر اليهم - وكان رجلاً نساباً - فلم عليهم ، فردوا عليه ، فقال : من القوم ؟ قالوا من ربيعة . فقال من هانتها أم لهازمها ؟ قالوا : من هانتها المعطي ، قال وأي هانتها المعطي أتم ؟ قال : ذهل الأكبر . قال : فمنكم عوف الذي يقال فيه « لا حُرُّ بوادي عوف » ؟ قالوا لا . قال : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللوا ومنتهى الأحيا ؟ قالوا لا . قال : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا لا . قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبا أنفسها ؟ قالوا لا . قال : فمنكم المزدلف صاحب العمارة ؟ قالوا لا . قال : فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا ، قال : فأنتم أصهار الملوك من نخم ؟ قالوا لا . قال : فلستم ذهل الأكبر ، أتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من بني شيبان قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال له : يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكذبك شيئاً ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش . فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة ، فمن أي القرشيين أنت ؟ قل : من ولد تميم بن مرة . فقال الفتى أمكنت والله الراى من سواء الثغرة ؟ أمنكم قصى الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى في قريش مجمماً ؟ قال لا ؟ قال : فمنكم هاتم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف ؟ قال لا . قال فمنكم شيبه الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء ، الذي كان كالقمر بضوء في الليلة الداجنة الظلماء ؟ قال لا . قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال لا . قال : فمن أهل الحجابة ؟ قال لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا . قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال لا . قال : فمن أهل الرفاة أنت ؟ قال لا . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعاً إلى رسول الله ﷺ ، فقال الغلام :

صادف در السيل در آيدفنه يُهَيِّضُهُ حِينًا وَحِينًا بِصَدْعِهِ

والله لو شئت أخبرتك من أي قريش أنت ؟ فبسم رسول الله ﷺ . فقال علي : يا أبا بكر ، وقعت من الأعرابي على باقة . فقال : أجل يا أبا حسن ، ما من طامة إلا وفوقها

طامة ، والبلاء موكل بالمنطق . قال السهيلي ^(۱) : وزاد قاسم بن ثابت تكملة للحديث قال : ثم
دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر فسلم . قال علي : وكان أبو بكر
في كل خير مقدماً ، فقال : ممن القوم ؟ فقالوا من شيبان بن ثعلبة ، قالت أنت أبو بكر إلى
رسول الله ﷺ وقال : بأبي أنت وأمي ، هؤلاء غرر في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهانيء
ابن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك . ومفروق قد غلبهم جمالا ولسانا ، وكان له
غديرتان تسقطان على تربيته ، فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال أبو بكر : كيف
المدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على الألف . كيف المنعة فيكم ؟ ولن تغلب الألف من قلة .
فقال مفروق : علينا الجد والجهد ولكل قوم حد . فقال أبو بكر : وكيف الحرب بينكم وبين
عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً لحين نأتي ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين
نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يدلنا
مرة ويدل علينا أخرى . لعلك أخو قريش . فقال له أبو بكر : أوقد بلغكم أنه رسول الله
فها هو ذا . فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، قالى م تدعو إليه يا أخا قريش ؟ فتقدم
رسول الله ﷺ فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول
الله والى أن تؤوونى وتنصرونى ، فان قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت
بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد . فقال مفروق : وإلى م تدعو إليه أيضاً يا أخا
قريش ؟ فقال رسول الله ﷺ ﴿ قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ،
وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ الآية فقال مفروق : وإلى م تدعو
أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء
ذى القربى ﴾ الآية فقال مفروق : دعوت الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن
الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك . وكأنه أراد أن يشرك فى الكلام هانيء

ابن قبيصة فقال : وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا . فقال هانيء : قد سمعتُ مقاتلك يا أخا قريش ، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لو هنّ في الرأي وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر . وكأنه أحب أن يشرك في الكلام المثني بن حارثة فقال : وهذا المثني بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثني : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش ، والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك في مجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين صريان اليمامة والسماعة . فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصريان ؟ فقال أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ، لا نحدث حدثاً ولا تؤوي حدثاً . وإني أرى أن هذا الأمر مما نكرهه الملوك ، فإن أحببت أن تؤويك وتنعرك مما يلي مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم في الرد إذ أنصحتم بالصدق ، فإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه ، إرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم ويفرثكم نساءهم ، أنسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا . فتلا رسول الله ﷺ ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً ﴾ ثم نهض النبي فأخذ بيدي أبي بكر فقال : يا أبا بكر ، يا أبا حسن ، أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها ، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم . قال : ثم دفننا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فأنهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ وكانوا صدقاً صبراً . انتهى

فصل

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله سبحانه إظهار دينه وإعزاز نبيه وإبجاز موعده له ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً ،

قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ قال : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج . قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا نعم . قال : أفلا تجلسون أكلكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم الى الله و عرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم كانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزوهم ببلادهم ، فسكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم : ان نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه تتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه . فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فمضى الله أن يجمعهم بك ، فسنقدم عليهم وندعوكم ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين الى بلادهم قد آمتوا وصدقوا

قال ابن اسحاق : وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى السبخة أمهات زرارة وهو أبو أمامة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن هفراء ، ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رابع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، ومن بنى سلعة قطبة بن عامر بن حنيفة ، ومن بنى حرام بن كعب عقبة بن عامر ، ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلة بن عامر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد . انتهى . وليس بجابر بن عبد الله بن عامر بن حرام . قلت : قال بعضهم ومن أهل العلم بالسير من يسقط حارب بن زريق بن عامر بن حرام بن الصامت . فقال لهم النبي ﷺ : أتمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فقالوا نعم . قال الله إنما كانت بعث عام الهول يوم من أيامنا اقتلنا به ، فان تقدم ونحن كذا لا يكون يومنا اجتماع ، فدعنا حتى نرجع الى عشارنا لعل الله يصلح ذات بيننا ويدعوهم الى ما دعوتنا اليه .

فصى الله أن يجمعهم عليك ، فان جمعهم عليك واتبوك فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم للعام القابل ، وانصرفوا إلى المدينة

قال ابن اسحق : فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا رسول الله ، ودعواهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ . حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر ، فلقوه بالعقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب . ثم عدم ابن اسحق فذكر الستة الأول خلا جابر بن عبد الله بن رثاب فلم يحضرها ، والسبعة تمة الاثنى عشر : معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو بن عفراء أخو المذكور ، وذكوان بن عبد قيس الزرقى ، وقيل إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها معه فهو مهاجرى أنصارى ، قتل يوم أحد . وعبادة بن الصامت بن قيس . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوى . والعباس بن عباد بن نضلة من بنى سلمة . فهؤلاء من الخزرج . ومن الاوس رجلان : أبو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الأشهل وعويم بن ساعدة . فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء ، أى وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة . قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأبى بهتان نفترقه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف ، والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم . قال عليه الصلاة والسلام « فان وفيتم فلكم الجنة ، ومن غشى عن ذلك شيئا كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه . أخرجه البخارى في صحيحه باخصر من هذا فيما رأيت . وفي رواية له : قال عبادة إنى من التقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نزنى ولا نقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ولا ننتهب نهبه ولا نعصى ، بالجنة ان فعلنا ذلك ، وان غشينا من ذلك شيئا كان قضاء ذلك إلى الله ، انتهى . وفي رواية له : ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور ، ومن ستر الله عليه فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

وقال أبو الزبير عن جابر : ان النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم ومجئة وعكاظ وفي منازلهم من هي « من يؤوبني ومن ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤوبه ، حتى ان الرجل ليرتحل من مصر واليمن الى ذوى رحه فيأتيه قومه فيقولون له : احذر غلام قريش لا يفتنك . ويمشي بين رجالهم يدعوهم الى الله وهم يشيرون اليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به يقرئه القرآن ، فينقلب الى أهله فيسلمون باسلامه ، وحتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ، وبعثنا الله اليه فائتمرتنا ، وأجمعنا وقتلنا : حتى متى رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم ، فواعدناه بيعة العقبة ، فقال له عمه العباس : يا ابن أخي ، ما أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك ، اني ذو معرفة بأهل يثرب . فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين ، فلما نظر العباس في وجوهنا قال : هؤلاء القوم لا نعرفهم ، هؤلاء أحداث . فقلنا : يا رسول الله ، على ما نبايعك ؟ قال « على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قدمت علىكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ، ولكم الجنة » فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين - فقال : رويدا يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب اليه أكباد المعلى إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وان إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فاما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجرم على الله ، وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذرکم عند الله . فقالوا : يا أسعد أمط عننا يدك ، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها . فقبنا اليه رجلا رجلا فأخذ علينا البيعة يعطينا بذلك الجنة . رواه الامام أحمد بإسناد حسن ، وصححه الحاكم وابن حبان . ثم انصرفوا الى المدينة فأظهر الله الإسلام

وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ، وكتبت الاوس والخزرج الى النبي ﷺ ابعت اليها من يقرئنا القرآن ، فبعث اليهم مصعب بن عمير وعمرو بن أم مكتوم الأعمى ،

فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة . وروى عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة ، وم الذين سموا الجمعة . قالت الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك ، فلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ونذكر الله ونصلي ونشكر الله كما قالوا ، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى واجعلوا يوم العروبة . فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين ، فصلى بهم الجمعة حين اجتمعوا اليه ، فذبح لهم شاة فتغدوا وتمشوا من شاة ، وذلك لقاتهم ، فأنزل في ذلك بعد ﴿ فاذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ﴾ . قال السهيلي : ومع توفيق الله لهم فيبعد أن يكون ذلك من غير إذن من النبي ﷺ . ثم ذكر ما رواه الدارقطني عن ابن عباس قال : اذن رسول الله ﷺ بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله ﷺ أن يجمع بمكة ولا يبدى لهم ، فكتب الى مصعب بن عمير أن يجمع بهم . الحديث . وكانوا أربعين رجلا . فأسلم على يدى مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار ، وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ وأسيود بن حضير ، وأسلم باسلامهما جميع بنى عبد الأشهل في يوم واحد : الرجال والنساء ، ولم يبق منهم أحد إلا أسلم ، حاشا الأصيرم - وهو عمرو بن ثابت بن قيس - فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد ، فأسلم يومئذ واستشهد ، ولم يسجد لله سجدة . وأخبر ﷺ انه من أهل الجنة . ولم يكن في بنى عبد الأشهل منافق وولا منافقة ثم رجع مصعب الى مكة في العام المقبل ، وقدم على رسول الله ﷺ معه في ذى الحجة أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلا ، وهى العقبة الثالثة . وقال ابن سعد : يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان ، وقال ابن اسحق : ثلاثة وسبعون وامرأتان ، ووافى في الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين ، وزعم القوم البراء بن معرور ، فلما كانت ليلة العقبة الثالث الأول من الليل تسلل الى رسول الله ﷺ منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان : نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار وأسماء ابنة عمرو ابن عدى إحدى نساء بنى سلمة

وفي حديث كعب بن مالك عند ابن اسحق قال : فاجتمعنا في الشعب فنظرت رسول الله

ﷺ ، حتى جاءنا ومعهم العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال : يا معشر الخزرج - قال وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج ، خزرجها واوسها - إن محمداً منا حيث علم ، وقد منعناه من قومنا ، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبي إلا الانحياز اليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم اليه وماعونته ممن خالفه فأنتم وما تحلمت من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده . قال فقلنا له : سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . قال فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا الى الله ورجب في الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم . قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق ، لنمنعك مما تمنع منه أزربنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كآباء عن كآباء . قال فاعترض القوم - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالا ، ونحن قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنتم مني وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم . قال ابن هشام : والهدم الحرمة ، أي دمي دمكم وحرمتي حرمتكم . قال كعب بن مالك في حديثه : وقد كان قال رسول الله ﷺ : أخرجوا الى منكم اثني عشر نقيبا حتى يكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس . وهم أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وكان إسلامه تلك الليلة ، وسعد بن عباد ، والمنذر بن عمرو ، وعبادة بن الصامت . فهؤلاء تسعة من الخزرج . ومن الأوس ثلاثة : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيشمة ، ورفاعة بن عبد المنذر . وقيل أبو الهيثم بن التيهان مكانه . قال كعب بن مالك في حديثه : فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجبابج - والجبابج

للنازل (۱)۔ هل لكم في مذمم والصبأة معه ، قد اجتمعوا على حريمكم . فقال رسول الله ﷺ :
 هذا أرب العقبة ، هذا ابن أرب ، اتسمع أي عد ، والله والله لأفرغن لك . ثم قال رسول
 الله ﷺ : ارفضوا الى رحالكم . قال فقال له العباس بن عباد بن نضلة : والله الذي
 بعثك بالحق إن شئت لتميلن على أهل منى بأسيافا . قال فقال رسول الله ﷺ : لم تؤمر
 بذلك ، ولكن ارجعوا الى رجالكم . قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما
 أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا : يا مشر الخزرج ، إنه قد بلغنا
 أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، والله
 ما من حى من العرب أبغض الينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال فانبعث من هناك
 من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه . قال : وصدقوا ، لم يعدوا . قال
 وبعضنا ينظر الى بعض . قال : وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومي وعليه
 نعلان له جد يدتان ، قال قلت له كلمة كأي أريد أن أشرك القوم بها في ما قالوا : يا أبا
 جابر ألا تستطيع أن تتخذ - وأنت سيد من ساداتنا - مثل نعل هذا الفتى من قريش ؟ قال
 قسمها الحارث فخلعها من رجله ثم رما بهما الى وقال : والله لتنتعلنهما . قال يقول أبو جابر :
 مه ، أحفظت والله الفتى ، فاردد اليه نعليه . قال قلت : والله لا أردهما ، قال صالح ، والله ان
 صدق الفأل لأسابته . انتهى . وجعل عبد الله بن أبي يقول : هذا باطل ، وما كان هذا ،
 وما كان قومي ليفتثوا على بمثل هذا ، لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤصروني .
 فرجعت قريش من عندهم ، ثم وجدوا الخبر قد كان ، فخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد
 ابن عباد والمنذر بن عمرو وكلاهما كان نقيبا ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه
 وربطوا يديه الى عنقه بنسج رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه فيذبونه بجمته وكان
 كثير يهيم ، فجاء جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل والحارث بن حرب أهية فخلصاه من
 أيديهم ، وكان ينعمهم ممن أراد ظلهم بيلاده إذا مروا بتجارهم . وتشاورت الأنصار حين

(۱) جمع جججب (بالضم) : المستوى من الأرض . وهي هنا منازل منى

قدوه أن يكروا اليه ، فاذا هو قد طلع عليهم ، فرحل القوم جميعا الى المدينة . وقال ضرار ابن الخطاب بن مرداس :

تداركت سعداً عنوة فأسرته وكان شفائى لو تداركت منذرا
ولو نلته طلّت دماء جراحه وكان حقيقاً أن يهان ويهدرا

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت فيها فقال :

لست إلى سعد ولا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
قلولا أبو وهب لمرت قصائد الى شرف البرقاء يهونن حسرا
أتفخر بالسكتان لما لبسته وقد يلبس الأتباط ريطاً مقصراً
[فلا تك كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصرا]^(۱)
ولا تك كالشكلى وكانت بمعزل عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا
ولا تك كالشاة التى كان حتفها بحفر ذراعها فلم ترض محفرا
ولا تك كالعاوى وأقبل نحره ولم يبخشه سهم من النبل مضرا
فأنا ومن يهدى القصائد نحونا كستبضع تمرا الى أهل خيبرا

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح وكان ابنه معاذ بن عمرو من شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ ، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بنى سلمة وشريفاً من أشرفهم ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له « مناة » كما كانت الأشراف يصنعون ، يتخذها إلهاً يعظمه ويظهره ، فلما أسلم فتيان بنى سلمة - معاذ بن جبل ، وابنه^(۲) معاذ بن عمرو - في فتیان منهم من أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدجلون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بنى سلمة وفيها عند الناس منكساً على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا

(۱) سقط من الأصل ، وأكملناه من سيرة ابن هشام

(۲) أى ابن عمرو بن الجموح

على إلهنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يعود ويلتمسه حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيتنه . فاذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه فعملوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهره ويطيبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكلوا عليه استخرجوه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال : انى والله ما [أعلم من] صنع بك ما ترى ، فان كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بجبل ، ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سبعة فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عليه عمرو فلم يجده فى مكانه الذى كان فيه ، فخرج يتبعه حتى وجدته فى تلك البئر منكساً مقروناً بكلب . فلما رآه أبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم بوجه الله وحسن إسلامه ، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف - وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العناء والضلالة - فقال :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أغت و كلب وسط بئر فى قرآن
أف لما قاك إلهاً مستدن الآن فتشاك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتين

[بأحمد المهدي النبي المؤمن (١)]

فصل

قال ابن اسحاق : فلما أذن الله لرسوله فى الحرب ، وبأبىه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له وللمن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين . أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والمهجرة إليها واللحوق بأخوانهم من الأنصار وقال : إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً آمنون بها . فخرجوا

(١) سقط من الاصل ، وأكمل عن السيرة لابن هشام

أرسالا ، وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل حجة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدم على رسول الله ﷺ من أرض الحبشة ، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً ، وحبت عنه امرأته أم سلمة ، ثم كان أول مقدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدى بن كعب مع امرأته ليلي بنت أبي خيثمة ، ثم عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد الله بن جحش وهو أبو أحمد ، وكان أبو أحمد رجلاً ضريب البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فنقلت دار بني جحش هجرة ، فربها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل ابن هشام وهم مصعدون إلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها ليس فيها ما كن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال :

وكل دار وإن طالت سلامتها يوماً ستدركها النكباء والحبوب^(١)
كل امرئ، بقاء الموت مرتين كأنه غرض الموت منصوب

وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام ، وقد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ رجالهم ونسائهم : عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة بن وهب وأريد بن جهيرة ومنقذ بن تباتة وسعيد بن قيس ومحرز بن نضلة ويزيد بن رقيش وقيس بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وغيرهم ، ومن نسائهم زينب بنت جحش أم المؤمنين وأم حبيبة بنت جحش وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف

(١) الحوب : التوجع ، وقيل الحاجة ، ويقال الاثم أيضاً

- وهي التي كانت تستحاض - وحننة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير
- وكانت تستحاض أيضاً - وجدامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة
وأمنة بنت ثمامة . وقال أبو أحمد بن جحش في ذلك شعراً :

لو حلفت بين الصفا أم أحمد ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الألى كنا بها ثم لم نزل بمكة حتى عاد غمنا سمينها
بها خيمت غم بن دودان وابنت وما أن غدت غم وخف قطينها
إلى الله تغدو بين مثنى وواحد ودين رسول الله بالحق دينها

ونزل عمر بن الخطاب ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو
وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي وكان صهره على ابنته حفصة خلف
عليها رسول الله ﷺ بعده ، وسعيد بن زيد وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولي ابن
خولي ومالك بن أبي خولي حليفان لهم وبنو البكير أربعتهم : إياس بن البكير وعافل وخالد
حلفاؤهم من بني سعد نزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بقباء ثم تابع المهاجرون ، فنزل طلحة بن
عبيد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن أساف أخي بلحارث بن الخزرج بالسنح ،
ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار . قال ابن هشام : وبلغني أن صهيباً
حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكل مالك عندنا وبلغت
الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب :
أرايتم إن جعلت لكم مالي ، أتخلون سبيلي ؟ قالوا نعم . قال : فاني قد جعلت لكم مالي ،
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب

قال ابن إسحاق ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن
حصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة بن عبد المطلب وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله
ﷺ على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء ، ويقال بل نزلوا على سعد بن
خيشمة ويقال بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار ونزل عبيدة بن الحارث بن

المطلب وأخواه الطفيل والحسين ابنا الحارث ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب وسويبط بن سعد بن حريملة أخو بني عبد الدار وطلب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة ابن غزوان على عبد الله بن مسleme أخى بلعجلان بقاء ، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بلعارث بن الخزرج ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة ابن أبي رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ أخى بني عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولا وكان مائة لثبته بنت يعار بن زيد سيده فانقطع الى أبي حذيفة بن عتبة فتبناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة ، ويقال كانت ثبته بنت يعار تحت أبي حذيفة فأعتقت سالماً مائة فقيل سالم مولى أبي حذيفة . ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر أخى بني عبد الأشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت في دار بني النجار فلذلك كان حسان يحب عثمان ويكيه حين قتل

فصل

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعه وأصحاب من غيرهم بدم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج فعرفوا أن الدار دار منعة ، وأن القوم أهل حلقة وبأس وشوكة ، فخافوا خروج رسول الله ﷺ اليهم ولحوقه بهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة ، ولم يتخلف أحد من ذوى الرأي والحجى منهم ليتشاوروا في أمره

قال ابن اسحق : فحدثني من لا أنهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك وانعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بت له ، فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصيحاً . قالوا : أجل فادخل . فدخل

معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش ، فقال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً . قال فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله : زهير والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثرونكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره . فتشاوروا في أمره ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألقتنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقته وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأياً غير هذا . فقال أبو جهل : والله إن لى فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه . فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل ففعلناه لهم . قال يقول الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى لا رأى غيره . فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له ، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى ونسج بردى هذا الحضرمى الأخضر فم عليه ، فانه لا يخلص اليك شيء تكرهه ، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : ان محمداً يزعم أنكم إن تابعتوه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها . قال فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدكم . وأخذ الله على أبصارهم عنه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من بس ﴿ يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ﴾ إلى قوله ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ حتى فرغ من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب . فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً . قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه التراب ، وانطلق لحاجته . أفما تزون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ثم يطالعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على عن الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا . وقال غير ابن إسحاق : وهم أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأممية بن خلف وربيعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج . وفي رواية ابن أبي حاتم مما سمحه الحاكم من حديث ابن عباس : فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً

قال ابن إسحاق : وأنزل في ذلك مما اجتمعوا له ذلك اليوم ﴿ وإذ يـكـر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ الآية . وقوله ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾

فصل

قال ابن إسحاق : وأذن الله لرسوله عند ذلك في الهجرة إلى المدينة ، قال ابن عباس بقوله ﴿ وقل رب أدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ فروى الترمذي وصححه عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ بمكة ، ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله عليه ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ وقال الحسن وقتادة : ﴿ مدخل صدق ﴾ يعني المدينة ﴿ وأخرجني مخرج صدق ﴾ يعني مكة . وقال قتادة : علم نبي الله أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل الله سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله وأقراض الله وإقامة دين الله ، فان السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديد ضعيفهم . وذكر الحاكم أن خروجه عليه الصلاة والسلام كان بعد العقبه بثلاثة أشهر أو قريباً منها ، وذكر الأمامي في مغازيه عن ابن إسحاق : كان مخرجه من مكة بعد العقبه بشهرين وليال . قال : وخرج لهلال ربيع الأول ، وقدم للمدينة لاثنتي عشرة خلت منه . قال الحاكم : تواترت الأحاديث أن خروجه يوم الإثنين ودخوله المدينة يوم الاثنين . إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال : خرج من مكة يوم الخميس وخروجه من الفار كان ليلة الاثنين ، لأنه أقام فيه ثلاث ليال : ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، وخرج أثناء ليلة الاثنين ، وأخبر علياً بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس . وفي الصحيح عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ للمسلمين : إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة . وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ : علي ريسك ، فاني أرجو أن يؤذن لي . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : نعم . فجلس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وقد علف راحلتين كانتا عنده ورق السم وهو الخبط أربعة أشهر ، قالت عائشة : فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل

لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنماً - في ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر فدى له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فاذن له ، فدخل فقال لأبي بكر : أخرج من عندك ، فقال : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله . قال : فاني قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحبة بأبي يا رسول الله . قال : نعم . قال : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين . قال رسول الله ﷺ : بالثمن . قالت عائشة : فجهزناهما أحسن الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطته بها على فم الجراب ، فبذلك سميت « ذات النطاقين » . وأقام رسول الله في بيت أبي بكر إلى الليل ، ثم لحقا بغار ثور في جبل ثور . وروى أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر ليلا إلى الغار ، فكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ثقف لقف ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش كبائت ، فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيبيت عندهما يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ، وكان دليلهم عبد الله بن أريقط اللبثي هادياً خريئاً . والخرئيت الماهر بالهداية ، استأجراه وأمناه ، فدفا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ، وكان على دين قومه . وذَكَرَ الحاكم في مستدركه عن عمر قال : خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر إلى الغار ، فجعل يمشى مرة عن يمينه ومرة عن يساره ومرة عن أمامه ومرة خلفه ، فقال له رسول الله ﷺ : ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف هذا من خاتك ، قال : يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك . فقال : يا أبا بكر ، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ؟ قال : نعم والذي بعثك بالحق . انتهى . وكان رسول الله ﷺ يمشى تلك الليلة على أطراف قدميه كي يخفي أثره حتى حفيت قدماه ، فحمله أبو بكر وهو يشتد به حتى أتى به الغار ، فأنزله وقال : يا رسول الله دعني أدخل قبلك ، فان كان فيه حية أو شيء كان بي دونك . فقال : ادخل ،

فدخل أبو بكر وجعل يلتمس بيده ، وكما رأى جحراً قال بثوبه فشقه ثم ألقه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع ، قال فبقي جحر فوضع عقبه خشية أن يخرج على النبي ﷺ منه شيء يؤذيه ، وكان فيه حيات وأفَاع ، ثم دخل رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال له النبي ﷺ : ابن ثوبك يا أبا بكر : فأخبره بالذي صنع ، فرم النبي ﷺ يديه وقال : اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة . فأوحى الله إليه : إن الله قد استجاب لك

وجدت قريش في طلبهما وخرجوا يقتصون أثر رسول الله ﷺ وأبي بكر ، وأخذوا معهم القافة حتى وصوا إلى الغار . وفي مسند البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار ، وإن ذلك مما صد المشركين عنه . فلما أتوا الغار طارت الحمامتان ورأوا البيض ونسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هاهنا لتكسر البيض ولم يكن عليه نسج العناكب ، فصرفهم الله عز وجل بذلك عنه . فني الصحيحين عن أنس أن أبا بكر قال : نظرت إلى أقدام المشركين فوق رأسنا ونحن في الغار ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا . فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا . وروى أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال : إن قتلتُ فأنما أنا رجل واحد ، وإن قتلتَ أنت هلكت الأمة . فعندها قال له رسول الله ﷺ ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ يعني بالمعونة والنصر ، فأنزل الله سكينته - وهي أمانة تسكن عندها القلوب - على أبي بكر ، لأنه كان منزحاً ، وأيده بجنود لم تروها ، يعني الملائكة ليحرسوه في الغار ، أو ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته ، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود ، فهو سبحانه على كل شيء قدير لطيف لما يشاء ، إن شاء ربط العالم بخيط عنكبوت ، وإن شاء بأسباب غير ذلك . ومكثا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطاب

وفي حديث عائشة فأتاها عبد الله بن أريقط بالراحتين صبح ثلاث ، وانطلق معها عامر بن فهيرة فأخذ بهما الدليل طريق السواحل ، وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلوهما

وتأييده بصحبتهما وإسعاده برحاهما وينزلها ، ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن
جاء بهما دية كل واحد منهما ، فجدّ الناس في الطلب ، والله غالب على أمره ولا يكثر
للناس لا يعلمون

وفي المتفق عليه من حديث البراء عن أبي بكر قال : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا
ليلتنا ويومنا ، حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت هل أرى من ظل فأوى إليه ، فإذا
أنا بصخرة فأتيتها فإذا بقية ظلها ، فسويته لرسول الله ﷺ ، وفرشت له فروة ، ثم قلت له :
اضطجع يا رسول الله . فاضطجع . ثم خرجت أنظر ما حولي هل أرى أحدا من الطاب ، فإذا
أنا براعى غنم يسوق غنمه الى الصخرة يريد منها الذي أردنا ، فسألته لمن أنت يا غلام ؟ فقال :
لرجل من قريش ، فسماه فمرفته ، فقلت : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلت : فهل
أنت حالب لنا ؟ قال نعم . فامرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار
ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال هكذا فضرب إحدى كفيه بالآخرى ، فحلب لي كئبة من
لبن ، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة فصبيت على اللبن حتى برد أسفله . فانطلقت
به إلى النبي ﷺ ، فوافقتة وقد استيقظ ، فقلت : أشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت .
ثم قلت : قد آن الرحيل ، فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير مراقه بن مالك
المدلجي على فرس له ، فقلت : هذا الطاب قد لحقنا يا رسول الله ، فقال : لا تحزن إن الله
معنا . فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت به فرسه الى بطنها ، أرى في جلد من الأرض ، شك
زهير . فقال : إني أرا كما قد دعوتما على ، فادعوا الله لي ، فإله لكما أن أراد عنكم الطاب ،
فدعا له النبي ﷺ فنجأ ، فحمل لا يلتقى أحدا إلا قال : قد كفيتم ، ما ههنا . ولا يلقى أسدا
إلا رده

وفي حديث ابن شهاب قال : أخبرني عبد الرحمن بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه
سمع مراقه بن مالك بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يحملون في رسول الله ﷺ وأبي
بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره . فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني

مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقة إني قد رأيت آتفا أسودة بالساحل ، أراها محمدا وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا . ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ ، فأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت ، فخطت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها ، فدفعها تقرب بي حتى دنوت منهم ، فعثرت بي فرسي ، فخررت عنها ، فقامت فأهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الأزام ، فاستقسمت بها : أضرم ، أم لا ؟ فخرج الذي أكره . فركبت فرسي وعصيت الأزام تقرب بي ، حتى إذا سمعت رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزام ، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالآمان : قفوا ، فركبت فرسي حتى جثمت ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قالا : أخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ . انتهى حديث الزهري . فقيل : إن الكتاب كان معه الى يوم فتح مكة ، فجاء بالكتاب فوفى له رسول الله وكان يوم وفاة وبر ، فكان اول النهار جاهدا عليهما ، وآخره حارسا لهما

فصل

ثم مضى رسول الله ﷺ فيمن معه فروا بخيتمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة جلده برزة تحبني بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقي من مر بها . فسألاها : هل عندها شيء يشترونه ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، والشاء عازب ، وكانت سنة شهباء ، فنظر رسول الله ﷺ الى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت هذه شاة

خلفها الجهد عن النعم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك . قال : أفأذنين لي أن أحلبها . قالت : نعم ، بأبي وأمي ، إن رأيت بها حليباً فأحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها في شاتها ، فتفاجت فدرت واجترت . فدعا باناء لها يربض الرهط فحلب فيه حتى علت الرغوة ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب ﷺ آخرهم ، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل ، ثم حلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناء فغادره عندها ، ثم ارتحلوا عنها ، فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزاً عجافاً يتساوكن هزلاً ، فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة في البيت ؟ فقالت لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . قال : والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه ، صفيه لي يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضوء حسن الخلق لم تبعه نحلة - و يروى نحله بالنون والحاء - ولم تزر به صعلة كأن عنقه إبريق فضة ، وسيم جسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع وفي لحيته كثافة ، ذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما به وعلاه البهاء ، وكان منطقته خرزات نظم ينحدرن ، حلو المنطق فصل ، لا تزر ولا هنر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربة لا تشنؤه عين من طول ولا تقتمه من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإن امر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند . فقال : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، وذكر لنا من أمره ما ذكر . ولو كنت أنا وافقته لالتمت أنت أصحابه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً

قالت أسماء بنت أبي بكر : ولما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فخرجت إليهم فقال : أين أبوك ؟ فقلت : والله لا أدري أين أبي . فرم أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم وجهي لطمه خرج منها قرطى . قالت : ثم انصرفوا ، فبقي ثلاث ليال ما ندري أين توجه رسول الله ﷺ ، حتى أتى رجل من أسفل مكة يعني

بآیات والناس یسمعون صوته ولا یرونه ، وهو ینشد هذه الآیات :

جزی اللہ رب الناس خیر جزائه
 ہا نزلا بالسبر وارتمحلا بہ
 فیال قصی ما زوی اللہ عنکم
 فا حملت من ناقة فوق رحلها
 وأکسی ابرد الحال قبل ابتذاله
 لیبن نبی کعب مکان فتاتهم
 سلوا أختکم عن شأتها وإنأها
 دعاها بشاة حائل فتحلبت
 ففادرها رهنا لديها بحالب
 رفیقین حلاخیمتی ، أم معبد
 فأفلح من أمسی رفیق محمد
 بہ من فعال لا یجاری وسؤدد
 أبر وأوفی ذمۃ من محمد
 وأعطی رأس السابح المتجرد
 ومقعدھا للؤمنین بمرصد
 فانکو إن تسالوا الشاة تشهد
 له بصریح خرة الشاة مزبد
 یرددها فی مصدر ثم مورد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا أين توجه رسول الله ﷺ . رواه ابن اسحق والطبرانی

وغيرها . فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف :

لقد خاب قوم زال عنهم نبیهم
 ترحل عن قوم فزالت عقولهم
 هدام به بعد الضلالة ربهم
 وقد نزلت منه علی أهل یثرب
 فهل یتوی ضلال قوم تسفہوا
 نبی یری ما لا یری الناس حوله
 وإن قال فی یوم مقالة غائب
 لیبن أبا بکر سعادة جسده
 وقد سر من یسری الیهم ویفتدی
 وحل علی قوم بنور مجدد
 وأرشدہم ، من یتبع الحق یرشد
 ركب هدی حلت علیهم بأسعد
 عمی ، وهداة یهتدون بهتد
 ویتلو کتاب اللہ فی کل مسجد
 فتصدیقها فی ضحوة الیوم أو غد
 بصحبته ، من یسعد اللہ یسعد

ویروی أن الشاة التي لمس رسول الله ﷺ ضرعها وحلبها بقيت عند أم معبد حتى كان زمن الرمادة في سنة ثمان عشرة من الهجرة في خلافة عمر رضي الله عنه فهلكت ، قالت أم

معبد : وكنا نخلبها صبوحا وغبوقا وما في الأرض قليل ولا كثير . أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي . ثم إن أم معبد هاجرت الى النبي ﷺ وأسلمت

ولقي النبي ﷺ في أثناء الطريق الزبير بن العوام في ركب من المسلمين قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابا بيضا

فصل

قال ابن شهاب في حديثه عن عروة : وبلغ المسلمين خروج رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ، فحملوا يقدون كل غداة الى الحرة فينظرون حتى يردم حر الظهيرة . فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم ينظر لأمر يريده ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن نادى بأعلى صوته : يا معشر العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون . فبادر المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو ابن عوف ، وذلك يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا ، فطلق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس حينئذ رسول الله ﷺ . انتهى . وكبر المسلمون فرحا بقدمه وسمعت الوجبة والتكبير في بني عمرو بن عوف . وخرج المسلمون للقائه ، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة ، وأحدقوا به مطيفين حوله ، والسكينة تنشاه ، والوحي ينزل عاياه ، والله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ، فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، فنزل على كلثوم ابن الهدم ، وقيل على سعد بن خيشمة ، ونزل أبو بكر بالسنع على حبيب بن أساف أخى بني الحارث بن الخزرج ، وقيل على خارجة بن زيد ، وأقام على رضى الله عنه بمكة حتى أدى ودائع كانت عند رسول الله ﷺ للناس ثم لحق بالمدينة ، ونزل مع النبي ﷺ بقباء أياما ، فاقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة ، وأسس مسجد قباء ، وهو أول مسجد أسس

على التقوى بعد النبوة ، فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له ، وفي حديث أنس عند البخارى فأرسل الى بنى النجار فجاءوا متقلدين لسيوفهم ، قال : وكأني أنظر الى رسول الله ﷺ وأبو بكر على ردفه وملاً بنى النجار حوله . انتهى . فادركته الجمعة فى بنى سالم بن هوف ، فجمع بهم فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، ثم ركب ناقته وأرخى زمامها لا يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا ، فلم تزل ناقته سائرة ، ولا يمر بدار من دور الأنصار الا رغبوه فى النزول عليهم ويأخذون بخطام راحلته : هلم الى العوذ والعدة والسلاح والمنعة . فقال : خلوا سبيلها فانها مأمورة فلم تزل سائرة به حتى وصلت الى موضع مسجده اليوم فبركت ، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قايلا ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول فنزل عنها ، وذلك فى بنى النجار أخواله ، وكان ذلك من توفيق الله لها ، فانه أحب أن ينزل على أخواله بكرمهم بذلك ، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم ، وبادر أبو أيوب الانصارى الى رحله فأدخله ، فجعل رسول الله ﷺ يقول « المرء مع رحله » . وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده . وفى رواية أنس عند البخارى : فقال نبي الله ﷺ : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يارسول الله ، هذه دارى ، وهذا بابى . قال : فانطلق فهى لنا مقبلا قال : قوما على بركة الله . فلما جاء نبي الله جاء عبد الله بن سلام يسأله عن أشياء قال إني سألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه . قال أخبرني به جبريل آتفا . قال ابن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة . قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد الى أبيه واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأنت جئت بحق . وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم ، فادعهم فاسألم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فانهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى . فأرسل نبي الله الى اليهود فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا إله إلا هو إنكم لتعملون أنى رسول الله حقا

وَأَنى جئتم بحق ، فأسلموا . قالوا : ما نعلمه . قالوا ذلك للنبي ﷺ ثلاث مرار ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا . قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ، ما كان ليسلم . قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم . قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم . قال : يا ابن سلام اخرج عليهم ، فقال : يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق . فقالوا : كذبت . وقالوا : شرنا وابن شرنا ونقصوه . فقال : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله : فأخرجهم رسول الله ﷺ

ومن مقدمه ﷺ أرخ التاريخ في زمن عمر إلى يومنا هذا ، فروى البخارى في صحيحه عن سهل بن سعد قال : ما عدوا من مبعث النبي ، ولا من وقاته ، ما عدوا إلا من مقدمه للمدينة

وقال البراء : أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجملا يقرئان الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، ثم جاء رسول الله ﷺ ، فما رأيت الناس فرحوا بشىء فرحهم به ، حتى رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون : هذا رسول الله ، قد جاء رسول الله . وقال أنس : شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا ، وشهدته يوم مات ، فما رأيت يوماً قط كان أقبح ولا أظلم من يوم مات . فقام ﷺ في منزل أبي أيوب حتى بنى مسجده وحجرته ، ومبعث رسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبارافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة ، فقدا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيد وأمه وأم أيمن . وأما زينب فلم يمكثها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج ، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان . وفي الصحيح عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير ، قالت فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقاء ، ثم أتيت النبي ﷺ فوضعت في حجره ثم دعا

بشجرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ . ثم حنكه بشجرة ، ثم دعا له وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة . وفيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم

فصل

في بناء المسجد

قال الزهري في حديثه عن عروة : بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجده ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين . وكان مربدا لسهيل وسهل غلامين يتيمن من الأنصار ، وكان في حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله ﷺ : هذا إن شاء الله المنزل . ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذ مسجداً ، فقالا : يا رسول الله بل نهيه لك ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً . وفي حديث أنس في الصحيح : ثم أرسل إلى بني النجار فقال : يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . قال وكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت ، وبالنخرب فسويت ، وبالنخل فقطع ، قال فصفوا النخل قبلة المسجد . قال وجعلوا عضادته حجارة . قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول :

اللهم انه لا خير إلا خير الآخرة ، فانصر الأنصار والمهاجرة ..

وفي حديث الزهري عن عروة : وطلق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن :

هذا الحمال لا حال خبير هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول : اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بيت شعر رجل من المسلمين لم يسم لي . انتهى . وقال غيره : ووضع عليه الصلاة والسلام ، فوضع الناس وهم يقولون :

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل
وآخرون يقولون :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

وجعلت قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب في مؤخره ، وباب يقال له باب الرحمة ، والباب الذي يدخل منه عليه السلام . وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه ، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع ، وجعل عمده الجذوع ، وسقفه بالجريد ، وجعل عضاديه الحجارة . وقيل له : ألا تسقفه ؟ فقال : لا عريش كعريش موسى . وبني بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بالجريد والجذوع

فلما فرغ من البناء بنى بعائشة رضي الله عنها في البيت الذي بناه لها شرق المسجد شارعاً إلى المسجد ، وهو مكان حجرته اليوم ، وجعل لسودة بيتاً آخر

وفي الصحيح عن عائشة قالت : تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فزلنا في بني الحارث بن الخزرج ، فوعكتم فتمزق شعري ، فأنتني أم رومان - وإني لفي أرجوحة ومعى صواحب لي - فصرخت بي ، فأتيها ولا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى وقفتني على باب الدار واني لأنهج ، حتى سكن نفسي ، ثم أخذت شيئاً من ماء فسحبت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فاذا نسوة من الأنصار ، فقلن : على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فأسلتني اليمن وأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ، فأسلتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين

وفيه عن عروة قال : توفيت خديجة قبل نخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث ، فابث

منقین أو قریباً من ذلك ، ونسكح عائشة وهى بنت ست سنين ، وبنى بها وهى بنت تسع سنين . قال أبو عمرو وكان نكاحه عليه السلام لها فى شوال ، وابتنى بها فى شوال ، وكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها فى شوال على أزواجهن ، وكانت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه ، وكانت إذا هويت الشئ تابعها عليه ، ولم يتزوج بكرة غيرها . وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين ، ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة . وكانت فقيهة عالة فصيحة ، كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ . انتهى

وكان فى مؤخر المسجد موضع مظلل يأوى إليه المساكين يسمى « الصفة » ، وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه ، ويتعشى طائفة منهم معه

فصل

ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلاً : نصفهم من المهاجرين ، ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام ، إلى وقعة بدر . فلما أنزل الله ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾ رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة . وقد قيل إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه ، والثبت الأول ، فأخى بين جعفر بن أبى طالب وهو غائب بالحبيشة ومعاذ بن جبل ، وآخى بين أبى بكر وخارجة ابن زيد ، وآخى بين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك من بنى سالم ، وآخى بين عبد الرحمن ابن عوف وبين سعد بن الربيع ، وآخى بين الزبير بن العوام وبين سلمة بن سلامة بن وقش وقيل كعب بن مالك السلمى ، وقيل بل آخى بين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك ، وآخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ، وآخى بين سعيد بن زيد وبين أبى بن كعب ، وآخى بين مصعب بن عمير وبين أبى أيوب ، وآخى بين أبى حذيفة بن عتبة وبين عباد بن بشر الأشهل ، وآخى بين عمار بن ياسر وبين حذيفة بن اليمان العيسى حليف بنى عبد الأشهل ، ويقال بل ثابت بن قيس بن الشماس ، وآخى بين أبى ذر الغفارى وبين المنذر

ابن عمرو وهو نقيب بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وأخى بين حاطب بن أبي بلتعة حليف
بني أسد بن عبد العزى وبين عويم بن ساعدة أخى بني عمرو بن عوف ، وأخى بين سلمان
الفارسي وأبي الدرداء عويم بن ثعلبة ، وأخى بين بلال وبين أبي رويحة عبد الله بن
عبد الرحمن الخثعمي ، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ
أخوين ، وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين

قال ابن إسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجدُ بيني ، أخذته
الذبحه أو الشبهة ، وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال : بئس الميت أبو أمامة ليهود
ومنافق العرب ، يقولون : لو كان نبياً لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لأصاحبي من الله
شيئاً . وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه لما مات اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ
- وكان أبو أمامة نقيبهم - فقالوا : يا رسول الله إن هذا الرجل قد كان عنا حيث قد علمت ،
فاجعل لنا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم . فقال لهم رسول الله ﷺ : أنتم أخوالي
وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم . وكره رسول الله ﷺ أن يخص بها بعضهم دون بعض ،
فكان من فضل بني النجار - الذي يعدون على قومهم - أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم ،
والله أعلم

فصل

قال ابن إسحاق : فلما اطمان رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ،
واجتمع أمر الأنصار استحکم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت
الحدود وفرض الحلال والحرام ، وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة إنما يجتمع للناس
للصلاة حين موابقتها لغير دعوة ، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق اليهود الذي
يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ،
فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأذنان ، فأتى رسول الله ﷺ فقال :

یا رسول الله ، إنه طاف بی هذه الليلة طائف ، مر بی رجل علیه ثوبان أخضران یحمل ناقوساً فی یده ، فقلت : یا عبد الله أتبع هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال قلت : ندعو به إلى الصلاة . فقال : أفلا أدلك على خیر من هذا ؟ قلت : بلی فما هو ؟ قال تقول : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حی على الصلاة حی على الصلاة ، حی على الفلاح حی على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : إنها لرؤیا حقٍ إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها علیه فلیؤذن بها فإنه أندی صوتاً منك . فلما أذن بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فی بيته فخرج وهو یجر رداءه وهو یقول : یا نبی الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد رأیت مثل الذي رأى . فقال رسول الله ﷺ : فله الحمد . قلت : رواه أبو داود بإسناد صحیح . وقد استشكل إثبات حکم الأذان برؤیا عبد الله لأن رؤیا غیر الأنبياء لا یبنی علیها حکم شرعی . وأجیب باحتمال مقارنة الوحي لذلك ، ویؤیده ما رواه عبد الرزاق وأبو داود فی المراسیل من طریق عبید بن عمیر اللیثی أحد كبار التابعین أن عمر لما رأى الأذان جاء لیخبر النبی ﷺ ، فوجد الوحي قد ورد بذلك ، فمراعه إلا أذان بلال ، فقال له النبی ﷺ « سبقتك بذلك الوحي » . وفي الصحیح عن أنس قال : لما كثرت المسلمون ذكروا أن یعدوا وقت الصلاة بشيء یعلمونه ، فذكروا أن یوروا ناراً ، أو یضربوا ناقوساً ، فذكروا اليهود والنصارى ، فأمر بلال أن یشفع الأذان وأن یوتر الإقامة . وفيه عن ابن عمر : كان المسلمون حين قدموا للمدينة یجتمعون فیتحینون الصلاة لیس ینادی لها ، فسكلموا يوماً فی ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقاً مثل بوق اليهود ، فقال أولو لا تبعثون رجلاً منكم ینادی بالصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ « قم یا بلال فناد بالصلاة » انتهى

قال بعض أهل السیر : ولما كان بعد شهر من مقدمه علیه السلام زید فی الحضر ركعتان ركعتان ، وترکت صلاة الفجر لطول القراءة فیها ، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار ، وأقرت

صلاة السفر . وفي البخارى عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم جاء ﷺ المدينة
فرضت أربعاً وترك صلاة السفر على الفريضة الأولى

فصل

قال ابن إسحق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا
مفتون أو محبوس ، ولم يوجب من مكة أهل هجرة بأهلهم وأموالهم إلى الله وإلى رسوله إلا
أهل دور بسمون بنى مظعون من بنى جُحج وبنو جحش بن رثاب حلفاء بنى أمية وبنو البكير
من بنى سعد بن ليث حلفاء بنى عدى بن كعب ، فان دورهم أغلقت بمكة هجرة . ولما خرج
بنو جحش من دارهم عدا عليها أبو سفیان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخى بنى عامر
ابن لؤى ، فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفیان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش
لرسول الله ﷺ ، فقال له : أما ترى يا عبد الله أن الله يعطيك بها داراً فى الجنة ؟ قال بلى .
قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة كلمه أبو أحمد فى دارهم فأبطأ عليه رسول الله
ﷺ ، فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجموا فى شىء من
أموالكم أصيب منكم فى الله ، فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ ، وقال :

أبلغ أبا سفیان عن أمر عواقبه فداه
دار ابن عمك بعثا تقضى بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامه
أذهب بها ، أذهب بها طوقها طوق الحمامه

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى
مسجده ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم تبق دار من دور الأنصار
إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأميه ، وتلك أوس الله - وهم حى من
الأوس - فانهم أقاموا على شركهم ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وهو صيفى
وكان شاعراً لم يسمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى

مضى بدر وأحد والخندق . قال ابن عبد البر عن ابن إسحق : إنه أسلم يوم الفتح بعد أن صار إلى مكة مع قريش ، وذكر الزبير بن بكار أنه لم يسلم قال ابن إسحق فلما اطمانت برسول الله ﷺ داره ، وأظهر الله بها دينه ، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني النجار - وهو الذي كان قد تهرب ولبس المسوح وفارق الأوثان كما قدمنا من ذكره ، ثم أسلم فحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوالا بالحق معظما في جاهليته - فقال حين أسلم يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم :

نوى في قريش بضع عشر حجة
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلما أتانا أظهر الله دينه
وألنى صديقا وأطمأنت به النوى
يقص لنا ما قال نوح لقومه
وأصبح لا يخشى من الناس واحداً
بذلنا له الأموال من جل مالنا
ونعلم أن الله لا شيء غيره
وفي رواية :

ونعلم أن الله لا رب غيره
نعادى الذى عادى من الناس كلهم
أقول إذا أدعوك فى كل بيعة
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة
فطأ معرضاً إن الختوف كثيرة
فو الله ما يدرى الفتى كيف يتقى
ولا تحفل النخل المقيمة ربيها
وأن كتاب الله أصبح هادياً
جميعاً وإن كان الحبيب المصافياً
تباركت قدأ كثر لاسمك داعياً
حنانك لا تظهر على الأعداء
وإذك لا تبقى لنفسك باقياً
إذا هو لم يجعل له الله واقياً
إذا أصبحت ربا وأصبح ثاويها

فصل

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة كما تقدم ، وأيده الله بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم ، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج ، وكان أولى من أنفسهم ، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب والله يأمرهم بالصبر والعفو والصفح ، حتى قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرض عليهم ، فقال تعالى ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ قال غير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد ابن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة : هذه أول آية نزلت في الجهاد . وفي سنن النسائي والترمذي عن ابن عباس قال : لما خرج النبي ﷺ قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن . فأنزل الله ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ الآية . زاد الإمام أحمد في روايته : وهي أول آية نزلت في القتال . انتهى . وعلل الأذن بأنهم ظلموا ، وكانوا يأتون النبي ﷺ ما بين مضروب ومشجوج ، فيقول لهم : اصبروا ، فإني لم أوامر بالقتال . حتى هاجر فاذن له في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية . قال ابن إسحاق : أي إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أنهم يعبدون الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . يعني رسول الله ﷺ

ثم أنزل الله ﴿ وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ﴾ أي لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون الدين لله أي حتى يعبدوا الله لا يعبدوا معه غيره

وقد قالت طائفة : إن هذا الإذن كان بمكة والسورة مكية ، وهذا غلط لوجوه : أحدها أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال ، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة . الثاني أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم ، فانه قال ﴿ الذين

أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴿ . الثالث أنه خاطبهم في آخرها بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ والخطاب بذلك كله مدني ، وأما الخطاب بيا أيها الناس فمشارك ثم فرض عليهم القتال - بعد ذلك - لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان للقتال محرماً ، ثم ما ذووناً فيه ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين ، إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع الأربعة . أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية ، وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء

فصل

وكان صلى الله عليه وسلم يستحب القتال أول النهار كما يستحب الخروج للسفر أوله ، فإذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ، وكان يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يفرّوا ، وربما يبايعهم على الموت ، و يبايعهم على الجهاد كما يبايعهم على الإسلام ، و يبايعهم على الهجرة قبل الفتح ، و يبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله ، و يبايع نقرأ من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً ، وكان السوط يسقط من يد أحدهم فينزل فيأخذه ولا يقول لأحد ناواني إياه . وكان يشاور أصحابه في الجهاد ولقاء العدو أو تخير المنازل ، وفي المسند عن أبي هريرة : ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان يتخلف في ساقهم في المسير فزجى الضعيف ويردف المنقطع ، وكان أرفق الناس بهم في السير . وكان إذا أراد غزوة وري غيرها ، وكان يقول « الحرب خدعة » ، وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه ، ويطلع الطلائع ويبيت الحرس . وكان إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله ، وخفضوا أصواتهم . وكان يرتب الجيش والمقاتلة ويحمل في كل جنبه كفوفاً لها ، وكان يبارز بين يديه بأمره ، وكان يلبس للحرب عدة ، وربما ظاهر بين

درعين ، وكان له الأولوية ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرضتهم ثلاثاً ثم قفل . وكان ربما يبيت عدوه وربما فاجأهم نهاراً ، وكان يجب الخروج بكرة يوم الخميس ، وكان يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه ، وكان إذا لقي العدو يقول : « اللهم منزل الكتاب ، ومجربى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وزلزمهم . اللهم أنزل نصرك ، اللهم أنت عضدى ونصيرى ، بك أقاتل » وكان إذا اشتد البأس وحى الحرب وقصده العدو يعلم بنفسه ويقول « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، وكان البأس إذا اشتد اتقوا به ، وكان أقربهم إلى العدو ، وكان يجعل لأصحابه شعاراً في الحرب يعرفون به إذا تكلموا ، وكان يجب الخيلاء في الحرب وقال : ان منها ما يجب الله ، ومنها ما يبغضه الله . فأما الخيلاء التي يجبها فاختيال الرجل نفسه عند اللقاء واختياله عند الصدقة ، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي والفجور . وقاتل مرة بالمنجنيق نصبه على أهل الطائف . وكان ينهى عن قتل النساء والولدان ، وكان ينظر في المقاتلة فمن رآه أبت قتله ومن لم يثبت استحياءه . وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول : سيروا بسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ، ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً . وكان ينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو وكان يأمر أمير سرية أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة ، أو الإسلام دون الهجرة ويكونوا كأعراب المسلمين ليس لهم في الفى نصيب ، أو بذل الجزية . فان أجابوا إليه قبل منهم ، وإلا استعان بالله وقاتلهم . وكان إذا ظفر بعدوه أمر منادياً فجمع الغنائم كلها ، فبدأ بالأسلاب فأعطاهم لأهلها ، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله وأمر به من مصالح المسلمين ، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعيبد ، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش : للفارس ثلاثة أسهم له سهم وصهمان لفرسه ، وللراجل سهم . هذا هو الصحيح الثابت عنه ، وكان ينقل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة ، وقيل : بل كان النقل من الخمس ، وقيل - وهو أضعف الأقوال - بل كان من خمس الخمس ، وجمع لسلة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفارس فأعطاه خمسة أسهم لعظم غنائمه في تلك الغزوة . وكان يسوى بين الضعيف وغيره في القسمة ما عدا النقل . وكان إذا أغار في

أرض العدو أو بعث سرية بين يديه فما غنمه أخرج خمسة ونقلها ربع الباقي وقسم الباقي بينهم وبين سائر الجيش ، وإذا رجع فعل ذلك ونقلها الثلث . ومع ذلك كان يكره النفل ويقول : ليرد قوئ المؤمنین علی ضعیفهم . وكان له سهم من الغنيمة يدعى « الصفي » إن شاء عبداً وإن شاء فرساً يختاره قبل الخمس ، وقالت عائشة : وكانت صفة من الصفي ، رواه أبو داود . وكان سيفه ذو الفقار من الصفي . وكان يسهم لمن غاب لمصلحة المسلمين . وكانوا يستأجرون الأجير للغزو على نوعين : أحدهما أن يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره ، والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج للجهاد ، ويسمون ذلك الجمائل ، وفيها قال النبي ﷺ « للغازی أجره ، وللجاعل أجره وأجر الغازی » . وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضاً : أحدهما شركة الأبدان ، والثاني أن يدفع الرجل إلى الرجل بغيره أو فرسه يغزو عليها على النصف مما غنم ، حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قدحه والآخر نصله وريشه . وقال ابن مسعود : اشتركت أنا وعمار وسعد فيما نصيب يوم بدر ، فجاء سعد بأسيرين ولم أجدني أنا وعمار بشيء . وكان يبعث السرية فرساناً تارة ورجالة أخرى ، وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح ، وكان المسلمون يصيبون في مغازيتهم العسل والعنب والطعام فياً كلونه ولا يرفعونه في المغنم . قال ابن عمر : إن جيشاً غنموا في زمن رسول الله ﷺ طعاماً وعسلاً فلم يؤخذ منهم الخمس رواه أبو داود

فصل

وكان ينهى في مغازيته عن التهي والمثلة وقال « من اتهم نهبه فليس منا » ، وأمر بالقدور التي طبخت من الذهب فأكفت . وروى البخاري في صحيحه في باب ما يكره من ذبح الإبل والغنم في المغنم عن رافع قال : كنا مع النبي ﷺ بذى الحليفة فأصاب الناس جوع وأصبنا إبلًا وغنمًا - وكان النبي ﷺ في أخريات الناس - فعبجوا فنصبوا القدور ، فأمر بالقدور فأكفت . . الحديث . وذكر أبو داود عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس مجاعة شديدة وجهد ، وأصابوا غنمًا فانتهبوها ، وإن قدورًا

لغلى إذ جاء رسول الله يمشى على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه ، ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال « ان النهبة ليست بأحل من الميتة ، وإن الميتة ليست بأحل من النهبة » . وكان يشدد في الغلول جداً ويقول « عار ، ونار ، وشنار على أهله يوم القيامة » . ولما أصيب غلامه مدعم قال بعض الصحابة : هنيئاً له بالجنة . قال « كلا والذي نفسى بيده ، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغنم من المقاسم لاشتعل عليه نارا » فلما سمع ذلك للمسلمون جاء رجل بشراك أو شراكين ، فقال النبي ﷺ « شراك أو شراك كان من نار » وكان إذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى في الناس فيجيبون مغنمهم ، فيخمسها ويقسمها . فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر ، فقال : ما منعك أن تجيء به ؟ فاعتذر ، فقال : كن أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله عنك . وأمر بتحريق متاع الغال وضربه ، وأحرقه الخليفتان الراشدان بعده ، فقيل هذا منسوخ بسائر الأحاديث التي ذكرت ، فإنه لم يجيء التحريق بشيء منها ، وقيل وهو الصواب : إن هذا من باب التعزير وهو العقوبات المالية الراجعة إلى اجتهاد الأمة بحسب المصلحة ، فإنه حرق وترك ، وكذلك من بعده . وكان هديه في الأسارى أنه كان يمنّ على بعضهم ويقتل بعضهم ويفادى بعضهم بالمال وبعضهم بأمرى المسلمين ، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة

فصل

قال ابن إسحاق : ونصبت أخبار يهود العداوة لرسول الله ﷺ بغياً وحسداً وضغناً لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم . قلت : وقد ذكر غيره أن رسول الله ﷺ قد كان وادعهم وكتب بينه وبينهم كتاباً ، وكانوا ثلاث قبائل : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة . فخاربه الثلاث ، فنّ على بنى قينقاع ، وأجلى بنى النضير ، وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم ونسأهم . ونزلت سورة الحشر في بنى النضير ، وسورة الأحزاب في بنى قريظة . وبادر حبرهم وعالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام كما تقدم ، وكان من بنى قينقاع ، وأبى عامتهم إلا الكفر والعناد

قال ابن إسحاق : وظاهرهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان على جاهليته فكاثروا

أهل نفاق وعلى دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جنّة من القتل . وكان هوامم مع يهود لتكذيبهم النبي ﷺ ، وكانت أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل عليه فيما يسألونه ، إلا قليلا من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألونه عنها . منهم : حُي بن أخطب وأخوه ياسر ابن أخطب وجدّي بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور - وهو الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ بخيبر - والربيع بن الربيع ابن أبي الحقيق وعمرو بن جعاش وكعب بن الأشرف - وهو من طي ثم أخو بني نهبان - وأمه من بني النضير . فهؤلاء من بني النضير . وعبد الله بن صوريا الأعور ولم يكن في زمانه بالحجاز أعلم منه بالتوراة وابن صلوياء ، ومخبريق وكان خيبرم وكان حبراً عالماً وكان غنياً كثير الأموال وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال : يا معشر اليهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : ان اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت في هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول : مخبريق خير يهود . وقبض رسول الله ﷺ أمواله فعامه صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها

وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : حدثت عن صفية بنت حُي أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، ولم ألقهما قط مع ولد لها إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حُي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين . قالت : فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس . قالت : فأتيا كالبين كسلانين ساقطين يمسيان الهويتا . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله

ما التفت إلى واحد منهما مع ما بهما من النعم . وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي :
أهو ، أهو ؟ قال : نعم والله . قال : تعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك ؟ قال
عداوته والله ما بقيت

قال ابن اسحاق : وكان ممن يسمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج زوى بن
الحارث والحارث بن سويد بن الصامت . قال ابن حزم : قتله رسول الله ﷺ قوداً . وكان
أخوه خلاد بن سويد من فضلاء المسلمين . وكانت لأخيها الجلاس بن سويد نزعة ثم لم ير
منه إلا خير وصلاح وإسلام إلى أن مات . قلت : يريد ما ذكره ابن اسحاق أنه قال : اثن
كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الخير . فأنزل الله فيه ﴿ يجلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر ﴾ . قال ابن اسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته . وبتل بن الحارث وهو
الذي قال له رسول الله ﷺ « من أحب أن ينظر إلى الشيطان فينظر إلى نبتل بن الحارث »
وكان رجلاً جسيماً أدم ثائر الرأس أحمراً العينين أسفع ، ونجاد بن عثمان بن عامر وأبو حبيبة
ابن الأزعر وهو أحد أصحاب مسجد الضرار ، وعباد بن حنيف وكان أخوه مهمل من خيار
المسلمين ، ونجرج وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خذام وعبد الله بن نبتل وجارية
ابن عامر بن العطف . قال ابن حزم : وقد ذكر ابنه زيد ومجمع ولم يصح عن مجمع إلا الخير
والقرآن والإسلام ، لسكنه كان أبوه قدمه ليصلي بهم في مسجد الضرار ، وذكر ابن اسحاق
أنه قال لعمر : والله يا أمير المؤمنين ما علمت بشيء من أمرهم . ووديعه بن ثابت وهو ممن بنى
مسجد الضرار . قال وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب . وخذام بن خالد وهو الذي
أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد وصرع بن قبيلى وأخوه أوس بن قبيلى
وحاطب بن أمية بن رافع وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له زيد بن حاطب . وقزمان
حليف لهم فقاتل يوم أحد قتلاً شديداً فأخبر النبي ﷺ فقال : هو من أهل النار ، فعجب
الناس من ذلك ، فلما اشتد به الأمر قتل نفسه

قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة ، إلا أن الضحاك بن

ثابت كان يتهم بذلك . ومن الخزرج ثم من بنى النجار رافع بن ودبعة وزيد بن عمرو وعمرو
ابن قيس وقيس بن عمرو . ومن بنى سلمة الجدي بن قيس وهو الذي قال : يا محمد ائذن لي
ولا تفتني . ومن بنى عوف بن الخزرج عبد الله بن أبي سلول ، وكان رأس المنافقين واليه
يجتمعون ، وكان ابنه عبد الله من صلحاء المسلمين . وكان قوم من اليهود يتهودون بالاسلام
وهم يبطنون الكفر ، منهم سعد بن حنيف وزيد بن اللصبت ونعمان بن أوفى وعثمان بن أوفى ،
ورافع بن حريملة وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ فيما بلغنا حين مات : قد مات اليوم عظيم
من عظماء المنافقين ، ورفاعة بن زيد بن التايوت وسلسلة بن برهام وكنانة بن سوريا . وكان
هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون
بدينهم ، ففي هؤلاء من المنافقين - من أخبار يهود ، ومن الأوس والخزرج - نزل صدر سورة
البقرة فيما بلغني

وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون به على الأوس
والخزرج قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفرعوا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال
لهم ماذا بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ،
فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث ونصفونه لنا بصفته .
فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي نذكره لكم .
فأنزل الله في ذلك ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ وقال ابن صلويا لرسول الله ﷺ : يا محمد
ما جئنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فتبعك لها . فأنزل الله في ذلك من
قوله ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ وقال رافع بن حريملة
ووهب بن زيد : يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه ، ونجرب لنا أنهاراً تتبعك
ونصدقك ، فأنزل الله في ذلك من قولها ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من
قبل ﴾ الآية . وكان حي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود حسداً للعرب ،
إذ خصهم الله برسوله ﷺ ، فكـ . جهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله

تعالى ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ الآية

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورجبهم فيه وحذرهم عذاب الله وتقمته ، فقال له رافع بن خارجه ومالك بن عوف : بل تتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم منا وخيراً منا ، فأنزل الله في ذلك ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ الآية

قال ابن إسحاق : ومرو شأس بن قيس وكان شيخاً قد عتا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فقاظه ما رأى من إلفهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بنى قيلة في هذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار . فأمر فتى شاباً من يهود كان معه فقال : اعد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار ، وكان يوم بعث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج ، فكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك أبو أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى فقتلا جميعاً . قلت : وفي الصحيح عن عائشة قالت : وكان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة وقد افترق ملأهم وقاتل سراتهم في دخولهم في الإسلام . قال ابن إسحاق : ففعل الفتى ، فتكلم القوم عند ذلك وتفاخروا حتى تواب رجلان من الحيين على الركب - أوس بن قيطلى أحد بنى حارثة بن الحارث ابن الأوس ، وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج - فتناولوا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : ان شتم رددناها جذعة ، فغضب الفريقان جميعاً وقالوا : قد فعلنا ، موعدم الظاهرة . والظاهرة الحرة . السلاح ، السلاح . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية

وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بِمَسَدٍ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ
 وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَلْفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ فَعَرَفَ الْقَوْمَ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ
 مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَبَكَوْا وَعَاتَقَ الرِّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مَطِيئِينَ، وَقَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ. فَانزَلَ اللَّهُ فِي شَأْسِ بْنِ
 قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَسْكُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ. قُلْ
 يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الْآيَةَ. وَانزَلَ اللَّهُ فِي
 أَوْسِ بْنِ قَيْظَى وَجِبَارِ بْنِ صَخْرٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا
 فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ الْآيَاتِ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَمَنْ
 يَتَّصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَالْآيَاتِ بَعْدَهَا

قال ابن إسحاق : قدم رسول الله ﷺ المدينة كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وسيد
 أهلها عبد الله بن أبي لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج
 قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره ، ومعه في الأوس رجل هو
 في قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر عبد بن عمرو بن صيفي بن النعمان وهو أبو حنظلة
 الضليل يوم أحد ، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال له الراهب ، فقال
 رسول الله ﷺ لا تقولوا الراهب ، ولكن قولوا الفاسق ، كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن
 بعض آل حنظلة بن أبي عامر ، فشقيا بشرفهما وضرهما ، وكان قوم عبد الله قد نظموا له الخرز
 ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى
 الإسلام ضغن وأرى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملسكا . فلما رأى قومه قد أبوا إلا
 الإسلام دخل كارهاً مصراً على نفاقه وضعفه

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج إلى
 مكة بيضة عشر رجلاً ، وكان أبو عامر أتى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة قبل أن
 يخرج إلى مكة فقال : ما هذا الدين الذي جئت به ؟ قال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم . قال

فأنا عليها . فقال له رسول الله ﷺ : إنك لست عليها . قال بلى ، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفة ما ليس منها . قال ما فعلت ، ولكنني جئت بها بيضاء نقية . قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً . يعرض برسول الله ﷺ ، أى إنك جئت بها كذلك ، فقال رسول الله ﷺ : أجل فمن كذب بفعل الله به ذلك . فكان هو ذلك عدو الله ، خرج إلى مكة ، فلما فتحت خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فات بها

وأما عبد الله بن أبي فاقام على شبهة في قومه متردداً حتى غلبه الإسلام فدخل فيه كارهاً قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد قال : ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة يعود من شكوى أصابته - على حمار عليه إكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف - وأردفني رسول الله ﷺ خلفه ، قال فربعبد الله ابن أبي وهو في ظل « مزاحم » أطمه ، وحوله رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله ﷺ تدمم من أن يجاوزه حتى ينزل ، فنزل فسلم ، ثم جلس فتلا القرآن ودعا إلى الله وذكر بالله وحذر وبشر وأنذر ، قال وهو زام لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته قال : يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً ، فاجلس في بيتك فمن جاءك فخذته إياه ، ومن لم يأتك فلا تنفسه به ولا تأته في مجلسه بما يكره . قال فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين : بلى فاعشنا به وائتنا في مجالسنا ودورنا ، فهو والله مما نحب ، ومما أكرمنا الله به وهدانا له . فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذل وبصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن جذ يوماً ريشه فهو راقع

قال ابن هشام : البيت الثاني عن غير ابن إسحاق

قال ابن اسحاق في حديثه عن الزهري عن عروة عن أسامة قال : وقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه ما قال عبد الله بن أبي عدو الله ، قال : والله يا رسول إني لأرى في وجهك شيئاً كأنك سمعت شيئاً تكرهه . قال : أجل ، ثم أخبره بما قال ابن أبي

فقال سعد : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لتوجه ، فانه ليرى أن قد سلبته ملكا

قلت : وأخرجه البخارى فى صحيحه بنحوه : أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرنا عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره . . فذكر الحديث أبسط من رواية ابن إسحاق ، وفيه : وأردف أسامة بن زيد وراءه . وفيه : وذلك قبل وقعة بدر ، وقبل أن يسلم عبد الله . وفيه : وإذا فى المجلس أخلاط من المسلمين ، والمشركون عبدة الأوثان ، واليهود . وفيه : فلما غشيت القوم عجاجة الدابة خر عبد الله بن أبي أُنفة بردائه وقال : لا تغبروا علينا . وفيه : فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا . وفيه قال سعد بن عباد : اعف عنه واصفح ، فوالذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجه فيعصبونه بالعصاة ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذى أعطاك شرق بذلك ، فذلك الذى فعل به ما رأيت . فعفا عنه رسول الله ﷺ . وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى . قال الله عز وجل ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقال تعالى ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً ﴾ إلى قوله ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ﴾ وكان النبي ﷺ يتأول فى العفو ما أمره الله حتى أذن الله فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بداراً فقتل الله صناديد كفار قريش قال ابن أبيّ ومن معه من المشركين عبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه . فلبعوا رسول الله ﷺ وأسلموا

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى

فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم . قالت : فصرف الله ذلك عن نبيه . قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى ، فدخات عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الروعك ، فدنوت من أبي بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبة ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

قالت فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول

قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذرقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

قالت فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول

قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بقاء البيت ، ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بفتح وحولى إذخر وجيليل

وهل أردن يوماً حياض مجنة وهل بيدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم فقلت : إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى ، قال فقال رسول الله ﷺ « اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت النبا مكة أو أشد ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مبيعة » ومبيعة الجحفة

فصل

ولما قدم رسول الله ﷺ للمدينة صار الكفار ثلاثة أقسام : قسم صالحهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ، وقسم حاربوه وانصروا له العداوة ، وقسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه ، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره . ومن هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ تهباً للحرب ، وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوهم وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين ، مشركى العرب . فأقام بعد قدومه المدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر والجماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، ثم خرج غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة في صفر ، واستعمل على المدينة سعد بن عباد حتى بلغ ودان - وهي غزوة الأبواء - يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادع فيها بني ضمرة وعقد ذلك معه سيد بني ضمرة مخشى بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر وصدر ربيع الأول . وهي أول غزوة غزاها بنفسه . وذكر البخاري في صحيحه عن أبي إسحاق أولها الأبواء ، وليس بينها اختلاف لأن الأبواء أو ودان مكانان متقاربان

فلما انصرف رسول الله ﷺ بعث عبدة بن الحمارث بن المطلب بن عبد مناف في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز أسفل ثنية المرة ، فلقى بها جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول من رمى به في سبيل الله ، وفر يومئذ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازني وكانا قديمي الإسلام إلا أنهما لم يتمكنوا من الوصول إلى المسلمين إلا يومئذ

قال ابن إسحاق : وكانت راية عبدة أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام وبعث عايه الصلاة والسلام في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للفريقيين جميعاً ، فانصرف القوم بعضهم عن بعض

قال ابن إسحاق : وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ

في الإسلام ، وذلك أن بعث عبدة كانوا معاً فشبّه ذلك على الناس ، قات : وقدم صاحب الهدى بعث حمزة وعبدة . وبعث سعد بن أبي وقاص على غزوة الأبواء . والله أعلم غزوة بواط : ثم خرج رسول الله ﷺ في ربيع الآخر وهو صدر العام الثاني من مقدمه المدينة واستعمل على المدينة السائب بن مظعون يريد قريشاً حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى ثم غزا غزوة المشيرة ، خرج رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطاب ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وخرج في خمسين ومائة - ويقال في مائتين - من المهاجرين ولم يكره أحد من الخزرج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ويتعرضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام ، وكان قد جاء الخبر بفصولها من مكة وفيها أموال لقريش ، فبلغ المشيرة وقيل العشيرة بالمد وقيل العسيرة بالمهملة وهي من ناحية ينبع ، فوجد العير قد قاتته بأيام ، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام وهي التي وعده الله إياها ، أو ذات الشوكة ، ووفى له بوعدة ، وفيها وادع بنى مدلج وحلفاءهم بنى ضمرة

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص وثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الحرار من أرض الحجاز ، فرجع ولم يلق كيداً غزوة بدر الأولى : قال ابن إسحاق فلم يتم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة المشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ الاثني عشر ، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فاستاقه ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ وادياً يقال له سفوان في ناحية بدر فقاته كرز ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق حرباً بعث عبد الله بن جحش : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها جمادى الآخرة ورجباً وشعبان ، وبعث عليه الصلاة والسلام في رجب المذكور عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة ، على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة ، في اثني عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعير ، فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون عيراً لقريش . وفي هذه السرية سمي عبد الله

ابن جحش أمير المؤمنين ، وكان رسول الله ﷺ كتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فلما فتح الكتاب وجد فيه « إذا نظرت إلى كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها غيراً لقريش وتعلم لنا من أخبارهم » فقال : سمعاً وطاعة ، وأخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكرههم ، فمن أحب الشهادة فلينهض ، ومن كره الموت فليرجع . فمضوا كلهم . فلما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بهيرا لهما ، فتخلفا في طلبه ، ونفذ عبد الله ومن معه حتى نزل بنخلة ، فمرت به غير لقريش تحمل زيبياً وأدماً وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة . فتشاور المسلمون فيهم وقالوا نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام ، فان قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام ، وإن تركناهم دخلوا الحرم . ثم أجمعوا على ملاقاتهم ، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي نقتله ، وأمروا عثمان والحكم ، وأفلت نوفل فأعجزهم . ثم قدموا بالعبير والأسيرين

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه : ان لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس ، فكان ذلك أول خمس في الإسلام ، وأول قبيل في الإسلام ، وأول أسير في الإسلام . فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فوقف العير والأسيرين وأبي أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين ، واشتد نعت قريش وإنكارهم ذلك ، وزعموا أنهم وجدوا مقالا وقالوا : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام . وتفاءلت اليهود على رسول الله ﷺ بذلك فقالوا : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب ، وواقد وقدت الحرب ، فجعل الله ذلك عليهم لآلهم ، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أشد من القتل يقول سبحانه وتعالى : هذا الذي أنكرتموه عليهم وإن كان كبيراً فما ارتكبتموه أتم من الكفر والصد عن سبيله وعن بيته

وإخراج المسلمين الذين هم أهلهم والشرك الذين أتم عليهم والفتنة التي حصلت منكم أكبر عند الله من قتالهم في الشهر الحرام . وأكثر السلف فسروا الفتنة ههنا بالشرك ، وفسرت بتعذيبهم المؤمنين وفتنتهم إياهم عن دينهم ، والمقصود أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف ولم يبرئ أوليائه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام ، بل أخبر أنه كبير ، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام ، فهم أحق بالدم والعقوبة والعيب

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بذلك فرج الله عن المسلمين ، وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، ففادت قريش الأسيرين ، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله حتى قتل يوم بئر معونة ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً . فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوها في الأجر فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون الله ﴾ الآية فقال أبو بكر ، ويقال بل عبد الله بن جحش :

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الإرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به ، والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهل	لثلا يرى لله في البيت ساجد
فانا وإن عبرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا	ينارعه غل من القد عاند

فصل

فلما كان في شعبان من هذه السنة حوات القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة على سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقيل على ثمانية عشر ، وقيل على ستة عشر شهراً ، ولم

يقول أحد أكثر ولا أقل . قال ابن حزم : وقد روى أن أول من صلى نحو الكعبة سعيد ابن المولى الأنصارى ، سمع رسول الله ﷺ يخطب بتحويل القبلة فقام فصلى ركعتين . انتهى . وكان ﷺ يحب أن يصرف إلى الكعبة ، وقال لجبريل : وددت أن أصرف وجهي عن قبلة اليهود ، فقال : إنما أنا عبد ، قاعد ربك وسله . فجعل يقلب وجهه في السماء يرجو ذلك ، فنزل عليه ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ الآية

وفي البخارى أنه ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت . وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ الآية

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : بينما الناس يصلون الصبح فى مسجد قباء إذ جاءهم رجل فقال : إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الآية قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها . وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة ، فقال بعض العلماء : وفى هذا دليل أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به ، وإن تقدم نزوله ، لأنهم لم يؤمروا بالإعادة . قال فى الهدى : وكان فى جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكم عظيم ومحنة للمسلمين والمشركين وأهل الكتاب والمناقين ، فأما المسلمون فقالوا : سمعنا وأطعنا ، وقالوا آمنا به كل من عند ربنا ، وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم . وأما المشركون فقالوا : كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا . وأما اليهود فقالوا : خالف قبلة الأنبياء . وأما المنافقون فقالوا : ما يدري محمد أين يتوجه ، إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركها ، وإن كانت الثانية هى الحق فقد كان على باطل . وكثرت أقاويل السفهاء من الناس . وكانت كما قال الله ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، فأنزل الله جواب السفهاء

﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ أى ان الحكم والتصرف والأمر كله لله ، فحيث ما وجهنا توجهنا ، ولو وجهنا كل يوم صرات إلى جهات عديدة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه . وأكّد سبحانه الأمر بذلك مرة بعد مرة ، وأمر حيث ما كان رسوله ، ومن حيث خرج ، وأخبر أن الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم هداهم لهذه القبلة ، وأنها هى القبلة التى لهم وهم أهلها لأنهم أوسط الأمم وهى أوسط القبل وأفضلها ، فاختار أفضل القبل لأفضل الأمم ، كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب ، وأخرجهم فى خير القرون ، وخصهم بأفضل الشرائع ، ومنحهم خير الأخلاق ، وأسكنهم خير الأرض ، وجعل منازلهم فى الجنة خير المنازل ، وموقفهم فى الجنة خير المواقف على تل عال والناس تحتمهم ، فسبحان من يختص برحمته من يشاء ، وذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد من حديث عائشة « إن لليهود لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وفضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وفضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام أمين » . وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة ، ولكن الظالمين الباغين يحتجون عليهم بتلك الحجج التى ذكرت ، ولا تعارض الرسل إلا بها وبأمثالها من الحجج الداحضة . أخبر سبحانه أنه فعل ذلك ليتم نعمته عليهم وليهديهم ، ثم ذكرهم نعمته عليهم بإرسال رسوله اليهم وإزالة كتابه عليهم ليزكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه ، ثم أمرهم بذكره وشكره ، ثم أمرهم بما لا يتم لهم ذلك إلا بالاستعانة به وهو الصبر والصلاة وإنه مع الصابرين

فصل

قال ابن سعد والواقدي بأسانيدهما عن عائشة وابن عمر وأبي سعيد الخدري قالوا : نزل فرض شهر رمضان بعد ما حولت القبلة بشهر فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه عليه الصلاة والسلام ، وزكاة الفطر قبل العيد بيومين أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو مدين من

بر . انتهى . وقال ابن عمر : فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر على الذكر والأنثى والحر والمملوك صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير ، فعدل الناس به نصف صاع من بر ، قال الدمياطي : وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال . وقيل إن الزكاة فرضت فيها ، وقيل قبل الهجرة والله أعلم . ويدل عليه ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن قيس بن سعد قال : أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت الزكاة لم يأمرنا ولم ينهنا ، ونحن نفعله . قال صاحب الفروع : وإسناده جيد

غزوة بدر الكبرى

وهي أكرم المشاهد ، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودفع فيه الشرك وأهله ، وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائدة . فأعز الله رسوله ، وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيض وجه النبي ﷺ وقبيله ، وأخرى الشيطان وجيله ، وأخبر النبي ﷺ أن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وفي الصحيح عن معاذ بن رفاعه الزرقى - وكان بدرياً ، وكان أبوه شهد العقبة - قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تمدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ، أو كلمة نحوها . قال : وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة . فكان رافع من أهل العقبة ، وكان رافع يقول لابنه : ما يسرنى أنى شهدت بدرأ بالعقبة

وكان خروجهم يوم السبت لاثني عشر خلت من رمضان ، على رأس تسعة عشر شهراً ، وقيل لثمان خلون منه ، واستخلف على المدينة أبا لبابة ، وخرج معه الأنصار ، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه ، وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد ، كما قال تعالى ﴿ ولو تواعدتم لاختلتم في الميعاد ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه خبر العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فيها أموال عظيمة لقريش ، فندب أصحابه اليهم ، وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو ، وقال : هذه عير قريش فيها أموال ، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها . فخف بعض

الناس وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يأتي حرباً ، فأمر من كان حاضراً ظهره بالنهوض ، فخرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وكانوا على سبعين بعيراً يستقبونها ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرساً للعقدا ، وفرساً للزبير بن العوام . فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي على بعير ، فلما بلغ أبا سفيان مسيره عليه الصلاة والسلام استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري أن يأتي قريشا بمكة فيستفهمهم ويخبرهم أن محمداً قد اعترض لعيرهم في أصحابه ، فهضوا مسرعين في قريب من ألف مقاتل ، ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير ، ولم يتخلف أحد من أشرفهم ، إلا أبا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة كان له دين بذلك ، وحشدوا فيمن حولهم من العرب ، ولم يتخلف من بطون قريش سوى عدى بن كعب

وخرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى ﴿ بطراً ورثاء الناس ﴾ وقالوا : أئذن محمد وأصحابه أن نكون كعير ابن الحضرمي ؟

ولما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب وقالوا : إنا نخشى أن نوثى من خلفنا ، فتبدي لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك وكان من أشرفهم قال : أنا لكم جار أن تأنيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهون

فخرجوا سراغاً وخرج رسول الله ﷺ فيمن خف معه من أصحابه ، واستعمل على الصلاة بالناس عمرو بن أم مكتوم ، ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان إحداهما مع علي بن أبي طالب والأخرى مع رجل من الأنصار ، قيل وكانتا سوداوين ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن من بني النجار ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ ، فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نعب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم على تزيان ، ثم على ملل ، ثم على غميس الحمام ، ثم على صخرات اليمام ، ثم على السبالة ، ثم على فجع الروحاء ، ثم على شنوكة ، حتى إذا كان بقرق الظبية لقوا

رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، ونزل رسول الله ﷺ مسجج وهي بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة يساراً وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرأ ، فسلك في ناحية منها حتى جزع واديا يقال له رحقان ، بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم علا المضيق ثم انصب به ، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس ابن عمرو الجهني حليف بنى ساعدة وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بنى النجار يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان وعيره ، ثم رحل عليه الصلاة والسلام فأخبر عن جبال الصفراء أن اسمها مسلح ومخرى ، وسأل عن أهلها فقيل : بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار ، فترك رسول الله ﷺ المرور بينهما وأخذ ذات اليمين على وادي ذفران وجزع ، ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعاه بخير . ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار . وروى ابن مردويه وابن أبي حاتم عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : إني قد أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة ، فهل لكم أن نخرج إليها لعل الله يغمناها ؟ قلنا : نعم . فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : ماترون في القوم ، فأنهم قد أخبروا بخروجكم ؟ قلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ، ولكن أردنا العير . ثم قال : ماترون في قتال القوم ؟ قلنا مثل ذلك . فقال المقداد . . . وذكر تمام الحديث . ثم استشارهم ثالثاً ، فتكلم المهاجرون فأحسنوا ، فقهمت الأنصار أنه يعنيهم ، وكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكانت تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . فقال له : قد

آمنًا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأهطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على
السمع والطاعة ، قامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى
بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ،
فسر على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك . ثم قال : —
وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم .
قال في عيون الأثر : روينا من طريق مسلم أن الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج ،
وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ . واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرًا فلم يذكره ابن
عقبة ولا ابن إسحاق في البدرين ، وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي منهم . انتهى

ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه .
قال ابن هشام هو أبو بكر الصديق حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن
محمد وأصحابه وما بلغهم عنهم ، فقال : لا أخبركم حتى تخبراني من أنتم . فقال له رسول الله ﷺ
إذا أخبرتنا أخبرناك . قال أو ذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه
خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا
— المكان الذي به رسول الله — وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي
أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا المكان الذي به قريش . فلما فرغ من خبره قال :
من أنتم ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء . ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : من ماء ؟
أمن ماء العراق ؟ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أصحابه . فلما أمسى بعث على بن أبي طالب
والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص — في نفر من أصحابه — إلى ماء بدر يلتمسون الخبر ،
فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض بن يسار غلام بنى العاص بن سعيد
فأتوا بهما فسألوهما لمن أنتم ؟ ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم
من الماء . فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما حتى إذا لقوهما قالا :

نحن لأبي سفيان ، فتركوها . وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه ثم سلم وقال : إذا صدقاكم ضربتموها ، وإذا كذباكم تركتموها ، صدقا والله ، إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش .
قالا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، والكتيب المقفل . فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالوا كثير . قال ما عدتكم ؟ قالوا ما ندري . قال : كم تفحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً . قال رسول الله ﷺ : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر وطعيمة بن عدى ابن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج ومهبل بن عمرو وعمرو بن عبدود . فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال :
هذه مكة قد ألت اليكم أفلاذ كبدها

وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر ، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العير كتب إلى قريش أن ارجعوا فانكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم . فأنام الخبر وهم بالجمحة فهموا بالرجوع ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى تقدم بدرا فنقيم به ، ونطعم من حضرنا من العرب ، ونخافنا العرب بعد ذلك . وأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع فعضوه ، فرجع هو وبنو زهرة ، فلم يشهد بدراً زهري . فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأخنس ، فلم يزل فيهم مطاعاً معظماً . وكان حليفاً لهم . وأرادت بنو هاشم الرجوع ، فاشتد عليهم أبو جهل وقال : لا تفارقنا هذه المصيبة حتى نرجع

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل أدنى ماء من مياه بدر ، وسبق قريشاً إلى بدر ، ومنع قريشاً من سبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه للمسلمين إلا ما لبدهم دهم الوادي وأعانهم . فنزل عليه الصلاة والسلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة فأتاه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح فقال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال عليه

الصلاة والسلام : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بنا حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزه ونغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملأه فنشرب ولا يشربون . فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأى وفعله

وقال سعد بن عباد : يا رسول الله ، ألا نبني لك عرشاً تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلتقى عدونا ، فإن أظهرنا الله وأعزنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلهجت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أن نلتقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يملكك الله بهم ، يناصونك ويجاهدون معك . فأتى رسول الله خيراً ودعاه بخير . ثم بنى لرسول الله عرش فكان فيه ، ومشى رسول الله ﷺ على موضع الوقعة فعرض على أصحابه مصارع رهوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً يقول : هذا مصرع فلان إن شاء الله ، هذا مصرع فلان إن شاء الله . قال عمر : فوالذي بعثه بالحق نبياً ما عدا واحد منهم مضجعه الذى حده رسول الله ﷺ . أخرجه مسلم فى صحيحه

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العنقل وهو الكئيب الذى جاءوا منه إلى الوادى قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادلنك وتكذبن رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتني . اللهم أحنهم الغداة

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ، منهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم ، فما شرب أحد منهم يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، وكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نبى من يوم بدر

ولما اطمان القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا : احزر لنا أصحاب محمد . فجاء بفرسه حول المسكر فقال : ثلاث مائة يزيدون قليلاً أو ينقصونه . ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم

كين أو مدد . فضرب في بطن الوادي حتى أبعده فلم ير شيئاً . فرجع اليهم فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت . قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ نروا رأيكم . فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فأشار عليه أن يرجع الناس ولا يكون حرب . فوافقته عتبة بن ربيعة . وقام عتبة في الناس خطيباً ، فأشار عليهم بالرجوع ، فأبى أبو جهل ذلك ، وساعده المشركون

وبات رسول الله ﷺ إلى جذم شجرة هناك ، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها واصطف الفريقان قال ابن إسحاق : وقال فتية من قريش وكانوا خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتبابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب محمد وكثرة عدوهم قالوا : غرّ هؤلاء دينهم . قال : وبلغني أن الشيطان معهم أيضاً لا يفارقهم . قال : فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه بن مالك لا ينكرونه ، حتى إذا التقى الجمعان فرّ عدو الله ونكص على عقبيه فذهب فأوردتهم ثم أسلمهم حين رأى الله أيده رسوله والمؤمنين بالملائكة وقال : إني أرى ما لا ترون الآية . وكان كما قال حسان :

سرنا وساروا إلى بدر لحتفهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلائهم بفرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إني لكم جار فأوردتهم شر الموارد فيه الخزي والعار

وخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة حتى نصلوا من الصف ، فخرج اليهم فتية من الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث . وأمهما عفراء . وعبد الله بن رواحة فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى عنادهم يا محمد أخرج إلينا أ كفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث وقم

يا حمزة وقم يا علي ، فلما قاموا وذنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة عبيدة ، وقال حمزة حمزة ، وقال علي علي . فقالوا أنتم أكفاء كرام . فبارز عبيدة وكان أسنَّ القوم عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه ، وبارز علي الوليد . فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، فكرَّ حمزة وعلي بأسياهما على عتبة فذفعا عليه ، واحتملا صاحبهما فجراه إلى أصحابه فمات بالصفراء

وفي الصحيح عن علي قال : فينا أنزلت هذه الآية ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ وفيه عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما لنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط السنة يوم بدر . وفيه عن علي قال : أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة

قال ابن اسحاق : وتزاحف الناس وذنوا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إذا أكتبوكم - يعني أكتروكم - فارمومهم (١) واستبقوا نبلكم

قال : وعدل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر الصديق وليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يا رسول الله يكفيك بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدهك

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش معه الصديق أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ، ثم استيقظ متبسما فقال : أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل على ثنياه النقع . ثم خرج من باب العريش وهو يتلو ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . وفي رواية : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ، قد ألححت على ربك ، وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . وفي رواية ابن اسحاق : فقال رسول الله ﷺ : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بطن فرسه يقوده على ثنياه النقع .

(١) أكتبوكم : قربوا منكم ، والكتب : القرب

يريد الغبار . وفي رواية مسلم عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر ، فاستقبل النبي ﷺ القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لي ما وعدتني . وفيه : فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأخذ أبو بكر رداؤه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمده الله بالملائكة . قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه مستاقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . وفي رواية ابن سعد عن عكرمة قال : كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدرى من ضربه ، وتندر يد الرجل لا يدرى من ضربها

قال ابن إسحاق : ثم رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بني النجار وهو يشرب من الحوض فأصاب نحره فقتل فكان أول قتيل من الأنصار . ثم حرض رسول الله ﷺ الناس على القتال وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله

وذكر ابن سعد وابن إسحاق أن أبا جهل قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه ، فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح على نفسه . وأخرجه النسائي من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صهير . ثم ان

رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصى فاستقبل بها قريشاً ثم قال : شأهت الوجوه . ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدوا . فكانت الهزيمة ، فقتل الله فيها من قتل من صناديد قريش من أمر من أمر من أمرافهم . قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : رفع رسول الله ﷺ يديه [فقال « يا رب ، إن تهلك هذه العصابة فإن تعبد في الأرض أبداً » فقال له جبريل : إذ قبضة من تراب . فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم ، فما من المشركين أحد إلا صاب عيذه ومنخرية وفه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين

ذكر مقتل عدو الله أبي جهل

روى البخارى فى الصحيح عن عبدالرحمن بن عوف قال : إني لفي الصف يوم بدر إذ تفت فاذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن ، فكأنني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرأ من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل . فقلت : يا ابن أخي فما تصنع به ؟ قال أخبرت نه بسب رسول الله . قال : والذى نفسى بيده أن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى رت الأعمجل منا . فتعجبت لذلك . قال وغزنى الآخر فقال لي مثلها . فلم أنشب أن نظرت لي أبي جهل يجول فى الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه . قال تابندراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلته . قال : هل مسحتما سيفيكما ؟ فقالا : لا . فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال : كلا كما قتله . وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح . والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء . وفى رواية : فتمنيت أن أكون بين أضلع [واحد] منهما . وفى رواية : فامرني أنى كنت بين رجلين مكانهما . وفى الصحيح عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : من ينظر ما صنع أبو جهل ؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . وقال أنت أبا جهل ! وقال أحمد بن يونس : أنت أبو جهل . فأخذ لحيته وقال : هل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه . وفى رواية ابن علية : أنت أبا جهل . هكذا قالها أنس . قال وقال أبو مجلز قال أبو جهل : فلو غير أكار

قتلى . وذكر ابن إسحاق في السيرة قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بأخر رمق ، فرفقته فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بي ^(۱) مرة بمكة فأذاني ولسكتني ، ثم قلت له هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ، أعمد من رجل قتلتموه . أخبرني لمن الدائرة قال قلت : لله ورسوله . وزعم رجال من بني مخزوم أن عبد الله بن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا روبي الغنم . قال : ثم احتزرت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل . قال فقال : آله الذي لا إله غيره ؟ قال : وكانت يمين رسول الله . قال قلت : نعم والذي لا إله غيره . ثم أقيت برأسه بين يدي رسول الله ، فحمد الله . وفي رواية غير ابن إسحاق فقتله عبد الله ثم أتى النبي ﷺ فقال : قتلت . فقال : آله الذي لا إله غيره ؟ فرددها ثلاثاً . ثم قال : آله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . انطلق بي فأرنيه . فانطلقنا فأرنيته إياه فقال : هذا فرعون هذه الأمة

وأمر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف وابنه علياً ، فأبصره بلال - وكان يعضه أمية بمكة - فقال : رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا . ثم خرج حتى وقف عند مجلس من مجالس الأنصار فقال : يا مشر الأنصار ، أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا أمية . فخرج فريق من الأنصار واشتد بهما عبد الرحمن بن عوف يحرزها منهم فادركوهم ، فشظهم عن أمية بابنه ففرغوا منه ، ثم لحقوها ، فقال له عبد الرحمن : ابرك ، فبرك ، فألقى عليه نفسه ، فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه . وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف . وقال أمية قبل ذلك : من الرجل منكم الملم في صدره بريش النعام ؟ فقال : ذلك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل . وكان مع عبد الرحمن أذراع قد استلبها فلما رآه أمية قال له : أنا خير لك من هذه الأذراع . فألقاها وأخذ بيده ويد ابنه وأميه يقول ما رأيت كالיום قط ، أما لكم حاجة في اللبن ؟ فلما قتلته الأنصار كان يقول : يرحم الله بلالاً

(۱) أى قبض على ولا رمق

فجنى بأدراعى وبأسيرى . وكان رسول الله ﷺ قد أخبر بقتله قبل ذلك وأخبره بذلك سعد بن معاذ لما قدم مكة معتمراً ونزل على أمية ، فكان أمية إذا قدم المدينة نزل على سعد ، فراه أبو جهل بطوف فقال : من هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد . فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة أمنا وآوئنا محمداً وأصحابه ؟ فقال : نعم ، فتلاحيا بينهما ، فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى . فقال سعد : والله لئن منعنى أن أطوف بالبيت لأفطن متجرك بالشام . قال فجعل أمية بن خلف يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسه . فنضب سعد فقال : دعنا عنك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يزعم أنه قاتلك . قال : إياي ؟ قال : والله ما يكذب محمد . وفي رواية : فإني سمعت رسول الله يقول : انهم قاتلوك . قال : بمكة ؟ قال : لا أدري . ففرغ لذلك أمية فرعاً شديداً ، فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال أخى الليثي ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي . قالت : فوالله ما يكذب محمد . فلما جاء السريخ وخرجوا إلى بدر قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال أخوك الليثي ؟ قال : فأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : انك من أشرف الوادى ، فسر يوماً أو يومين . فسار معهم حتى قتله الله . رواه البخارى فى صحيحه

وانقطع يومئذ سيف عكاشه بن محصن فأعطاه النبي ﷺ جذلاً من حطب فقال : دونك هذا فلما أخذه عكاشه وهزه عاد فى يده سيفاً طويلاً ، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل أيام أبى بكر ، قتله طليحة الأسدى شهيداً

وفى الصحيح أن الزبير لقي عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج فى السلاح لا يرى منه إلا الحدق ، فحمل عليه الزبير بمرسته فطعن فى عينه فمات ، فوضع رجله على الحربة ثم طلى ، وكان الجهد أن نزعا وقد اتنى طرفها ، فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان فأعطاه إياها ، فلما قبض وقمت عند آل على فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل

قال ابن إسحاق : ولما وضع المسلمون أيديهم في العدو يقتلون ويأسرون ، وسعد بن معاذ واقف على باب الخيعة التي فيها رسول الله ﷺ - وهي العريش - متوشحاً في ناصية من الأنصار ، ورأى رسول الله في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس ، فقال رسول الله ﷺ لسعد : كأنك تكره ما يصنع الناس ؟ فقال : أجل والله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين ، وكان الأبخان في الحرب أحب إليّ من استبقاء الرجال

قال ابن إسحاق : وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر لنا قول تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ﴾ الآية فتية مسمين من بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الحارث بن زمة بن الأسود بن المطلب ، ومن بني مخزوم أبو قيس الفاكه بن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف من بني جمح ، والعاص بن منبه من بني سهم ، وذلك أنهم كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ بمكة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنهم فافتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا جميعاً

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في السكر مما جمع الناس فجمع ، فاختلف المسلمون في ذلك فقال من جمعه : هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو : والله لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أتم أحق به ، لقد رأينا أن تقتل العدو إذا منحنا الله أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو قمعنا دونه ، فما أتم بأحق به منا

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلقتنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه على السواء . انتهى

ولما انتقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى فقال : بئس عشيرة النبي كنتم لبيسكم ، كذبتوني وصدقني الناس ، وخذلتوني ونصرني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس . ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر فطرحوا فيه . وفي الصحيح عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقتلوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث . وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان بدر في اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفير الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله ، فأننا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قال فقال عمر : يا رسول الله ما تسكلم من أجساد لا أرواح لها . فقال النبي ﷺ : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . قال قتادة : أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله توييخاً وثقمة وحسرة وندامة . وفيه عن ابن عباس ؓ الذين بدلوا نعمة الله كفراً ؓ قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو بن قريش ، ومحمد نعمة الله ؓ وأجلوا قومهم دار البوار ؓ قال : النار يوم بدر . انتهى

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله عليه وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة . قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر - حين سوينا على رقية بنت رسول الله التي كانت عند عثمان بن عفان ، وكان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان - أن زيد بن حارثة قد قدم ، قال فحتمته وهو واقف بالمصلى وقد غشبه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وزمعة بن الأسود وأبو البختري العاص بن هشام وأممية بن خناب ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، قال قلت : يا أبا أحق هذا ؟ قال : نعم والله يا ابني . ثم قفل رسول الله ﷺ إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وفيهم عتبة بن أبي مسيط والنضر بن الحارث ، واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف من بني النجار ، حتى إذا كان بالصفراء قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة . ثم لما نزل

بمروق الظبية ضرب عنق عقبة بن أبي معيط ، فقال عقبة حين أمر رسول الله بقتله : من للصبية يا محمد ا قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري ، ويقال علي بن أبي طالب

ثم دخل رسول الله المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو له بالمدينة وحوالها ، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة . وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه الإسلام

قال ابن إسحاق : حدثني ابن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه وقال : استوصوا بالأسارى خيراً . قال فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ، قال فقال أبو عزيز : صر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال : شديدك به ، فان أمه ذات متاع ، اعلمها تفديك منه . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفختي بها . قال فأستحي فأردها عليهم فيردها علي ما يمسها . فلما قال أخوه مصعب لأبي البسر - وهو الذي أسره - ما قال قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك ؟ فقال له ، صعب : إنه أخي دونك . فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها

قال بعض العلماء : ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الأسرى شد وثاق العباس ، فسمعه النبي ﷺ وهو يئن فلم يأخذه النوم ، فبلغ الأنصار فأطلقوا العباس ، فكانت الأنصار فهموا رضاه رسول الله ﷺ بفك وثاقه ، وسألوه أن يتركوا له الفداء . فقالوا ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، فقال لا تدعون منه درهما . وفي حديث ابن عباس عند ابن إسحاق أنه ﷺ قال : يا عباس ائذ نفسك وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمر . قال : إني كنت مسلماً ، ولكن القوم استكروهني . قال : الله أعلم بما تقول : إن يكن ما تقول حقاً فإله يجزيك ، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا .

قال ما ذاك عندي يا رسول الله . قال : فأين المال الذي دفنته أم الفضل فقلت : إن أصبت
فالمال الذي دفنته للفضل وعبد الله وقيم ؟ قال : والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله ،
ان هذا شيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل ، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني
عشرين أوقية من مال كان معي ، قال رسول الله : ذلك شيء أعطانا الله منك . ففدى نفسه
وابني أخويه وحليفه ، وأنزل الله فيه ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأمري إن يعلم الله
في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴾ الآية

فصل

وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ
ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك ، واستبقهم لعل الله
أن يحب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم . وقال
عبد الله بن رواحة يا رسول الله أنت في واد كثير ، الحطب فأضرم الوادي عليهم ثم ألقهم فيه .
قال فسكت رسول الله فلم يرد عليهم شيئاً . ثم قام فدخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر .
وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول ابن رواحة . ثم خرج عليهم
رسول الله ﷺ فقال : ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ، وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة . وان مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى بن مريم
قال ﴿ ان تمذبههم فأنهم عبادك ، وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم ﴾ . وإن مثلك يا عمر
مثل موسى قال ﴿ ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم ﴾ . وان مثلك يا ابن رواحة كمثل نوح قال ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين
دياراً ﴾ أنتم عالة فلا يفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق . قال ابن مسعود : قلت يا رسول
الله ﷺ إلامهيل بن بيضاء فانه يذكر الاسلام . فسكت رسول الله ﷺ . فما رأيتني في يوم أخوف
أن تقع على حجارة من السماء مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله ﷺ : إلامهيل بن بيضاء
فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان لنبي أن يكون له امرئ حتى يشخن في الأرض ﴾ الآيات . رواه

احمد والترمذی وابن ابی حاتم . وفيه : فنزل القرآن بقول عمر ، وصححه الحاكم . قال ابن عباس قال عمر : فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ، فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان ، قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد بكاء تبأ كيت لبكائكما . فقال رسول الله ﷺ : أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذم الفداء ، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة . شجرة قريبة من النبي ﷺ . وأنزل الله تعالى ﴿ ما كان لني أن يكون له أسرى - الى قوله - عذاب عظيم ﴾ رواه ابن ابی حاتم

قال ابن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد من حضر الا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله بقتل الأسرى ، وسعد بن معاذ قال : الأثمان في القتل أحب الى من استبقاء الرجال . فقال رسول الله : لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ . وقال سفیان الثوري عن هشام هو ابن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل الى النبي ﷺ فقال : خير أصحابك في الأسارى ، إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم بما قابلا مثلهم . قالوا الفداء ويقتل منا . رواه الترمذی والنسائي وابن حبان في صحيحه . وفي رواية عن عبيدة مرسل وفيه : فنادى النبي ﷺ في أصحابه فجاؤا - أو من جاء منهم - فقال : هذا جبريل يخبركم بين أمرين : أن تقدموم فتقتلهم وبين أن تقادوم ويستشهد في قابل منكم بعدتهم ، قالوا بل نقادهم ونفقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون . انتهى

وكان الفداء من أربعة آلاف درهم الى ثلاثة آلاف درهم الى ألف درهم ، وعن عامر الشعبي قال . أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرا ، وكان يقادهم على قدر أموالهم ، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يطعمهم ، فاذا حذقوا فهو فداؤه . ومن من عليه رسول الله ﷺ المطلب ابن حنطب وصيفي بن أبي رفاعة وأبو عزة الجمحي ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا وكان

محتاجا ذا بنات فقال : يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وإنى لذو حاجة وذو عيال ، فامنن على ، فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا ، ثم أمره ثانية فقال يا رسول الله أقلنى ، فقال : والله لا تمسح عارضك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يازبير ، فضرب عنقه . وعن من عليه رسول الله ﷺ أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنته بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله بفدائه ، وكان رسول الله قد أخذ عليه أو وعد رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل زينب ، فلما خرج أبو العاص الى مكة بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار فقال : كونا بيطن يا جج حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتيا بها . فخرجا ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحقوق بأبيها ، وقدم مكرز بن حفص فى فداء سهيل بن عمرو وكان الذى أمره مالك بن الدخشم وكان سهيل أعلم من شفقه السفلى ، وذكر ابن اسحق أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله انزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا . فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل فى مثل الله بى وإن كنت نبيا . وبلغنى أن رسول الله ﷺ قال لعمر فى هذا : إنه عسى أن يقوم مقاما لاتذمه . وكان عمرو بن أبى سفیان أسيرا فى يدى رسول الله ، فقيل لأبى سفیان : افد عمرا ابنك ، فقال : يجمع على دى رمالى . قتلوا حنظلة ، وأفدى عمرا ، دعوه فى أيديهم بمسكونه ما بدا لهم . فبينما هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان أخو بنى عمرو بن عوف مستمرا ، ففدا عمرا أبو سفیان فبسه بابنه عمرو ، وقد كان عهد قريش لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو مستمرا إلا يعبر ، ومشى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفیان ففكروا به صاحبهم ، ففعل رسول الله ﷺ ، فبعثوا به الى أبى سفیان فخلي سبيل سعد

فصل

قال ابن اسحق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان ابن عبد الله الخزاعى فقالوا : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمىة بن خلف وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام . فلما جعل

بعد أشرف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر : والله إن يعقل هذا فأسأله عنى .
قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هاهو ذا جالس في الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه
حين قتلوا

وفي حديث أبي رافع : لما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبت الله أباه وأخزاه ،
فقام يجر رجله بشر حتى جلس . فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب قدم ، قال فقال أبو لهب : هلم الى ، فعندك لعمرى الخبر . قال فجلس اليه
والناس قيام فقال : يا ابن أخي ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا
قوم فمحنهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا وبأسرونا كيف شاءوا . وإيم الله مع ذلك ملت
الناس ، لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شىء . قال
أبو رافع وكان غلاما للعباس : وكان الاسلام قد دخلنا ومسرنا ذلك ، تلك والله الملائكة .
فرفع أبو لهب يده فضربنى فى وجهى ضربة شديدة ، فقامت أم الفضل الى عمود فضربت
به فى رأس أبى لهب وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ قال : فوالله ما عاش إلا سبع
ليال حتى رماه الله بالعدسة - وهى قرحة تتشام بهاء العرب - فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله ،
وبقى ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ، ولا يحاول دفنه . فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم
دفعوه بعود فى حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه . وذكر قاسم بن ثابت فى
دلائله أن قريشا لما توجهت الى بدر مرّ هائف من الجن على مكة فى اليوم الذى وقع به
المسلمون وهو ينشد بأبعد صوت ولا يرى شخصه :

اراد الحنيفيون بدرا وقيمه سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجلا من قريش وأبرزت خرايد بضرين الترائب حسرا
فياويح من أمسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا
فقال قائلهم : من الحنيفيون ؟ قالوا : محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم

الحنيف . ثم لم يلبث أن جاءهم الخبر

قال ابن اسحق : فلما انقضى أمر بدر أنزل الله فيها سورة الأنفال بأمرها

وجملة من حضر بدرا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، من المهاجرين ستة
 وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ومن الخزرج مائة وسبعون . قالوا : وإنما قل عدد
 الأوس عن الخزرج - وإن كانوا أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء - أن منازلهم
 كانت في عوالي المدينة ، وجاء النفي بفتة ، وقال النبي ﷺ : لا يتبعنا إلا من كان ظهره
 حاضرا فاستأذنه رجال ظهورهم في عوالي المدينة ، أيسأتني لهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم ،
 وكان عثمان رضي الله عنه تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ، فضرب له رسول الله ﷺ
 بسهمه من الغنيمة وأجره ، فهو بدرى . وطلحة بن عبيد الله وكان بالشام في تجارة فضرب
 له رسول الله بسهمه وأجره . وكان سعيد بن زيد أيضا غائبا بالشام ، فضرب له رسول الله
 بسهمه وأجره

فصل في تسمية من شهد بدرا من المسلمين

مرتبا على حروف المعجم

محمد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبو عبيدة وطلحة والزبير وسعد
 وسعيد وعبد الرحمن بن عوف

(أ) أبي بن كعب النجاري ، أبي بن ثابت ، أوس بن ثابت النجاري أخو حسان ، أوس
 ابن خولى الخزرجي ، أوس بن الصامت ، أسعد بن يزيد بن الفاكه الزرقى ، أنس بن معاذ
 النجاري ، أنسية مولى رسول الله ، أنس بن قتادة بن ربيعة الأوسى ، الأرقم بن أبي الأرقم ،
 أربد بن جبير ، أسيرة وهو أبو سايط بن عمرو النجاري ، إياس بن البكير الليثي حليف بنى
 عدى ، إياس بن أوس بن عتيك الأوسى

(ب) بشير بن البراء بن معرور السلمي ، بشير بن سعد بن ثعلبة وهو أبو النعمان ، بشير بن
 عبد المنذر أبو لبابة اشهر بكنيته ، بلال بن رباح المؤذن ، بجير بن أبي بجير العبسي حليف
 لبنى عوف ، بجات بن ثعلبة بن خزيمة البلوى حليف لبنى الخزرج ويقال نجاب بالنون ،
 بسبس بن عمرو الندياني حليف الخزرج

(ت) تمیم بن یعار الخزرجی ، تمیم مولی بنی غنم ، تمیم مولی خراش بن الصمة
(ث) ثابت بن الجذع ، ثعلبة الأنصاری ، ثابت بن عمرو بن زید النجاری ، ثابت بن
خالد بن عمرو النجاری ، ثابت بن هرم البلوی حلیف الأنصار ، ثابت بن خنساء النجاری ذکر
الواقدي أنه شهدها ، ثابت بن عبید الأنصاری ، ثابت بن هزال الانصاری ، ثعلبة بن غنمة
الانصاری ، ثعلبة بن عمرو بن محسن بن عمرو بن عتيك النجاری ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو
الانصاری قال ابن عبد البر وهو مانع الصدقة فيما قال قتادة وسعيد بن جبير انتهى . قلت :
ذكره أبو محمد بن حزم فيمن شهد بدرا وقال : قد قال قوم إنه منع الزكاة فنزلت فيه ﴿وممنهم
من عاهد الله﴾ الآيات ، قال : وهذا باطل لان مشهوده بدرا يبطل ذلك بلا شك . انتهى

(ج) جابر بن عبد الله بن رثاب ، جابر بن خالد بن مسعود النجاری ، جابر بن عتيك
ويقال جبر الأوسى ، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ذكر النجاری أنه شهدها وكان ينقل
الماء لأصحابه ، قال ابن عبد البر ذكره بعضهم في البلهيين ولا يصح لانه قد روى عنه أنه قال :
لم اشهد بدرا ولا أحدا منغنى أبي ، جبار بن صخر بن أمية السلى ، جبير بن إياس بن خالد
ابن مخلد الزرقى ، جبر بن صيغتا^(۱) كلهم من الأنصار .

(ح) حمزة بن عبد المطلب ، الحارث بن أنس بن رافع ، الحارث بن أوس بن معاذ
ابن أخى سعد ، الحارث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأوسى ، الحارث ابن خزيمة
أبو خزيمة وقيل ابن خزيمة بن عدى الانصاری الخزرجى ، الحارث بن عتيك بن النعمان
النجارى ، الحارث بن زید بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجى ، الحارث هو أبو الأعور بن ظالم
ابن عبس بن حرام النجاری ، الحارث بن حاطب الأنصاری رده رسول الله ﷺ من الروحاء
في شيء أمره به وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن الصمة رده أيضا من الروحاء حين كسر
وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفة الأوسى ذكره فيهم موسى بن عقبة والواقدي

وابن عمارة ، الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد الزرقى ، حارثة بن النعمان بن نقيع بن زيد النجارى ، حارثة بن سراقه بن الحارث النجارى واستشهد ، حارثة بن حمير الاشجى حليف بين سلمة ، حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الزرقى ذكره الواقدى فيهم ، حارثة ابن النعمان بن رافع ، حريث بن زيد بن ثعلبة الخزرجى ، حبيب بن سعد وقيل بن أسود بن سعد وقيل بن أسلم مولى للانصار ، الحصين بن الحارث بن المطلب أخو عبيدة ، حاطب بن عمرو بن عتيك الأوسى ولم يذكره ابن اسحق ، حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العاصرى القرشى ذكره ابن عقبة وابن اسحق والواقدى ، حاطب بن أبى بلتعة اللخمي حليف قريش ويقال إنه من مذحج ، حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام النجارى ، حباب ابن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام السلمى

(خ) خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب النجارى ، خالد بن البكير الليثى ، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الزرقى ، خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان الزرقى ، خلاد بن سويد بن ثعلبة الخزرجى ، خلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمى ، خليدة بن قيس ابن النعمان السلمى ، خزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبه الخطمى الأوسى ، خزيمه بن أوس ابن يزيد بن أصرم ذكره ابن عقبة فيهم ، خباب بن الأرت التميمى ، خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن حرام السلمى الخزرجى ، خباب مولى عتبة بن غزوان ، خبيب بن عدى الأوسى ، خبيب بن أساف الخزرجى ، خارجة بن زيد الخزرجى ، خارجة بن حمير الأشجى حليف الأنصار ، خريم بن قاتك الأسدى صحح البخارى وغيره شهوده . خولى بن أبى خولى العجلي ويقال الجمعى حليف بنى عدى بن كعب ، خنيس بن حذافة السهمى ، خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس الأوسى وقيل إنه أصاب ساقه حجر فى الطريق فرجع فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، خليفة بن عدى الزرقى الانصارى ذكره ابن عقبة وابن اسحق فيهم

(د) دقة بن إيما بن عمرو الأنصارى

(ذ) ذكوان بن عبد قيس بن خلدة الزرقى ، ذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن غبشان الخزاعى حليف بنى زهرة واستشهد .

(ر) رافع بن مالك بن العجلان الزرقى ذكره ابن عقبة فيهم وقيل رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة الخزرجى واستشهد ، رافع بن عنجرة وهى أمه وأبوه عبد الحارث الأوسى ، رافع بن سهل بن رافع الانصارى ذكره بعضهم فيهم ، رافع بن زيد ويقال ابن يزيد الأوسى ، رفاعه بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة الخزرجى ، رفاعه بن رافع بن مالك بن العجلان الزرقى ، رفاعه بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسى ، رفاعه بن الحارث بن رفاعه بن الحارث بن سواد هو أحد بنى عفراء ذكره ابن اسحق فيهم وأنكر الواقدى وغيره شهوده ، ربيعة بن أكرم بن سخيرة الأسدى ، الربيع بن إياس بن غنم الخزرجى ، ربيع بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجعد بن العجلان البلوى ، ربيعة بالجيم والحاء والحاء ثلاثة أقوال

(ز) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ ، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام أبو طلحة النجارى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان البلوى حليف بنى عمرو ، زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب ، زيد بن المزين بن قيس الخزرجى ، زيد بن عاصم بن كعب بن منذر النجارى ، زيد بن وديعة بن عمرو الخزرجى ، الزبير بن العوام ، زياد بن لييد بن ثعلبة الزرقى ، زياد بن عمرو ويقال ابن بشر أخو ضمرة حليف الأنصار ومولى لبنى ساعدة ، زياد بن كعب بن عمرو بن عدى الجهنى ، زاهر بن حرام الأشجى

(س) سعيد بن زيد بن عمرو ضرب له رسول الله ﷺ وأجره على قول من قال إنه لم يشهدا ، سعد بن أبى وقاص الزهرى ، سعد بن معاذ سيد الأيس ، سعد بن خيشة الأنصارى واستشهد ، سعد بن الربيع الخزرجى ، سعد بن مالك بن خالد الخزرجى والد سهل ابن سعد الساعدى ذكره الواقدى أنه خرج فمات فضرب له رسول الله ﷺ بأجره ومهمه ، سعد بن عبادة ذكره بعضهم ولم يذكره ابن عقبة وابن اسحق ، سعد بن عبيد بن النعمان

الأوسى ، سعد بن زيد بن الفاكه ، سعد بن خولى حليف لبنى عامر بن لوى ، سعد بن خولى مولى حاطب بن أبى بلتعة من مذحج وقيل من الفرس ، سعد بن خولة العامرى القرشى عند بعضهم وعند بعضهم حليف لهم ، سعد بن عثمان بن خلدة الزرقى يكنى أبا عبادة ، سعد بن زيد الأوسى ذكره ابن اسحق فيهم ، سهيل بن قيس بن أبى كعب السلمى ، سهيل بن عتيك بن النعمان النجارى ، سهيل بن حنيف بن واهب بن العكيم الأوسى ، سهيل ابن عدى ، سليم بن عمرو بن حديدة ويقال ابن عامر السلمى ، سليم بن الحارث بن ثعلبة النجارى ، سليم بن ماحان النجارى ، سليم بن قيس بن فهد النجارى ، سليم أبو كبشة مولى النبى ﷺ ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسى ، سلمة بن حاطب بن عمرو بن عتيك الأنصارى ، سلمة بن سلامة بن وقش الأوسى ، سلمة بن ثابت بن وقش الأوسى ، سالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، سماك بن حرشه أبو دجاجة الخزرجى ، سماك بن سعد أخو بشير بن سعد الخزرجى ، سنان بن أبى سنان الأسدى ، سنان بن صيفى بن صخر السلمى ، سهيل بن رافع النجارى وهو الذى كان له ولأخيه مسجد رسول الله ﷺ مربدأ قاله ابن عقبة ، سهيل بن عمرو بن أبى عمرو ، سهيل بن بيضاء القرشى الفهرى ، سليط بن عمرو أخو سهيل بن عمرو العامرى ذكره ابن عقبة فيهم ، سليط بن قيس بن عمرو النجارى ، سراقه بن كعب بن عمرو ابن عبد العزى النجارى ، سراقه بن عمرو بن عطية النجارى ، سبيع بن قيس الخزرجى ، سواد بن زيد ويقال ابن زريق السلمى ، سواد بن غزيرة البلوى أو النجارى ، سويبط بن سعد بن حرمة العبدى القرشى ، السائب بن مظعون أخو عثمان ، السائب بن عثمان بن مظعون ، سفيان بن بشر بن زيد

(ش) شريك بن عبد عمرو بن قيطى الأوسى ، شماس بن عثمان الخزومى ، شجاع بن أبى وهب الأسدى

(ص) صهيب بن سنان الرومى ، صفوان بن بيضاء الخزومى واستشهد ، صالح مولى رسول الله ﷺ يقال له شقران ذكره بعضهم

(ض) الضحاك بن حارثة السلمى ، الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود النجارى ، ضمرة
ابن عمرو وأخو بسبس

(ط) طلحة بن عبيد الله ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، والطفيل بن
ابن مالك بن خنساء السلمى ، والطفيل بن النعمان بن مالك بن خنساء . وليس فى حرف
الظاء أحد

(ع) عبد الله أبو بكر الصديق ، عبد الله بن مسعود ، عبد الله أبو سلمة بن عبد
الأسد الخزومى ، عبد الله بن رواحة الخزرجى ، عبد الله بن جعش الأمدى ، عبد الله بن
ثعلبة بن خزمة البلوى حليف الخزرج ، عبد الله بن الجند بن قيس السلمى ، عبد الله بن جبير بن
النعمان الأوسى ، عبد الله بن ربيع بن قيس الخزرجى ، عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجى ،
عبد الله بن طارق البلوى ، عبد الله بن كعب بن عمرو النجارى ، عبد الله بن مضمون الجمحى
عبد الله بن عبد الله بن أبى الخزرجى ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى ، عبد الله بن عمرو
ابن حرام والد جابر السلمى ، عبد الله بن عابس ويقال عيبس الخزرجى ، عبد الله بن عابس
ولم ينسبوه وقالوا هو من حلفاء الخزرج ، عبد الله بن قيس بن خلدة النجارى ، عبد الله بن قيس
ابن صخر السلمى ، عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية ، عبد الله بن سراقبة بن المعتز القرشى
العدوى ذكره ابن اسحق فيهم ، عبد الله بن سهيل بن عمرو العامرى ، عبد الله بن سلمة البلوى
عبد الله بن سهل الأشهل ، عبد الله بن مخزومة العامرى القرشى ، عبد الله بن حمير الأشجمى ،
عبد الله بن عرفطة ، عبد الله بن عبيد ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمى ، عبد الله بن عمير
الخزرجى ، عبد الله بن عامر البلوى ، عبد الرحمن بن عوف ، عبد الرحمن بن كعب أبو ليلى
الأنصارى ، عبد الرحمن بن جبير بن عمرو الأوسى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة البلوى
عبد الرحمن بن سهل الأنصارى قال ابن عبد البريقال إنه شهدها عبيد بن أوس بن مالك
الأوسى يقال له مقرن ، عبيد بن أبى عبيد الأوسى ، عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان ، عبد
ابن قيس بن عامر الزرقى ، عبيدة بن الحارث بن المطلب واستشهد ، عبد ياليل بن ثابت

الليثي حليف بني عدي بن كعب ، عبد ربه بن حق الأوسي الخزرجي الساعدي ، عبادة
ابن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن زيد الخزرجي ، عباد بن بشر الأوسي ، عباد
ابن عبيد بن التيهان الأوسي ، عباد بن قيس الزرقى ، عباد بن قيس بن عبسة بن أمية الخزرجي
عباد بن عبادة بن الخشخاش البلوي ، عمر بن الخطاب ، عمار بن ياسر ، عمير بن الحمام بن
الجوح السلمي واستشهد ، عمير بن أبي وقاص أخو سعد واستشهد ، عمير - والأكثر
يقولون عمرو - بن عوف مول سهيل بن عمرو ، عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء النجاري
كنيته أبو داود ، عمير بن معبد بن الأزهر الانصاري ذكره بعضهم ، عمير بن حرام بن عمرو
ابن الجوح السلمي ، عمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث السلمي ، عمرو بن معاذ أخو سعد ،
عمرو بن أبي سرح القرشي الفهري ، عمرو بن غزوة بن عمرو بن ثعلبة النجاري ، عمرو بن
طلق بن زيد السلمي ، عمرو بن قيس بن زيد النجاري ذكره بعضهم ، عمرو بن ثعلبة بن وهب
ابن عدي النجاري ، عمرو بن الحارث الفهري ذكره ابن عقبة ، عمرو بن إياس بن زيد بن
جشم حليف الأنصار ، عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ذكره ابن عقبة فيهم ،
عمرو بن سراقه بن المعتمر القرشي العدوي ، عمرو بن الحارث بن نصير بن أبي شداد الفهري
ذكره بعضهم ، عامر بن عبد الله بن الجراح أبو عبيدة ، عامر بن أبي وقاص أخو سعد ، عامر
ابن البكير الليثي ، عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي ، عامر بن عبد عمرو أبو جنة
الأوسي ، عامر بن سلامة البلوي ، عامر بن الحارث الفهري ويقال عمرو ، عامر بن ثابت بن
أبي الأفلح أخو عاصم ، عامر بن أمية بن زيد بن الخشخاش النجاري ، عامر بن مخلد بن
الحارث النجاري ، عويمر بن أشقر بن عوف ، عامر بن حزم أخو عمرو بن حزم النجاري ،
عامر بن أبي حسن النجاري ، عثمان بن عفان ضرب له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظعون ، علي
ابن أبي طالب ، عقبة بن وهب ويقال أبي وهب الأسدي ، عقبة بن وهب بن كلدة المظفاني
حليف الخزرج ، عقبة بن عامر بن نابت بن زيد بن حرام السلمي ، عقبة بن عثمان بن خلدة بن
مخلد الزرقى ، عتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل ، عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء
السلمي ، عتبة بن ربيعة البهراني حليف للأنصار ذكره بعضهم فيمن شهدها ، عياض بن زهير

الفهري ، عوف بن أثانة المعروف بمسطح المطلبي ، عوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن
عفراء واستشهد ، عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأوسى ، عاصم - ويقال عامر - بن العكبر
حليف للأنصار ذكره ابن عقبة فيهم ، عاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان الأوسى ، عاصم بن
هدى البلوى وقيل بل رده رسول الله وضرب له بسهمه وأجره ، عصمة بن الحصين بن وبرة
ابن خالد بن المجلان الخزرجى ، عصمة الأشجعى حليف لهم ذكره ابن عقبة فيمن شهدها ،
عصيمة الأسدى حليف لنبى النجار ، عصيمة الأشجعى حليف لهم ، عدى بن الزغباء الجهنى
عطية بن نويرة بن عامر الزرقى ، عائذ بن ماعص بن قيس الزرقى ، عبس بن عامر بن عدى
السلى ، عكاشة بن محصن الأسدى ، عوذ بن عفراء ، عتبان بن مالك الخزرجى ذكره
أكثرهم ، عتيك - ويقال عبيد - بن التيهان الأوسى ، عنزة مولى سليم بن عمرو وقيل هو من
بنى سليم بن منصور ، عاقل بن البكير الليثى واستشهد ، عليفة بن عدى بن عمرو الزرقى
كذا قال ابن هشام بالعين وقال ابن اسحق خليفة بالحاء ، عويم بن ساعدة الأوسى

(غ) غنام بن أوس الزرقى

(ف) فروة بن عمرو بن ودقة الزرقى ، الفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن

خلدة الزرقى

(ق) قيس بن مخلد بن ثعلبة النجارى ، قيس بن محصن بن خالد بن مخلد الزرقى ،

قيس بن أبى صعصعة النجارى ، قيس بن مكين بن قيس النجارى ، قيس بن عمرو بن قيس
ذكره بعضهم ، قتادة بن النعمان بن زيد الأوسى ، قطبة بن عامر بن حديدة السلى ، قدامة بن
مظنون الجمحى

(ك) كعب بن عمرو بن عباد أبو اليسر السلى ، كعب بن زيد النجارى ، كعب

ابن حار - وقيل جاز - وهو أخو سعد الجهنى ، كثير بن عمرو بن بنى سليم حليف بنى
أسد ذكره ابن اسحق وفى رواية زياد من شهدها ، كنان بن الحصين أبو مرثد الغنوى

(ل) لقيط بن عصر البلوى ، لبدة بن قيس بن النعمان السلى ذكره ابن السكلى فيهم

(م) محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ ، محمد بن مسلمة الأوسى ، معاذ بن جبل الخزرجى ، معاذ بن الحارث هو ابن عفراء ، معاذ بن عمرو بن الجموح السلمى ، معاذ بن ماعض الزرقى ذكره ابن الكلبي ، محمود بن مسلمة أخو محمد ذكره ابن الكلبي فيهم ، مالك بن التيهان أبو الهيثم البلوى حليف لبني عبد الأشهل وقيل إنه من أنفسهم ، مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار القرشى ، مالك بن قدامة بن عرفة الأوسى ، مالك بن رافع ابن مالك بن العجلان ، مالك بن عمرو من بني سليم حليف لبني عبد شمس ، مالك بن أبي خولى حليف للأصار ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدى ، مالك بن أمية بن عمرو من بني سليم حليف بني أسد ، مالك بن الدخشم الأوسى ، مالك بن نميلة وهى أمه وأبوه ثابت المزنى حليف الأوس ، مالك بن مسعود الساعدى ، معقل ابن المنذر السلمى ، مرثد بن أبي مرثد الغنوى ، معمر بن الحارث بن معمر الجمحى ، محرز بن فضلة الأسدى ، محرز بن عامر التجارى ، معوذ بن الحارث وهو ابن عفراء ، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمى ، معن بن عدى أخو عاصم البلوى ، مسعود بن عبد سعد الأوسى ، مسعود بن الربيع ويقال ابن ربيعة من بني الهون بن خزيمه ، مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة الزرقى ، مسعود بن خلدة الزرقى مسعود بن أوس بن زيد التجارى ، مسعود أبو محمد ، معبد بن قيس بن صخر بن - السلمى ، معبد بن عباد بن قشير أبو خبيصة الخزرجى ، معبد بن وهب العبدى ، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدى ، المنذر بن محمد بن عفة الأوسى ، المنذر بن قدامة الأوسى ، المنذر بن عرفة الأوسى ، معتب بن حمراء الخزاعى ويقال البلوى ، معتب بن بشير ويقال ابن قشير ابن مليل الأوسى ، مغيث بن عبيد البلوى ، مرارة بن ربيع ويقال بن الربيع الأوسى (۱) ، مصعب ابن عمير ، المقداد بن عمرو السكندى ، مبشر بن عبد المنذر الأوسى واستشهد ، المجذر بن

(۱) كذا ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب أن مرارة شهد بدرا، وصحح أبو بكر الأثرم وغيره أنه لم يشهدا وان قول الزبيرى فى حديث كعب بن مالك فى الصحيحين أنه شهدا غلط من الزبيرى كما سيأتى التنبيه عليه ان شاء الله فى غزوة تبوك. (عن هامش الاصل)

زياد البلوي ، مليل بن وبرة بن خالد بن العجلان الخزرجي ، مهجع بن صالح المكي مولى عمرو استشهد ، مدلاج بن عمرو

(ن) نوفل بن ثعلبة بن عبد الخزرجي ، النعمان بن عبد عمرو بن مسعود النجاري ، النعمان بن عصر بن الربيع البلوي ، نعيان^(۱) بن عمرو بن رفاعة النجاري ، النعمان ابن مالك بن ثعلبة الخزرجي ، النعمان بن يسار مولى لبني سلعة ، النعمان بن ثابت ، النعمان بن أبي جذمة ، نصر بن الحارث بن عبد الاوسي

(و) وهب بن مرح بن سعد بن ربيعة بن هلال الفهري ، وهب بن محسن الاسدي واقد بن عبد الله التيمي حليف بني عدى ، ورقه بن إباص بن عمرو بن غنم الخزرجي ، وديعة ابن عمرو الجهني حليف بني النجار

(هـ) هاني بن نيار أبو بردة البلوي ، هلال بن المعلى بن لوذان الخزرجي ، هلال بن أبي خولي عمرو بن زهير الجعفي حليف الخطاب بن نفيل ذكره ابن عقبة وابن الكلابي ، هبيل بن وبرة الانصاري ذكر ابن المنذر عن عروة أنه شهدها

(ي) يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك الخزرجي واستشهد ، يزيد بن المنذر بن مرح ابن خنساس السلمي ، يزيد بن رقيش بن رثاب بن يعمر الأسدي ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ذكره موسى وغيره ، يزيد بن ثابت بن الضحاك أخو زيد ذكره بعضهم ومن يعرف بكنيته ولا يعرف اسمه : أبو كبشة مولى رسول الله ، أبو حذيفة بن عتبة أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة

أبو حريمة بن أوس ، أبو سبرة ، أبو مليل بن الازعر

وقال حمزة بن عبد المطلب في يوم بدر وبعضهم ينكرها لحمزة :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مبيئة الأمر
وما ذلك إلا أن قوماً أقادهم فخانوا تواصوا بالمقوق وبالكفر

عشيّة راحوا نحو بدر بجمعهم
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها
فلما التقينا لم تكن مثنوية
وضرب بيض يختلي الرأس حدها
ونحن تركنا عتبة النى ثاويًا
وعمر و ثوى فيمن ثوى من حماهم
جيوب نساء من لوى بن غالب
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم
لواء ضلال قاد إبليس أهله
وقال لهم إذ عين الأمر واضحًا
فاني أرى ما لاترون وإني
فقدمهم للحين حتى تورطوا
فكانوا غداة البذر الفأ وجمعنا
وفينا جنود الله حين يمدنا
فشد بهم جبريل تحت لوائنا

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة فقال :

ألا يا لقوم للصبابة والهجر
وللدمع من عيني جودا كأنه
على البطل الحلو الشائل إذ ثوى
فلا تبعدن يا عمرو من ذي قرابة
فان يك قوم سادفوا منك دولة
فتمد كنت في صرف الزمان الذي مضى
وللحزن عني والحرارة في الصدر
فريد هوى من سلك ناظمة يجرى
رهين مقام للركية من بدر
ومن ذي ندام كان ذا خلق غمر
فلا بد للأيام من دول الدهر
تربهم هوأنا منك ذا سبل وعر

فإلا أمت يا عمرو أتركك ثاراً
وأقطع ظهراً من رجال بمعشر
أغرهم ما جمعوا من وشيظة (۱)
فيال لؤي ذبوا عن حريمكم
توارنوها آباؤكم وورثتم
فما لحليم قد أراد هلاككم
وجدوا لمن عاديتمو وتوازرروا
لعلكم أن تتأروا بأخيكم
بمطردات في الأكف كأنها
كان مذب الذرّ فوق متونها

ولا أبق بقيا في إخاء ولا صهر
كرام عليهم مثل ما قطعوا ظهري
ونحن الصميم في القبائل من فهر
وآلهة لا تتركوها لدى الفخر
أوامسيتها والبيت ذا السقف والستر
فلا تعذروه آل غالب من عذر
وكونوا جميعاً في التأسى وفي الصبر
ولا شيء إن لم تتأروا بذوي عمرو
ومبيض تطير الهمام بينة الأبر
إذا جردت يوماً لأعدائها الخزر

قال ابن هشام : أبدلنا فيها كلمتين مما روى ابن إسحاق وهما « الفخر » و « فما لحليم »

لأنه نال فيها من النبي ﷺ

وقال ضرار بن الخطاب الفهري :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر
وفخر بني النجار إن كان معشر
فان تك قتل غودرت من رجالنا
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم
ووسط بني النجار سوف نكترها
فتترك صرعى نعصب الطير حولهم
وتبكيهم من أهل يثرب نومة
وذلك أنا لا تزال سيوفنا

عليهم غدا والدهر فيه بصائر
أصيبوا بيدر كلهم ثم صابر
فانا رجالا بـمـهم سفادر
بني الأوس حتى يشقى النفس ثار
لها بالقنا والدارعين زوافر
وليس لهم إلا الأمانى ناصر
لهن بها ليل عن النوم ساهر
بين دم عن يحاربن مائر

(۱) الوشيظة : الأنباع

فان تظفروا في يوم بدر فانما
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه
يعدُّ أبو بكر وحمة فيهم
أولئك لا من نتجت في ديارها
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
هم الطاعنون الخيل في كل معرك
فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة :

عجبت لأمر الله والله قادر
قضى يوم بدر أن نلقى معشراً
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
وسارت البنا لا تحاول غيرنا
وفينا رسول الله والأوس حوله
وجمع بني النجار تحت لوائه
فلما لقيناهم وكل مجاهد
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وقد عُرِّيت بيض خفاف كأنها
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا
فكذب أبو جهل صريهاً لوجهه
وشيبة والتميم غادرن في الوغى
فأمسوا وقود النار في مستقرها
تلظى عليهم وهي قد شبت حميها

(١) الوشيطة : الأنباع

وكان رسول الله قد قال أقبلوا فلووا وقالوا إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمر حَمَّه الله زاجر
وقال عبد الله بن الزبير يبيكي قتلى بدر، وتروى للأعشى بن زرارة التميمي :

ماذا على بدر وماذا حوله من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيها بينهم ومنبهاً وابن ربيعة خير خصم فقام
والحارث الفياض يبرق وجهه كالبدر جلى ليلة الإظلام
والعاصي بن منبه ذا مرة رحماً تميها غير ذى أوصام
تمى به أعراقه وجدوده وماثر الأخوال والأعمام
وإذا بكى باك فأعول شجوه فعل الرئيس الماجد ابن هشام
حيا الإله أبا الوليد ورهطه رب الأنام وخصه بسلام

فأجابه حسان بن ثابت :

ابك بكت عينك ثم تبادرت بدم تعلق غروبها سجام
ماذا بكيت به الذين تابعوا هلا ذكرت مكارم الأقسام
وذكرت منا ماجداً ذاهمة سمح الخلائق صادق الإقدام
أعنى النبي أخوا المكارم والندى وأبر من يولى على الأقسام
فلمثله ومثل ما يدعو له كان المدح ثم غير كهام

وقال حسان أيضاً :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة تشفى الضجيع بيارد بسام
كالمسك تمخظه بماء سحابة أو عاتق كدم الذبيح مدام
نُفجُ الحفوية بوصها متنضد بلها غير وشيكة الأقسام
بنيت على قطن أجَمَّ كأنه فضلا إذا قعدت مَدَاك رُخام^(۱)

(۱) القطن : الساق . المداك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب

وتكاد تسكل أن تجيء فراشها
أما النهار فلا أفتّر ذكرها
أقسمت أنساها وأترك ذكرها
بل من لعاذلة تلوم سفاهة
بكرت على بسحرة بعد الكرى
زعمت بأن المرء يكرب عمره
إن كنت كاذبة الذي حدثني
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
تذر العناجيج الجياد بقفرة
ملأت به الفرجين فارمدت به^(۳)
وبنو أبيه ورهطه في معرك
طحنهم والله ينفذ أمره
لولا الإله وجريها لتركته
من بين مأسور بشد وثاقه
ومجدل لا يستجيب لدعوة
بالعار والذل المبين إذا رأى
بيدي أغر إذا اتقى لم يخرزه
بيض إذا لاق حديدا صمت

في جسم خرعة^(۱) وحسن قوام
والليل توزعني بها أحلامي
حتى تغيب في الضربح عظامي
ولقد عصيت على الهوى لوأمي
وتقارب من حادث الأيام
عدم المعتكر من الإصرام
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ونجا برأس طميرة ولجام
مرّ الدموك بحصد ورجام^(۲)
وثوى أحبته بشر مقام
نصر الإله به ذوى الإسلام
حرب يشب سعيها بضرام
جزر السباع ودسته بحوام
صقر إذا لاق الأمنة حام
حتى تزول شوامخ الاعلام
بيض السيوف تسوق كل همام
نسب القصار سميدع مقدم
كالبرق تحت ظلال كل غمام

قال ابن هشام : فأجابه الحارث بن هشام فقال :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا شهري باشقر مزيد

(۱) الخرعة : اللينة الناعمة

(۲) العناجيج : الحسان . الدموك : البكرة فيها الحبل (۳) ارمدت : أسرعت

ووجدت ربح الموت من تلقائهم في مآزق والخيل لم تبسدد
وعرفت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي
فصدت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لم يعقاب يوم مفسد
وكان الأصمى يقول: هذا أحسن ما قيل في الاعتذار. وقال خلف الأحمر: أحسن
ما قيل في ذلك أبيات هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

لعمرك ما ولت ظهري عمداً وأصحابه جنباً ولا خيفة للقتل
ولسكنتي قلبت أمرى فلم أجد لسيفي مساعاً إن ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي رجعت يعود كالهزبر إلى الشبل

وغزا الحارث بن هشام أحداً مع المشركين، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان
من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان من المؤلفين قلوبهم

وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب رمضان وأوائل شوال. وفي أول شوال
صلى صلاة الفطر

غزوة بني سليم

وفي أوائل شوال، وقيل بعد بدر بسبعة أيام، وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث، خرج
عليه الصلاة والسلام يريد بني سليم، فباغ ماء يقال له قرقرة السكر، وهي أرض ملساء،
والسكر طير في لونها كدرة، فأقام بها ثلاث ليال وقيل عشراً فلم يلق حرباً، وكانت غيبته
خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة النخاري وقيل ابن أم مكتوم، وحمل
اللاء على بن أبي طالب، وقيل إنه أصاب لهم نعماً يزيد على خمسمائة وغلاماً يقال له يسار
فأعتقه، ورجع ولم يلق كيداً. وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من بني سليم وغطفان فسار
اليهم فلم يجد في الحال أحداً

غزوة السويق

قال ابن إسحق: ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق وكان نذراً أن لا يمس رأسه

من جنابة حتى بغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حبي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخاف ، فانصرف منه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن فقراه وسفاه ويطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجلاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية فخرقوا في أصوار من نخل بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ، وندر بهم رسول الله ﷺ فخرج في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وطرحوا كثيراً من أزوادهم يتخفون منها للنجاء ، فأخذها المسلمون ، فسميت غزوة السويق ، قال المسلمون : يا رسول الله أتطمع أن لنا غزوة (۱) ؟ قال : نعم

وفي ذي الحجة من هذه السنة صلى رسول الله ﷺ العيد وأمر بالأضحية . وفيها مات عثمان بن مظعون . وفيها تزوج علي بفاطمة وبني بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف ، وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ، وسنه يومئذ نحو إحدى وعشرين وخمسة أشهر ، ولم يتزوج عليها حتى مات

غزوة غطفان

وهي غزوة ذي أمر بفتح الهمزة والميم ، وسماها الحاكم غزوة أمار ، وهي بناحية نجد ، وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة . وسببها أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة ، جمعهم دعثور بن الحارث المخزومي ، وسماه الخطيب غورث وغيره عورك ، وكان شجاعاً . فندب رسول الله ﷺ المسلمين ، وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً ، واستخاف على المدينة عثمان بن عفان . فلما سمعوا بمهبطه هبطوا في رؤوس الجبال فأصابوا رجلاً منهم يقال له جبار من بني ثعلبة ، فأدخل على رسول الله ﷺ ،

(۱) أي ثواب الجهاد

فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال ، وأصاب النبي ﷺ مطر ، فنزع ثوبه ونشرها على شجرة ليحفظها واضطجع تحتها وهم ينظرون ، فقالوا : قد اتفرد محمداً فعليك به ، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ فقال ﷺ : الله . فدفع جبريل في صدره فوق السيف من يده فأخذه النبي ﷺ فقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام ، وأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسطروا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ الآية . ويقال كان ذلك في ذات الرقاع . ثم رجع ﷺ ولم يبق كيداً . وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة

غزوة نجران

وتسمى غزوة بني سليم من ناحية الفرع بفتح الفاء والراء . وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم ، فخرج في ثلاث مائة رجل من أصحابه ، فوجدهم قد تفرقوا في مياهم ، فرجع ولم يلق كيداً . وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم كما قاله ابن هشام ، وكانت غيبته عشر ليال . وقيل إنه خرج يريد قريشاً ، ذكره ابن إسحاق

(سرية زيد بن حارثة) إلى القرادة بالقاف المفتوحة والراء الساكنة ، وقيل بالفاء وكسر الراء ، اسم ماء من مياها نجد . وسببها كما قاله ابن إسحاق أن قريشاً خافوا من طرقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، وكان فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة ، فلقبهم زيد ومن معه على ماء يقال له القرادة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ . وعند ابن سعد وكان مبعثه على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة في مائة راكب بعترض عيراً لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة فأصابوها ، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ ، وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم



غزوة بني قينقاع

بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر . قال ابن سعد : وكان يوم السبت النصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة ، وكانوا أول من نقض العهد . قال ابن اسحاق : وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلعوا ، فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم . قالوا : يا محمد إنك ترى أنا قومك ، لا يفرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس . قال فحدثني مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبيرة أو عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء ، الآيات إلا فيهم ﴿ قل للذين كفروا استغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ الآية

وكان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي ، فراودها على كشف وجهها فأبت ، فعمد إلى طرف ثوبها ففقدته إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواها فصاحت ، فضحكوا منها . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . فشدت اليهود على المسلم فقتلوه . ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع ، فسار اليهم النبي ﷺ بعد أن استخاف أبا لبابة بن عبد المنذر فحاصرم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة ، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض . فقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية . فأمر عليه السلام المنذر بن قدامة بتكليفهم ، وكلم عبد الله بن أبي بن سلول رسول الله ﷺ فيهم وألح عليه من أجلهم فقال : خلوهم لنهم الله ولعنه معهم . وأمر أن يجلووا من المدينة وتركهم من القتل . وتولى ذلك عبادة بن الصامت ، قاحتوا باذرعات ، فما كان أقل بقاءهم ، وخست أموالهم ، فأخذ رسول الله ﷺ صفية الخمس وفض بقية أخماسه على أصحابه ، فكان أول ما خمس بعد بدر . ذكر ذلك ابن سعد . قال في عيون الأثر : كذا وقع في رواية « صفية الخمس » والمعروف أن

الصفي غير الخمس . وعن الشعبي قال : كان لرسول الله ﷺ منهم يدعى « الصفي » قبل الخمس . وعن عائشة قالت : كانت صفة من الصفي . فلا أدري أسقطت الواو^(۱) أم كان هذا قبل حكم الصفي . انتهى والله أعلم

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت ، فترا عبادة من حلفهم فقال : يا رسول الله أتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم . ففيه وفي عبد الله أنزل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ إلى قوله ﴿ فان حزب الله هم الغالبون ﴾ وكانوا أربعائة حاصر وثلاثمائة دارع ، وكانوا صاغة وتجارا ، ولم يكن لهم أرضون

سرية كعب بن الأشرف

ذكر ابن سعد أنها كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين من مهاجرة عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب القلب يوم بدر وقدم زيد بن حارثة بشيرا إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية يبشران بالفتح قال كعب - وكان رجلا من طيء ثم أحد بني نبهان ، وكانت أمه من بني النضير - أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هؤلاء الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس . والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما أيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القلب ، ثم رجع إلى المدينة فشبه بنساء المسلمين حتى آذاهم . و ذكر ابن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال : ثم انبعث عدو الله يهجو رسول الله ﷺ ويمدح عدوهم ويحرضهم عليهم ، فلم يرض بذلك حتى ركب إلى قريش فاستعواهم على رسول الله ﷺ ،

(۱) فتكون الرواية « صفيه والخمس »

فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه ؟ وأي ديننا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ فقال : أنتم أهدى منهم سبيلاً وأفضل . فقال رسول الله ﷺ : من لنا بأبن الأشرف ، فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا ، وقد أخبرني الله بذلك ، ثم قدم أخبث ما كان ينتظر قريشاً تقدم عليه فيقاتلنا . ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله فيه ﴿ ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ الآية

وروى البخاري في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : من لسكب بن الأشرف ، فإنه قد آذى الله ورسوله ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أحب أن قتله ؟ قال نعم . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا لرجل قد سألنا صدقة ، وإنه قد عنانا . قال : وأيضاً والله لتملئه . قال : فانا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين . فقال : م : ارهنوني . فقالوا : أي شيء تريد ؟ قال ارهنوني نساءكم . قالوا كيف نزهنك نساءنا وأنت رجل العرب ؟ قال : فارهنوني أبناءكم . قالوا : كيف نزهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن سق أو وسقين ؟ هذا عار علينا ، ولكننا نزهنك الأمة . قال سفيان : يعني السلاح - واعدته أن يأتيه ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة ؟ قال : إنما هو محمد بن مسلمة ، وأخي رضي أبو نائلة . وقال غير عمرو : قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . فقال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ، ورضي أبو نائلة . إن الكريم لو دُعِيَ إلى طعنة أجاب . قال ويدخل يد بن مسلمة برجلين . قيل لسفيان : سماهم عمرو ؟ قال سمى بعضهم . قال عمرو : جاء معه رجلين . وقال غير عمرو : أبو عبس بن جبير والحارث بن أوس وعبادة بن بشر . قال عمرو : نال إذا ما جاء فاني قاتل بشره فأشبهه ، فإذا رأيتوني استمكنت من رأسه فدوتكم ضربوه . وقال مرة ثم أشمكم . فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ ریح الطيب فقال : ما رأيت كالأيوم ريحاً ، أي أطيب . وقال غير عمرو : قال عندي أعطر نساء العرب ، وأكل العرب

قال عمرو فقال : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال نعم . فشبه ثم أشم أصحابه ثم قال : أتأذن لي قال نعم ، فلما استمكن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه . انتهى . وفي رواية ابن سعد : فلما قتلوه وبلغوا بقيع الفرقد كبروا . وقد قام عليه السلام تلك الليلة بصلي ، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه . فلما انتهوا إليه قال : أفلحت الوجوه . قالوا : ووجهك يا رسول . ورموا برأسه بين يديه . حمد الله على قتله ، وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس فجرح ونزف الدم ، فتفل عليه الصلاة والسلام على جرحه فلم يؤذه بعد . زاد ابن إسحاق في روايته : فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعد ، والله فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه . وقال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه . فوثب محيصة بن مسعود على ابن سبيته رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبايعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يقول : أي عدو الله أفتلته ؟ قال : أما والله لرب شحم في بطنك من ماله . قال محيصة : فقلت : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة . قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال : نعم والله . قال : فوالله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب . فأسلم حويصة

غزوة أحد

وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها ، وسمى بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هناك ، ويقال له ذو عينين . قال في القاموس : بكسر العين وفتحها مثني ، جبل بأحد وهو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام : أحد جبل يحبنا ونحبه ، وكانت عنده الواقعة المشهورة في شوال بالاتفاق يوم السبت لأحد عشر ليلة خلت منه ، وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه ، وعن مالك : بعد بدر بسنة ، وعنه أيضاً : كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن إسحاق عن شيوخه ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة وابن سعد قالوا ومن قال معهم : إن قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة وقد أصيب أصحاب القليب . ورجع أبو سفيان بعيره . قال عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن

أبي جهل في جماعة ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربته - يعنون غير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة - لعلنا أن ندرك منه ثاراً . فأجابوا لذلك ، فباعوها وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار ، وفيهم كما قال ابن إسحاق وغيره أنزل الله تعالى ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغابون ﴾ ولما اجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم ، وسار بهم أبو سفيان حتى نزل بهم بطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة ، وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش ، وجاءوا معهم بنسائهم لتلا يفروا ، وكان ذلك في شوال من السنة الثالثة . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله للمسلمين : إني قد رأيت والله خيراً : رأيت بقرأ تذبج ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها للمدينة . فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا بشرّ مقام فامكثوا ، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت . وواقفه على هذا الرأي عبد الله بن أبي وكان هو الرأي ، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر فقالوا : يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم ، أخرج إلى أعدائنا لا يرون أننا جئنا عنهم . فصل عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبر أن لهم النصر بما صبروا ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم . ففرح الناس بذلك . ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي ، ثم دخل عليه السلام بيته ومعه أصحابه أبو بكر وعمر فعماه وألبساه ، وصف الناس ينظرون خروجه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : استكروهم رسول الله على الخروج ، فردوا الأمر إليه . فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته - وهي بالهمز وقد يترك تخفيفاً الدرع - وتقلد السيف فندموا جميعاً على ما صنعوا فقالوا : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ، فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي وصححه الحاكم نحو حديث ابن اسحق وعقد **عليه السلام** ثلاثة ألوية : لواء بيد أسيد بن حضير ، ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة . وفي المسلمين مائة دارع . وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة ، وأدلى عليه السلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصفرهم ، منهم أسامة بن زيد وابن عمرو وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وعرابة بن أوس وعمرو بن حزم . انتهى . هكذا ذكر جماعة من أهل السير منهم ابن اسحق أن البراء بن عازب ممن رده رسول الله في ذلك اليوم ، وحديثه في البخاري يدل على شهوده القتال ذلك اليوم . انتهى . وأجاب من رآه مطيقا ، وكان منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج ولها خمس عشرة سنة ، وكان المسلمون ألف رجل ويقال تسع مائة والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير ، ونزل عليه السلام بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر فبين تبعه من قومه وقال : يخالفني ويسمع من غيري ، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر يوبخهم ويحرضهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو اذفعا ، قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع . فرجع عنهم وسبهم . وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بجلقاتهم من يهود فآبى ، فسلك حرة بنى حارثة وقال : من رجل يخرج بنا على القوم من كذب ؟ فخرج به بعض الأنصار حتى ملك في حائط لبعض المنافقين وكان أعمى ، فقام يحشو التراب في وجوه المسلمين ويقول : لا أحل لك أن تدخل في حائطى إن كنت رسول الله . فابتدره القوم ليقتلوه فقال : لا تقتلوه فهذا أعمى القلب والبصر . ونفذ رسول الله **ﷺ** حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي فجعل ظهره الى أحد ، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم ، فلما أصبح يوم السبت تبعاً للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسا ، وجعل رسول الله **ﷺ** على الرماة وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير وقال : إن رأيتونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتونا هزمتنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل

اليك كذا في البخاري من حديث البراء . وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع ثم قال : أحموا ظهورنا ، فإن رأيتونا تقتل فلا تنصرفوا ، وإن رأيتونا قد غنمنا فلا تشركونا . وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام ، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين «وتعبت قريش فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى اليسرة عكرمة بن أبي جهل . وقال ابن اسحق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكهم عنهم حتى قام إليه أبو دجاجة سماك بن خرشة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به وجوه العدو حتى ينهني . قال : أنا أخذه بحقه يا رسول الله . فأعطاه إياه . وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب . فلما رآه عليه السلام يتبختر قال : إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن

فأقتل الناس حتى حميت الحرب ، فقاتل أبو دجاجة حتى أمدن في الناس ، وقاتل حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسود رسول الله قتالا شديدا حتى قتل أرطاة بن عبد شريحيل بن هانم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، والتقى حنظلة النسييل وأبو سفيان بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود بن شعوب الليثي فقتله ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن حنظلة لتغسله الملائكة . فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبي فقالت : خرج وهو جنب . فقال عليه السلام : لذلك غسلته الملائكة . وبذلك تمسك من قال من العلماء إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً اقتداءً بالملائكة وكان أول من بدر من المشركين يومئذ أبو عامر الفاسق ، وكان رأس الأوس في أجاهلية ، فلما جاء الإسلام شق به وجاهر رسول الله بالعداوة ، فخرج من المدينة وذهب إلى قريش يؤايبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، ووعدهم أن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه ، وكان أول من اتقى المسلمين يومئذ فنادى قومه وتعرف إليهم فقالوا : لا أنعم الله بك علينا يا فاسق فقال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم قاتل المسلمين قتالا شديداً . وكان شعار المسلمين : أمت أمت . وأبلى أبو دجاجة ، طلحة بن عبيد الله وأسود الله وأسود رسول الله حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب والنضر بن أنس وسعد بن الربيع ، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين فسوم بالسيوف ، فانهزم عدو الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نساءهم . وفي حديث البراء عند

البخارى فى الصحيح : فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل يرفعن سوقهن قد بليت خلاخيلهن . قال البراء ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون ؟ فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ؟ قالوا والله لنا تين الناس فلنصيبن من الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين . وفى حديث عائشة عند البخارى أيضا : لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة ، فصاح إبليس بنى أى عباد الله أخراكم ، أى احترزوا من ورائكم . فرجعت أولام فاجتادت هى وأخراهم ، فبصر حذيفة فاذا هو بابيه اليمان فقال : أى عباد الله أبى . قالت : فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتله . فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زالت فى حذيفة بقية خير حتى لحق بالله . وذكر غير البخارى أن رسول الله ﷺ أراد أن يديه ، فقال حذيفة : تصدقت بديته على المسلمين . فزاد ذلك حذيفة خيرا عند النبي ﷺ . وعند أحمد والحاكم من حديث ابن عباس أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكريان فلم يتميزوا فوق القتل فى المسلمين بعضهم من بعض . وفى رواية غيرها : ونظر خالد بن الوليد ومن معه الى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بانخيل ، وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على منى بقى من النفر الرماة فقتلوه وأميرهم عبد الله بن جبير . وعند ابن اسحق عن الزبير أنه قال : والله لقد رأيتنى أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير ، اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه خلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدا قد قتل ! فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ، ولم يزل اللواء صريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرمته لقريش فلا توابه ، وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبى طلحة حبشى ، وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدرة وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت ؟ يقول أعذرت . وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، كان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلص العدو الى رسول الله ﷺ فدق بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكامت شفته السفلى ، وكان الذى أصابه عتبة بن

أبي وقاص ، وسقط رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها فأخذ على يديه ، واحتضنه طلحة بن عبيد الله ، وكان الذي تولى أذاه عبد الله بن قثم وهو الذي شجّه في وجهه . وفي الطبراني أنه هو الذي شج رسول الله ﷺ وكسر رباعيته فقال : خذها وأنا ابن قثم ، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه : أمّاك الله ، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعاه قطعة قطعة

وعند ابن عائد من طريق الأوزاعي : بلغنا أنه لما خرج رسول الله ﷺ يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه وقال : لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء . ثم قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . وقال نافع بن جبیر : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية رسول الله ﷺ وسطها كل ذلك بصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجاً ، ورسول الله ﷺ إلى أحد ، ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان فقال : والله ما رأيت ، أحلف بالله أنه منا ممنوع ، فخرجنا أربعة فعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخاص إلى ذلك . وروى ابن اسحق عن حميد الطويل عن أنس قال : كسرت رباعية النبي ﷺ وشج في وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ﴾ الآية . ورواه مسلم بنحوه . ورواه أحمد والترمذي والنسائي عن طرق عن حميد به . وفي الصحيحين عن سعد قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما بياض كاشد القتال ، وما رأيتهما قبل ولا بعد . وفي رواية لهما : يعني جبريل وميكائيل . وفي رواية لهما : رأيت عن يمين النبي ﷺ وشماله رجلين . الحديث . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ يوم أحد : هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب . وفي البخاري من حديث البراء : لم يبق معه ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً ، فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم . وفي صحيح مسلم أنه ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة سن الأنصار ورجلين من قريش . فلما رهبوه قال : من يردم عنا وله الجنة . فتقدم رجل من الأنصار

فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ : ما أنصفنا أصحابنا .
يروى بفتح الفاء وباسكانها . انتهى . ثم جالدم طلحة حتى أجهضهم عنه ، وترس أبو دجاجة
عليه بظميره والنبل يقع وهو لا يتحرك ، وحينئذ قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص :
ارم فداك أبي . أخرجاه في الصحيحين . وفي رواية عن سعد قال : سل لي رسول الله ﷺ
كنانته وقال : ارم فداك أبي وأمي . وفيها عن أبي عثمان قال : لم يبق مع النبي ﷺ في
بعض تلك الأيام التي يقاتل فيها غير طلحة بن عبيد الله وسعد . وفي البخاري عن قيس قال :
رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي ﷺ يوم أحد . وفي صحيح ابن حبان عن عائشة قالت قال
أبو بكر الصديق : لما كان يوم أحد انصرف الناس عن النبي ﷺ ، فكنت أول من قام
إلى النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه ، فقلت كن طلحة فداك أبي وأمي ،
فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح ، وإذا هو يشتد كالطير حتى لحقني ، فدفعنا إلى
النبي ﷺ ، فاذا طلحة بين يديه صريعا ، فقال النبي ﷺ : دوتكم أخاكم فقد أوجب ، وقد
رُمى النبي ﷺ في وجنته ورمى في جبهته حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في جبهته ،
فذهبت لأنزعهما فقال أبو عبيدة : نشدتك الله يا أبا بكر لا تركتني . قال فأخذ بفيه فجعل
ينضضه كراهية أن يؤذي النبي ﷺ ، ثم اسئل السهم فندرت ثنية أبي عبيدة ، ثم ذهبت
أخذ الأخرى فقال أبو عبيدة : نشدتك الله يا أبا بكر لا تركتني . قال فأخذ بفيه فجعل
ينضضه ثم سله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى ، ثم قال النبي ﷺ : دونكم أخاكم قد
أوجب . قال فأقبلنا على طلحة تعالجه وقد أصابه بضع عشرة ضربة . وقيل نشبت حلقتان من
حلق المغفر في وجهه فأنزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة
غوصهما في وجهه . ورواه أبو داود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن إسحق بن يحيى بن طلحة بن
عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن عائشة قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال :
ذاك يوم كله لطلحة . ثم أنشأ يحدث فذكر نحوه ، وفيه : ان أبا عبيدة استخرج الحلقتين ،
وكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما . وامتنص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم
من وجنته ، فقال ﷺ : حجة . فقال : والله لا أجهه أبدا . ثم أدير يقاتل ، فقال النبي ﷺ :

من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا . فقتل شهيد . وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قنمة وهو بظنه رسول الله ، فصاح ابن قنمة : إن محمدا قتل . وأعطى رسول الله اللواء بعده على بن أبي طالب فقاتل قتالا شديدا . وصرخ الشيطان : إن محمدا قد قتل . فوقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين . ومبر أنس بن النضر بقوم قد ألقوا بأيديهم فقال : يا قوم ما تنتظرون ؟ فقالوا : قتل رسول الله . فقال : ماتصنعون بالحياة بعده ؟ فتوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل الناس ، ولقي سعد بن معاذ فقال : يا سعد انى لأجد ربح الجنة من دون أحد . ثم استقبل المشركين وقال : اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المسلمين ، وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين . ثم قاتل حتى قتل فما عرفه إلا أخته بينانه . ووجدوا به سبعين ضربة . أخرجه البخارى من حديث أنس . ووجدوا يومئذ بعبد الزحمن بن عوف نحو عشرين جراحة ، بعضها فى رجله فمرج منها إلى أن مات . ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال : يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل ؟ فقال : إن كان قتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم . فنزلت ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ الآية . وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين ، وكان أول من عرفه كعب بن مالك الشاعر ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله . فأشار إليه رسول الله أن اصمت . فلما عرفه المسلمون لاذوا به ونهضوا معه الى الشعب ، وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحارث بن الصمة الأنصارى وغيرهم

قال ابن اسحق فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبى بن خلف على جواد له زعم عدو الله أنه يقتل عليه رسول الله ، فلما اقترب منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فمأخذها منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير ، ثم استقبله عليه السلام فطعنه بها طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج لها دم ، فكسر ضلعا من أضلاعه . فلما رجع الى قريش قال : قتلتى والله محمد ، أليس قد قال لى بمكة أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلنى . فمات عدو الله بسرف . رواه البيهقى وأبو نعيم ، ولم يذكر فكسر ضامنا

من أضلاعه . وفي رواية أبي الأسود عن عروة : فاحتمله أصحابه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك ، إنما هو خدش . فذكر لم قول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتل أيا . ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل ذى الحجاز لما تواجفوا جميعا . فمات الى النار . وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن ابن المسيب بنحره .

قال ابن اسحق : ولما انتهى رسول الله ﷺ الى فم الشعب ملأ على بن أبي طالب درقته من المهراس - قيل هو صخرة منقورة تسع كثيرا ، وقيل هو اسم ماء بأحد - فجاء به رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحا ففاهه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري عن عثمان الجريري عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه وقال : اللهم لا تحمل عليه الحول حتى يموت كافرا ، فما حال عليه الحول حتى مات كافرا الى النار . وفي الصحيحين عن سهل أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال : والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء ، كانت قاطمة ابنته تغسله وعلى بن أبي طالب يسكب الماء . فلما رأته قاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فاستمسك الدم .

قال ابن اسحق : فبينما رسول الله ﷺ في الشعب ، معه أولئك نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم لا ينبغي لم أن يعلونا ، فقاتل عمر ابن الخطاب ورهط معه حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض رسول الله ﷺ الى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله ﷺ كما حدثني يحيى بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى عفرة أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح ، وصلى المسلمون خلفه قعودا . وانهمز قوم من المسلمين يومئذ فبلغ بعضهم

الى الحلوب دون الأعوص ، منهم عثمان بن عفان وعثمان بن عقبة الأنصاري ، فغفر الله ذلك لهم ، ونزل القرآن بالعفو عنهم بقوله ﴿ ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ﴾ الآية . واشتغل المشركون ونساؤهم يقتل المسلمین يمثلون بهم ويقطعون الأذان والأنوف والفروج وييقرون البطون . وپقرت هند بنت عتبة عن كبد حمزة فلا كتها فلم تستطع أن تسيغها فاففظتها

. ولما أراد أبو سفیان الانصراف أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : انعمت فعال ،

ان الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، اعل هبل

وفي حديث البراء عند البخاري في صحيحه : فأصيب منا سبعون قتيلًا ، فأشرف أبو

سفیان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال لا تجيبوه .

فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : إن هؤلاء قد قتلوا . فلم يملك عمر

نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، قد أبقي الله ما يخزيك . وفي رواية : إن الذين عددت لأحياء ،

وقد أبقي الله لك ما يسوءك ، فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون في القوم

مثلة لم أمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز : اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه ؟

قالوا يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجل . ثم قال : لنا العزى ولا عزى لكم .

قال رسول الله ﷺ ألا تجيبونه ؟ قالوا يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى

لكم . انقرد به البخاري . وفي رواية الامام أحمد عن ابن عباس قال أبو سفیان : يوم بيوم

بدر ، والحرب سجال . قال عمر لاسواء ، قتلانا في الجنة وقتلناكم في النار . وفي رواية عن ابن

مسعود أن رسول الله ﷺ هو الذي أجابه في ذلك ، وأنه قال : لا سواء أما قتلانا فأحياء

يرزقون ، وأما قتلناكم في النار يعذبون . وفيه قال فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند

كبده فلا كتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : أكلت شيئًا ؟ قالوا لا . قال

ما كان الله ليدخل شيئًا من حمزة النار

وروى الامام أحمد وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال :

ما نصر الله النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد ، فأنكرنا ذلك عليه ، فقال ابن عباس ،

بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله ، ان الله يقول في يوم أحد ﴿ ولقد صدقكم الله وعده

اذ تحسونهم باذنه) يقول ابن عباس : والحس القتل ، (حتى إذا فثلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم) الآية . وإنما عني بهذا الرماة . واقد كانت الدولة لرسول الله ﷺ أول النهار حتى سقط من أصحاب لواء المشركين تسعة أوسبعة الحديث وفيه أن عمر قال : يا رسول الله ألا أجيبه ؟ قال بلى . فلما قال اعل هبل قال عمر : الله أعلى وأجل . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، وإن الحرب سجال ، قال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . قال : إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا انتهى . قال في الهدى فامرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته وبشرکه تعظيماً للتوحيد وإعلاماً بعزة من عبد المسلمون وقوة جانبه وأنه لا يغلب ، ونحن جنده وحزبه ، ولم يأمرهم بإجابته حين قال أفیکم محمد ، أفیکم ابن أبي قحافة ، أفیکم عمر ؟ بل قد روى أنه نهام عن إجابته لأن كلهم لم يكن يرد بعد في طلب القوم ونار غيظهم بعد متوقدة ، فلما قال لأصحابه أما هؤلاء فقد كفيتموهم حتى عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال : كذبت يا عدو الله . وكان في هذا الإعلام من الأدلال والشجاعة وعدم الجبن والتعرف إلى العدو في تلك الحال ما يؤذنيهم بقوة العزم وبسالتهم ، وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا ، وأنه وقومه جديرون بعد بالخوف منهم ، وقد أبقى لهم ما يسوءهم منهم . وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة بعد ظنه وظن قومه أنهم أصيبوا من المصلحة وغيظ العدو وحزنه والفت في عضده ما ليس في جوابه حين سألم عنهم واحداً بعد واحد ، وكان سؤاله عنهم ونعتهم لقومه آخر سهام العدو وكيدته فصبر له النبي ﷺ حتى استوفى كيدته ثم انتدب له عمر فرد سهامه عليه ، وكان ترك الجواب أولى وأحسن ، وذكره ثانياً أحسن . وأيضاً فإن في ترك إجابته حين سألم عنهم إهانة له وتصغيراً لشأنه ، فلما منته نفسه موتهم فظن أنهم قد قتلوا وحصل له بذلك من الكبر والإعجاب ما حصل كان ذلك في جوابه إهانة له وتحقيراً واذلالاً ، ولم يكن هذا مخالفاً لقول النبي ﷺ لا تجيبوه ، فإنه إنما نهي عن إجابته أولاً لما سأل : أفیکم محمد ، أفیکم فلان ؟ ولم يند عن إجابته لما قال أما هؤلاء فقد قتلوا . وبكل حال فلا أحسن من ترك إجابته أولاً ولا أحسن من إجابته ثانياً ، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعله وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم

وأنزل الله عليهم النعاس في غزوة بدر وأحد ، والنعاس في الحرب والخوف دليل على

الأمن وهو من الله ، وفي الصلاة ومجالس الذكر والعلم من الشيطان . ففي الصحيح عن قتادة عن أنس قال : قال أبو طلحة : كنت ممن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا ، يسقط وأخذه ويسقط وأخذه . وفيه عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي النبي محبوب عليه بحجة له ، وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزاع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر معه بجمعة من النبل فيقول : انثرها لأبي طلحة ، ويشرف النبي ﷺ ينظر الى القوم فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف بصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما تنقزان بالقرب . وقال غيره : تنقلان القرب على متونهما تفرغانه على أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنه ثم تجميان فتفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها وتجميان فتفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثا . انتهى

قال ابن اسحق ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل نعم ، هو بيننا وبينكم موعد . ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب وقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ؟ فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فانهم يريدون مكة ، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده لئن أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال علي : فخرجت في أثرهم أنظر ما يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا الى مكة ، وفرغ الناس لقتلاهم وأخذوا ينقلون موتاهم بعد انصراف قريش ، فأمر رسول الله ﷺ بأن يدفنوا في مضاجعهم ، وأن لا يغسلوا ، وأن يدفنوا كما هم ثيابهم

وأصابت يومئذ عين قتادة بن النعمان الظفري ، فأتى بها رسول الله ﷺ وعينه على وجنته ، فردها رسول الله ﷺ ، فكانت أصح عيني قتادة وأحسنهما

ذكر شهداء أحد

وكان ممن استشهد من المسلمين يوم أحد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قتله وحشى مولى نوفل ، وأعتق لذلك ، رماه بحربة فوقعت ثنيتة . ثم ان وحشياً أسلم ، وقتل بالحربة بعينها مسيلة الكذاب يوم اليمامة زمن أبى بكر الصديق . وفى حديث جعفر ابن أمية الضمرى فى الصحيح عن وحشى قال : إن حمزة قتل طعيمة بن عدى بن نوفل بيدى ، فقال لى مولاي جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعى فأنت حر . قال : فلما خرج الناس عام عينين - وعينين جبل بيجال أحد بينه وبينه واد - فلما أن خرج الناس خرجت مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ قال فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقال : ياسباع ، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور ، أتحدأ الله ورسوله ؟ قال : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب . فكنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا منى رميت بحربتى فأضعها فى ثننته حتى خرجت من بين وركيه . قال : فكان ذلك آخر العهد به . فلما رجع الناس رجعت معهم فأقت بمكة حتى فشا فيها الإسلام . ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً ، وقيل إنه لا يهيج الرسل . قال فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ، فلما رآنى قال : أنت وحشى ؟ قلت نعم . قال : أنت قتلت حمزة ؟ قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال فهل تستطيع أن تعيب وجهك عنى ؟ قال فخرجت . فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلة لعلى أقتله فأكفىء به حمزة . قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان . فاذا رجل قائم فى ثلثة جدار كأنه جمل أورق نثار الرأس ، قال : فرميت بحربتى فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه . قال : ووثب عليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته . قال عبد الله بن الفضل : فأخبرنى سليمان ابن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : قالت جارية على ظهر بيت : وا أمير المؤمنين ! قتله العبد الأسود . ورواه ابن إسحاق فى السيرة باسناد الصحيح بأبسط منه . قال فلما خرج وفد الطائف ليساموا تعيت على المذاهب فقلت ألحق بالشام أو اليمن أو بعض البلاد ، فوالله إنى

لنى ذلك من هى إذ قال رجل : وبحك ، إنه ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وبشهادته شهادة الحق . فلما قال ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق . فلما رأى قال : وحشى ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : اقمه فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتكما . فلما فرغت من حديثى قال : وبحك ، غيب عنى وجهك فلا رأيتك . قال فكنت أنكب رسول الله ﷺ لئلا يراى حتى قبضه الله . قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشياً لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة . وروى الدارقطنى بإسناد على شرط الشيخين عن سعيد بن المسيب قال : كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينبجو ؟ حتى أنه مات غريباً فى الخمر . وروى ابن شاذان من حديث ابن مسعود : ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب ، وضعه فى القبرة ثم وقف على جنازته واتمحب حتى نشف من البكاء . . الحديث . قيل والنشف الشهبق حتى بلغ به الغشى . وروى البغوى فى معجمه أنه كان ﷺ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعاً ، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة . وقد روى أنس بن مالك أن شهداء أحد لم يفسلوا ، ودفنوا بدمائهم ، ولم يصل عليهم . أخرجه أحمد وأبو داود ، فيحمل أمر حمزة على التخصيص . ومن صلى عليه غيره على أنه جرح حال الحرب ولم يميت حتى انقضت الحرب

ودفن حمزة هو وابن أخته عبد الله بن جحش فى قبر واحد

ومنهم مصعب بن عمير قتله ابن قنمة الليثى وشماس بن عثمان الخزومى . ومن الأوس عمرو بن معاذ أخو سعد بن معاذ ، والحارث بن أنيس ، وعمار بن زياد بن السكن ، وسلمة وعمرو ابنا ثابت بن وقش ، وصيفى بن قبيلى ، وحباب بن قبيلى ، وعباد بن سهل ، والحارث ابن أوس ابن معاذ ابن أخى سعد ، واليمان والد حذيفة حليف لهم ، وإياس بن أوس ، وعبيدة بن عمرو ، وعبيد بن التيهان ، وحبيب بن زيد بن تيم ، ويزيد بن حاطب ، وأبو سفیان بن الحارث ، وحنظلة الغسيل ، وقيس بن يزيد ، ومالك بن أمية ، وأنيس بن

قتادة ، وأبو حبة بن عمرو أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبد الله بن جبير أمير الرماة ، وأبو خيثمة والد سعد . ومن حلفائهم عبد الله بن سلمة ، وسبيع بن حاطب ، وعمير بن عدى . ومن الخزرج عمرو بن قيس ، وابنه قيس ، وثابت بن عمرو ، وعامر بن مخلد ، وأبو هيرة بن الحارث ، وعمرو بن مطرف ، وأوس بن ثابت أخو حسان ، وأنس بن النضر ، وقيس بن مخلد ، وكيسان مولى لهم ، وحارثة بن زيد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن الأرقم ، ومالك ابن سنان والد أبي سعيد الخدري ، وسعيد بن سويد ، وعتبة بن منيع ، وثقف بن فردة ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ، وضمرة حليف لهم ، ونوفل بن عبد الله ، والناصر بن عبادة بن نضلة ، والنعمان بن مالك ، والمجدر بن زياد البلوي ، وعبادة بن الخشخاش ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ، وعمرو بن الجموح دفنا في قبر واحد وكانا صديقين جداً ، وابنه خلاد بن عمرو ، وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح ، وسليم بن عمرو ، ومولاه عزة ، وسهل ابن قيس بن أبي بن كعب ، وذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن العلى بن لوزان ، فجميعهم خمسة وستون رجلاً . ومن ذكر أيضاً في شهداء أحد من الأوس : مالك بن نميلة حليف لهم ، والحارث بن عدى الخطمي . ومن الخزرج مالك بن إياس ، وعمرو بن إياس فيكونون سبعين رجلاً رضي الله عنهم . وقتل من الكفار اثنان وعشرون رجلاً

غزوة حمراء الأسد

قال أهل المغازي وكانت وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة كما تقدم ، فلما كان من الغد يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الطاب للعدو ، وعهد رسول الله أن لا يخرج معه أحد إلا من حضر المعركة يوم أحد ، فاستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في الخروج معه ففسح له في ذلك ، فخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح ، وإنما خرج عليه السلام مرهباً للعدو ومتجلداً ، فبلغ حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة ، ومر برسول الله ﷺ معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم ، وعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز

علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك . ثم خرج حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقاضهم ثم ترجع قبل أن نستأصلهم ؟ فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه عليكم في جمع لم أر مثله قط ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا . قال : وبلك ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . فسأ ذلك أبا سفيان ومن معه . ومر ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون . قالوا : نريد المدينة للميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة وأحلمكم هذه غداً زيبياً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فاذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أسمع المسير إليه وأصحابه نستأصل بقيتهم . فرأى ركب رسول الله ﷺ وهو بجمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه . فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وفي الصحيح عن ابن عباس قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أتى في النار . وقالها محمد ﷺ حين قالوا له ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ . وفيه عن عائشة ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ الآية . قال عروة قالت عائشة : يا بن أختي كان منهم أبوك الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب فأنصرف عنه المشركون وخاف أن يرجعوا فقال : من يذهب في أثرهم ، فانتدب منهم سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير . انتهى

قالوا : فأقام رسول الله ﷺ بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمساً وظفر عليه السلام بمخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص جد عبد الملك بن مروان لأمه فأمر بضرب عنقه صبراً

قال الحافظ منطاي : وحرمت الخمر في شوال ويقال سنة أربع

بعث الرجيع

وحدث عضل والقارة . والرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان

كانت الواقعة بالقرب منه سميت . وعضل بفتح المعجمة بطن من بنى الهون بن خزيمه بن مدركة ، والقارة بالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون أبيضاً . قال ابن دريد : القارة أكمة سوداء كأنهم نزلوا عندها فسموا بها . قالوا : وقدم على رسول الله في صفر في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة نفر من عضل والقارة ، فذكروا للنبي ﷺ أن فيهم إسلاماً ، ورجبوا أن يبعث معهم نفرأ من المسلمين يفقهونهم في الدين ، فبعث رسول الله ﷺ ستة رجال من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت من الأوس ، وخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة البياضي ، وعبد الله بن طارق حليف لبني ظفر . وأمر رسول الله ﷺ مرثداً ، حتى إذا صار بالرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً . وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ سرية وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة . فقالوا : هذا تمر يثرب . ف تبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدقد ، وجاء القوم فأحاطوا بهم . فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك . فقاتلوهم فرمواهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالببل ، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق ، فلم أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها . فقال الرجل الثالث : هذا أول القدر ، فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه . وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر ، فكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعمار موسى من بعض بنات الحارث ليستجد بها فأعارته ، قالت ففعلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأته فرزعت فرعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت أفعل ذلك إن شاء الله . وكانت تقول : ما رأيت سيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيت به يأكل من قطف عنب

وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم يقتلوه فقال : دعوني أصلي ركعتين . ثم انصرف اليهم فقال : لولا أن تزوا أن ما بي جزع من الموت لزدت . وكان أول من سنّ الركعتين عند القتل ، وقال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدءاً ، ولا تبق منهم أحداً . ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله فان بشياً يبارك على أوصال شلو ممزوع

ثم قام عقبة بن الحارث فقتله . وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان قتل عظيماً من عظائمهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظلّة من الدبر فحتمته من رسالهم ، فلم يقدرُوا منه على شيء . وفي رواية في الصحيح : بعث رسول الله عشرة رهط سرية عيناً ، واستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، وأخبر النبي ﷺ خبرهم ، وما أصيبوا . انتهى

ووقع في رواية أبي الأسود عن عروة : فلما وضعوا في خييب السلاح نادوه وناشدوه :
أحب أن محمداً مكانك ؟ قال : والله ، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه

والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة : الزناير ، وهي ذكور النحل . وكان عاصم بن ثابت قد أعطى الله عهداً أن لا يسمه مشرك ولا يمس مشركاً ، فكان عمر لما بلغه خبره يقول :
يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته

سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة

وهو موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان ، في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد . وكان سببها كما قال ابن إسحاق وغيره أن أبا مالك المعروف بملاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ ، فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبيوا لك . فقال عليه الصلاة والسلام : إني أخشى أهل نجد عليهم . قال أبو براء أنا لهم جار ، فابعثهم ، فبعث المنذر بن عمرو

ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون وقيل ثلاثون ، وفي رواية قتادة في الصحيح عن أنس أنهم كانوا يحتطبون بالهار ويصلون بالليل ، وفي رواية ثابت عنه يشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل ، فساروا حتى اذا نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أناه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، وفي رواية أنس في الصحيح : فلما أنفذه الرمح قال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة . انتهى . ثم استصرخ عليهم بنى عامر فلم يجيبوه وقالوا نحن لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ قبائل من سليم ورعلا وذكوان وعصية فأجابوه إلى ذلك ، ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم ، إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً . وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعموا أنها كانت على أمه . وفي الصحيح عن أبي أسامة عن هشام بن عروة فأخبرني أبي قال : لما قتل الذين بئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة . قال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى انى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعمهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وانهم قد سألوا ربهم قالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم . وفي الصحيحين عن أنس : دعا النبي ﷺ على الذين قتلهم ثلاثين صباحاً ، يدعو على رعل وذكوان وبنى لحيان وعصية عصوا الله ورسوله . قال أنس : فأنزل الله في الذين قتلوا قرآناً قرأناه ثم نسخ بعد ، أى نسخت تلاوته « بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنه ورضينا عنه » وروى ابن سعد عن أنس : ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة ، وذكر الواقدي أن خبر أصحاب الرجيع وخبر أصحاب بئر معونة أتى النبي ﷺ في ليلة واحدة ، ويدل على قربها منها ما في حديث أنس من شريك النبي ﷺ بين بنى لحيان وعصية وغيرهم في الدعاء

غزوة بني النضير

قال ابن إسحاق وغيره : وكانت في سنة أربع ، وفي البخاري عن عروة قال : كانت غزوة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر . وكان سببها كما قال ابن إسحاق وغيره أن عمرو بن أمية الضمري لما أعتقه عامر بن الطفيل كما تقدم خرج عمرو إلى المدينة ، فصادف في طريقه رجلين من بني عامر معها عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو ، فقال لها عمرو : من أنما ؟ فذكرا له أنهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلتهما وظن أنه قد ظفر ببعض ثأر أصحابه ، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ فقال : لقد قتلت قتيلين لأدينتهما . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلها عمرو بن أمية للجوار الذي كان عقده لهما ، فلما أتاهم عليه السلام يستعينهم قالوا : يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال . وكان رسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم . فقالوا : من رجل يعلو على هذا البيت فيأتي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش فقال : أنا لذلك . قال ابن سعد : فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله ليخبرن بما همتم به ، وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام مظهراً أنه يقضى حاجة وترك أصحابه في مجلسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة . واستبطأ النبي ﷺ أصحابه فقاموا إليه حتى انتهوا إليه فأخبر بما أراد يهود . قال ابن عتبة : وأتزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفت أيديهم عنكم ﴿ الآية . فأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصروهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فقطع النخل وحرقها وخرب ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتمريثها . قال السهيلي : قال أهل التأويل : وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله

﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ الآية

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط عن بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا. فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجلبهم عن أرضهم ويكف عن دماهم

وفي الصحيح من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، ولها يقول حسان بن ثابت:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير
ستعلم أينا منها بنزه وتعلم أي أرضينا نصير

وفي رواية فأنزل الله ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها ﴾ الآية. وفي رواية ابن سعد: فقال لهم رسول الله ﷺ: اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة، فنزلوا على ذلك، وكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثم أجلاهم عن المدينة وحلوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير. قال الحافظ أبو محمد بن حزم: وأبو عبد الرحمن رحهما الله: وحينئذ نزل تحريم الحرم، فاحتملوا بأهلهم إلى خيبر، ومنهم من صار إلى الشام. وكان ممن صار إلى خيبر أكابرهم - كحبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق - فدانت لهم خيبر، فقسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين خاصة، إلا أنه عليه السلام أعطى أبا دجاجة وسهيل بن حنيف وكانا فقيرين. وفي قصة بني النضير نزلت سورة الحشر، ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان - يامين بن عمرو وأبو سعيد بن وهب - أسلما فأحرزا أموالهما. وقبض رسول الله ﷺ الأموال ولم يقسم منها لأحد، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بنخيل ولا ركاب، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب، فقسمها بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قد

قاسمهم الأموال والديار ، وكانت بنو النضر لرسول الله ﷺ خاصة بضعها حيث شاء ، كما في الصحيحين من حديث عمر في قصة اختصام علي وعباس عند عمر فيما أفاء الله على رسوله من بني النضير ، وفيه أن عمر قال : إن الله كان خص رسوله في هذا النبي بشيء لم يعطه أحد غيره فقال ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ الآية فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ . وفي رواية للبخاري : وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، ثم يجعل ما بقي في السلاح والسكران عدة في سبيل الله

غزوة ذات الرقاع

واختلف فيها متى كانت ؟ فذكر ابن اسحق أنها بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع ، وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس ، قال في فتح الباري : قد جنح البخاري الى أنها كانت بعد خيبر ، واستدل لذلك بأمور ، ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا أدري هل تعدد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها ، أو أن ذلك من اختلاف الروايات عنه ، أو إشارة إلى احتمال إلى تكون ذات الرقاع اسم الغزوتين مختلفتين كما أشار به البيهقي . على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها ، قال : والذي ينبغي الجزم به أنها كانت بعد غزوة بني قريظة ، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق

وسميت « ذات الرقاع » لما روى البخاري عن أبي موسى الأشعري قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر بيننا بهير نعقبه . فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا الحديث ، ثم كره ذلك قال : ما كنت أصنع بأن أذكره ؟ كأنه كره أن يكون شيء من عمله أقشاه

وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن اسحق وغيره أنه ﷺ غزا نجداً يريد بني محارب

وبني ثعابة بالثلثة من غطفان ، لأنه بلغه أنهم جمعوا الجموع ، فخرج في أربعمائة من أصحابه ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري - وقيل عثمان بن عفان - حتى نزل نخلًا بالخاء المعجمة ، موضع من نجد من أرض غطفان . قال ابن سعد : فلم يجد في محالمه الا نسوة فأخذهن . وقال ابن اسحق : فأتى جمعا فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، وقد أخاف الناس بعضهم بعضا فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف . قال ابن سعد : وكان ذلك أول ما صلاها

وفي البخاري عن جابر : كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ . فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العشاء يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعاق بها سيفه . قال جابر : فمنا نومة ، فجاء رجل من المشركين فاخترط سيف رسول الله ﷺ فقال : أتحافتي ؟ قال : لا . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله . قال جابر : فاذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فجلسنا فاذا عنده أعرابي جالس ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلنا ، فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فما هو ذا جالس . ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ . وفي رواية : وأقيمت الصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، وكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان . وفي رواية أبي عوانة : فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال : من يمنعك مني ؟ قال : كن خير آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال الأعرابي : أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . قال فحلى سبيله ، فجاء إلى قومه فقال : جئكم من عند خير الناس . وفي هذه القصة فرط شجاعته ﷺ وقوة يقينه وصبره على الأذى وحده على الجبال . وفيها حفظ الله له ، وإلا لم أجد أحوج الأعرابي إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله

وفي انصرافه ﷺ من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه الصلاة والسلام فانطلق متقدما بين يدي الركاب ، ثم قال : أتبعنيه ؟ فابتاعه منه وقال : لك ظميره إلى المدينة . فلما وصلها أعطاه الثمن وأرجح ، ووهب له الجمل

غزوة بدر الأخيرة

قال ابن اسحق : ولما قدم رسول الله ﷺ - من غزوة ذات الرقاع أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان ، وهو ما سبق أن أبا سفيان قال يوم أحد : الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل . فقال عليه السلام لرجل من أصحابه : قل نعم ، هو بيننا وبينكم موعد . فخرج ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس ، واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة ، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مرت الظهران ، ثم بداله الرجوع فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ، وإن عامكم هذا عام جذب ، وإني راجع فارجعوا . فرجع الناس ، فهاجم أهل مكة جيش السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق . وأقام عليه السلام ثمانية أيام ، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله في ذلك ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ الآية . والصحيح أن هذه الآية نزلت في شأن حمراء الأسد كما نص عليه العماد بن كثير رحمه الله

غزوة دومة الجندل

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة أو ست عشرة

وكان سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مريهم ، فخرج لخمس ليال بقين من ربيع في ألف من أصحابه ، فكان يسير الليل ويكن النهار ، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة . فلما دنا منهم لم يجد إلا الغنم والشاء ، فهجم على ما شئتهم ورعاتهم وأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة ففرقوا ، ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها أحدا ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا وفرقها ، فرجعوا ولم يصب منهم أحد

غزوة المريسيع

بضم الراء وسكون التحتانية بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة . وهو ماء لبني خزاعة ، وبينه وبين الفرع يومان ، وتسمى « غزوة بني المصطلق » بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة وكسر اللام بعدها قاف ، بطن من خزاعة ، وكانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس

وسببها أنه بلغه ﷺ أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وظعنوا للمسير معه إليه ، وخرج عليه السلام في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت . وخرجت عائشة وأم سلمة . وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء . قيل وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم . وفي الصحيحين من حديث عائشة : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فذكرت حديث التيمم ، قال ابن عبد البر في التمهيد يقال : إنه كان في غزوة بني المصطلق ، وجزم بذلك في الاستذكار ، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان . وفي البخاري : وقال النعمان بن راشد عن الزهري : كان حديث الإفك في غزوة المريسيع

قال أبو محمد بن حزم : وكانت غزوة المريسيع في شعبان من السنة السادسة ، وأغار عليهم رسول الله ﷺ وهم غارون كما تقدم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فقتل من قتل منهم وسبي النساء والذرية ، ومن السبي كانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق ، فوَقعت في منهم ثابت بن قيس فسكاتها ، فأدى رسول الله ﷺ عنها وأعتقها فتزوجها ، وكانت امرأة حلوة من رآها أحبها ، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق وقالوا أصهار رسول الله

وفي رجوع رسول الله ﷺ من هذه الغزوة قال عبد الله بن أبي : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . وذلك لشر وقع بين جهجاه بن مسعود الغفاري أجير عمر بن

الخطاب وبين سنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج ، فنادى الغقارى :
يا للمهاجرين ، ونادى الجهني : يا للانصار . فقال رسول الله ﷺ : أبدوى الجاهلية وأنا
بين أظهركم ؟ وبلغ زيد بن أرقم رسول الله ﷺ مقالة عبد الله بن أبي قنزل في ذلك من
عند الله سورة المنافقين ، وتبرأ عبد الله بن عبد الله بن أبي من أبيه ، وأتى رسول الله ﷺ فقال له :
يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل ، والله لئن شئت لخرجته يا رسول الله ، ووقف لآبيه
قرب المدينة فقال : لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله في الدخول . وقال أيضا : بلغنى أنك
تريد قتل أبى وأنى أخشى إن أمرت بذلك غيرى ألا تدعنى نفسى أرى قاتل عبد الله يمشى
على الأرض فأقتله وأدخل النار إذا قتلت مؤمنا بكافر ، وقد علمت الأنصار أنى من أبرها
لآبيه ، ولكن يا رسول الله إن أردت قتله فمضى بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه . فقال له
رسول الله ﷺ خيرا ، وأخبره أنه لا يسىء إلى آبيه

فصل

وفى مرجع رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق قال أهل الإفك ما قالوا عنه فى
عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث الزهرى قال :
حدثنى عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود عن عائشة أم المؤمنين حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، وكلهم حدثنى طائفة من
حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل رجل
منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضها ، وإن كان بعضهم
أوعى من بعض . قالوا : قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أفرع بين أزواجه
فأنتهن خرج سهمها خرجت معه ، قالت عائشة : ففرع بيننا فى غزوة غزاهما فخرج فيها سهمى ،
فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل المجاب ، فكنت أحمل فى هودج وأنزل فيه .
فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة
بالرحيل فقامت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأنى أقبلت

إلى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمت عقدي فحبسني ابتغاؤه . قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أنى فيه . وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يُهجان ولم يفشهن اللحم ، إنما يأكلن الملقحة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فحُت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيمنت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى ، فبينما أنا جالسة فى منزلى غابتنى عيني فتمت ، وكان صفوان بن المعطل السلى ثم الذكوانى من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم ، فعرفتى حين رأيتى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاءه حين عرفتى ، فحمرت وجهى مجلبابى ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاءه ، وأهوى حتى أناخ راحلته فوطىء يدها ، فقامت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول . قالت : فهلك من هلك . وكان الذى تولى كبر الافك عبد الله بن أبى ابن سلول . قال عروة : أخبرت أنه كان بشاع ويتحدث عنده ، فيقره ويستوشيه . وقال عروة أيضا : لم يسم من أهل الافك إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحننة بنت جندب فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبية كما قال الله . قال عروة : وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذى قال :

فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون فى قول أهل الافك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يرينى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : كيف تبيكم ؟ ثم ينصرف . فذلك يرينى ولا أشعر بالشر . حتى خرجت حين نقت فخرجت معى أم مسطح قبل المناصح وكان متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ السكنف قريبا من بيوتنا . قالت : وأمرنا أمر العرب الأول فى البرية قبل الفاطم ، وكنا

فأذى بالسكنف أن نتخذها عند بيوتنا . قالت : فانطلقت أنا وأم مسطح - وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر ، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب - فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : نعم مسطح . فقالت لها : بئس ما قلت ، أنسبين رجلاً شهيداً بديراً ؟ فقالت : أى هنتاة ، أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك . قالت : فإزددت مرضاً على مرضي . فلما رجعت إلى بيتي دخل على رسول الله ﷺ ثم قال : كيف تيمك ؟ فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قباهما . قالت : فأذن لي رسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : يا أمتهأ ماذا يتحدث الناس ؟ قالت : يا بنية هوني عليك ، فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها . قالت فقلت : سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا ؟ قالت فسكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكنحل بنوم . ثم أصبحت أبكي . قالت : ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألها ويستشيرها في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود ، فقال أسامة : أهلك ، ولا نعم إلا خيراً . وأما علي فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وصل الجارية تصدقك . قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقَالَ : هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله . وفي رواية أبي أسامة عند البخاري : فاتهرها بعض أصحابه فقال : اصدق رسول الله حتى أسقطوا لها . فقالت : سبحان الله ، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ مرء على تبر الذهب الأحمر . وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له ، فقال : سبحان الله ، والله ما كشفت كنف أنثى قط . قالت عائشة : فقتل بعد ذلك شهيداً في سبيل الله . وفي رواية ابن إسحاق : فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً بقول : اصدق رسول الله . وفي رواية ابن حاطب عن علقمة فقالت الجارية الحبشية : والله لعائشة أطيب من الذهب ، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله .

قال فمجب الناس من فقهما . وزاد عطاء الخراساني عن الزهري : وكانت أم أيوب الأنصارية قالت لأبي أيوب : أما سمعت ما يتحدث الناس ؟ فحدثته بقول أهل الإفك ، فقال : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم . وعند ابن إسحاق أن امرأة أبي أيوب قالت : يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك والله الكذب . أ كنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ؟ قالت : لا والله ما كنت فاعلة ، قال : فمأثمة خير منك . قالت : فلما نزل القرآن قال الله ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ أي فقالوا كما قال أبو أيوب . وعند الطبراني بسند صحيح عن عائشة : لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليلاً فأطرح نفسي فيه . وفي رواية ابن إسحاق عنها : فوالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على أبي بكر تلك الأيام والليالي من الهم والغيظ . قال الحافظ ابن حجر : وفي بعض طرق الحديث أن أبا بكر قال : والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية ، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام ؟ قال البخاري في حديثه قالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين ، من يعذرنى من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما يدخل على أهلي إلا معي . قالت فقام سعد أخو بني عبد الأشهل فقال : يا رسول الله أنا أعذرک منه ، فان كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک . قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذ وهو سعد بن عبادة سيد الخزرج ، قالت وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحبيت أن يقتل . فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، لنقتله ، فانك منافق تجادل عن المنافقين . قالت فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر . قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت . وفي رواية أبي أسامة عند البخاري : حتى كاد يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد ، وما علمت . فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي مع أم مسطح .. فذكر نحو ما تقدم .

قالت : فبكيت بومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم . قالت : وأصبح أبوأي
عندي وقد بكيت ايلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع ، حتى أظن أن البكاء فائق
كبدى . فبينما أبوأي جالسان عندي وأنا أبكي قاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها ،
فجلست تبكي معي . قالت : فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس ،
قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهر الا يوحى اليه في شأني بشيء
قالت : فنشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا
وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه ،
فان العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه . فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى
ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عنى رسول الله ﷺ فيما قال . فقال أبى : والله ما أدرى
ما أقول لرسول الله . فقلت لأمى : أجبى رسول الله ﷺ فيما قال . فقالت : والله ما أدرى ما أقول
لرسول الله . فقلت : وأنا امرأة حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً ، إني والله لقد علمت لقد
سمعت هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به ، فإئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني
بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله أعلم أنى بريئة لتصدقنى ، فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً
إلا أبا يوسف حين قال : فصر جميل والله المستعان على ما تصفون . ثم تحوت فاضطجعت
على فراشى . قالت : وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى ، ولكنى والله ما كنت
أظن أن الله منزل فى شأنى وحيماً يتلى ، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى
بأمر يتلى . ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه رؤيا يبرئنى الله بها .
قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل
عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق - وهو فى
يوم شات - من ثقل القول الذى ينزل عليه . زاد ابن جريج فى روايته : قال أبو بكر : فجلت
أنظر إلى رسول الله ﷺ أخشى أن ينزل عليه من السماء ما لا مرد له ، وأنظر إلى وجه عائشة فاذا
هو منيف فيطمئنى ذلك فيها . وفى رواية ابن إسحاق : فأما أنا فما فرعت ، قد عرفت أنى

بريئة وأن الله غير ظالمى ، وأما أبوإى فما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت أن تخرج أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما يقول الناس . قالت فسرى عن رسول الله وهو يضحك ، وكان أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة احدى الله فقد براك . وفى رواية للبخارى : أما الله عز وجل فقد براك . وفى رواية له أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك . قالت : وكنت أشد ما كنت غضباً ، فقال لى أبوإى قولى اليه ، فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحده ولا أحداً ولا لى أحمد الذى أنزل براءتى . لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه . قالت : وأنزل الله ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ العشر الآيات . فلما أنزل الله هذا من براءتى قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وفقره - والله ما أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال . فأنزل الله ﴿ ولا يأنل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ الآية . قال أبو بكر : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً . قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عنه فقال لزينب : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمى سمى وبصرى ، والله ما علمت إلا خيراً . قالت وهى التى تسامى من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله بالورع . وطفقت أختها حنة محاربة لها فهلكت فيمن هلك . وفى رواية ابن إسحق : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك . ثم أمر بمسطح ابن أثاثة وحسان بن ثابت وحنة - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا حذم

وروى الطبرانى من طريق أبى حصين عن مجاهد قالت عائشة لما نزل عذرها قبل أبو بكر رأسها فقلت : ألا عذرتى ؟ فقال : أى سماء تظلى وأى أرض تغلى إذا قلت ما لا أعلم ؟ وعند أصحاب السنن من طريق ابن إسحق عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن عمرة عن عائشة أن النبى ﷺ أقام حد القذف على الذين تكلموا بالإفك ، لكن لم يذكر فيهم عبد الله بن أبى

وروى ابن جرير عن عائشة أنها قالت : ما سمعت شيئاً أحسن من شعر حسان ، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبى سفيان يعنى ابن الحارث بن عبد المطلب :

هوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاء
أنشتمه ولست له بكفء فشركا نبيركا الفداء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل : يا أم المؤمنين هذا
(۱) قالت : أليس قد أصابه عظيم ، أليس
قد ذهب بصره وكنع بالسيف حين الضربة التي ضربها إياه صفوان بن معطل السلمي حين
بلغه أنه يتكلم في ذلك ، فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله

قال ابن إسحاق : وقال حسان بعثدر إلى عائشة ويمدحها :

حصان رزان ما تزن برية ونصبح غرني من لحوم العوافل
عقيلة حى من لوى بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنتُ قد قلت الذي قد زعمتو فلا رفعت سوطى إلى أناملى
وكيف وودى ما حيت ونصرتى لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاول
فإن الذى قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرئى بى ما حل

فصل

في فوائد وشرح ألفاظ تتعلق بمحدث الإفك

قال النووي رحمه الله : الإفك بكسر الهمزة وإسكان الفاء . هذا هو المشهور ، وحكى
القاضى فتحهما قال : وهما لغتان كنجس ونجس وهما لغتان وهو الكذب . قوله « آذن »
روى بالمد وتخفيف الذال وبالقصر وتشديد هـ أى أعلم . قولها عقد من جزع ظفاره ، أما العقد

(۱) بياض بالأصل

فمروف نحو القلادة ، والجزع بفتح الجيم وإسكان الزاي وهو خرز يمانى ، ظفار بفتح
الظاء المعجمة وكسر الراء وهى قرية باليمن . قولها : وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن
ضبطوه على أوجه أشهرها ضم الياء وفتح الهاء وتشديد الباء أى يثقان باللحم والشحم ، والثانى
يهبلن بفتح الياء والباء بينهما هاء ساكنة ، قال أهل اللغة : يقال هبل اللحم وأهبله اذا أثقل
وكثر لحمه وشحمه ، وفى رواية للبخارى لم يثقلن ، وهو بمنناه . والعلقة من الطعام أى القليل .
قولها فتيممت منزلى أى قدمته . قوله من وراء الجيش قال الحافظ ابن حجر وقع فى حديث ابن
عمر بيان تأخر صفوان ولفظه كان صفوان سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة ، وكان إذا رحل
للناس قام بصلى ثم اتبعهم فمن سقط له شئ أتاه به ، ثم ذكر عن أبى هريرة نحوه ، ويحتمل أن
يكون سبب تأخره ماجرت عادته به من غابة النوم عليه . قولها فاستيقظت باسترجاعه أى
انتبهت من نومي بقوله : إنا لله وإنا اليه راجعون . قولها فحمرت وجهى أى غطيته . قولها
موغرين فى نحر الظهيرة ، الموغر بفتح الغين المعجمة النازل فى وقت الوغرة بفتح الواو وإسكان
الغين وهى شدة الحر قاله النووى ، ونحر الظهيرة وقت القائلة ، ونحر كل شئ أوله . وكبره أى
معظمه ، وهى بكسر الكاف على القراءة المشهورة . قولها يرينى بفتح أوله وضمه يقال رل به
وأرابه اذا أوهمه وشككه . واللفظ بضم اللام وإسكان الطاء ويقال بفتحهما معاً لغتان
وهو البر والرفق . قولها ثم يقول كيف تيمم هى إشارة الى المؤنثة كذلك فى الذكر . ونقبت
بفتح القاف وكسرها لغتان حكاهما الجوهري ، والفتح أشهر ، والناتة هو الذى أفاق من
المرض وبرى ، منه وهو قريب عهد به لم يتراجع اليه كمال صحته . قولها نفس مسطح بفتح العين
وكسرها لغتان ومعناه عثر وقيل هلك وقيل لزمه الشر وقيل بعد وقيل سقط لوجه خاصة .
والمرط بكسر الميم كساء من صوف وقد يكون من غيره ، قولها أى هنتاه أى حرف نداء
للبيد ، وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد ، وهنتاه بفتح الهاء وسكون التون
وبعدها مثناة وآخرها هاء ساكنة وقد تضم ومعناها يا هذه ، وقيل يا امرأة ، وقيل يا بلهاء
كأنها نسبت عائشة الى الغفلة عن معرفة مكاييد الناس وشرورهم . والوضيئة مهموزة بمدودة

هي الجميلة الحسنة ، والوضاءة الحسن . لا يرقأ لي دمع هو بالهمزة ، أي لا ينقطع ، ولا أكتحل
بنوم أي لا أنام

قولها : وأما علي بن أبي طالب فقال : لم يضيق الله عليك الخ أشار عليه بفراقها تلويحا
لا تعربحاً لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ ، وأشار عليه أسامة وغيره بامساكها وأن
لا يلتفت الى كلام الأعداء ، فعلى لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة الى
اليقين ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذي لحقه بكلام الناس ، لأنه رأى انزعاج
النبي ﷺ بهذا الأمر فأراد راحة خاطره ، وأسامة لما رأى حب رسول الله لها ولأبيها وعلم من
عفتها وبرائتها وحصانتها وديانتها ما هو فوق ذلك وأعظم منه ، وعرف من كرامة رسول الله
ﷺ على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء وبنت صديقه
بالمنزلة التي أنزلها أرباب الإفك ، وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله أكرم على ربه من أن
يبتليها بالفاحشة ، فمن قويت معرفته بالله ومعرفة رسوله وقدره عند الله في قلبه كما قال أبو
أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوه : سبحانك هذا بهتان عظيم . ونأمل في تسبيحهم لله
وتنزيههم له في هذا المقام من المعرفة به ، وتنزيهه عما لا يليق أن يجعل لرسوله وخطيبه وأكرم
الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هذا وقاه الله ظن السوء ، وعرف أهل
المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها كما قال تعالى ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ ،
فقطعوا قطعا لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم وفرية ظاهرة

فان قيل : فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار ، وهو
أعرف بالله ومنزلته عنده وبما يليق به ؟ وهلا قال : سبحانك هذا بهتان عظيم كما قال فضلاء
الصحابة ؟ فالجواب أن هذا من تمام الحكمة الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها وامتحانا
وابتلاء لرسوله ولجميع الأمة الى يوم القيمة ، ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين ،
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانا ولا يزيد الظالمين الا خسارا . واقضى تمام الابتلاء.

والامتحان أن حبس عن رسوله الوحي شهرا في شأنها لتم حكته التي قدرها وقضاها ، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصدّيقين من عباده ، ويزداد المناقون إفكا ونفاقا ، وتظهر لرسوله والمؤمنين سرائرهم ، ولتم العبودية المرادة من الصديفة وأبويها وتم نعمة الله عليهم ، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتيأس من حصول النصر والفرج إلا من الله

قولها أغمصه بفتح الهمزة وكسر الميم وبالصاد المهملة أي أعيها به ، والداجن الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج للمرعى . قولها فاستعذر من عبد الله بن أبي أي طلب من يعذره أي ينصفه ، وقيل معناه : من يقوم بعذري ان كافاتني على سوء فعالي ، وقيل معنى من يعذرنى : من ينصرنى ، والعذير الناصر ، ويؤيده قول سعد أنا أعذرك منه ، وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عند البخارى ومسلم أشيروا على فى أناس ابنوا أهلى هو بفتح الباء الموحدة الخفيفة والنون المضومة ، وقد حكى عياض أن فى رواية الأصيلى بتشديد الموحدة وهى لغة ، ومعناه عابوا أهلى واتهموا ، وهو المعتمد لأن الابن بفتح التين التهمة ، ومنه الحديث الذى فى الشمائل فى مجلسه صلى الله عليه وسلم لا تؤبن فيه الحرم ، وحكى عياض أن فى رواية عبدوس بتقديم النون الثقيلة الموحدة قال : وهو تصحيف ، لأن التأنيب هو اللوم الشديد ولا معنى له ههنا . والبرحاء هى بضم الموحدة وفتح الراء والحاء المهملة والمد وهى الشدة . قولها حتى ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، معنى ليتحدر : ليةصب ، وجمان بضم الجيم وتخفيف الميم هو اللؤلؤ ، وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ . ومرى عن رسول الله أى كشف وأزيل . قوله كنف بفتح الكاف والنون أى ثوبها الذى يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن . قولها هى التى كانت تسامينى أى تفاخرنى وتضاهينى بمجالها ومكانها عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى مفاعلة من السمو وهو الارتفاع . قولها أحمى سمى أى أحفظه فلا أقول سممت فيما لم أسمع . قوله وأما المناق عبد الله بن أبي فهو الذى كان يستوشيه ، أى يستخرجه بالبحث والمسألة ، ثم يفشيه وبشيعه ويحركه ولا يدعه يحمى . والله أعلم

وفي الحديث من الفوائد جواز رواية الحديث الواحد عن كل واحد قطعة مبهمه . الثانية
صححة القرعة بين النساء وفي العتق وغيره . قال أبو عبيد : عمل بها ثلاثة من الانبياء يونس
وزكريا ومحمد ﷺ . قال ابن المنذر : استعمالها كالإجماع قال : ولا معنى لقول من يردّها .
الثالثة وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضها . الرابعة أنه لا يجب قضاء مدة السفر
للسوة المقيات ، وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا ، وحكم القصير حكم الطويل على
المذهب الصحيح . الخامسة جواز سفر الرجل بزوجه . السادسة جواز غزوهم وركوبهم في
الموادج . السابعة جواز خدمة الرجال لمن في ذلك في الأسفار . الثامنة أن ارتحال العسكر
يتوقف على أمر الأمير . التاسعة جواز خروج امرأة لحاجة الانسان بغير اذن الزوج ، وهذا
من الأمور المستثناة . العاشرة جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر . الحادية عشرة أن
من يركب البعير لا يكلمها إذا لم يكن محرما إلا لحاجة ، لأنهم حملوا المودج ولم يكلموها .
الثانية عشرة فضيلة الاقتصاد في الأكل للنساء وغيرهن وألا يكثرن منه ، لأن هذا كان حالم
في زمن النبي ﷺ ، وما كان في زمنه فهو الكامل الفاضل . الثالثة عشرة جواز تأخر
بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له في الجيش إذا لم تكن ضرورة الى الاجتماع .
الرابعة عشرة إغاثة الماهوف وعون المنقطع وانقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان .
الخامسة عشرة استحباب الاسترجاع عند المسائب ، سواء كانت في الدنيا أو في الدين ، وسواء
كانت في نفسه أو من يعز عليه . السادسة عشرة تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء
كان صالحا أو غيره . السابعة عشرة جواز الحلف من غير استحلاف إذا كان فيه فائدة .
الثامنة عشرة أنه يستحب أن يستر الانسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتبت
عن عائشة هذا الأمر شهرا . التاسعة عشرة حسن خلقه ﷺ في ملاطفته أزواجه وبعائثته
لمن بالمعروف . المشرون استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة تأسيما به ﷺ .
الحادية والعشرون أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئا ونحو ذلك يقلل من التلطف
ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض ، فتأل عن سببه فتزيله . الثانية والعشرون استحباب
السؤال عن المريض عند عيادته . الثالثة والعشرون أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج

لحاجة أن تكون معها رقيقة لما لتأنس بها ولا يعرض لها أحد . الرابعة والعشرون كراهة
الانسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح ، كما فعلت أم مسطح
في دعائها عليه . الخامسة والعشرون فضيلة أهل بدر والذب عنهم ، كما فعلت عائشة في ذمها عن
مسطح . السادسة والعشرون لا تذهب لبيت أبوبها إلا باذن زوجها . السابعة والعشرون
جواز التعجب بانفط التسبيح وقد تكرر في هذا الحديث وغيره . الثامنة والعشرون استحباب
مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقائه في ما ينوبه من الأمور . التاسعة والعشرون جواز
البحث والسؤال عن الأمور المسموعة لمن له بها تعلق ، وأما غيره فهو منهي عنه ، وهو نجس
ونفول . الثلاثون خطبة الامام الناس عند نزول أمر منهم . الحادية والثلاثون اشتكاه ولى
الأمر الى المسلمين ممن يعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره ، واعتذاره فيما يريد أن يؤدب
به . الثانية والثلاثون فضائل صفوان بن المعطل بشهادة النبي ﷺ بما شهد وبأنفاله الجميلة في
ركاب عائشة وحسن أدبه في جملة القصة . الثالثة والثلاثون فضيلة سعد بن معاذ وأسيد بن
حضير . الرابعة والثلاثون المبادرة الى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب .
الخامسة والثلاثون قبول التوبة والحث عليها . السادسة والثلاثون تفويض الكلام الى
الكهار دون الصغار لانهم أعرف . السابعة والثلاثون جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز
ولا خلاف أنه جائز ، قلت بل يستحب . الثامنة والثلاثون التأمي بالأنبياء والصالحين في البلايا
والمصائب وغير ذلك . التاسعة والثلاثون استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة
أو اندفعت عنه بلية ظاهرة . الأربعون براءة عائشة من الافك ، وهي براءة قطعية بنص القرآن
العزيز ، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله كان كافرا مرتدا باجماع المسلمين : قال ابن عباس
وغيره : لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهذا إكرام من الله لهم .
الحادية والأربعون تجديد شكر الله عند تجدد النعم . الثانية والأربعون فضائل أبي بكر في
قوله ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ الآية . الثالثة والأربعون استحباب صلة الأرحام
وإن كانوا مسيئين . الرابعة والأربعون استحباب العفو والصفح عن المسيء . الخامسة

والأربعون استحباب الصدقة والاتفاق في سبيل الخيرات . السادسة والأربعون أن ذلك سبب
لغفرة الله . السابعة والأربعون أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيرا منها أن يأتي الذي
هو خير ويكفر عن يمينه كما فعل أبو بكر . الثامنة والأربعون ان ابن بنت الخالة من ذوى
القربى الذين تستحب صلّتهم . التاسعة والأربعون فضيلة زينب أم المؤمنين وورعها . الخمسون
التثبت في الشهادة . الحادية والخمسون إكرام المحبوب براعاة أصحابه ومن خدمه أو أطاعه كما
فعلت عائشة بمراعاة حسان وإكرامه إكراما للنبي ﷺ . الثانية والخمسون الخطبة تبدأ بحمد
الله والثناء عليه بما هو أهله . الثالثة والخمسون أنه يستحب في الخطب بعد الحمد والثناء
والصلاة على النبي والشهادتين أما بعد . الرابعة والخمسون غضب المسلمين عند انتهاك حرمة
أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك . الخامسة والخمسون جواز سب المتعصب المبطل ، كما سب أسيد
ابن حضير سعد بن عبادة لتمصيه للمناق وقال : إنك منافق تجادل عن المنافقين ، وأراد إنك
تفعل فعل المنافقين والله اعلم . السادسة والخمسون أن تعديت النساء بعضهم بمضامعة بول ، لأنه
عليه الصلاة والسلام سأل الجارية وزينب . السابعة والخمسون أن الاعتراف بما فشا من الباطل
لا يحمل . الثامنة والخمسون أن عاقبة الصبر الجميل فيه العظيمة والعزة في الدارين . التاسعة
والخمسون أن الله قد يبطل عبده المؤمن بأكره المسكروحات عنده وهو خير له لا شر له ، كما
قال تعالى ﴿ لا تحسبه شرا لكم بل هو خير لكم ﴾ الآية . الستون أن الانسان قد يفرح
بما فيه هلاكه وخزيه في الدنيا والآخرة . الحادية والستون أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم
الصالحون ثم الأمثل فالأمثل . الثانية والستون أن الوحي ما كان يأتيه ﷺ متى أراد لبقائه شهرا
لا يوحى اليه . الثالثة والستون أنه لا يعلم الغيب إلا من علمه الله . الرابعة والستون وجوب
حد القذف على من أفصح بالفاحشة . الخامسة والستون ترك الحد لما يخشى من تفريق الكلمة
كما ترك رسول الله ﷺ حد ابن أبي سلول . انتهى بالحصان شرح النووى باسم وغيره .
والله اعلم

فصل

وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد ، منهم محمد بن حبيب الأخبارى فقال : سقط عقد

عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق ، واختلف أهل المغازي في أي هاتين الغزوتين كانت أولا . وما يدل على تأخر قصة نزول آية التيمم عن قصة الإفك ما روى الطبراني عن عائشة : لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضا عقدي ، وحبس الناس على التماسه ، فقال لي أبو بكر : يا بنية في كل سفرة عناء وبلاء على الناس ، فأنزل الله الرخصة في التيمم ، وفي إسناده من فيه مقال

وفي البخاري : قال موسى بن عقبة : كانت غزوة المريسيع سنة أربع ، وجزم ابن اسحق وتبعه ابن حرم أنها كانت في شعبان سنة ست ، وأن قوله في حديث عائشة فقام سعد بن معاذ وهم ، وأن المفاولة كانت بين سعد بن عباد وأسيد بن حضير ، قال : وهذا هو الصحيح ، والوهم لا يسلم منه أحد من بني آدم . قلت : وعلى قول موسى بن عقبة إنها سنة أربع يزول الأشكال جملة . والله أعلم

غزوة الخندق وهي الأحزاب

واختلفوا في تاريخها ، فقال موسى بن عقبة : كانت في شوال سنة أربع ، وقال ابن اسحق وغيره من أهل المغازي سنة خمس . ومال البخاري إلى قول موسى بن عقبة ، وقواه بحديث ابن عمر ، قال أبو محمد بن حزم : والصحيح الثابت أنه في الرابعة بلا شك لحديث ابن عمر : عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ، فصح أنه لم يكن بينهما إلا سنة واحدة

قال ابن اسحق : فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا كل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث عن الخندق وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن قرأ من اليهود منهم سلام بن مشكم بن أبي الحقيق النضري وحبي بن أخطب وهوذة بن قيس في قر من

بنی النضیر ونفر من بنی وائل ینخرجوا حتی قدموا علی قریش بمكة فدهوهم الی حرب رسول الله وقالوا إنا سنكون معکم علیہ حتی نستأصله ، فقالت لهم قریش : یا معشر یہود إنکم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف فیہ نحن ومحمد ، أدیننا خیر أم دینہ ؟ قالوا بل دینکم خیر من دینہ ، وإنکم أولى بالحق منه ، فهم الذین أنزل الله فیہم ﴿ ألم تر الی الذین أوتوا نصیباً من الكتاب یؤمنون بالجبت والطاغوت ویقولون للذین کفروا هؤلاء أهدى من الذین آمنوا سبیلاً ﴾ الی قوله ﴿ وکفی بجهنم سعیراً ﴾ . فلما قالوا ذلك لقریش سرهم ونشطوا لما دعوهم الیه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتمدوا له ، ثم خرج ذلك النفر حتی أتوا غطفان من قبس عیلان فدهوهم الی حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سیکونون معهم علیہ ، وأن قریشاً قد تابعوهم علی ذلك ، فخرجت قریش وقائدهم أبو سفیان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عیینة بن حصن والحارث بن عوف فی مرة ، وسمر بن ذخیلة فیمین تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ضرب الخندق علی المدینة فعمل فیہ رسول الله ﷺ ترغیباً للمسلمین فی الأجر ، وعمل فیہ المسلمون ، فدأب فیہ فدأبوا ، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمین فی عملهم ذلك رجال من المنافقین ، وجعلوا یوزون بالضعف عن العمل ، ویتسللون الی أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمین إذا نابه نائبه من الحاجة الی لابد منها ذکرها لرسول الله ﷺ واستأذنه باللحوق بحاجته فیاذن له ، فاذا قضی حاجته رجع الی ما کان فیہ من عمله رغبت فی الخیر واحتساباً له ، فأنزل الله فی أولئك المؤمنین ﴿ إنما المؤمنون الذین آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معہ علی أمر جامع لم یذهبوا حتی يستأذنوه ﴾ الآیة ، ثم قال فی المنافقین الذین كانوا یتسللون بالعمل ویذهبون بغير إذن ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بینکم کدعاء بعضکم بعضاً ﴾ فیعلم الله الذین یتسللون منکم لو اذنا ﴾ الآیة . انتهى

وكان الذی أشار بالخندق سلمان فقال : یا رسول الله ، إنا كنا بارض فارس إذا حوسرنا خندقنا علینا ، ولم تكن تعرفه العرب قبل ذلك

وكانت عدة المشركین فیما ذکر ابن اسحق عشرة آلاف ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف

قال ابن حزم : وقيل في تسع مائة فقط ، وهو الصحيح بلا شك . وجعل المسلمون ظهورهم الى
سلع ، فنزلوا هنالك والخندق بينهم وبين المشركين

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وأمر عليه السلام بالنساء والذراري فعملوا في
الآطام . وفي البخاري عن سهل بن سعد قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق وهم يحفرون
ونحن نقل التراب على أكتادنا وأكتافنا ، فقال رسول الله ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار

والأكتاد بالمئة الفوقية جمع كتد بفتح فكسر وهو ما بين الكاهل الى الظهر . وفي
بعض نسخ البخاري بالباء الموحدة . وهو موجه على أن يكون المراد به مما يلي الكبد من
الجنب . وفي البخاري أيضا عن أنس : خرج رسول الله ﷺ فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون
في غداة ياردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من التعب والجوع قال :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرين

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي البخاري أيضا عن البراء : رأيت النبي ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عن الغبار
جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحه وهو ينقل التراب :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد رغبوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

قال : يمد بها صوته . وفي رواية له أيضا :

إن الأولى قد بغوا علينا إن أرادوا فتنة أبينا

وفي حديث سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أنه ﷺ حين ضرب في الخندق قال :

بِسْمِ الْإِلَهِ وَبِهِ بَدِينَا وَلَوْ عَبْدُنَا غَيْرَهُ شَقِينَا
حَبِذَا رَبًّا وَحَبِذَا دِينًا

وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته : منها ما في الصحيح عن جابر قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة - وهي بضم الكاف القطعة الصلبة - فجاءوا للنبي ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق . تقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبا أهيلا أو أهيا كذا بالشك من الراوى . وعند الإسماعيلي باللام من غير شك والمعنى أنه صار رملا يسيل ولا يتماسك ، وأهيم بمعنى أهيل وقد قيل في قوله تعالى ﴿ شرب الميم ﴾ : المراد الرمال التي لا يرويهها الماء . وقد وقع عند أحد والنسائي زيادة حسنة باسناد حسن من حديث البراء قال : لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول ، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ ، فجاء وأخذ المعول فقال : بسم الله ، ثم ضرب ضربة وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله انى لأنظر قصورها الحجر السافة . ثم ضرب الثانية فقطع آخر فقال : الله أكبر ، أعطيت فارس ، والله انى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن . ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله ، فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله انى لا بصر أبواب صنعاء من مكاني

ومنها ما ثبت في الصحيح في حديث جابر من تكثير الطعام القليل ، واشباعه لجميع أهل الخندق . وعند سوسى بن عقبة أنهم أقاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة . وعند الواقدي أربعين يوما ، وعند ابن القيم في الهدى أقاموا شهرا . قال ابن اسحق في حديثه : وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضيري حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقدة بني فريظة وهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك ، فلما سمع كعب يحيى أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي : ويحك يا كعب افتح لى . قال : ويحك يا حيي إنك امرؤ مشثوم ، وإنى قد عاهدت محمدا ، وإنك است بناقص ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال : ويحك افتح لى أكلك . فقال : ما أنا بفاعل

قال : والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيتك أن آكل منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال :
 ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبيحراطام ، جئتك بقربش على قادتها وساتها حتى أنزلتهم
 بمجتمع الأسبال من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب تسمى إلى جانب أحد
 قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . قال كعب : جئتني والله
 بذل الدهر وبجهام قد هرق ماؤه ، فهو برعد ويبرق وليس فيه شيء . ويحك يا حبي فدعني وما
 أنا عليه فاني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حبي يفتله في الثروة والغارب حتى سمح له
 على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل
 معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فقتض كعب عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين
 رسول الله ﷺ . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ أخبر بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد
 ابن عباد وعبدة الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن
 هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقا فالحنوا إلى لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وإن كانوا
 على الوفاء فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ،
 ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشأنهم سعد
 ابن معاذ وشأنهم وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشائهم ، فما بيننا
 وبينهم أربي من المشائمة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم
 قالوا : عضل والقارة . أي كندر عضل والقارة بأصحاب أرجيع . فقال رسول الله ﷺ : الله
 أكبر أبشروا يا معشر المسلمين . وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأنام عدوهم من
 فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المناقين حتى
 قال بعضهم : قد كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن
 على نفسه أن يذهب إلى الفائط . وكان رسول الله ﷺ يبعث الحرس إلى المدينة خوفا على الدراري من
 بني قريظة . وأنزل الله ﴿ واذا يقول المناقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله
 إلا غرورا ﴾ الآيات ، وقال رجال معه ﴿ يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجموا ﴾ وقال بعضهم
 يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو، فأئذن لنا فترجع إلى ديارنا فانها خارج المدينة . فأنزل

الله ﴿ وما هي بعورة ، إن يريدون إلا فرارا ﴾

فلما اشتد البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معها عنه وعن أصحابه ، فخرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقم الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المروضة في ذلك ، فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه ، فقلا : يا رسول الله امرنا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لا يد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ولا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو يبيعا . أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا به نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم بحكمه . فقال رسول الله ﷺ : فانت وذلك . فتناول سعد الصحيفة فحما ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار ابن الخطاب أقبلوا على خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم فافتحمت منه فجالت بهم خيلهم في السبغة بين الخندق وسلم ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معدا ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ؟ فقال له علي أنا . فبرز إليه علي ابن أبي طالب فقال له : يا عمرو إنك كنت قد عاهدت الله أن لا يدعوك أحد من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . فقال له : أجل . قال له علي : فاني أدعوك إلى الله وإلى

رسوله والى الاسلام . قال : لا حاجة لى بذلك . قال : فانى أدعوك الى البراز ، فقال له : يا بن
أخى ما أحب ان أقتلك . قال له على : ولكنى والله أحب أن أقتلك . ففى عمر وعند ذلك
فاقتحم عن فرسه فقربه وضرب وجهه ، ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا ، فقتله على ، وخرجت
خيولهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة

ثم إن الله سبحانه - وله الحمد - صنع أصرا من عنده خذل به العدو ، وذلك أن نعيم بن
مسعود الأشجعى أسلم وهو يخفى اسلامه ، فمضى بين الأحزاب وثبط قوما عن قوم ، فاختلفت
كلماتهم ، وأرسل الله جندا من الريح على المشركين فجعلت تقوض خيامهم ولا تدع لهم قدرا
إلا كفاتها ولا طنبا إلا قاعته ولا يقر لهم قرار ، وجندا من الملائكة ينزلون بهم ويلقون
فى قلوبهم الرعب والخوف

وفى البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال
« اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وزلزمهم » . وروى
أحمد عن أبى سعيد قال : قلنا : يا رسول الله ، هل من شىء نقوله ؟ فقد بلغت القلوب الحناجر .
قال « نعم » ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح . وفى
البخارى عن على أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق : ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما
شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس . وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : حبس
المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت ، فقال رسول
الله ﷺ : شغلونا عن الصلاة الوسطى . . الحديث . قال ابن دقيق العيد : الحبس انتهى الى
ذلك الوقت ولم تقع الصلاة إلا بعد المغرب . وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن عمر بن
الخطاب جاء يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش قال : يا رسول الله ما كدت أن أصلى حتى
كادت الشمس تقرب . فقال النبي ﷺ : وأنا والله ما صليت معها . فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان
فقوضاً للصلاة وتوضأنا لها : فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب
ومقتضى هذه الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر ، وفى الموطأ الظهر والعصر ، وفى السنن

ومسند أحمد والشافعي أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعا . قال النووي : وطريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياما فكان هذا في بعض الأيام ، وهذا في بعضها . قال : وأما تأخيره عاياه السلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف . انتهى

ثم أرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم فوجدهم قد تهبأوا للرحيل ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ليلا فأخبره برحيل القوم ، فأصبح رسول الله ﷺ وقد رد الله عدوه بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله قتالهم ، وصدق وعده ، وأعز جنده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

وفي البخاري عن سليمان بن سرد سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الله الأحزاب : « الآن تغزوم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم »

فصل

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة - حين انصرف من الخندق يوم الأربعاء ، هو وأصحابه ووضعوا السلاح - جاءه جبريل حين اغتسل وهو ينفض الغبار عن رأسه فقال : وقد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناها . اخرج إليهم . قال : فإلى أين ؟ قال : ههنا ، وأشار بيده إلى بني قريظة . فخرج النبي ﷺ إليهم كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث عائشة ومن حديث ابن عمر قال النبي ﷺ يوم الأحزاب : لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتبها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم . انتهى

وعند ابن سعد : ثم سار إليهم في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف والغنم ثلاثون فرسا ، قال : وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة ، وتزل عليه الصلاة والسلام على بئر من آبار بني قريظة ، وتلاحق به الناس وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وحاصروهم رسول الله ﷺ بضعا وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث أحصال : إما الإسلام ،

وإما قتل ذراريهم ونسأهم ثم القتال حتى يموتوا ، وإما تبیت النبی ﷺ وأصحابه ليلة السبت فان المسلمين قد أمنوا منهم . فأبوا كل ذلك ، فأرسلوا الى رسول الله أن يبعث اليهم أبا لبابة ابن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، فأرسله ، فلما أتاهم قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا : يا أبا لبابة ، أتري أن تنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده الى حلقه أنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمدته وقال : لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت ، وعاهدت الله أن لا يظأ بني قريظة أبدا ، أو لا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا . فلما سمع رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال : أما لو جاءني لاستغفرت له ، وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فنزلت توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ ، فتولى رسول الله إطلاقه بيده الكريمة ، فنزلت بنو قريظة على حكم رسول الله ، فلما نزلوا على حكمه قال الأوس : يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد فعلت وهم حلفاء إخواننا الخزرج ، وهؤلاء موالينا . فقال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال : فذلك سعد بن معاذ . وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة في المسجد تسكنها ربيعة امرأة سالحة تقوم على المرضى وتداوي الجرحى تمنسب بذلك الأجر ليعوده من قريب ، فأرسل رسول الله ﷺ الى سعد ليؤتي به ليحكم في بني قريظة ، فأتى به على حمار قد وطئ له بوسادة آدم وأحاط به قومه وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فانما ولاك رسول الله ذلك لتحسن فيهم . فقال : لقد أبي الله لسعد الا أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من معه الى ديار بني عبد الأشهل يعني لهم رجال بني قريظة ، فلما أقبل سعد الى رسول الله ﷺ قال للمسلمين : قوموا الى سيدكم . فقام المسلمون فقالوا : يا سعد إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم كما حكمت ؟ قالوا نعم . قال : وعلى من ههنا ؟ وأشار به الى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ إجلالا له ،

قال رسول الله : نعم . قال : فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسيب النذاري والنساء . فقال له رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم أمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا الى موضع سوق المدينة فنخندق بها خنادق ، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق ، وقتل معهم يومئذ حبي بن أخطب والد أم المؤمنين صفية ، وكانوا من السّماء الى السبع مائة ، وقتل من نساءهم امرأة واحدة ، وهي التي طرحت الرحي على خلاد بن سويد بن الصامت فقتلته . وأمر رسول الله ﷺ بقتل كل من أنبت ، وترك من لم يثبت ، ووهب رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن باطا ، فاستجياهم منه عبد الرحمن بن الزبير فأسلم وله صحبته ، ووهب أيضا رفاعة بن سموأل القرظي لأم المنذر سلمى بنت قيس من بني النجار وكانت قد صلت الى القبليتين ، فأسلم رفاعة وله صحبة ، وكان ممن أنبت عطية للقرظي فاستحبي ، له صحبة . وقسم عليه السلام أموال بني النضير فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمان ، ووقع للنبي ﷺ من سبيهم ربحانة بنت عمرو فلم تزل في ملكه حتى مات

فلما تم أمر بني قريظة أجيبت دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ رضي الله عنه فمات من جرحه الذي أصابه يوم الخندق ، كافي الصحيح عن عائشة قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه في الأكل فضرب له النبي ﷺ خيمة في للسجد ليعوده من قريب ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام وهو ينفذ رأسه من الغبار فقال له : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعتها . أخرج اليهم . قال النبي ﷺ فأين ؟ فأشار الى بني قريظة ، فاتاهم رسول الله ﷺ فنزوا على حكمه فرد الحكم الى سعد قال : فاني أحكم فيهم أن يقتل المقاتلة وأن تسيب النساء والنذرية وأن تقسم أموالهم . قال ابن هشام فاخبرني أبي عن عائشة أن سعدا قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدكم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فاني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فان كان بقي من حرب قريش شيء فابقني له حتى أجاهدكم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فاجرها واجعل موتي فيها . فانفجرت من لبتة ، فلم

يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم بسيل اليهم فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فاذا سعد يغدو جرحه دما ، فمات منها رحمه الله

وفي الصحيحين عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » . وصحح الترمذى من حديث أنس قال : لما حلت جنازة سعد بن معاذ قال للناقضون : ما أخف جنازته ، فقال رسول الله ﷺ « ان الملائكة كانت تحمله »

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال : قبض انسان يومئذ من تراب قبره قبضة ، فذهب بها ، ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك ، قال فقال رسول الله : سبحان الله سبحان الله ، حتى عرف ذلك في وجهه ، فقال : الحمد لله ، لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها ، ضم ضمة ثم فرج الله عنه . وعند ابن اسحق عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ لما دفن سعد فسبح رسول الله وسبح معه الناس ، ثم كبر وكبر معه الناس ، فقالوا : يا رسول الله مم سبحت ؟ فقال لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله ﷺ « إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ » . ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من فقد هالك سمعنا به الا لموت أبي عمرو

واستشهد من المسلمين يوم الخندق وقريظة سعد بن معاذ وأنس ابن أوس وعبد الله بن مهمل كلهم من بني عبد الأشهل ، والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وخلاد ابن سويد طرحت عليه امرأة من بني قريظة رحي فقتلته ، ومات في الحصار أبو سنان بن محصن أخو عكاشة

قال ابن اسحق : وأنزل الله في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل من البلاء ويذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق من قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ

جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها ﴿ الى قوله ﴾ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم ﴿ الآيتين

بعث عبد الله بن عتيك الى قتل سلام بن أبي الحقيق

وهو أبو رافع . ولما فتح الله في الكافر كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس كما تقدم ، رغبت الخزرج في مثل ذلك تريد من الأجر والثناء في الاسلام ، فتذاكروا أن سلام بن أبي الحقيق من العداوة لرسول الله والمسلمين على مثل حال كعب بن الأشرف ، فاستأذنوا رسول الله في قتله فأذن لهم ، فخرجوا اليه خمسة نفر كلهم من الخزرج ، وكلهم من بني سلعة : عبد الله بن عتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي ، ومسعود ابن سنان ، وخزاعي بن الأسود حليف لهم من أسلم ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ونهاهم عن قتل النساء والصبيان . فنهضوا حتى أتوا خيبر ليلا ، وكان سلام ساكنا في دار مع جماعة وهو في علية منها ، فتسوروا الدار ولم يدعوا بابا من مساكنها إلا استوثقوا منه من خارج ، ثم اتوا العلية التي هو فيها فاستأذنوا عليه ، فقالت امرأته : ممن أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نطلب الميرة . فقالت لهم : ذاكم صاحبكم . فدخلوا . فلما دخلوا أغلقوا الباب على أنفسهم فأيقنت المرأة بالشر فصاحت ، فمروا بقتلها ، ثم ذكروا نهي النبي ﷺ عن قتل النساء فأمسكوا عنها ، ثم تعاوروه بأسيا فمهم وهو راقد على فراشه أبيض في سواد الليل كأنه قطنة ، ووضع عبد الله بن أنيس سيفه في بطنه حتى أنفذه ، وعدو الله يقول : قطني قطني . ثم نزلوا . وكان عبد الله بن عتيك ضعيف البصر فوقع ، فوثبت رجله وتيا شديدا ، فحمله أصحابه حتى أتوا منيرا من مناهيرهم فدخلوا فيه واستتروا ، وخرج أهل الأطام وأوقدوا النيران في كل وجه ، فلما أبسوا رجعوا ، فقال المسلمون : كيف لنا أن نعلم أن عدو الله قد مات ؟ فرجع أحدهم ودخل بين الناس ، ثم رجع الى أصحابه فذكر لهم أنه وقف مع الجماعة وأنه سمع امرأته تقول : والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم قلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم إنها نظرت في وجهه فقالت : فاض وإله يهود . قال : فسرت . وانصرف الى أصحابه فأخبرهم بهلاكه ، فرجعوا الى رسول الله ﷺ فأخبروه ، وتذاعروا في قتله فقال عليه السلام : هاتوا

أسيافكم . فأتوه بها . فقال عن سيف عبد الله بن أنيس هذا قتله ، أى فيه أثر الطعام

غزوة بني لحيان

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد فتح بني قريظة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع ، وخرج عليه الصلاة والسلام فى جمادى الأولى فى الشهر السادس من فتح بني قريظة فى السنة السادسة من الهجرة . قال ابن حزم : كذا قالوا ، والصحيح أنها الخامسة ، قاصدا الى بني لحيان مطالباً بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وأصحابهما المقتولين بالرجيع ، وذلك اثر رجوعه عليه السلام من دومة الجندل ، وأظهر أنه يريد الشام ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غران واديين أمج وعسفان ، وهى منازل بني لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا بيئر معونة . فترحم عليهم ، ودعا لهم ، فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رهوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد . فلما تزلها رسول الله ﷺ أخطأه من غرتهم ما أراد ، قالوا : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة ، فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، فبعث عليه السلام رجلين من أصحابه وقارسين حتى أتوا كراع النعيم ثم كروا ، ورجع عليه السلام قافلا الى المدينة ولم يلق كيدا ، فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعا « آيئون تائبون ، ان شاء الله ربنا حامدون »

سرية محمد بن مسلمة

قال فى المواهب : الى بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضرية بالبكرات ، وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، لعشر ليال خلون من المحرم ، بعثه فى ثلاثين راكبا ، فلما أغار عليهم هرب سائرهم ، واستاق نعا وشاء ، وقدم المدينة ليلة بقيت من المحرم ومعه ثمانية بن أثال الحنفى أسيرا ، فربط بامرئهم بسارية من سوارى المسجد . وفى الصحيح عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج اليه النبي ﷺ فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندى خير

يا محمد ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فاسأل منه ما شئت . فتركه حتى كان الغد ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك ، إن تنعم تنعم على شاكر . فتركه حتى كان بعد الغد فقال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي ما قلت . قال أطلقوا ثمامة . فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض الى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى . والله ما كان من دين أبغض الى من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين الى . والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد الى . وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت . قال : لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ، ولا والله لا تأنيكم من الإمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ . وأخرجه مسلم أيضاً . وذكر ابن القيم في الهدى زيادة بعد قوله « حتى يأذن فيها النبي » : وكانت الإمامة ريف مكة . فانصرف الى بلاده ومنع الحمل الى مكة حتى جهدت قريش ، فكتبوا الى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب الى ثمامة يخلى لهم حمل الطعام ، ففعل رسول الله

غزوة الغابة

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء ، وهو ماء على بريد من المدينة في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية ، وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام ، ولمسلم نحوه . قال القرطبي لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية . وقال الحافظ ابن حجر : الذي في الصحيح أصح مما ذكره أهل السير

وسببها أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لثعة - وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة - ترمى بالغابة فأغار عليها عيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا الراعي . قال ابن اسحق : وكان فيهم رجل من غفار وامرأة ، قتلوا الرجل وسبوا المرأة ، ونودي : يا خيل الله اركبي . وكان أول ما نودي بها . وكان أول من نذر بهم

سلة بن عمرو بن الاكوع السلمي ، كان ناهضا الى الغابة ، فلما علا ثنية الوداع نظر الى خيل الكفار فصاح ، فأنذر المسلمين ، ثم نهض في آثارهم قابلي بلاء حسنا عظيما ، ورماهم بالنبل حتى استنقذ ما كان بأيديهم . فلما وقعت الصنيحة بالمدينة كان أول من أتى الى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، ثم عباد بن بشر الأشهلي وأسيد بن حضير أخو بني حارثة وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الأسدي الأخرم وأبو قتادة الحارث بن ربيعي وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت الزرقى . فلما اجتمعوا أمر رسول الله ﷺ سعيد بن زيد من بني عبد الأشهل ، وقيل إن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص ، وكان أحكم للفروسية من أبي عياش ، فاول من لحق بهم محرز بن نضلة الأخرم قتل رحمه الله ، ولحق أبو قتادة فقتل قاتل الأخرم ، وولى المشركون منهزمين ، وبلغ رسول الله ﷺ ماء يقال له فوقرد ، ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة ، وأقام عليه السلام يوما وليلة ثم رجع الى المدينة ، وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة رسول الله ، فلما أتت المدينة نذرت أن تعرها ، فأخبرها رسول الله ﷺ أنه لا نذر لأحد في معصية الله ولا فيما لا يملك ، وأخذ عليه السلام ناقته

سرية زيد بن حارثة

قالوا وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة الى العيص ، موضع على أربع ليال من المدينة في جمادى الأولى سنة ست ، ومعه سبعون راكبا ، لما بلغه عليه الصلاة والسلام أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام يتعرض لها ، فأخذها وما فيها ، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأمر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع ، وقدم بهم المدينة

قال ابن اسحق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم قال : خرج أبو العاص ابن الربيع زوج زينب مرجعه من الشام ، وكان رجلا مأمونا ، وكانت معه بضائع لقريش ، فأقبل قافلا ، فلقته سرية لرسول الله ﷺ فاستاقوا غيره وأظلت ، وقدموا على رسول الله ﷺ بما أصابوا ، فقسمه بينهم . وأتى أبو العاص المدينة فدخل على زينب بنت رسول الله ﷺ يريد

ماله وما كان معه من أموال الناس ، فدعا رسول الله ﷺ السرية وقال : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ولغيره ، وهو في الله الذي أفاء عليكم ، فان رأيتم أن تردوا عليه قاتلوا ، وان كرهتم قاتم وحكم . قالوا : بل نرد عليه يا رسول الله ، فردوا عليه والله ما أصابوا ، حتى إن الرجل يأتي بالشيء والرجل يأتي بالإداوة والرجل بالحبل ، فما تركوا قليلا مما أصابوا ولا كثيرا إلا ردوه عليه . ثم خرج حتى قدم مكة فأدى الى الناس بضائعهم ، حتى إذا فرغ قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم مال لم أردده عليه ؟ قالوا لا فجزاك الله خيرا قد وجدناك وفيا كريما ، قال : والله ما معني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا تخوفا أن تظنوا أني ما أسلمت إلا لأذهب بأموالكم ، فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

وذكر موسى بن عتبة أن أسره كان على يد أبي بصير بعد الحديبية ، وأنهم أخذوه فيه في رجال من قريش وأخذوا مامعهم وأسروهم ، ولم يقتلوا منهم أحدا لصهر رسول الله من أبي العاص وهو ابن اخت خديجة بنت خويلد لأمها وأبيها ، فخلوا سبيل أبي العاص ، فقدم على امرأته زينب فكلما أبو العاص في أصحابه الذين أسر أبو جندل وأبو بصير وما أخذوا له ، فكلمت رسول الله في ذلك ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قام فخطب فقال : إنا صاهرنا أنا ناسا وصاهرنا أبا العاص ، فنعم الصهر وجدناه . وإنه أقبل من الشام في أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير وأخذوا ما كان معهم ولم يقتلوا منهم أحدا ، وان زينب بنت رسول الله سألتني أن أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه ؟ فقال الناس نعم . فلما بلغ أبا جندل وأصحابه قول رسول الله ﷺ في أبي العاص وأصحابه الذين كانوا عنده ردوا عليهم كل شيء ، أخذ منهم حتى العقال ، وكتب رسول الله الى أبي جندل وأبي بصير يأمرهم أن يقدموا عليه ويأمر من معها من المسلمين أن يرجعوا الى بلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لأحد من قريش وعيراتها ، وقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي بصير وهو في الموت ، فمات وهو على صدره ، فدفنه أبو جندل ، وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ وأمنت عبر قريش وذكر باقي الحديث . قال ابن القيم في الهدى : وقول موسى بن عتبة أصوب ، وأبو العاص

إنما أسلم زمن الهدنة ، وكانت زينب هاجرت قبله وتركته على شركه ، وردّها النبي ﷺ
بالنكاح الأول ، قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة ، وفي حديث
مرو بن شعيب عن ابيه عن جده : ردّها عليه بنكاح جديد سنة سبع

سرية كرز بن جابر الفهري الى العرنيين

وهم الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الابل في شوال سنة ست ، قاله الواقدي
وابن سعد وابن حبان ، أو في ذي القعدة بعد الحديبية وهو المذكور في البخاري

والعرنيون حي من بجيلة . وفي البخاري من عكل وعريثة . وفي الصحيحين عن أنس أن
رهما من عكل وعريثة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا أهل ضرع ولم نكن أهل
ريف ، قاستوخنا المدينة . فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا
من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم .
وفي لفظ لمسلم : وسملوا عين الراعي . وعند البخاري أنهم كانوا مع أهل الصفة قبل أن يخرجوا
الى الذود . وفي البخاري فأمر بمسامير فأحيت فكحلهم بها . وفي لفظ فبعث الطلب في
آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا ، وقال
أنس : إنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم لأنهم سملوا عين الراعي ، رواه مسلم

وفي حديث أبي الزبير عن جابر فقال رسول الله ﷺ : اللهم عم عليهم الطريق واجعلها
عليهم اضيق من (۱) فعسى الله عليهم السبيل فأدركوا ، وذكر القصة . وفي البخاري :
قال أبو قلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله . وفي الترمذي عن ابن سيرين
إنما فعل رسول الله ﷺ ذلك قبل أن تنزل الحدود

وفيها من الفقه جواز شرب أبوال الإبل وطهارة بول ما كول اللحم ، والجمع للمحارب
- إذا أخذ المال وقتل - بين قطع يده ورجله ، وأنه يفعل بالجاني كما فعل لأنهم لما سملوا أعين

(۱) بياض في الأصل

الراعى سهل أعينهم . وقد ظهر بهذا أن القصة محكمة ليست منسوخة ، وإن كانت قبل أن تنزل الحدود فالحدود نزلت بتقريرها لا بإبطالها

غزوة سيف البحر

قال البخارى عن جابر بن عبد الله : بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلاثمائة ، يتلقون عبراً لقريش ، فخرجنا فكلنا ببعض الطريق ، ففى الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع ، فكان مزودى تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا حتى فنى فلم يكن يصيبنا إلا تمر تمر . فقلت : ماتنى عنكم تمر ؟ فقال : لقد وجدنا ففدها حين ففيت . وفى لفظ : فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط ، فألقى لنا البحر دابة يتال لها العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر وادها من ودكه حتى ثابت الينا أجسامنا ، فأخذ أبو عبيدة ضلما من أضلاعه فنهسه فعمد إلى أطول رجل معه ثم أسر براحلة فرحلت فرتمته ، فقال جابر : وكان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم إن أبا عبيدة نهاه . وفى رواية أنه قيس بن سعد . وفى لفظ : فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال : كلوا رزقا أخرج الله ، أطعمونا إن كان معكم ، فاتاه بعضهم بعضو فأكله

والصحيح أن هذه الغزوة كانت سنة ست قبل الهدنة كما قاله ابن سعد وصاحب الهدى

غزوة الحديدية

بتخفيف الياء وتشديدها ، وهى بئر بسمى المكان بها . قال تافع : كانت سنة ست فى ذى القعدة . قال صاحب الهدى : وهو الصحيح ، وهو قول الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحق وغيرهم

قالوا وسبب هذه الغزوة أنه ﷺ أرى فى المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديدية أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام ، وأخذ مفتاح الكعبة ، وطافوا واعتمروا ، وحلق بعضهم وقصر بعضهم ، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ، وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك ،

فأخبر أصحابه أنه معتمر ، فتجهزوا للسفر ، واستنفر العرب ومن حوله من البوادي ليخرجوا معه ، وهو لا يريد الحرب ، ولكنه يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو حدود عن البيت ، فأبطأ كثير من الأعراب ، ففعل النبي ﷺ ثيابه وركب ناقته القصواء واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وخرج منها يوم الاثنين غرة ذي القعدة من السنة السادسة ومعه زوجته أم سلمة في ألف وأربعمائة ، ويقال ألف وخمسمائة ، ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف في القرب . وفي البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى ، وأشعر وأحرم منها بعمره . وبعث عينا له من خزاعة ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كانوا بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال : ان قريشا جمعوا لك جموعا ، وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلون وصادقون عن البيت ومانعون . فقال : أشيروا علي أيها الناس ، أترون أن أميل إلى عيالم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عينا عن المشركين وإلا تركناهم محزونين . قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله . حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : إن خالد بن الوليد بالضم في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش . وسار النبي ﷺ ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته ، فقال الناس : حل حل . فألحت فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء . فقال النبي ﷺ : ما خلأت القصواء وما هو لها يخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل . ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت به ، قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا ، فلم يلبث الناس حتى نزحوه ، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع منها من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش بالرى حتى صدروا عنه ، قيناهم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة ، وكانوا عيبة تصح لرسول الله ﷺ من أها

تہامہ فقال : انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديدية معهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال رسول الله ﷺ : انا لم نجىء لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين ، وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فان شاءوا ما ددتهم مدة ويحلوا بينى وبين الناس ، فان ظهروا فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، والا فقد جئوا ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتنهم على أمرى حتى تنفرد سالفى أو لينفذن الله أمره . فقال بديل : سأبأفهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فان شئتم أن نعرضه عليكم فقلنا . فقال صفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأى : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ . فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، ألسم بالوالد ؟ قالوا بلى . قال : ألسم بالولد ؟ قالوا بلى (۱) . قال : فهل تهمنى ؟ قالوا لا . قال : ألسم تعلمون أنى استغفرت أهل عكاظ ، فلما بلحوا على جئتم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا بلى . قال : فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، ودعوى آتاه . فأتاه ، فجعل يكلم النبي ﷺ ، ويقول له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل . فقال عروة عند ذلك : أى محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فوالله إنى لأرى وجوها ، وإنى لأرى أشوا بامن الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك (۲) فقال له أبو بكر الصديق : امصص بظر اللات ، أمحن نقر عنه وندعه ؟ فقال عروة : من هذا ؟ فقالوا أبو بكر ، قال : أما والذى نفسى بيده لولا يدكأت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك . قال وجعل يكلم النبي ﷺ ، فكلما تكلم أخذ بلحيته والمنيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف ومعه المنبر ، فكلما أهوى عروة بيده الى لحيته النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال : آخر يدك عن لحيته النبي ﷺ . قال فرفع عروة رأسه فقال : من

(۱) كان عروة بن مسعود لسبيعة بنت عبد شمس

(۲) يعنى أنه يرى فى أصحاب النبي ﷺ أخلاط الناس ، ويرى فى المعسكر الآخر وجوه قريش وأهل مكة فيها

هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غدر ، ألتُ أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة صعب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم . فقال النبي ﷺ : أما الاسلام فأقبل وأما المال فليست منه في شيء . ثم ان عروة جعل يرمى أصحاب النبي ﷺ بعينه ، قال والله ما تنعم رسول الله ﷺ بخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون اليه النظر تعظيما له . قال فرجع عروة الى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ان رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ، والله ان تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، إذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر اليه تعظيما له . وانه قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة : دعوني آتة . فقالوا : آتة . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البدن ، فابشوها . فبعثت له ، واستقبله الناس يلبون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع الى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعوني آتة . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ : هذا مكرز وهو رجل قاجر ، فجعل يكلم النبي ﷺ . فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر : فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي ﷺ : قد مهل لكم من أمركم . وفي رواية ابن اسحق : فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالوا اذهب الى هذا الرجل فصالحه . فقال النبي ﷺ : قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا . فلما انتهى الى النبي ﷺ جرى بينهما الصلح

وذكر ابن اسحق أيضا في روايته أن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ليعثه الى أهل مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة أحد من بني عدى بن كعب ، يعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلفاتي

عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لقتال ولا لحرب ، وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة ، فخرج عثمان الى مكة فلقية أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فقالت أشراف قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ اليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها حتى ظن رسول الله ﷺ والمسلمون أن عثمان قد قتل . قال ابن اسحق : حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا فبرح حتى نناجز القوم . ودعا رسول الله ﷺ الى بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت ، ولكن بايعناه على أن لا نفر . انتهى . قلت : قال بعضهم : معنى القولين واحد . فبايعه جماعة على الموت ، أي لا تزال تقاتل بين يديك حتى نموت . وما يمه آخرون وقالوا : لا نفر

وذكر وكيع بن الجراح عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن أول من بايعه أبو سنان الأسدي ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين ممن حضرها إلا جند بن قيس أحد بني سلمة ، قال جابر بن عبد الله : وكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته مستترا بها عن الناس . انتهى

وضرب رسول الله ﷺ بيده اليمنى على اليسرى فقال : هذه لعثمان ، وكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم . وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » انتهى . ولما أبطأ عثمان قال المسلمون : طوبى لعثمان ، دخل مكة وسيطوف بالبيت وحده . فقال النبي ﷺ : ما كان ليطوف وحده . ولما تمت البيعة رجع عثمان ، فقال له المسلمون : اشتفت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت . فقال : بش ما ظنتم بي ، والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله ﷺ بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف رسول الله ﷺ ، ولقد دعيتي قريش الى الطواف بالبيت فابت . فقال المسلمون : رسول الله ﷺ كان أعلننا بالله ، وأحسننا ظنا . وكان عمر بن الخطاب أخذ يد رسول الله ﷺ للبيعة ، وكان تحت

الشجرة ، وكان معقل بن يسار آخذا بعضها يرفعه عن رسول الله ، وباعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات : في أول الناس ووسطهم وآخرهم

قال ابن اسحق في حديثه عن الزهري : فلما جاء سهيل بن عمرو الى رسول الله ﷺ كلمه وطال بينهما الكلام ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فكتبها . ثم قال اكتب : هذا ما صالح عابه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو . قال فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقانلك ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك . وفي رواية البخاري : فقال سهيل : لو تعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قانلتك . فقال النبي ﷺ : والله إني رسول الله وإن كذبتوني ، اكتب محمد بن عبد الله . وفي رواية له ولمسلم : فقال النبي ﷺ لعلي « امحه » . فقال : ما أنا بالذي أمحوه . فقال عليه السلام لعلي : أرني مكانها . فأراه مكانها فجاءه ، وكتب محمد بن عبد الله . وفي البخاري قال الزهري : وذلك لقوله « لا بأسوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها » فقال النبي ﷺ : علي أن تخلوا بيننا وبين البيت فتطوف به . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضنطة ، ولكن ذلك من العام القيل . فكتب . وعند ابن اسحق في روايته : واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، وعلى أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن أتى قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليهم . وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إنغال ، وأنه : من أحب أن يدخل في عقد محمد من العرب وفي عهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش من العرب وعهدهم دخل فيه ، (فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم) ، وأنتك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلناها بأصحابك فافروا بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها ، وفي رواية البخاري قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فينماهم كذلك إذ دخل

أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده الى . فقال النبي ﷺ : إننا لم نقض الكتاب بعد . فقال : إذا والله لا أصلحك على شيء أبدا . فقال النبي ﷺ : فأجره لي . قال : ما أنا بمجيره لك . قال بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز بلى قد أجرناه لك . قال أبو جندل : يا مشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لفيت ؟ وكان قد عذاب عذابا شديدا الى الله . وفي رواية غير البخاري : فقام سهيل الى سمرة فأخذ منها عصا وضرب به وجه أبي جندل ضربا رق عليه المسلمون وبكوا . وفي رواية ابن إسحق فجعل يصرخ باعلى صوته : أرد الى المشركين يفتنونى عن دينى ؟ فزاد ذلك الناس على ما بهم . فقال رسول الله : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولئن معك من المسلمين فرجا ومخرجا . إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك عهدا وأعطينا عهد الله ، وإننا لا نقدر بهم . فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشى الى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، ويدنى قائم السيف منه ، قال يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه . قال ففضن الرجل بآئيه . وفي رواية أنه لما قال سهيل : على من أتاك منا وان كان على دينك رددته الينا ، قال عمر : يا رسول الله أترضى بهذا ؟ فنبه رسول الله وقال : من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ، ومن أعرض عنا وذهب اليهم قلنا منه وليس منا بل هم أولى به . وفي رواية ابن إسحق : وأشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص وعمر بن مسعود ومكرز بن حفص - وهو يومئذ مشرك - وعلى بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة ، وكان رسول الله ﷺ مضطربا في الحل وكان يصلى في الحرم

وعند البخاري فقال عمر بن الخطاب : فأنيت نبي الله قلت : ألت نبي الله حقا ؟ قال بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى . قلت : فلم نعطى الدين في ديننا إذا ؟ قال رسول الله ﷺ : إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصرى . قلت : أو ليس كنت

تحدثنا أناسنا في البيت فتطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتكم أنك تأتيه العام ؟ قلت لا . قال : فانك آتية ومطوف به . قال فأتيت أبا بكر قلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى . قلت : فلم تعطى الدنيا في ديننا إذا ؟ قال : أياها الرجل إنه رسول الله وليس بعصى ربه وهو ناصره ، فاستمسك بفرزه ، فوالله انه على الحق . قلت : أو ليس كان يحدثنا أن سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرك أنك تأتيه وتطوف به العام ؟ قال الزهري قال عمر : فعلت لذلك أعمالا

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا . قال فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات . قال فلما لم يبق أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت له أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحدا حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحاق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما . ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهم - حتى بلغ - عصم الكوافر ﴾ . وطاق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنزل الله عليه سورة الفتح في مرجعه إلى المدينة كما ثبت في مسلم عن قتادة أن أنسا حدثهم قال : لما نزلت ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا - إلى قوله - فوزا عظيما ﴾ مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال : لقد أنزلت على آية هي أحب إلى من الدنيا جميعا . وعند البخاري عن قتادة عن أنس ﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ قال : الحديبية . قال أصحابه : هنيئا مريئا مالنا ؟ فأنزل الله ﴿ ليدخل المؤمنون والمؤمنات جنات ﴾ الآية . وفيه عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر يسير معه ليلا ، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر : ثكلتك أمك عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيري ثم قدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ ، قال : قلت

لقد خشيت أن ينزل في قرآن . فبئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال : لقد أنزل على الليلة سورة لمي أحب الى مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ . وعن مجمع بن حارث قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله واقفا عند كراع النخيم وقد جمع الناس يقرأ عليهم ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ الآية ، فقال رجل : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال امي والذي نفسي بيده إنه لفتح . أخرجه أحمد وأبو داود

وفي هذه الغزوة أصابهم مطر ، فلما صلى النبي ﷺ قال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قلوا الله ورسوله أعلم . قال « أصبح من عبادي مؤمن وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب » أخرجه البخاري . وفي غزوة الحديبية أيضا أنزل الله فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة أو النسك في شأن كعب بن عجرة . وفيها دعا رسول الله ﷺ بالمنفرة للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة . وفيها نحرروا البدنة عن سبعة . وفيها أيضا عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها ، إذ جهش الناس نحوه فقال : مالكم ؟ فقالوا يا رسول الله ما عندنا ما نشرب ولا ما نتوضأ به إلا ما بين يديك . فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه أمثال العيون . أخرجه البخاري عن جابر قال : فشربوا وتوضأوا وكانوا خمس عشرة مائة ، وهذه غير قصة البئر التي تقدمت

وفي حديث مصر عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان بعد قوله فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية : ثم رجع رسول الله ﷺ الى المدينة فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلته لنا ، فدفعه الى الرجلين ، فخرجا حتى بلغا ذا الحليفة ، فتزوايا كلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : أرى سيفك يافلان جيدا ، استله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت . قال أبو بصير أرني أنظر اليه ، فامكنه منه ، فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يبدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : لقد راى هذا ذعرا . فلما انتهى الى النبي ﷺ قال : قتل والله صاحبي ، وإني لقتول . فجاء أبو بصير فقال : يابني الله ، قد والله أوفى الله

ذمّك ، قد رددتني اليهم بم أنجاني الله منهم . فقال ﷺ : ويل امه مسر حرب لو كان له أحد . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلاحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش أحد مسلماً إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمع منهم عصابة ، فوالله لا يسمعون بعير لقريش خرجت الى الشام إلا اعترضوا لها ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فارسلت قريش الى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم من أناه منهم فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ اليهم ، فأنزل الله تعالى ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ﴾ الآية حتى بلغ ﴿ حمية الجاهلية ﴾ وكان حيثهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت . انتهى . قال ابن اسحق في روايته : قال ﴿ فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ أى التوحيد شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله : ثم قال ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ إلى قوله ﴿ فجعل من دون ذلك فتحا قريباً ﴾ يعنى صلح الحديبية ، يقول الزهري : فما فتح في الاسلام قبله فتح أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس والتقوا فتفارضوا في الحديث فلم يكلم أحد بالاسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في تبتك السنتين مثل من كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر . انتهى

قالوا : وفي هذه السنة كسفت الشمس ، وفيها ظاهر أوس بن الصامت من امرأته خولة . وفيها استسقى رسول الله في رمضان ومطر الناس . وفيها أيضاً حرمت الخمر كما جزم به غير واحد ، وذكر ابن اسحق أنه كان في وقعة بني النضير وهي بعد أحد وذلك سنة أربع على
الراجح

غزوة خيبر

وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ، على ثمانية برد من المدينة تمشي ثلاثة أيام الى
جهة الشمال

قال ابن إسحق : خرج عليه السلام في بقية المحرم سنة سبع ، وقيل كانت في آخر سنة ست ، وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم . قال الحافظ ابن حجر : والراجح ما ذكره ابن إسحق ، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الأول . انتهى

وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية بقوله ﴿ وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فغلب لكم هذه ﴾ يعنى صلح الحديبية ، وبالمغنم الكثيرة فتح خيبر ، فخرج عليه السلام مستنجزاً مبيحاً ربه وإثماً بكفايته ونصرته ، وكان معه ألف وأربعمائة راجل ومائتا فرس ، ومعه أم سلمة زوجته ، وأمر ألا يخرج معه إلا من رغب فى الجهاد ، لا من غرضه عرض الدنيا . واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى

وفى البخارى من حديث سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر : ألا تسمعنا من هنيانك ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يمدو بالقوم ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما أبقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينه علينا إنا إذا صبح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

وفى رواية أحمد زيادة :

إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا
ونحن عن فضلك ما استغنيا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع . قال : برحه الله . قال رجل من القوم : وجبت بارسول الله ، لولا أن متعتنا به . وفى رواية أحمد : فجمل عامر

پر تجز و سوق الر کاب ، وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تشييط الإبل في السير ، ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال ، وكان معلوماً عندهم أنه ما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يمنعه إلا استشهد . انتهى

وقيل أرسل ابن أبي إلى يهود خيبر أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم ، فخذوا حذرکم ولا تخافوا منه فان عددکم وعدتکم كثيرة ، وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم إلا قليل . فلما علم ذلك أهل خيبر أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى غطفان يستمدونهم لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر ، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين . ولم تقبل غطفان خوفاً من الإسلام . وفي رواية ابن إسحق قبلوا ، فلما نزل المسلمون منزل الرجيع ، وكان بينهم وبين غطفان مسيرة يوم وليلة ، تهيأت غطفان وتوجهوا إلى خيبر لإمداد اليهود ، فلما كانوا ببعض الطريق سمعوا من خلقهم حساً ولفظاً ، فظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم وأموالهم فرجعوا . ثم دعا رسول الله ﷺ الدليلين - وكان اسم أحدهما حسيل - ليدلوا على الطريق الأحسن حتى يحول بين أهل خيبر وغطفان ، فقال أحدهما أنا أدلك يا رسول الله ، فأقبل حتى انتهى إلى مفرق الطرق المتعددة وقال : يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها إلى اللقصد . فأمر بأن يسميها له واحداً واحداً ، قال : اسم واحد منها حزن ، فأبى النبي ﷺ من سلوكة . وقال : اسم الآخر شاش ، فامتنع منه أيضاً . وقال : اسم الآخر حاطب ، فامتنع منه أيضاً . قال حسيل : فابقي إلا واحد ، قال عمر : ما اسمه ؟ قال : مرحب . فاختر النبي ﷺ سلوكة

ولما قدم رسول الله ﷺ خيبر صلى بها الصبح وركب وركب المسلمون ، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكائيلهم ولا يشعرون ، بل خرجوا لأرضهم ، وقيل إن النوم غلب عليهم تلك الليلة فلم يبق منهم أحد ، حتى أن الديكة لم تصبح ، فلما رأى الجيش قالوا : محمد ، والله محمد والخيس . ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم ، فقال ﷺ كما في الصحيحين عن أنس : الله أكبر خرجت خيبر ، الله أكبر خربت ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين انتهى . ولما دنا النبي ﷺ وأشرف عليها قال : تفوا ، فوقف الجيش ، فقال : اللهم رب السموات

السبع وما أظلم ، ورب الأرضين السبع وما أظلم ، ورب الشياطين وما أضلم ، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها . أقدموا بسم الله . وقاتل النبي ﷺ أهل خيبر وقتلوه أشد القتال . واستشهد من المسلمين خمسة عشر ، وفتحها الله عليه حصناً حصناً ، وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار ، وكانوا قد غيبوه في خربة . ولما يقين ﷺ أن اليهود تحارب وعظ أصحابه وحرصهم على الجهاد ورجبهم في الثواب وبشر بأن من صبر فله الظفر والنعيم

روى أن خباب بن المنذر أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل أم نزل أنزلك الله أم هو الرأي في الحرب ؟ قال : بل هو الرأي . فقال : يا رسول الله ، ان هذا المنزل قريب جداً من حصن نطاة ، وجميع مقاتل خيبر فيها ، وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندرى أحوالهم ، ومهامهم تصل إلينا ومهامنا لا تصل إليهم ولا نأمن من بياتهم . وأيضاً هذا بين النخلات ومكان غائر وأرض وخيمة ، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفسد نتخذه مسكراً . قال ﷺ : الرأي ما أشرت إليه . وقد جرى مثل هذا في غزوة بدر

وفي البخاري : وكان علي بن أبي طالب تخلف عن النبي ﷺ وكان رمداً فلحق ، فلما بتنا الليلة التي فتحت قال ﷺ : لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غداً رجلاً يحب الله ورسوله . وفي حديث سهل عند البخاري : وحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه . فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : يا رسول الله هو يشتكي عينيه . قال : فأرسلوا إليه . فأتى ، فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاها الراية . فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . قال : انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم . وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم : فلما أتينا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول :

قد علمت خبير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له عمى عامر فقال :

قد علمت خبير أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتین ، فوقم سيف مرحب فى ترس عامر ، وذهب عامر بسفل له فرجع
على نفسه فقطع أكله فسكات فيها نفسه رحمه الله . قال سلمة : فخرجت فاذا نفر من أصحاب
النبي ﷺ يقولون : بطل عمل عامر ، قتل نفسه . قال : فأنبت النبي ﷺ وأنا أبكى فقلت :
يا رسول الله بطل عمل عامر ؟ فقال رسول الله : من قال ذلك ؟ قلت ناس من أصحابك . قال :
كذب من قال ذلك ، بل له أجره مرتين . وفى رواية البخارى ومسلم وجمع بين إصبعيه : انه
لجاهد مجاهد ، قل عربى مشى بها مثله . وفى مسلم : قال سلمة وخرج مرحب فقال :

قد علمت خبير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمعتى أمى حيدره كليث فابات كرية المنظره

أوفيهم بالصاع كويل السندره

قال فضرب رأس مرحب قتلته ، ثم كان الفتح على يديه . انتهى . وعند ابن اسحق : لما
دنا من حصنهم اطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب .
فقال : علوتم وما أنزل على موسى . ثم خرج يامر أخو مرحب ، فبرز اليه الزبير ، فقالت صفية
أمه : يا رسول الله يقتل ابنى . فقال : بل ابنك يقتله ان شاء الله . فقتله الزبير رضى الله عنه
قال ابن اسحق : وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر فى حصنهم الوطيع والسلام ،
حتى إذا أيقنوا بالهلاك سألوه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله ﷺ
قد حاز الأموال كلها الشق والنطاءة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك

الحصنين . فلما سمع بهم أهل فدك أنهم قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله ﷺ يسألونه ان يسيرم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال

وكانت خبير بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب . وقال حماد بن سلمة : أخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خبير حتى ألجأهم الى قصرهم ، فغلب على الزرع والأرض والنخل فصالحوه على أن يجلبوا منها ولهم ما حلت ركا بهم ولرسول الله الصفراء والبيضاء ، واشترط عليهم أن لا يكتنوا ولا ينيبوا شيئا ، فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد ، فنيبوا مسكا فيه مال وحلى لحبي بن أخطب كان احتمله معه الى خبير حين أجليت النضير ، فقال رسول الله ﷺ لم حيي : ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير ؟ قال : أذهبته النفقات والحروب . فقال : العهد قريب والمال أكثر من ذلك . فدفعه رسول الله ﷺ الى الزبير فمسه بعذاب ، وقد كان قبل ذلك دخل خربة فقال : قد رأيت حيا يطوف في خربه ههنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق - وأحدها زوج صفية بنت حيي بن أخطب - وسمى رسول الله ﷺ نساءهم وذرايرهم وقسم أموالهم ، بالنسك الذي تكثروا . وأراد أن يجلبهم منها فقالوا : يا محمد دعنا تكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، فنحن أعلم بها منكم . ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون يقومون عليها ، فأعطاهم خبير على أن لم الشطر من كل زرع وتمر ، ما بدأ رسول الله أن يقرم . انتهى

قال في الهدى : ولم يقتل رسول الله ﷺ إلا ابني أبي الحقيق للنسك الذي تكثروا ، وأمر بلالا أن يذهب بصفيه الى رحله ، فمر بها بلال على وسط القتلى ، فكره ذلك رسول الله وقال : أذهبت منك الرحمة يا بلال ؟ وعرض عليها رسول الله ﷺ فأسلمت واصطفافها لنفسه ، وأعتقها وجعل عتقها صداقها ، وبني بها في الطريق وأولم عليها . ورأى بوجهها خضرة فقال : ما هذا ؟ فقالت : يا رسول الله رأيت قبل قدومك علينا كأن القمر زال عن مكانه فسقط في حجرى ، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئا ، قصصتها على زوجي فلطم وجهي وقال :

ثمنين هذا الملك الذي بالمدينة ؟ وشك الصحابة هل اتخذها سرية أو زوجة ، فقالوا : إن حجبتها فهي إحدى نساته ، والا فهي مما ملكت يمينه . فلما ركب جعل ثوبه الذي ارندى به على ظهرها ووجهها ، ثم شد طرفه تحته ، فتأخروا عنه في السير ، وعلما أنها إحدى نساته . وفي رواية البخاري عن أنس أنها صارت إلى دحية فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه ، فجعل عنقها صداقها . وفي رواية : فقال ﷺ : خذ جارية من السبي غيرها . وفي رواية لمسلم انه ﷺ اشتراها منه بسبعة أرؤس

فصل

وفي السنن والمسند أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خير قسمها على ستة وثلاثين سهما جمع كل منهم مائة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب المسلمين . هذا لفظ أبي داود . وفي لفظ عزل رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهما وهو الشطر لنوائبه وما ينزل الرطبة والكتيبة وما أجبر معها . وعزل النصف الآخر قسه بين المسلمين . وكان سهم رسول الله ﷺ فيها أجبر معها . قال في الهدى قال البيهقي : وهذا لأن خير فتح شطرها صلحا ، قسم ما فتح عنوة بين أهل الحمس والغنائم ، وعزل ما فتح صلحا لنوائبه وما يحتاج إليه من أمور المسلمين . قال ابن القيم قلت : وهذا بناء منه على أصل الشافعي أنه يجب قسم الأرض للفتوحة عنوة كما يقسم سائر الغنائم ، فلما لم يجده قسم الشطر من خير قال : انه فتح صلحا . ومن تأمل السير والمغازي حق التأمل تبين له أن خير إنما فتحت عنوة ، وأن رسول الله ﷺ استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة ، ولو فتح شيئا منها صلحا لم يحطهم رسول الله فيها ، فانه لما عزم على اخراجهم منها قالوا نحن أعلم منكم ، دعونا نكون فيها ونصيرها لكم بشر ما يخرج منها . وهذا صريح جدا في أنها إنما فتحت عنوة . وقد حصل بين المسلمين واليهود بها من الحرب والمبارزة والقتل بين الفريقين ما هو معلوم . ولكن لما لجأوا إلى حصنهم نزلوا على الصلح . والصواب الذي لا شك فيه أنها فتحت عنوة ، والإمام مخير في أرض العنوة بين قسمها ، ووقفها ، وقسم بعضها وترك البعض ،

وقد فعل رسول الله الأنواع الثلاثة : قسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطر خيبر وترك شطرها ، وإنما قسمت على ألف وثمانمائة سهم ، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب . وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان ، قسمت على ألف وثمانمائة . ولم يقب عن خيبر من أهل الحديبية إلا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله كسهم من حضرها . وقسم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم ، هذا هو الصحيح الذي لا ريب فيه . انتهى . قلت : وفي الصحيح عن نافع عن عبد الله بن عمر : كان رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها ، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ورسوله وللمسلمين ، وأراد إخراج اليهود منها ، فسألت اليهود رسول الله ﷺ ليقرم بها وأن يكفوا عملها ولم نصف التمر ، وقال لهم رسول الله ﷺ : تتركها على ذلك ما شئنا . ففردا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحا . وفي رواية له : عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو تمر ، وكان يعطى أزواجه مائة وسق ، منها ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير . وقسم عمر خيبر فخير أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن من الماء والأرض أو يمضى لهن ، فمنهن من اختار الوسق . وكانت عائشة اختارت الوسق . وفي حديث عبد العزيز بن صهوب عن انس التصريح بأنه كان عنوة ، وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا . قال : وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين أسلمهما أهلها لتتحقن دماؤهم ، وهو ضرب من الصلح ، لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال . انتهى

قال ابن اسحق : وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشق والنظاءة والكتيبة ، وكانت الشق ونظاءة في سهمان للمسلمين ، وكانت الكتيبة : خمس لله ، وسهم النبي ﷺ ، وسهم لذرى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبي ﷺ ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح ، وفي الصحيح عن جبير بن مطعم قال : شئت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ قتلنا : يا رسول الله إخواننا بنو هاشم لا ننكر فضلهم علينا ، وأعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركنا ونحن بمنزلة واحدة . فقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد . قال : ولم يقسم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئا . وفي رواية قال ابن اسحق : عبد شمس

وهاشم والمطلب إخوة لأم وامهم عاتكة بنت مرة ، وكان نوفل أخا لابيهم . انتهى

فصل

وفي هذه الغزوة حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية كما في البخاري ، ونقله : فلما أمسى الناس مسى اليوم الذي فطحت عليهم - يعني خيبر - أوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : ما هذه النيران ، على أي شيء توقدون ؟ قالوا : على لحم . قال أي لحم ؟ قالوا : لحم الحمر الانسية . فقال النبي ﷺ : اهريقوها واكسروها . فقال رجل : يا رسول الله أو نهريقها ونفسلها . قال : أو ذاك . وفي رواية نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم الحمر الأهلية . وفي رواية : نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ورخص في الخيل . وفي رواية أنس : جاءه جاء فقال : أكلت الحمر . فسكت . ثم أتى الثانية فقال : أكلت الحمر . فسكت . ثم أتى الثالثة فقال : أفنيت الحمر . فأمر مناديا فنادى في الناس : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية ، فانها رجس

وفي هذه الغزوة نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تقسم ، وأن لا توطأ جارية حتى تستبرأ . وفي رواية ابن إسحق عن رويغ قال : قام فينا رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال : لا يحمل لاصري يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحمل لاصريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنا حتى يقسم ، ولا يحمل لاصريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجزها ردها فيه ، ولا يحمل لاصريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه

وفي هذه الغزوة أيضا سميت النبي ﷺ زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم كما في البخاري عن أبي هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم . الحديث وفيه أن رسول الله ﷺ قال لليهود : هل جئتم في هذه الشاة سما ؟ فقالوا نعم . قال : ما حللكم على ذلك ؟ فقالوا : أردنا إن كنت كذابا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . وفي

حديث جابر عند أبي داود أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاة مصلية ثم أهدتها إلى رسول الله فأخذ رسول الله ﷺ فأكل منها وأكل رهط من الصحابة معه ، فقال رسول الله ﷺ لرفضوا أيديكم ، وأرسل إلى اليهودية فقال : سممت هذه الشاة ؟ فقالت : من أخبرك ؟ قال أخبرتني هذه في يدي - للذراع - قالت : نعم ، قلت إن كان نبيا فلن يضره ، وإن لم يكن نبيا استرحا منه ، فعفا عنها ولم يعاقبها . وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة . واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة . وفي مغازي سليمان التيمي أنها أسلمت وقالت : الآن عرفت أنك نبي ، واني أشهدك ومن حضر آتى على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وفي رواية أنه قتلها لما مات بشر بن البراء ، قال البيهقي : يحتمل أن يكون تركها أولا ، ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها . وبذلك أجاب السهيلي وزاد أنه تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ثم قتلها يشر قصاصا . واختلف هل أكل النبي ﷺ منها أو لم يأكل ، وأكثر الروايات أنه أكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى قال في وجهه الذي مات فيه : ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر ، فهذا أوان انقطاع الأبر مني . قال الزهري : فتوفي رسول الله ﷺ شهيدا

وفي هذه الغزوة أيضا قدم عليه ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه . معهم الأشعريون عبد الله بن قيس أبو موسى وأصحابه ، وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت عميس . عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو رهم والآخر أبو بردة في بضع وخمسين رجلا من قومي ، فركبنا سفينة فالتفتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبيشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده . فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ يمينا وأمرنا بالاقامة فأقبوا معنا ، فالتفتنا معه حتى قدمنا جميعا ، فوافقنا رسول الله ﷺ حين فتح خيبر فأسهم لنا ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئا إلا من شهد معه ، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم له معهم . وكان ناس يقولون لنا : سبقناكم بالهجرة . قال : ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي ﷺ ، فدخل عليها عمر فقال : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس الحبيشية . قال : البحرية ؟ قالت : أسماء نعم . قال سبقناكم بالهجرة

نحن أحق برسول الله منكم ، فضبت وقالت : يا عمر كلا والله ، لقد كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويمط جاهلكم ، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء ، وذلك في الله وفي رسوله . وإيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قالت رسول الله ﷺ ، ونحن كنا تؤذي ونخاف وسأذكر ذلك رسول الله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه . فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله : ما قلت له ؟ قالت : قلت له كذا وكذا . قال ليس بأحق بي منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أتم أهل السفينة هجرتان . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالا يسألونني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم بأفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ . قالت : أسماء ولقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني

قال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي ﷺ : إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم إذا لقي الخيل أو قال العدو قال : إن أصحابي بأمر ونكم أن تظروهم . أخرجه البخاري وهذا لفظه . وروى أن جعفر لما قدم على النبي ﷺ تلقاه وقبل جبهته وقال : والله ما أدرى بأيهما أفرح : بفتح خيبر أم بقدم جعفر . ذكره ابن هشام في السيرة عن الشعبي

ولما جرت المقاسم في أموال خيبر شيع المسلمون ووجدوا بها صرفا لم يكونوا وجدوه قبل حتى قال عمر : ما شبعنا حتى نشبعنا خيبر ، وعن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من الثمر . أخرجه البخاري في صحيحه

قال موسى بن عقبة : وكانت بثو فزارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم ، فراسلهم رسول الله ﷺ ألا يعينوهم وأن يخرجوا عنهم ولكم من خيبر كذا وكذا ، فأبوا عليه ، فلما فتح الله عليه خيبر أتاه من كان ثم من بني فزارة فقالوا : وعدك للذي وعدتنا . فقال : لكم ذو

الرقبة (۱) . فقالوا : إذا قتلتك . فقال موعدهم كذا . فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ خرجوا هاربين

قال الواقدي قال أبو سلم المزني ، وكان قد أسلم وحسن إسلامه : لما نفرنا إلى أهلنا مع عيينة بن حصن رجع بنا عيينة ، فلما كان دون خيبر عرسنا من الليل ففرعنا ، فقال عيينة : إني أرى الليلة في النوم أعطيت ذا الرقبة جبل بخيبر ، قد والله أخذت برقبة محمد . فلما قدمنا خيبر قدم عيينة فوجد رسول الله قد فتح خيبر فقال : يا محمد أعطني ما غنمت من حلفائي فإني أنصرف عنك وعن قتالك . قال : كذبت ، ولكن الصياح الذي سمعت تفرك إلى أهلك . قال احذني يا محمد ، قال : لك ذو الرقبة . قال وما ذو الرقبة ؟ قال الجبل الذي رأيت في النوم أنك أخذته . فأنصرف عيينة . فلما رجع إلى أهله جاءه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل لك إنك توضع في غير شيء ، والله والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لقد سمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق قال : إنا نحسد محمدا على النبوة حيث خرجت من بني هرون وموسى (۲) مرسل ويهود لا تطاوعني على هذا . ولنا منه ذبحاه واحد يثرب وآخر بخيبر . قال الحارث قلت لسلام : يملك الأرض جميعا ؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى ، ما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه . انتهى

وقدم أبو هريرة المدينة مسلما فوافي سباع بن عرفطة في صلاة الصبح فسمعه يقرأ ، في الركعة الأولى ﴿ كهيمص ﴾ وفي الثانية ﴿ ويل للمطففين ﴾ فقال في صلاته : ويل لأبي فلان ، له مكيلان إذا اكتال بالوافي ، وإذا كال كال بالناقص . فلما فرغ من صلاته أتى سباع فزوده حتى قدم على رسول الله ﷺ فسلم المسلمون فأشركوه وأصحابه مهملتهم وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : افتحنا خيبر فلم نغم ذهباً ولا فضة إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى وعنه عبد له

(۱) في معجم البلدان لياقوت : ذو الرقبة ، وهو جبل عطل على خيبر
(۲) بياض بالأصل

يقال له مدغم أهدي له أحد بنى الصبب ، فبينما هو يحط رحل النبي ﷺ إذ جاءه سهم عثر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس هنيئا له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : بل والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغنم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا . فجاء رجل حين سمع ذلك بشراك أو بشراكين فقال : هذا شيء كنت أصبت . فقال رسول الله ﷺ : شراك أو شراكا كان من نار . انتهى

قال في الهدى : فعبا رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم ، ودفع لواءه الى سعد بن عباد ورايته الى الحباب بن المنذر وراية الى سهل بن حنيف وراية الى عباد بن بشر ، ثم دعا اليهود الى الاسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله . فبرز رجل منهم ، فبرز اليه الزبير فقتله . ثم برز آخر فبرز اليه على فقتله . حتى قتل منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل منهم دعا من بقي الى الاسلام ، وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ، ثم ينصرف فيدعوهم الى الإسلام والى الله والى رسوله ، فقاتلهم حتى أمسوا ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح وهي بأيديهم ، وفتحها عنوة ، وغنم الله أموالهم ، وأصابوا أثانا ومتاعا كثيرا

وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى ، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيباء ماواطأ عليه رسول الله ﷺ أهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيباء ووادي القرى ^(۱) الى المدينة حجازا وما وراء ذلك من الشام انتهى . وقال غيره : وذلك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال في وجهه الذي توفي فيه : لا يجتمع بمجزيرة العرب دينان ، فحصى عن ذلك حتى وجد الثبت

(۱) يسان في الأصل

فصل

قال موسى بن عقبة وغيره : وكان بين قريش رهون عظيمة حين سمعوا بخروج رسول الله ﷺ الى خيبر فمنهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الخليفةان ويهود خيبر . وكان الحجاج بن علاط السلمي قد أسلم وشهد فتح خيبر ، وكانت تحتها أم شيبه أخت بني عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معاذر أرض بني سليم ، فلما ظهر النبي ﷺ على خيبر قال الحجاج : إن لي ذهبا عند امرأتي ، وإن تعلم هي وأهلها باسلامي فلا مال لي ، فأذن لي أسرع السير وأسبق الخبر ، ولأخبرن أخبارا أدرأ بها عن مالي ونفسي . فأذن له رسول الله ﷺ . فلما قدم مكة قال لامرأته : أخفي علي واجمعي ما كان عندك لي من مال ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصبحت أموالهم ، وإن محمدا قد أسر وتفرق عنه أصحابه ، وإن اليهود قد أقسموا ليعبثن به الى مكة ثم ليقتلنه بقتلام بالمدينة . وفشا ذلك في مكة ، واشتد على المسلمين وبلغ منهم ، وأظهر المشركون الفرح والسرور ، وبلغ العباس عم رسول الله زجة الناس وجلبتهم وإظهار السرور ، فأراد أن يقوم ويخرج فأنحرك ظهره ولم يقدر على القيام ، فدعا ابنا له يقال له قثم وكان شبيه رسول الله ﷺ ، فجعل يرتجز ويرفع صوته لئلا يشمت به أعداء الله :

قثم شبيه ذي الأنف الأشم ذي النعم برغم من رغم

وحشر الى باب داره رجال كثيرون ، منهم المظهر للفرح والسرور ، ومنهم الشامت والمعزى ، ومنهم من به مثل الموت من الحزن والبلاء . فلما سمع المسلمون رجز العباس وتجلده طابت أنفسهم ، وظن المشركون أن قد أتاه ما لم يأتهم . ثم أرسل العباس غلاما له الى الحجاج وقال له : اخلُ به وقل له : ويلك ما الذي جئت به وما تقول ؟ فالذي وعد الله خير مما جئت به . فلما كلمه قال : اقرأ أبا الفضل السلام وقل له : فليخل لي في بعض بيوته حتى آتبه ، فإن الخبر على ما يسره . فلما بلغ الصبد باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . فوثب العباس فرحا كأنه لم يصبه بلاء قط حين جاءه وقبل ما بين عينيه وأخبره بقول الحجاج فأعتقه .

قال أخبرني . قال يقول لك الحجاج : اخل به في بعض بيوتك حتى يأتيك ظهرا . فلما جاء ،
 وخلا به أخذ عليه لتكتمن خبري ، فواقفه العباس على ذلك ، فقال الحجاج : جئت وقد
 افتتح رسول الله خيبر وغنم أموالهم وجرت فيها سهام الله ، وإن رسول الله قد اصطفى صفية
 بنت حيي لنفسه وأعرس بها . ولكن جئت لمالي ، أردت أن أجمعه وأذهب به ، وإني
 استأذنت رسول الله ﷺ أن أقول ، فأذن لي ، فأخف على ثلاثا ثم قل ما حدثت . قال
 فجئت له امرأته متاعه ثم انشمر راجعا . فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال :
 ما فعل زوجك ؟ قالت : ذهب . وقالت : لا يخزيك الله يا أبا الفضل ، لقد شق علينا الذي
 بلغك . فقال : أجل لا يخزيني الله ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحب ، فتح رسول الله خيبر ،
 وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله صفية لنفسه ، وإن كان لك في زوجك حاجة
 فالحقى به . قالت : أظنك والله صادقا . قال : فإني والله صادق ، والأمر على ما أقول لك .
 قالت : من أخبرك بهذا ؟ قال : الذي أخبرك بما أخبرك به . ثم ذهب حتى أتى مجلس
 قريش ، فلما رأوه قالوا : هذا والله التجلد يا أبا الفضل ، لا يصيبك إلا خير . قال : أجل
 لا يصيبني إلا خير والحمد لله ، أخبرني الحجاج بكذا وكذا . وسألني أن أكتب عليه ثلاثا
 لحاجته . فرد الله ما كان بالمسلمين من كتابة وجزع على المشركين ، وخرج المسلمون من
 مواضعهم حتى دخلوا على العباس فأخبرهم الخبر ، فأشرقت وجوه المسلمين

فصل

ثم انصرف رسول الله ﷺ من خيبر الى المدينة مؤيدا منصورا ، فلما كان في سبيل
 الصهباء أعرس بصفية بنت حيي ، فأقام ثلاثة أيام بيني عليه بصفية ، ثم صنع حيسا في نطع
 صغير ، ثم قال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك : آذن من حولك . قال أنس : فدعوت
 الناس على وليته على صفية ، وما كان فيها خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالا
 بالانطاع فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقط والسمن وهو الحيس ، فرأيت النبي ﷺ يحوى
 لها وراءه بعباءة وطأ لها خلفه ، ثم جلس عند بعبه فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته

وقد مد الحجاب بينها وبين الناس ، قال أنس : فسرنا حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر الى أحد فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه . ثم نظر الى المدينة فقال : اللهم إني أحرم ما بين لابتها بمثل ما حرم إبراهيم مكة ، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم . وفي رواية : فلما أشرف على المدينة قال : آيئون تائبون عابدون ، ربنا حامدون . فلم يزل يقول ذلك حتى دخل المدينة

وفي مرجعه الى المدينة سار ليلة من الليالي ، حتى اذا كان من آخر الليل نام هو وأصحابه كما في صحيح مسلم وموطأ مالك عن سعيد بن المسيب عن رسول الله ، وعند مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة ، حتى اذا أدركه الكرى عرس وقال لبلال : اكلاً لنا الليل . وصلى ما قدر له . ونام رسول الله وأصحابه . فلما تقارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر ، فغلبت بلالا عيناه ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظا ، ففزع رسول الله فقال : أي بلال . فقال بلال : أخذ بنفسى الذى أخذ - بأبي أنت وأمي يا رسول الله - بنفسك . فقال : اقتادوا رواحلكم شيئا . ثم توضع رسول الله ﷺ وأمر بلال فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح ، فلما قضى الصلاة قال : من تسي الصلاة فليصلها اذا ذكرها . فان لله قال ﴿ وأقم الصلاة لذكركى ﴾ قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها : للذكركى . وفي رواية لمسلم فقال : هذا منزل حضرنا فيه للشيطان . وفيه : ثم صلى سجدتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة . وفيها من الفقه أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقها حين يستيقظ أو يذكرها . وفيها أن السنن تقضى كما تقضى الفرائض ، لانه قضى سنة الفجر معها وقضى سنة الفجر لما فاتته وحدها ، وكان هديه قضاء السنن الرواتب مع الفرائض . وفيه أن الفاتحة يؤذن لها ويقام ، فان فى بعض طرق هذه القصة أنه أمر بلالاً فتأدى بالصلاة . وفي بعضها أمر بلالاً فاذن وأقام . ذكره أبو داود . وفيها قضاء الفاتحة جماعة ، وأن قضاءها على الفور ، وإنما أخرها عن مكان معمرهم قليلا لكونه مكانا فيه شيطان . وفيه تنبيه على اجتناب الصلاة فى أمكنة الشيطان كالحمام والحش بطريق الأولى . انتهى

وفي صحيح مسلم عن ابن شهاب عن أنس قال : لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر

الى المدينة رد المهاجرون الى الأنصار منأحهم التي كانوا منحوم من ثمارهم ، وكان المهاجرون لما قدموا من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء ، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار ، فهاشمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ، ويكفونهم العمل والمؤنة ، وكانت أعطت أم أنس رسول الله عذقا لها . وفي رواية فأمرني أهلي أن آتي النبي ﷺ فأصاله ما كان أهله أعطوه . وكان النبي ﷺ قد أعطاه أم أيمن ، فأتيت النبي ﷺ فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجملت الثوب في عنقي وقالت : والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن ، فقال النبي ﷺ : يا أم أيمن اتركيه ولك كذا وكذا . وتقول : كلا والذي لا إله الا هو . فجعل يقول : لك كذا لك كذا حتى أعطها عشرة أمثاله . وفي رواية أعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه

فصل

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد مقدمه من خيبر الى شوال ، ويبحث في خلال ذلك السرايا :

فنها (سرية أبي بكر الصديق) إلى نجد ، الى بني فزارة ، ومعه سلمة بن الأكوع ، فوقع في سهمه جارية حسناء فاستوهبها منه رسول الله ﷺ وقادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم

ومنها (سرية عمر بن الخطاب) في شعبان سنة سبع ، ومعه ثلاثون رجلا ، فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويسكن النهار ، فأتى الخيبر الى هوازن فهربوا ، وجاء عمر الى محالم فلم يلق أحدا ، فانصرف راجعا الى المدينة

ومنها (سرية بشير بن سعد الانصاري) الى بني مرة بقدك ، معه ثلاثون رجلا ، قتلوا وقاتل بشير بن سعد حتى ارتث وقيل قدم مات . وقدم ابن زيد الحارثي بخيرهم ، ثم قدم بعده بشير بن سعد

ومنها (سرية الى الحرقات من جهينة) وقيل إن الامير غالب بن عبد الله السكبي ،

فلما دنا منهم بعث الأمير الطلائع ، فلما رجعوا أخبرهم أقبل حتى إذا دنا منهم ليلا وقد هدأوا فقام محمد الله واثني عليه بما هو أهله ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا امرى فإنه لا رأى لمن لا يطاع . ثم رتبهم فقال يا فلان أنت وفلان ، ويا فلان أنت وفلان ، لا يفارق كل منكم صاحبه ورميله . وإياكم أن يرجع أحد منكم فاقول أين صاحبك ؟ فيقول لا أدري ، فإذا كبرت فكبروا وجردوا السيوف . فكبروا فحملوا حملة واحدة وأحاطوا بالقوم وأخذتهم سيوف الله . وفي البخارى عن أسامة ابن زيد قال : بعثنا رسول الله ﷺ الى الحرقة فصباحنا القوم فهزمنام ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم . فلما غشينا قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصارى عنه وطعنته برمحى حتى قتله ، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ ، فقال : يا أسامة ، أقتاته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : كان متعوذا . فما زال يكررها حتى تمت أى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم

ومنها (سرية بشير بن سعد الأنصارى) الى يمن وجبار بفتح الجيم ، وهى أرض اعطافان ويقال لفزارة وعذر ، وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة ، فساروا الليل وكنوا النهار ، فلما بلغهم مسير بشير هربوا ، وأصاب لهم نعام كثيرة وأسر رجلين فقدم بهما الى المدينة الى رسول الله ﷺ فأسلما

وبعث رسول الله ﷺ (سرية قبل نجد) وفيها ابن عمر ، قال : فبلغت أمهاسنا اثني عشر بعيرا ، ونقلنا بعيرا لرجعنا بثلاثة عشر بعيرا

ومنها (سرية عبد الله بن رواحة) فى ثلاثين را كبا فيهم عبد الله بن أنيس ، الى البشير لمن رزام اليهودى ، لأنه بلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأنوه بخير فذكروا له أن رسول الله ﷺ أرسلنا اليك ليستعملك على خير ، فلم يزالوا به حتى تبهم فى ثلاثين رجلا مع كل رجل رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة سار - وهى عن خيبر على ستة أميال - ندم البشير فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن أنيس ، فقطن له عبد الله ﷺ فزجر بعيره ثم لفتحم عن بعيره يسوق القوم حتى إذا استمكن من البشير ضرب رجلا فطامها ، فافتحم للبشير

وفى يده مخرش من شوحط فضرب به وجه عبد الله فشجبه مأمومة ، فاتكأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل من يهود أعجزهم شدا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، فقدموا على رسول الله ﷺ فى شجة عبد الله فلم تقح ولم تؤذه حتى مات

(سرية عبد الله بن حذافة السهمى) ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : نزل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ فى عبد الله بن حذافة السهمى ، فبعثه رسول الله ﷺ فى سرية . وفى الصحيحين عن علي قال : بعث رسول الله ﷺ رجلا من الأنصار على سرية ، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال فأغضبوه فى شىء ، فقال : اجمعوا لى حطبا ، فجمعوا . فقال : أو قدوا لى نارا ، فأوقدوا . ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا بلى . قال : فادخلوها . فنظر بعضهم الى بعض وقالوا : إنما فررنا الى رسول الله من النار . قال فسكن غضبه ، وطفقت النار . فلما قدموا على رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له قال « لو دخلوها ماخرجوا منها . إنما الطاعة فى المعروف » قال فى الهدى : وهذا هو عبد الله بن حذافة

عمرة القضاء

قال الحاكم : تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هل ذو القعدة يعنى ستة سبيع أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدم عنها المشركون بالحديبية ، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف عنهم أحد منهم إلا رجلا استشهدوا بخير ورجالا ماتوا ، وخرج معه عليه السلام من المسلمين ألفان ، واستخلف على المدينة أبا رهم النخارى ، وساق عليه السلام ستين بدنة وأحرم لها من ذى الحليفة ، ولبنى ولبنى المسلمون معه ، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسلمى ، فلما نزل بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن ياجج كيسم وهو موضع بمكة حيث ينظر الى أنصاب الحرم وخلف عليه أوس بن حولى الانصارى فى مائتى رجل ، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف فى القرب ، وخرجت رؤساء قريش من مكة الى رؤس الجبال لتلا بروه ، عداوة لله ولرسوله ، وقدم رسول الله ﷺ الهدى أمامه فحبس بنى طوى ،

وركب ﷺ ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محذقون برسول الله ﷺ يلبون .
فلما قدم رسول الله ﷺ أمرهم أن يكشفوا عن المناكب ، وأن يسعوا في الطواف ليرى
المشركون جلدكم وقوتهم ، وكان يكأيدهم بكل ما استطاع

وفي البخاري عن ابن عباس قال المشركون : يقدم عليكم وقد وهنتهم حتى يثرب ، فأمر
النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا في الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا
الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . انتهى . وهو أول اضطباع ورمل في الاسلام . فصف
المشركون وقرقا ينظرون اليه ، ودخل رسول الله ﷺ مكة من الثانية التي نطلعه على الحجون
وابن رواحة أخذ بزعام راحلته

وفي الشئام للترمذي عن أنس أنه ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء ، وابن رواحة يمشي
بين يديه وهو يقول :

خلا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خيله

ورواه عبد الرزاق من وجهين ، وزاد :

قد أنزل الرحمن في تنزيله بأن خير القتل في سبيله

نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله

وأخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل ، وفيه :

يارب إني مؤمن بقيله

وزاد ابن عتبة بعد قوله « قد أنزل الرحمن في تنزيله » :

في محف تسلي على رسوله بأن خير القتل في سبيله

وزاد ابن اسحق :

يارب إني مؤمن بقيله إني رأيت الحق في قبوله انتهى

قالوا : ولم يزل رسول الله ﷺ يلبى حتى استلم الركن بحمضه مضطبعا بثوبه ، وطاف على راحته والمسلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم . وفي الشمايل في حديث أنس قال عمر : يا ابن رواحة ، بين يدي رسول الله ﷺ تقول شعرا ؟^(۱) أسرع فيهم من نضح النبل . انتهى . ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال : هذا المنحر ، وكل فجاج مكة منحرا . فنحرا عند المروة وحلق هناك . وكذلك فعل المسلمون . وأمر رسول الله ﷺ ناسا منهم الى أصحابهم يبطن يا جج فيقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقبضون نسكهم ، ففعلوا . وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا . وفي البخارى عن البراء فلما مضى الأجل أتوا عليا فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل . فخرج النبي ﷺ . فبعته ابنة حمزة تنادى : يا عم ، يا عم . فقتلناها على فأخذها بيده وقال لفاطمة : دونك بنت عمك . فحملتها . فاختم فيها على وزيد وجعفر ، فقال علي : أنا أحق بها وهى ابنة عمى ، وقال جعفر ابنة عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : بنت أخى . فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال : الخالة بمنزلة الأم . وقال لعل أنت منى وأنا منك . وقال لجعفر أشبهت خلقى وخلقى . وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا . وقال له علي : ألا تزوج بنت حمزة ؟ قال انها بنت أخى من الرضاة . انتهى

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة في عمرة القضاء . وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل اليه ميمونة حين يمسى ، وأقام بسرف حتى قدمت ميمونة ومن معها وقد لقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين وصبيانهم فبنى بها بسرف ، ثم أدلج ومار حتى قدم المدينة . وقد رآه أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى بها ، وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد . قال ابن عباس وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال . وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه . قال سعيد بن المسيب : وهل ابن عباس وإن كانت خالته ، ماتزوجها رسول الله ﷺ إلا بعد عاقل . وهل بكسر الماء أى غلط . وفي مسلم عن ميمونة تزوجني

(۱) بياض بالأصل

رسول الله ونحن حلالان بسرف . وقال المنذر : إنها آخر من تزوجه ﷺ ، وآخر من مات من أزواجه . والله أعلم

غزوة مؤتة

قالوا : فلما انصرف رسول الله ﷺ من عمرة القضاء أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع ، وفي صفر من هذه السنة قدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة الحبشي وأسلموا ، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » . ذكره في الاستيعاب

ثم بعث رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة من السنة الثامنة من الهجرة بعث الأمراء إلى الشام ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى ، فلما نزل مؤتة - وهي بضم الميم وهي من عمل البلقاء ، بالشام دون دمشق - عرض له شرحبيل بن عمرو الفسائي فقتله ، ولم يقتل رسول الله ﷺ رسول غيره ، فأمر رسول الله زيد ابن حارثة مولاه على ثلاثة آلاف وقال : إن قتل فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن قتل فبيد الله بن رواحة . قالوا وعقد لهم لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقتلواهم . وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم ، فبكى ابن رواحة ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ فقلت أدرى كيف لي بالصدر بعد الورود . فلما ساروا نادى المسلمون : هجركم الله ودفع عنكم وردكم صالحين غانمين . فقال ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تحذف الزبدا
أو طعنة يبدى حران مجهزة
بحربة تفقد الأحشاء والسكدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدتي
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

فلما نزلوا معان من أرض الشام بلنهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضم اليهم من نخم وجذام ويلي مائة ألف ، فلما بلغ المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا : نكتب الى رسول الله نخبه بعدد عدونا ، فأما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمر فتمضى له . فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال : والله يا قوم إن الذي نكرهونه للذي خرجتم له تطلبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين : إما ظفر وإما شهادة . فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقبهم الجموع بقرية يقال لها مشارف ، فدنا العدو ، وانحاز المسلمون الى مؤته ، فالتقى الناس ، فعبأ المسلمون ثم اقتتلوا والراية في يد زيد ابن حارثة فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعا ، وأخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فقترها ثم قاتل ، وكان أول من عقر فرسه في الاسلام عند القتال ، فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره ، فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

أقسمت يا نفس لتنزله لتنزلن أو لتكرهه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه

قد طال ما قد كنت مطمئنه

هل أنت إلا نطقة في شنه

ويقول : يا نفس إن لا تقتلى نموتى

هذا حام الموت قد صليت

وما تميت فقد أعطيت

إن تقلى فلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفر ، ثم قاتل رضى الله عنه حتى قتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان فقال : يامشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلع الناس على خالد بن الوليد . فلما أخذ الراية دافع القوم وخلصي بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس . وذكر ابن سعد أن الهزيمة كانت على المسلمين

والذي في صحيح البخاري أن الغزوة كانت على الروم ، قال في الهدى : والصحيح ما ذكره ابن اسحق أن كل طائفة انحازت وأحيز عنها . انتهى

روى عن أبي هريرة قال : لما قتل ابن رواحة أنهزم المسلمون ، فجعل خالد يدعو أخراهم ويمنعهم عن الفرار وهم لا يسمعون ، حتى نادى قطبة بن عامر : أيها الناس ، لئن يقتل الرجل في حرب الكفار خير من أن يقتل حال الفرار . فلما سمعوا كلام قطبة تراجعوا

وفي البخاري عن خالد بن الوليد قال : لقد انقطع في يدي يوم مؤتة نسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صحيفة يمانية

وفيه عن أنس أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة في الناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه تدرقان ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . وفيه عن ابن عمر كنت فيهم تلك الغزوة فألقينا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين بين طعنة ورمية . وفي رواية فعددت به خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره . وللطبراني بسند حسن عن عبد الله بن جعفر قال : قال لي رسول الله ﷺ « هنيئا لك أبوك بطير مع الملائكة في السماء » . وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة . أخرجه الترمذي والحاكم . وفي رواية عن ابن عباس أن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله عن يديه . واسناده جيد . وفي البخاري عن ابن عمر كان إذا حيا ابن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين . وفيه عن عائشة : لما جاء النبي ﷺ قتل ابن حارثة وابن رواحة وجعفر جلس يعرف في الحزن وأنا أنظر من صلب الباب ، تعنى شق الباب ، فأتاه رجل فقال : إن نساء جعفر . . فذكر بكاءهن . قالت : فأمره أن ينهأهن . قالت : فذهب الرجل ثم أتاه فقال : قد نهيتهن . وذكر أنهن لم يطقنه ، قال فأمره أيضا فذهب ثم أتاه الثالثة فقال : والله لقد ظلمنا . فرمعت أن رسول الله ﷺ قال : فاحت في أفواههن من التراب . قالت عائشة : أرغم الله أفتك فوالله ما أنت تفعل

وما تركت رسول الله من العناء ، وفي رواية ابن اسحق قالت وربما ضر التكلف أهله . قال موسى بن عقبة : قدم يعلى بن أمية على رسول الله بخبير أهل موته ، فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله . فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره . فقال رسول الله ﷺ : إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم

واستشهد يومئذ من المسلمين : الأمراء ثلاثة ، ومسعود بن أوس ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، وعبادة بن قيس ، وحارثة بن النعمان ، وسراقة بن عمرو بن عطية ، وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد ، وعمرو وعاصم ابنا سعد بن الحارث وغيرهم . رضى الله عنهم أجمعين . انتهى

ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، وتقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله يقبل مشيع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فاحلوم وأعطوني ابن جعفر ، فأخذه فحمله بين يديه وجعل الناس يمشون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار ، فرتم في سبيل الله . فيقول رسول الله : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله . رواه ابن اسحق في السيرة

غزوة ذات السلاسل

وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا ، وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل ، وهي وراء وادي القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان جزم به في الهدى ، وقيل كانت سنة سبع جزم به ابن أبي خالد في كتاب صحيح التاريخ

قال ابن سعد بلغ رسول الله ﷺ أن جما من قضاة قد تجمعوا للاغارة على المدينة وأن يدنوا منها ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فمقد له لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره أن يستعين بمن مر به من بني وعذرة وبلقين ، فسار الليل وكن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جما

كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله يستمده ، فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح في مائتين ، وعقد له لواء ، وبعث له سراة المهاجرين والانصار وفيهم ابو بكر وعمر ، وامره ان يلحق بعمر و ان يكونا جميعا ولا يختلفان ، فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس ، فقال عمرو انما قدمت على مددالي وانا الأمير . فاطاع له بذلك ابو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس ، وسار حتى وطىء بلاد قضاة ، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا ، وبعث عرف بن مالك الأشجعي يريدا الى رسول الله ﷺ فأخبره بقولهم وسلامتهم . قال الامام أحد حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال : بعث رسول الله ﷺ جيش ذات السلاسل فاستعمل ابا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب وقال لها : تطاوعا . قال وكانوا أمروا أن يغيروا على بكر . فانطلق عمرو وأغار على قضاة لأن بكرا أخواله ، قال فانطلق المغيرة بن شعبة الى أبي عبيدة فقال : إن رسول الله ﷺ استعملك علينا ، وإن ابن فلان قد اتبع أمر الصر فله معه أمر . قال ابو عبيدة : إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاول ، فانا أطيع رسول الله وإن عصاه عمرو

وفي هذه الغزوة احتلم أمير الجيش عمرو بن العاص ، وكانت ليلة باردة فخاف على نفسه من الماء فتيسم وصلى بأصحابه الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : يا عمرو ، صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فأخبره الذي منعه من الاغتسال وقال : إني سمعت الله يقول ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا

(سرية أبي قتادة بن ربعي الى بطن إضم) فيما بين ذى خصب و ذى المروة على ثلاثة برد من المدينة في أول شهر رمضان سنة ثمان ، وذلك أنه عليه السلام لما هم أن ينزوا أهل مكة بعث ابا قتادة في ثمانية نفر سرية الى بطن إضم ، ليظن ظان أنه ﷺ توجه الى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار ، فلقوا عامر بن الأضبط فسلم عليهم بتحية الاسلام فقتله محم بن جثامة فأنزل الله ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا ﴾ الى آخر الآية رواه أحمد . وفي الهدى : وحمل عليه محم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وزاد ابن

جرير : فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال رسول الله « لا غفر الله لك » فقام وهو يتلقى دموعه بيديه ، فما مضت له ساعة حتى مات فلفظته الارض ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال « إن الارض تقبل من هو شر منه ، ولكن يريد الله أن يعظكم » ونسب ابن اسحق هذه السرية لابي حدرد

وبعث أبا حدرد ومعه رجلان الى الغابة لما بلغه ﷺ أن رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - الجشمي أقبل في عدد كثير حتى نزلوا الغابة يريد أن يجمع قيسا على مخاربة رسول الله ﷺ وكان ذا شرف ، فخرجوا حتى إذا جاءوا قريبا منهم فسكنوا في ناحية العسكر وخرج رفاعة وقد غشيه الليل يطلب راعيا لهم قد أبطأ عليهم ، حتى مر بأبي حدرد فنفحه بسهم فوضعه في فؤاده فاحتز رأسه ، ثم شدوا في ناحية العسكر وكبروا ، فهرب القوم بكل ما قدروا عليه وما خف من أموالهم ونسائهم وأبنائهم ، واستاق أبو حدرد وصاحباة إبلا عظيمة وغنا كثيرة فجاءوا بها رسول الله ، وجاء أبو حدرد برأسه بحمله ، فأعطاه من الابل ثلاثة عشر . هذا معنى ما ذكر ابن اسحق

غزوة الفتح

قال في زاد المعاد : وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمة الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين ، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا . خرج ﷺ بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بينهم وبين رسول الله بالهدية كما تقدم ، وذلك في رمضان سنة ثمان . وفي البخاري : على رأس ثمان ونصف من مقدمه المدينة

وكان سبب ذلك على ما ذكره إمام أهل المغازي والأخبار محمد بن اسحق بن يسار أن بني بكر بن عبد مناة كانت بينهم وبين خزاعة حروب قبل الاسلام وقتل ، فلما جاء الإسلام تشاغل الناس به ، فلما كانت الهدنة دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت

خزاعة في عهد رسول الله وعقده . فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو بكر وأرادوا أن يصيبوا النار من خزاعة ، فخرج نوفل بن معاوية في نفر من بني بكر فبيت خزاعة على ماء بأسفل مكة يقال له الوثير ، فاصابوا منهم رجالا وتناوشوا واقتتلوا ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا ، حتى حازوا خزاعة الى الحرم ، فلما انتهوا اليه قالت بنتو بكر : يا نوفل انا قد دخلنا الحرم ، إلهك الهك . فقال كلمة عظيمة : لا إله له اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرفون في الحرم أفلاتصيبون ثأركم فيه ؟ فقاتلوهم حتى لجأوا الى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بما قد وقع ، ويستنصرونه ، فقام وهو يجز رداءه ويقول ^(۱) إن لم أنصر بما أنصر منه نفسي . وفي معجم الطبراني الصغير عن ميمونة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول في متوضئه ليلا : لييك لبيك (ثلاثا) ، نصرت نصرت (ثلاثا) . فلما خرج قلت : يا رسول الله ، سمعتك تقول في متوضئك : لبيك لبيك ثلاثا ، نصرت نصرت ثلاثا ، كأنك تكلم إنسانا ، فهل كان معك أحد ؟ فقال : هذا راجز بنى كعب يستصرخني ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر . ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولا يعلم أحد ، قالت : فدخل عليها أبو بكر فقال : يا بنيه ما هذا الجهاز ؟ قالت والله ما أدرى . فقال : والله ما هذا زمان غزو بنى الأصفر ، فأين يريد رسول الله ؟ قالت : والله لا أعلم لي . قالت فأقمنا ثلاثا ، ثم صلى للصبح بالناس ، فسمعت الراجز ينشده :

يارب إني ناشد محمدا حلف أينما وأبيه الأتلا
إن قريشا أخلفوك الموعدا وتقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا فانصر هداك الله نصرا أبدا
وادعُ عباد الله يأتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا
إن سبم خسفا وجهه تزيدي

زاد ابن اسحق :

في فيلق كالبحر يجري مزبدا م يتسونا بالوتير هيدا

(۱) بياض بالاصل

وَقَتَلُونَا رَكْمًا وَسَجَدًا وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدًا

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَصَرْتَنِي يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ . وَفِي رِوَايَةٍ : نَصَرْتَنِي نَصْرَتِ ثَلَاثًا .
ثُمَّ عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنَانَ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لِنَسْتَهْلِ لِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ ،
وَهِمْ رَهْطُ عَمْرُو بْنِ سَالِمٍ

ثُمَّ قَدِمْتُ قُرَيْشَ عَلَى مَا صَنَعْتُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ تَقْضَى لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ،
وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلنَّاسِ : كَأَنَّكُمْ بَأَبِي سَفِيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَشُدُّ الْعَقْدَ وَيَزِيدُ فِي
الْمُدَّةِ . ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سَفِيَانَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى
فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَوَّهَتْهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا بِنْتِي أُرْغَبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ ، أَمْ رَغَبْتِ بِهِ
عَنِّي ؟ قَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ
أَصَابَكَ يَا بِنْتِي بَعْدِي شَرٌّ . ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا . ثُمَّ ذَهَبَ
إِلَى أَبِي يَكْرَ فَكَلَّمَهُ أَنْ يَكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . ثُمَّ أَتَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَلَبِ فَقَالَ :
أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا النَّدْرَ لَجَاءْتُكُمْ بِهِ . ثُمَّ أَتَى عَلَى بْنِ طَالِبٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ
رَسُولِ اللَّهِ وَعِنْدَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ غُلَامٍ يَدَبُ بَيْنَ يَدَيْهَا فَقَالَ : يَا عَلِيُّ إِنَّكَ أَمْسُ الْقَوْمِ فِي رَحْمَاءِ
وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا أُرْجِعُنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ، أَشْفَعُ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ : وَيْحَكَ
يَا أَبَا سَفِيَانَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكَلِّمَهُ فِيهِ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى فَاطِمَةَ
فَقَالَ : يَا بِنْتِ مُحَمَّدٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي ابْنَكَ هَذَا فَيَجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَكُونَ سَيْدَ الْعَرَبِ إِلَى
آخِرِ الدَّهْرِ ؟ فَقَالَتْ : مَا بَلَغَ ابْنِي ذَلِكَ ، وَمَا يَجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ،
إِنِّي أَرَى الْأَمْرَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَى ، فَانصَحْنِي . قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَى شَيْئًا يَغْنِي عَنْكَ ، وَلَكِنَّكَ
سَيْدُ بَنِي كِنَانَةَ ، فَكَمْ فَاجِرٌ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ الْحَقُّ بِأَرْضِكَ . فَقَالَ : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مَغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا ؟
قَالَ : لَا وَاللَّهِ . وَلَكِنْ مَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَهُ . فَقَامَ أَبُو سَفِيَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي
قَدْ أَجْرْتُ بَيْنَ النَّاسِ . ثُمَّ رَكِبَ بِعَيْرِهِ فَانطَلَقَ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ :
أَتَيْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ ابْنُ أَبِي قَحْفَانَ فَلَمْ أَجِدْ مِنْهُ خَيْرًا . ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ
الْخَطَلَبِ فَوَجَدْتُهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ . وَفِي لَفْظٍ : أَعْدَى الْعَدُوِّ . ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلْيَنَ الْقَوْمِ ،

وقد أشار على بشىء صنعته ، فوالله ما أدري هل ينفي شيئاً أم لا . قالوا : وبم أمرك . قال :
أمرني أن أجيز بين الناس ، ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويملك
إن زاد الرجل على أن لعب بك

وأمر رسول الله ﷺ بالناس بالجهاز ، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة وقال : اللهم خذ
العيون والأخبار عن قريش حتى نبلغها في بلادها . فتجهز الناس ، فكتب حاطب بن أبي بلتعة
كتاباً إلى أهل مكة بمسير رسول الله ﷺ إليهم . وفي رواية كتب فيه : إن رسول الله
ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله
عليكم ، فإنه منجز له وعده . فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء . وفي البخاري عن علي بن
عقبة قال قال رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها
ظئينة معها كتاب ، فخذوه منها . وفي رواية : فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من
حاطب بن أبي بلتعة فخذوه منها . قال : وكلنا فارس . قال : فادركناها تسير على بعير لها
حيث قال رسول الله ﷺ . فقلنا : الكتاب . فقالت : مامى كتاب . فأنحناها فالتمسنا فلم نر
كتاباً ، نقلنا : ما كذب رسول الله ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك ، فلما رأته الجداهوت
إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته ، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ ، فاذا فيه من
حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين يخبرهم ببعض أمور رسول الله ﷺ . فقال رسول
الله ﷺ لحاطب : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله
ورسوله ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من
أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال : صدق ، ولا تقولوا
له إلا خيراً . فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق ، إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين
فدعني أضرب عنقه . فقال : إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً
فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وفي رواية : فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم .
فدمت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . وفي رواية له : فأنزل الله السورة ﴿ يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ إلى قوله ﴿ سواء السبيل ﴾ انتهى

وبعث رسول الله ﷺ الى من حوله من العرب فجلبهم : أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم ، فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لاقاه بالطريق ، وخرج في عشرة آلاف من المسلمين ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم النخاري . وفي البخاري عن ابن عباس : صام النبي ﷺ حتى إذا بلغ السكديد - الماء الذي بين قديد وعسفان - أفطروا ففطر الناس منه ، قال الزهري : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر ، وفي رواية عن ابن عباس لمسلم عن ابن شهاب : وبيرونيه الناسخ المحكم . وفي رواية عن ابن عباس : فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر . وفي روايه عن ابن عباس : صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر . انتهى

قال ابن اسحق وقد كان العباس عم رسول الله ﷺ خرج بأهله وعياله مهاجرا مسلما فلقى رسول الله ﷺ بالجحفة ، وكان من لقيه بالطريق أبو سفيان بن الحارث بن المطلب ابن عمه وعبدالله ابن أبي أمية ابن عمته أخو أم سلمة أم المؤمنين ، لقيه بالأبواء ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك . قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهرى فهو الذي قال لي بمكة ما قال . فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان ومعه بنى له : والله ليأذنن لي أو لأخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا . فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك رق لها وأذن لها . وحكى أبو عمر أن عليا قال لأبي سفيان : أئت رسول الله ﷺ من قبل وجهه ، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ، وإن كنا لخاطئين ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا . ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ فأنشده أبو سفيان أبياتا منها :

لعمرك انى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالملاج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى واهتدى
هدانى هاد غير نفسى فدلتنى الى الله من طردته كل مطرد

قال ابن اسحق : فزعموا أن رسول الله ﷺ ضرب صدره وقال : أنت طردتني كل مطرد
قال أبو عمر وحسن إسلامه بعد ذلك ، ويقال : ما رفع رأسه إلى رسول الله منذ أسلم حياء
منه ، وكان رسول الله ﷺ يحبه وشهد له بالجنة ، وقال : أرجو أن يكون خلفا من حمزة .
ولما حضرته الوفاة قال لأهله : لا تبكوا علي ، فوالله ما تنطفت مخطيئة منذ أسلمت

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الظهران عشاء ، فأمر أصحابه فأوقدوا أكثر من
عشرة آلاف نار ، ولم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم . قال العباس :
قلت واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك
قريش إلى آخر الدهر . قال فركبتُ بغلة رسول الله فخرجت حتى أتيت الأراك ، فقلت لعلي
أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتوا
إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة . قال فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي
سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالكيلة نيرانا قط ولا
عكرا ، قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، فيقول أبو سفيان : خزاعة أقل
وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعكرها . قال فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة . فعرف
صوتي فقال : أبا الفضل ؟ قلت نعم . قال مالك فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت : هذا رسول الله
في الناس ، واصباح قريش والله . قال أبو سفيان : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت : والله
لئن ظفرك بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه
لك . فركب خلفي ، ورجع أصحابه . قال فجئت به ، فكلمنا مررنا بنار من نيران المسلمين قالوا :
من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله وأنا عليها قالوا : عم رسول الله على بغلة رسول الله . حتى
صردت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال :
أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول
الله ﷺ ، فركضت البغلة فسبته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء ، واقترحت عن
البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقالت : والله لا يناجيه الليلة أحد دوني . فلما
أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر ، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف ،

ولو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا . قال : مهلا يا عباس ، فوالله لاسلامك كان أحب الى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب الى رسول الله ﷺ . قال رسول الله ﷺ : اذهب به يا عباس الى رحلك ، فاذا أصبحت فاتني به . فذهبت به الى رحلى ، فلما أصبحت غدوت به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بآبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد . قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال بآبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه ففى النفس حتى الآن منها شىء . فقال له العباس : ويحك أسلم واتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . فأسلم وتشهد شهادة الحق ، فقال العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا . قال نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يجبه بمضيق من الوادى عند خطم الجبل تمر به جنود الله فيراها ، فعمل ، فمرت القبائل على راياتها ، كما صرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فأقول سليم ، فيقول : مالى ولسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالى ولزينة . حتى نفذت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا سألتى عنها فأخبرته بهم قال مالى ولبنى فلان . حتى مر به رسول الله ﷺ فى كتيبه الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال قلت : هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة به . ثم قال : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما . قال قلت : يا أبا سفيان إنها النبوة . قال نعم إذن . قلت النجاء الى قومك . وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد ، فلما صر بآبى سفيان قال له : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، اليوم أذل الله قريشا . وفى رواية البخارى فى الصحيح : فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار . يعنى أن تكون له يد فيحمى قومه . وفى رواية البخارى : وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله

ﷺ بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال ما قال ؟ قال قال كذا وكذا . قال كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، قال فأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون ، وفي رواية ابن اسحق : فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ : بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم أعز الله قريشا . ثم أرسل رسول الله ﷺ الى سعد فنزع منه اللواء فدفعه الى قيس ابنه ، ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد إذ صار الى ابنه ، وروى أن رسول الله ﷺ لما أخذ الراية دفعها الى الزبير . ومضى أبو سفيان حتى جاء قريشا فصرخ بأعلى صوته : يا مشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . قالوا : قاتلك الله وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابه فهو آمن ، قال ففرق الناس الى دروم وإلى المسجد ، وسار رسول الله ﷺ فدخل مكة من أعلاها ، وضربت هناك القبة . وفي رواية البخاري عن عروة : وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كذا ، ودخل النبي ﷺ من كذا فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حنش بن الأشقر وكرز بن جابر الفهري ، قال الحافظ ابن حجر : وهذا يخالف الأحاديث الصحيحة الآتية للبخاري عن ابن عمر وغيره ، أنه ﷺ دخل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد ، قال رقد ساق موسى بن عقبة سياقا واضحا فقال : وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كذا من أعلى مكة ، وأمره أن يفرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يفرز رايته عند أدنى البيوت ، وبعث ابن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله ﷺ وأمرهم أن يكفروا أيديهم عن القتال ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد جمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدًا فقاتلهم فاهزموا ، وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور فارتفعت

طائفة منهم على الجبال ، وصاح أبو سفيان : من أغلق بابه وكف يده فهو آمن . قال ونظر رسول الله الى البارقة ، فقال : ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ فقالوا : نظن أن خالد اقوتل وبدى بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم . ولمسلم عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ على إحدى المجبتين خالد بن الوليد ، وعلى الأخرى الزبير ، وبعث أبا عبيدة على الحسر أي الذين لا سلاح معهم ، فقال لي : يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار . فهتفت فجاءوا فطافوا به فقال لهم أنزوني الى أوباش قريش وأتباعهم . ثم قال باحدى يديه على الأخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا ، فقال أبو هريرة فانطلقنا فما نشاء أن نقتل منهم أحدا الا قتلناه . قال فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيعت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، ثم قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقالت الأنصار بعضهم لبعض : أما الرجل فأدر كته رغبة في قرينته ورأفة بعشيرته ، قال أبو هريرة وجاء الوحي وكان إذا جاء لا يخفى علينا ، فإذا جاء ليس أحد يرفع طرفه الى رسول الله ﷺ حتى ينقضى الوحي . قال رسول الله : يا معشر الأنصار ، قالوا : لبيك يا رسول الله ، قال قلم أما الرجل فأدر كته رغبة في قرينته ، قالوا : قد كان ذلك ، قال : كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرت الى الله واليكم ، والحيا محيا كم والمات مماتكم . فأقبلوا يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا للضن بالله ورسوله . فقال رسول الله : فان الله ورسوله يصدقانكم ويمدراكم الحديث . قالوا ولما انتهى رسول الله ﷺ الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد أحر وعليه المنفر وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وإنه ليضع رأسه تواضعا لله وشكرا له حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لأحد بعده ، حتى إن عثونه ليكاد يمس واسطة الرجل ، والعثون بالمين والمثلة والنونين بيها واو هو اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين كذا في القاموس ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد الى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه عهد في نفر سماهم أمرهم بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة : الحويرث بن نفيل وهلال بن خطل وهبار بن الاسود ومقيس بن صباية وعند الله ابن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل وقينتان لابن حطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ومولاة لبعض بني المطلب اسمها سارة . فأما ابن حطل فقتله أبو برزة الأسلمي وهو متعلق بأستار الكعبة

وقيل قتله الزبير ، وأما الحويرث ومقيس وإحدى القينتين فقتلوا وكان مقيس قد أسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وأما هبار بن الأسود فهو الذي عرض لزَيْنب بنت رسول الله حين هاجرت حتى سقطت على صخرة فأسقطت جنبها ففر أسلم وحسن إسلامه ، واستؤمن رسول الله لسارة وإحدى القينتين فأمنهما فأسلمتا ، وأما ابن أبي مرزوق فإنه أسلم فجاء به عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه بعد أن أمسك رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله ، وكان قد أسلم قبل ذلك ثم هاجر ثم ارتد ورجع إلى مكة ، وأما عكرمة فاستأمنت له امرأته بعد أن هرب فقدم وأسلم وحسن إسلامه

ثم نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله حتى دخل المسجد ، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس ، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما في عيونها بالقوس ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد » والاصنام تتساقط على وجوهها ، وكانت مثبتة بالحديد والرصاص

وكان طوافه على راحلته ، ولم يكن محرماً يومئذ فاقصر على الطواف . قلت كذا ذكر في الهدى . وفي صحيح مسلم في حديث أبي هريرة : فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت ، فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو . انتهى . ثم دعا بعثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فأمر بها ففتحت فدخلها وفيها الصور ، ورأى صورة إبراهيم وإسماعيل يستقيمان بالازلام ، فقال : قاتلهم الله ، والله إن استقيما بها قط . ورأى في الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده ، وأمر بالصور فحيت ، ثم أغلق عليه الباب وعلى أسامة وبلال وعثمان بن طلحة فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب حتى إذا كان بينه وبينه قدر ثلاثة أذرع وقف وصلى هناك . وفي الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أراد أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت ، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام فقال رسول الله : قاتلهم الله ، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقيما بها قط . فدخل

البيت وكبر في نواحيه ولم يصل . ولمسلم عن ابن عباس أخبرني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج ، فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين . انتهى

وفي حديث ابن عمر عند مسلم قال بلال : جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى انتهى . ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحده الله ، ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوا ينظرون ما ذا يفعل ، فأخذ بضادتي الباب وهم تحته فقال : لا إله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدحى هاتين إلا سداة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتل الخطأ شبه العمد السوط والعصا فيه الدية مغاظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها . يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الآية . ثم قال : يامعشر قريش ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لآخوته ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ . إذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس في المسجد . فقام إليه على ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع البقاية صلى الله عليك . وفي رواية أن الذى قال ذلك العباس بن عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء . وفي رواية : وكان النبي ﷺ يريد أن يدفعه الى العباس فأنزل الله تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾ الآية . وذكر ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل النبي ﷺ يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلقت له ونلت منه ، فلم عنى ثم قال : يا عثمان لملك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت . فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت . فقال : بل عمرت وعزت يومئذ . ودخل الكعبة فوقت كلمته منى موقعا

ظننت أن الأمر سيصير الى ما قال، فلما كان يوم الفتح قال : يا عثماني ائتني بالفتح ، فأتيته به فأخذه ثم دفعه الى وقال : خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم . يا عثماني إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف . قال : فلما وليت ناداني فقال : ألم يكن الذي قلت لك ؟ قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة فقالت : بل أشهد أنك رسول الله انتهى . وأمر رسول الله ﷺ بلالا أن يصعد فيؤذن على الكعبة ، وأبوسفیان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام وأشرف قريش جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه حق لا تبعته . فقال أبوسفیان : والله لا أقول شيئا ، ولو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصباء . فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : قد علمت الذي قلتم ، ثم ذكر لهم ذلك . فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطعم نبي هذا أحد معنا فنقول أخبرك

وفي البخارى عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله أين نزل غدا ؟ قال النبي ﷺ : وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من ربيع أو دور ؟ وكان عقيل ورث أباطالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا على شيئا لأنهما كانا مسلمين ، وكان عقيل وطالب كافرين ، وكان عمر بن الخطاب يقول : لا يرث الكافر المؤمن ولا للمؤمن الكافر . وفي رواية أخرى قال عليه السلام : منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر ، يعنى به المحصب ، وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوا ولا يبايعوا حتى يسلموا اليهم النبي ﷺ كما تقدم

فصل

ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانئ بنت أبي طالب فاغتسل ومضى ثمان ركعات في بيتها وكانت نحي كافي الصحيحين من حديث أم هانئ . وفي رواية لم أره صلى صلاة قط أخف منها غير أنه أتم الركوع والسجود فظنها من ظنها صلاة الضحى ، وإنما هذه صلاة الفتح . وكان أمر الاسلام إذا فتحوا حصنا أو بلدا صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداء برسول الله

وفي هذه القصة ما يدل على أنها بسبب الفتح شكرا لله عليه فانها قالت ما رأيته صلاحها قبلها ولا بعدها . وأجارت أم هاني حموي لما فقال النبي ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هاني وقد كان أخوها علي بن أبي طالب أراد أن يقتلها فأغلقت عليهما باب بيتها وذهبت الى النبي ﷺ فقال لها ذلك

فلما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله ﷺ في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه كما في البخاري عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة : ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ، انه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله حرّمها ولم يحرمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب . . الحديث

ولمسلم من حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة : لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا . وقال يوم الفتح فتح مكة : إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة ، إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي الا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة ، لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا تلتقط [ساقطه] إلا من عرفها ، ولا يختلي خلاه . فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليبوتهم ، فقال : إلا الإذخر . وفي رواية له عن أبي هريرة أن خزاعة [طلبت] رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقنيل منهم قتلوه ، فأخبر بذلك رسول الله ، فركب راحلته فخطب فقال : إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدى ، ألا وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعتى هذه حرام ، ولا يخبط شوكتها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها الا لمنشد ،

ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يعطى يعنى الدية وإما أن يقاد أهل القتل . قال
فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال : اكتب لى يا رسول الله ، فقال : اكتبوا لأبى
شاه . . الحديث

وفى الهدى : وهم فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله وهو يطوف بالبيت ،
فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة . قال نعم . قال ماذا تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء
كنت أذكر الله . فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده الى صدره فسكن
قلبه . وكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئاً أحب الى منه .
قال فضالة : فرجعت الى أهلى فررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت شعرا فأجبتها شعرا :

قلت هلم الى الحديث فقلت لا يابى الإله عليك والاسلام
لو قد رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسر الاصنام
رأيت دين الله أضحى بيننا والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفى يومئذ صفوان بن أمية ، فاستأمن له عمير بن وهب الجمحى رسول الله ﷺ فأمنه
وأعطاه عمامته التى دخل بها مكة ، فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فرده وقال :
يا صفوان فداك أبى وأمى ، اذكر الله فى نفسك أن تهلكما ، فهذا أمان رسول الله قد جئتك
به . فقال : أغرب عنى فلا تكلمنى . قال أى صفوان فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس
وخير الناس ابن عمك ، عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال : انى أخافه على
نفسى . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف به على رسول الله فقال : هذا
يزعم أنك أمنتى قال : صدق . قال : فأجعلنى بالخيار شهرين . قال : أنت بالخيار أربعة أشهر

فصل

ثم اجتمع الناس للبيعة ، فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفا يباع الناس ، وعمر بن
الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا . وفى المدارك :
روى أن النبي ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل

منه يبايعهن بأمره ويباغهن عنه ، فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متفكرة خوفاً من رسول الله أن يعرفها لما صنعت بحمزة ، فقال رسول الله ﷺ : أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً . فقال رسول الله ﷺ ولا تسرقن . فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح فأنا أصبت من ماله هنت . فقال أبو سفيان : ما أصبت فهو لك حلال . فضحك رسول الله وعرفها فقال لها : وانك لهند ؟ قالت : نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك . فقال ولا يزنين . فقالت : أوتزني الحرة . فقال : ولا يقتلن أو لادهن . فقالت : ريئناهم صفارا وقتلوهم كبارا ، فاتم وهم أعلم . وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر . فضحك عمر حتى استلقى . فتبسم رسول الله فقال : ولا يأتين بهتان . فقالت : والله إن البهتان لأمر قبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق . فقال : ولا يعصينك في معروف . فقالت : والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك

ولما رجعت جعلت تكسر صنمها ، وتقول : كنا منك في غرور

وفي الصحيح عن مجاشع قال : أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح فقلت : يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة . قال : ذهب أهل الهجرة بما فيها . فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : أبايعه على الاسلام والايمان والجهاد .

قال في الهدى : وأمر رسول الله ابن أسد الخزاعي فحدد أنصاب الحرم . وبث رسول الله ﷺ سراياه الى الاوثان التي كانت حول الكعبة فكسرت كلها ، منها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الاكسره

سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة من كنانة

قال ابن سعد : ولما رجع خالد من هدم العزى ورسول الله مقيم بمكة بعثه الى بني جذيمة داعيا لهم الى الاسلام ، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سليم فلما انتهى خالد اليهم قال : ما أنتم ؟ قالوا مسلمون صبأنا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحته

وفي صحيح البخاري بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد الى بني جذيمة فدعاهم الى الاسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فحملوا يقولون « صباأنا صباأنا » فجعل خالد يقتلهم ويأسرهم ، ودفن الى كل رجل من كان معه أسيرا ، فأمر يوما أن يقتل كل رجل أسيره ، فابى ابن عمر وأصحابه حتى قدموا على النبي ﷺ فذكروا له فرغ ﷺ يديه وقال : اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد مرتين . وفي الهدى : فلما كان في السحر نادى خالد : من كان معه أسير فليضرب عنقه . فأما بنو سليم فقتلوا من كان بأيديهم ، وأما المهاجرون والانصار فأسلموا أسراهم ، فبلغ النبي ﷺ فقال : اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد . وبعث عليا فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ، وكان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام وشر ، فبلغ النبي ﷺ فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته

قال ابن اسحق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من سليم سبع مائة وقيل ألف ومن غفار اربعمائة ومن أسلم اربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم من فريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الأصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف يورقني إذا ذهب العشاء
لشعنا التي قد تيممتها فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيثة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
إذا ما الاشربات ذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء
نولها الملاحة إن المنا اذا ما كان مغث أو لحاء

ونشرها فتركنا ملوكا
 عدنا خيلنا إن لم تروها
 ينازعن الأعنة مصعدات
 نساء بني أمية صاغرات
 تظل جيادنا منطمرت
 فاما تعرضوا عنا اعتمرنا
 والا قاصبروا لجلاد يوم
 وجبريل رسول الله فينا
 وقال الله قد أرسلت عبدا
 وقال الله قد سيرت جندا
 لنا في كل يوم من معد
 فنحكم بالقوافي من هجانا
 ألا أبلغ أبا سفيان غني^ء
 بأن سيوفنا تركتك عبدا
 هجوت محمدا فاجبت عنه
 أتتهجوه ولست له بكفاء
 هجوت مباركا برا حنيفا
 فمن يهجو رسول الله منكم
 فان أبي ووالده وعرضي
 لساني صارم لا عيب فيه
 وأسدا ما ينهننا اللقاء
 تثير النقع موعدها كداء
 على أكتافها الأسل الظاء
 عرتهن للذلة والرداء
 تلطمهن بالخمير النساء
 وكان الفتح وانكشف الغطاء
 يعز الله فيه من يشاء
 وروح القدس ليس له كفاء
 يقول الحق ليس به خفاء
 هم الانصار عرضتها اللقاء
 سباء أو قتال أو هجاء
 ونضرب حين تختلط الدماء
 مظلة قد برح الخفاء
 وعبد الدار سادتها الاماء
 وعند الله في ذاك الجزاء
 فشركا لخيركا فداء
 رسول الله شيمته الوفاء
 ويمدحه وينصره سواء
 لعرض محمد منكم وقاء
 وبحري لا تكدره الدلاء

قال ابن هشام : قالها حسان قبل يوم الفتح ، وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى
 رسول الله النساء يلطمن الخليل بالخمير تبسم الى أبي بكر . وقال في الهدى : كان قد قالها في
 عمرة الحديبية وذكرها بهذا اللفظ فيه ، وذكر أكثرها مسلم في صحيحه

فصل

في الاشارة الى بعض ما في هذه الغزوة من الفقه واللطائف

كان صلح الحديبية مقدمة وتوطئة بين يدي هذا الفتح ، أمن الناس به وكلم بعضهم بعضا وتمكن من اختفى من المسلمين بمكة باظهار دينه والدعوة اليه ، ودخل بسببه بشر كثير في الاسلام ، ولهذا سماه الله فتحا

وفيها أن أهل العهد إذا حاربوا من هم في ذمة الامام صاروا حربا له بذلك ، فله أن يبيتهم في ديارهم ، ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء . وانما يكون الاعلام اذا خاف منهم الخيانة

وفيها انتقاض عهد جميعهم بذلك ، ردتهم ومباشرهم ، إذا رضوا بذلك وأقروا عليه ولم ينكروه ، فان الذين أعانوا بني بكر بعضهم

وفيها أن رسول الكفار لا يقتل ، فان أبا سفيان ممن جرى عليه حكم انتقاض العهد ولم يقتله رسول الله

وفيها جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلما ، لأن عمر سألته قتل حاطب ولم يقل رسول الله لا يحل قتله بل قال : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر . الخ

وفيها استعجاب إظهار كثرة المسلمين وشوكتهم لرسول العدو كما أمر بايقاد النيران ، وأمر العباس أن يجلس أبا سفيان حتى عرنت عليه عاكر الاسلام

وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه جمهور أهل العلم ، ولا نعرف في ذلك خلافا الا عن الشافعي وأحمد في أحد قوليه ، وسياق القصة أوضح شاهد لمن تأمله . انتهى ملخصا من الهدى

وفي هذه الغزوة سرفت امرأة من بني مخزوم فأمر رسول الله ﷺ بقطع يدها كما في الصحيح عن عروة أن امرأة سرفت في غزوة الفتح ففرغ قومها الى أسامة بن زيد بن حارثة يستشفونه . قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله فقال : أتكلمني في حد من

حدود الله ؟ فقال : أستغفر لي يا رسول الله . فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فأنا أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت . قالت عائشة : فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله ﷺ رواه مسلم . وفيه فقالوا : من يجترى عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله . . الحديث . وفي رواية له عن عائشة قالت : كانت امرأة مخزومية تستمير المتاع وتبجده

ومما وقع في غزوة الفتح إباحته متعة النساء ثم حرمها قبل خروجه من مكة كما ثبت في صحيح مسلم عن بسرة الجهني أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة قال : فأقننا بها خمس عشرة ليلة ، ثلاثين بين ليلة ويوم . قال فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء الحديث . وفي رواية فقال : يا أيها الناس إنى قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً . وقال طائفة من العلماء إنها حرمت يوم خيبر ثم أبيحت ثم حرمت ، منهم الشافعي وقال : لا أعلم شيئاً أبيع ثم حرم ثم أبيع ثم حرم إلا المتعة ، واحتجوا بما ثبت في الصحيحين عن علي أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الانسية . قلت : وأجيب عن ذلك بأن هذا الحديث صحت روايته بلفظين وهذا أحدهما ، والثاني الاقتصار على نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، هذه رواية ابن عيينة عن الزهري ، قال قاسم بن أصغ قال سفيان بن عيينة يعني أنه نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر لا عن نكاح المتعة ، ذكره أبو عمر في التمهيد ثم قال : على هذا أكثر الناس انتهى . قال في الهدى : فتوهم بعض الرواة أن يوم خيبر ظرف لتحريمهن فرواه : حرم رسول الله ﷺ المتعة زمن خيبر ، فجاء بالغلط البين . فان قيل فأى فائدة في الجمع بين التحريمين إذ لم يكونا قد وقعا في وقت واحد ، وأين المتعة من تحريم الحمر ؟ قيل : هذا الحديث رواه علي رضي الله عنه محتجاً به علي ابن عمه عبد الله بن عباس في المسألتين ، فانه كان يبيع المتعة ولحوم الحمر فناظره علي في المسألتين فقيده

تحريم الحجر زمن خيبر وأطلق تحريم المتعة ، فقال : انك امرؤ تائه ، إن رسول الله ﷺ حرم المتعة ، وحرم لحوم الحجر الأهلية يوم خيبر . والله أعلم

وفي البخارى عن ابن عباس : أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين . قال ابن عباس : ونحن إذا سافرنا فأقمنا تسعة عشر قصرنا ، وإن زدنا أقمنا . وفيه عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فقال بعضهم : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال : انه ممن قد علمتم . قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ، ما أريته دعاني يومئذ إلا ابراهيم مني ، فقال : ما تقولون في ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ حتى ختم السورة ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وقال بعضهم : لا ندري ، ولم يقل شيئاً بعضهم . فقال لي يا ابن عباس أ كذلك تقول ؟ قلت لا . قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله ، والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً . قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تعلم . وفيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده . سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي . يتأول القرآن وفي رواية لمسلم سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك . قالت : قلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثها نقولها ؟ قال : جعلتها علامة في أمي إذا رأيتها قلتها ﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ والفتح فتح مكة الى آخر السورة

غزوة حنين

قال في المواهب : وهو واد قرب ذى المجاز ، وقيل ما بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف ، وتسمى غزوة أوطاس . قال في الهدى : وهما موضعان بين مكة والطائف سميت الغزوة باسم مكانهما

قال أهل السير : وسببها أن الله لما فتح على رسوله مكة أطاعت له قبائل العرب كلها وأسلموا ، إلا هوازن وثقيف فانهم كانوا عتاة ، فاجتمع أشرافيهم فقالوا : إن محمداً قاتله قوم لم يحسنوا القتال ولم يكن لهم علم بالحرب فغلب عليهم ، فانه سيقصدنا ، فقبل أن يظهر ذلك منه

سیروا الیه . ققصدوا محاربة المسلمين ، واجتمعت هوازن وثقیف کلها ، وكان علی هوازن
 رئیسهم مالک بن عوف النضری ، وعلی ثقیف قائدهم ورئیسهم قارب بن الأسود ، واتفق
 معهما نضر وجشم کلها وسعد بن بکر وناس من بنی هلال وهم قلیل ، ولم یشهد من قیس
 عیلان إلا هؤلاء ، واجتمعوا فی أربعة آلاف مقاتل ، وخرجوا بأموالهم وأولادهم ونساءهم لثلاث
 یفروا ، وكان فیهم درید بن الصمة فی بنی جشم وكان شیخا کبیرا قد همی من الکبر وكان
 له مائة وخمسون سنة ، وكان صاحب رأی وتدییر وله معرفة بالحروب ، فاروا حتی انتهوا الی
 أوطاس ، فلما نزلوا بأوطاس اجتمع الناس - وفیهم درید بن الصمة - فلما نزل قال : فی آی
 واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس . قال : نعم مجال الخلیل ، لاحزن ضرر ، ولا سهل دهر . قال :
 مالی أسمع رغاء البعیر ونهاق الحمیر وبكاء الصغیر وبعار الشاء ؟ قیل : ساق مالک بن عوف مع
 الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال ابن مالک ؟ فدعی له ، فقال : یامالک إنک أصبحت
 رئیس قومک ، وإن هذا الیوم له ما بعده من الأيام ، مالی أسمع رغاء البعیر ونهاق الحمیر وبكاء
 الصغیر وبعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم أردت أن أجعل خلف
 کل رجل منهم أهله وماله لیقاتل عنهم . قال : راعی ضأن والله ، وهل یرد المنهزم نسی ؟ إن
 كانت لك ، لم ینفعك إلا رجل بسیفه ورمحه ، وإن كانت علیك فضحت فی أهلك ومالك .
 ثم قال : ما فعلت کعب وکلاب ؟ قالوا : لم یشهدا منهم أحد . قال غاب الجد والجد ، لو
 كان یوم بعلاء ورفعة لم تغب عنه کعب وکلاب ، ولوددت أنکم فعلتم ما فعلت کعب
 وکلاب ، فمن شهد هامنکم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر ، قال ذاك الجذعان لا ینفغان
 ولا بضران ، یامالک انک لم تصنع بتقدیم بیضة هوازن فی نحر الخلیل شیئا ، ارفعهم الی
 ممتنع بلادهم وعلیا قومهم ، ثم اتق الصبأة علی متون الخلیل ، فان كانت لك لحق بك من
 وراءك ، وان كانت علیك أفاک ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك . قال لا والله لا أفضل ،
 انک قد کبرت وکبر عقلک ، والله لتطیعننی یا معشر هوازن أو لأنکئن علی هذا السیف حتی
 یمخرج من ظهری . وکره أن یرید فیها ذکر ورأی . قالوا أطعناک . قال درید : هذا
 یوم لم أشهده ولم یفتنی

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزرع كأنها شاة صدع

وبعث مالك بن عوف عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجلاً بيضا على خيل بلق ، والله ما نملكنا أن أصابنا ماري . فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد

ولما سمع بهم النبي ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس ، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله فأتاه وأخبره الخبر فلما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا وصلاحا فأرسل إليه - وهو يومئذ مشرك - فقال : يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا . فقال أغصبا يا محمد ؟ فقال بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك . قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل واستعمل رسول الله على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعاذ ابن جبل إماما بها ومفتحا لمن فيها . قال ابن عبد البر فأقام بها أميرا على مكة حتى قبض رسول الله وأقره أبو بكر ، فلم يزل عليها إلى أن مات . وكانت وفاته فيما ذكر الواقدي يوم مات أبو بكر وماتا في يوم واحد . قال السهلي قال أهل التعبير : رأى رسول الله ﷺ في المنام أسيد بن أبي العاص واليا على مكة مسلما فمات على الكفر ، وكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم ، فولاه رسول الله على مكة وهو ابن إحدى وعشرين سنة

ثم خرج رسول الله ﷺ عامدا إلى حنين معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله عليهم . فكانوا اثني عشر ألفا

وذكر أن رجلا قال يوم حنين : لن تغلب اليوم من قلة ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فخرج من مكة إلى حنين يوم السبت لست ليال خلون من شوال ، وخرج معه ناس من المشركين منهم صفوان بن أمية ، فلما كان عشية نجاء فارس فقال : يا رسول الله إني طلعت

جبل كذا وكذا فاذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظلمتهم ونعمهم وشأنهم ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : تلك غنيمة للمسلمين غدا ان شاء الله . ثم قال : من يحرسنا الليلة ؟ قال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله . قال اركب . فركب فرس له فقال : استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ، ففعل . فلما أصبح جاء وقال : طلعت الشعيبين كلاهما فلم أر أحدا . فقال له رسول الله : هل نزلت الليلة ؟ قال لا إلا مصليا أو قاضيا حاجة . فقال رسول الله : فلا عليك أن تعمل عملا بعد هذا . رواه أبو داود

وعن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بالجاهلية ، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها « ذات أنواط » يأتونها كل سنة فيملقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويمكفون عليها يوما . قال فرأينا ونحن نسير معه إلى حنين سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال لهم رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . قال انكم قوم تجهلون . إنها السنن ، لتركن سنن من كان قبلكم . رواه الترمذي والإمام أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن اسحق في السيرة وهذا لفظه . قال العلماء في الكلام على هذا الحديث : فأنكر ﷺ عليهم مجرد مشابهتهم للمشركين في ذلك ، فكيف بما هو أعظم من ذلك من الشرك بعينه ، فاذا كان المكوف حول هذه الشجرة لتعلق الأسلحة والمكوف حولها اتخذ إله مع الله ، مع أنهم لا يسألونها ولا يعبدونها ، فما الظن بالمكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده ، فأى نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلون ؟ قال بعض أصحاب مالك وهو أبو بكر الطرطوشي : فانظروا رحمكم الله أيما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويمظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فاقطعوها . انتهى

فلما انتهى النبي ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال كان قد سبقهم مالك بن عوف فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي وفرقهم في الطرق والمداخل وحرصهم

على قتال المسلمين وأمرهم أن يكتفوا لهم ويرشقوهم أول ما طلوعوا ويحملوا عليهم حملة واحدة وقال : إذا رأيتوهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة واحدة . فلما كان وقت السحر عبأ رسول الله ﷺ جيشه وعقد ألويته والرايات وفرقها على الناس ، ثم ركب ﷺ بقلته البيضاء دلدل ، ولبس درعين والمفر والبيضة . قال ابن اسحق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدرتنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحدارا ، وذلك في عمية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكفونا لنا في شعابه وأخبائه ومضايقه ، قد أجمعوا ونهبأوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد ، وانحاز رسول الله ذات اليمين ثم قال : الى أيها الناس هلم الى ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، فلا شيء ، حملت الابل بعضها على بعض ، فانطلق الناس إلا أنه قد بقي مع رسول الله نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، منهم أبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه الفضل وربيعه بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم ايمن بن عبيد وقتل يومئذ انتهى . ولما رأى رسول الله ﷺ فرقة أصحابه طفق يركض بقلته قبل الكفارة ، وكان العباس بن عبد المطلب أخذ بركابه الأيمن ، وفي رواية : إن العباس أخذ بركابه الأيمن وأبو سفيان بالأيسر يكفأنها إرادة ألا تسرع وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن أبي اسحق عن البراء بن عازب أنه قال له رجل : يا أبا عمارة أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال : لكن رسول الله لم يفر ، ان هوازن كانوا قوما رماة ، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على الغنم فاستقبلونا بالسهم فانهزم الناس ، فلقد رأيت رسول الله على بقلته البيضاء فتزل واستنصر وقال : اللهم أنزل نصرك ، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلبجام بغائه وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وفي رواية لمسلم : ولسكنه خرج شبان أصحابه وخفافهم حسراً ليس عليهم سلاح - أو كبير سلاح - فلقوا قوما رماة لا يسكاد يسقط لهم منهم ، جمع هوازن وبنى نصر ، فرشقوم رشقا ما يكادون يخطئون ، فاقبلوا الى رسول الله ﷺ ورسول الله على بخلته البيضاء ، فنزل واستنصر وقال : اللهم أنزل نصرك . قال البراء : وكنا والله إذا احمر البأس نتقى به ، وان الشجاع منا الذي يحاذي به . وفي رواية سلمة بن الأكوع عند مسلم وقال عبد الله بن ابراهيم رحمه الله : فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن بخلته ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال : شأمت الوجوه . فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين . وفي حديث العباس عند مسلم فقال رسول الله : أي عباس ، ناد أصحاب السمرة . فقال عباس - وكان رجلا صيتا - فقلت بأعلى صوتي : يا أصحاب السمرة . قال فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يالبيك يالبيك . قال فافتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون : يامعشر الأنصار . ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يابني الحارث بن الخزرج ، يابني الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بخلته كالمطاول عليها الى قتالهم فقال : هذا حين حمى الوطيس . قال ثم أخذ رسول الله حصيات فرمى بهن في وجوه [القوم] ثم قال : انهزموا ورب محمد . قال فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته في ما أرى ، فوالله ما هو الا أن رمام بحصياته فازلت أرى أحدم كليلا وأمرهم مديرا . قال وكأني أنظر الى رسول الله ﷺ يركض خلفهم على بخلته . وفي رواية جابر عند ابن اسحق : فقال رسول الله ﷺ : اصرخ يامعشر الأنصار يا أصحاب السمرة . فأجابوا ليك ليك . فجعل الرجل يذهب ليمطف بغيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ السيف وترسه ثم يؤم الصوت ، حتى اجتمع الى رسول الله منهم مائة فاستعرض الناس فاقتلوا . قال جابر بن عبد الله : ما رجعت راجعة الناس حتى وجدوا الأسارى مكتفين بين يدي رسول الله ، والتفت رسول الله الى أبي سفيان بن الحارث وكان حسن إسلامه وعمن صبر يومئذ معه وهو أخذ بثنيين بغلته فقال : من هذا ؟ قال ابن عمك يا رسول الله ، وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار وكان أبوه قتل يوم أحد : قلت

اليوم أدرك ثأري أقتل محمداً ، فأردت رسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك وعلمت أني ممنوع منه . وفي سيرة ابن هشام : فعرفت أنه ممنوع مني . وذكر ابن أبي خيثمة حديث شيبه هذا قال : لما رأيت النبي ﷺ يوم حنين ذكرت أبي وعمي قتلها حمزة قلت اليوم أدرك ثأري في محمد ، فجئت عن يمينه فإذا أنا بالعباس قائماً عليه درع بيضاء ، قلت عمه لن يخذله ، فجئت عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث قلت ابن عمه لن يخذله ، فجئت من خلفه فدنوت ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف فرمى إلى شواظ من النار كأنه البرق ، فنسكصت على عقبي القهقري ، فالتفت رسول الله فقال : يا شيبه ادن ، فدنوت ، فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي ، فرأيت إليه بصري فهو أحب إلي من سمعي وبصري ، فقال لي : يا شيبه هكذا قاتل الكفار ، فقاتلت معه ﷺ . وفي رواية فمسح صدري وقال : اللهم أعذه من الشيطان ، فوالله فهو كان ساعتئذ أحب إلي من سمعي وبصري ، وأذهب الله عني ما كان ، ثم قال : ادن فقاتل ، فتقدمت بين يديه ، ولو لقيت تلك الساعة أي أوقعت به السيف . فلما تراجع المسلمون كروا كرة رجل واحد ، فركب بغلته ﷺ فاستوى عليها فخرج في أثرهم ففترقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره فدخل خبائه ، فدخلت عليه فقال : يا شيبه ، الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك . ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط . قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . قلت : استغفر لي يا رسول الله . قال : غفر الله لك

قال ابن اسحق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لانتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزام لعه في كنياته . وصرخ جبلة بن الحنبل أخوه صفوان بن أمية لأمه : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان بن أمية : امكت فض الله فاك ، فوالله لأن يرثني رجل من قريش أحب إلي من أن يرثني رجل من هوازن

ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف من بني مالك فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وكانت معه راية ثقيف وكانت راية الأحلاف مع قارب

ابن الأسود ، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يقتل منهم غير رجلين ، ثم أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، وتبع خيل رسول الله من سلك نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا ، فأدرك ربيعة ابن رفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام البعير وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه كان في شجار له فاناخ به فاذا شيخ كبير واذا هو دريد ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال أقتلك . قال من أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي . ثم ضربه بسيفه فلم يخن شيئاً . فقال بئس ما سلحتك أمك ، خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ ، فاني كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم اذا أتيت أمك أخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع نكثف ، فاذا عجانه وبطون فخذه مثل القرطاس من ركوب الخيل هراء ، فلما رجع ربيعة الى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً

سرية أبي عاصم الأشعري

وهو عم أبي موسى الأشعري . قال ابن اسحق : ابن عمه ، والأول أشهر . وأوطاس واد معروف بين حنين والطائف . إن رسول الله ﷺ لما فرغ من حنين عقد لواء دفعه الى أبي عامر الأشعري وأمره على جمع من الأصحاب وبعثه في آثار من توجه قبل أوطاس من فرار هوازن ، فأدرك بعض المهزمة فناوشوه القتال ، فرمى أبو عاصم بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه وهزمهم الله . وفي الصحيح عن أبي موسى قال : لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش الى أوطاس ، فأتى دريد بن الصمة ، فقتل دريدا وهزم الله أصحابه . قال أبو موسى : بعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته فأنهيت اليه فقلت : يا عم من رماك ؟ فأشار الى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رأيته ولي فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحي ألا تثبت ؟ فكف ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر : قتل الله صاحبك . قال فاتزع هذا السهم فنزعته فنزاهته الماء . قال :

یا بن اخی اقری النبی ﷺ منی السلام وقل له استغفر لی . واستخلفنی أبو عامر علی الناس ، فمکت یسیراً ثم مات . فرجعت فدخلت علی النبی ﷺ فی بیته علی سریر مرمل وعلیه فراش قد أثر مال السریر بظهره وجنبه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وأنه قال قل له استغفر لی فدعا بماء فتوضأ ثم رفع یدیه وقال : اللهم اغفر لعبيدك أبي عامر ، ورأيت بياض ابطیه . ثم قال : اللهم اجعله يوم القيمة فوق كثير من خلقتك ومن الناس . فقلت : ولی فاستغفر ، فقال : اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيمة مدخلا كريما . قال أبو بردة إحداهما لابی عامر والآخری لأبی موسى

فأمر رسول الله ﷺ بالسبي والغنائم أن تجمع ، فجمع ذلك كله وحبس بالجرانة الى أن فرغ من غزوة الطائف وكان السبي ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرون ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة ، وكان علی الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري قال ابن هشام وأنزل الله في يوم حنين ﴿ لقد نصرکم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذا اعجبتکم کثرتکم فلم تغن عنکم شيئاً ﴾ الآيات

وروی ان المسلمين أخذوا السبايا يوم حنين وأوطاس ، وكانوا يتكروهون نساء السبي إذا كن ذوات أزواج ، فاستفتوا في ذلك رسول الله ﷺ والمحصنات من النساء إلا ما ملکت أیمانکم ﴿ يريد ملکت أیمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسايين والنكاح مرتفع بالسبي ، قال أبو سعيد : أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فکرمنا أن نفع عليهن ، فسألنا النبی ﷺ فنزلت الآية فاستحللناهن . وأمر النبی ﷺ في سبايا حنين وأوطاس ألا توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حیضة ، فسألوا عن العزل فقال : ليس من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء

وأخذوا في جملة السبي الشياہ أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فقالت يا رسول الله إني أختك من الرضاعة . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك

فصرف رسول الله العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وفي رواية : ودمت عيناه ، وخيرها وقال : إن أحببت فأقيمى عندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أمتعتك وترجى الى قومك فعلت ، قالت : بل تمتعني وتردني الى قومي . فأسلت وامتعها رسول الله وردها الى قومها . فزعم هو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت أحدهما للآخر ، فلم يزل فيهم من نسلها بقية

وقال في المراهب : جاءته عاتقته عليه السلام يوم حنين أمه من الرضاعة حليلة السعدية بنت أبي ذئب من هوازن ، وهي التي أرضعته حتى أكلت رضاعه [فالتقت] اليها وبسط لها رداءه فجاست عليه . واختلف في إسلامها وإسلام زوجها كما اختلف في إسلام ثوية

وفي الصحيح عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين ، فضربه من وراء علي حبل عاتقه بسيف فقطعت الدرع ، وأقبل علي وضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فارسلني ، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله . ثم رجعوا . فجلس النبي ﷺ فقال : من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه . فقلت من يشهد لي ؟ ثم جلست . فقال النبي ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست . قال ثم قال النبي ﷺ مثله ، فقمت فقال : مالك أبا قتادة ؟ فقال رجل : صدق ، وسلبه عندي فأرضه . فقال أبو بكر : لاها الله إذا لا يعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه . فقال النبي ﷺ : صدق فأعطه فأعطانيه ، فابتعت به مخرفا (١) في بني سلمة ، وانه لأول مال تأثنته في الاسلام

قالوا : واستشهد من المسلمين يوم حنين أربعة نفر منهم أيمن بن أم أيمن ويزيد بن زمعة ابن الأسود ومراقة بن الحارث ربي من الأنصار وأبو عامر الأشعري ، وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلا . والله اعلم

(١) أي حديقة نخل

غزوة الطائف

قالوا : ولما أراد رسول الله ﷺ المسير الى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الدوسي الى ذى الكفين صنم من خشب لعمر بن جمحة ليهدمه ويوافيه بالطائف ، فخرج الطفيل سريعا فهدمه وجعل يحشوه النار ويحرقه ويقول :

ياذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أقدم من ميلادك

انى حشوت النار فى فؤادك

وانحدر معه من قومه أربعائة رجل سراعا فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وقدموا معهم بالمنجنيق والدبابة - بالدال المهمة وتشديد الموحدة - آلة تتخذ للحرب تدفع أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفه . كذا فى القاموس

قالوا : ولما فرغ رسول الله ﷺ من حنين لعشر من شوال فى السنة الثامنة من الهجرة سار الى الطائف يريد جمعا من هوازن وثقيف قد هربوا من معركة حنين وتمحصنوا بحصن الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته طليعة فى ألف رجل ، فسلك عليه الصلاة والسلام فى طريقه الى الطائف نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على نخرة الرعاء ، من لية فابتنى فيها مسجدا فصلى فيه ، وأقاد فيها يومئذ بدم رجل من هذيل قتله رجل من بنى ليث فقتله به وهو أول دم أقيد به فى الاسلام ، وصر فى طريقه بحصن مالك بن عوف فهدمه ، ثم سلك فى طريق فسأل عن اسمها فقيل الضيقة فقال : بل هى البسرى . ثم خرج منها حتى نزل تحت مدرة قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل اليه رسول الله ﷺ إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر باخراجه . ثم مضى حتى انتهى الى الطائف فنزل قريبا من حصنه فضرب به عسكره ، فرموا المسلمين رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلا فيهم عبد الله بن أبي أمية ، ورعى يومئذ عبد الله بن أبي بكر الصديق فجرح فاندمل ، ثم انتقض بعد ذلك فأت منه فى خلافة أبيه . فارتفع ﷺ الى موضع مسجد الطائف اليوم ووضع عسكره هناك ، وكان معه من نسائه أم

سلمة وزينب ، فضرب لهما قبتين ثم صلى بينهما طول حصاره الطائف ، فحاصرهم بضع عشرة ليلة وهو الصحيح ، وقيل بضعاً وعشرين ليلة ، وفي حديث أنس عند مسلم فحاصرناهم أربعين ليلة ، ونصب عليهم المنجنيق ورمائم ، وهو أول منجنيق رمى به في الاسلام ، وأمر ﷺ بقطع أعناب ثقيف وتمريقها فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً ، ثم سأله أن يدعها لله وللرحم فقال : إني أدعها لله وللرحم . ثم نادى مناديه عليه الصلاة والسلام : أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا من الحصن فهو حر ، فخرج منهم بضعه عشر رجلاً ، منهم أبو بكره واسمه نقيع بن الحارث فتسور حصن الطائف وتدلّى منه ببكرة مستديرة يستقي عليها فكناه رسول الله «أبا بكره» فأعتق رسول الله ﷺ من نزل منهم ، ودفع كل رجل إلى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ، فلما أسلم أهل الطائف تسكلم نفر منهم في أولئك العبيد ، فقال رسول الله ﷺ : أولئك عتقاء الله . ولم يؤذن له في فتح الطائف مستنذ

وفي الصحيح عن أم سلمة قالت : دخل على النبي ﷺ وعندي نخث ، فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : يا عبد الله أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فملك بابتة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان . فقال النبي ﷺ : لا يدخلن عليكم . وفي رواية له : وهو محاصر الطائف يومئذ

وفي الصحيح أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال : إنا قافلون غداً إن شاء الله . فقتل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتحها ؟ فقال : اغدوا على القتال ، فغدوا فأصابهم جراح فقال : إنا قافلون غداً إن شاء الله ، فأعجبهم ، فضحك النبي ﷺ . وقال سفيان مرة : فتبسم . انتهى

وقفقت عين أبي سفيان بن حرب يومئذ ، فذكر ابن سعد أن النبي ﷺ قال له وهي في يده : أيهما أحب إليك ، عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك ؟ قال : عين في الجنة . ورمى بها . وشهد اليرموك فقاتل ، ووقفقت عينه الأخرى يومئذ . ذكره الحافظ زين الدين العراقي

وقال ﷺ لأصحابه : قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . فلما ارتحل قال : قولوا آيئون عابدون ، ربنا حامدون . قال العلماء : فانظر كيف كان ﷺ إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج إليه من آلات الجهاد والسفر ، ثم اذارجع عليه الصلاة والسلام بتعري من ذلك ويرد الأمر كله لمولاه لا لغيره . وانظر الى قوله عليه السلام وهزم الأحزاب وحده ، ففي ما تقدم ذكره ، وهذا هو التوكل على الله حقا ، لأن الانسان وفعله خاق لربه ، فهو الذي خاق ودر وأعان وأجرى الأمور على أيدي من يشاء ومن أختار من خلقه ، فكل منه واليه ، ولو شاء الله أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل ، قال الله تعالى ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض ﴾ فيثيب الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين . ولما قيل له ﷺ : ادع الله على ثقيف قال : اللهم اهد ثقيفا واثت بهم . وذكر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر إني رأيت أني أهديت الى قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهرق ما فيها - وكان أبو بكر ماهرا في تعبير الرؤيا مشهورا به بين العرب - فقال : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله : وأنا لأرى ذلك . ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف مارا على دحنا ثم على قرن المنازل ثم على نخلة حتى خرج الى الجعرانة ونزلها وهي الى مكة أدنى وبها قسم غنائم حنين . وفي هذا السفر أسلم صفوان بن أمية

واستأني ﷺ بهوازن - أي انتظر أن يقدموا عليه مسلمين - بضع عشرة ، ثم بدأ يقسم الأموال قسمها وأعطى المؤلفه قلوبهم قبل الناس وهم سادات العرب من قريش وغيرهم من وجوه القبائل . فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الابل . روى أن أبا سفيان بن حرب جاء الى النبي ﷺ والأموال من نقود وغيره مجموعة عنده فقال : يا رسول الله أنت اليوم أغنى قريش ، فتبسم ﷺ ، فقال أبو سفيان : حفظنا من هذه الأموال . فأمر ﷺ بلالا فأعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من الفضة ، فقال : حظ ابني يزيد ، فأعطاه أيضا مائة من الابل وأربعين أوقية . فقال أبو سفيان فأين حظ ابني معاوية ، فأمر له أيضا بمائة من الابل وأربعين أوقية حتى اخذ أبو سفيان يومئذ ثلاثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة . فقال

أبو سفيان : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لأنت كريم في الحرب والسلام ، هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا . وأعطى صفوان بن أمية من الإبل مائة ثم مائة ثم مائة كذا في الشفا . وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل فسأله مائة أخرى فاعطاه إياها . وأعطى الحارث بن الحارث ابن كلدة أخا بني عبد الدار - وهو أخو النضر بن الحارث عدو الله ورسوله - أعطاه مائة من الإبل والحارث بن هشام أخا أبي جهل وعبد الرحمن بن ربوع المخزوميين وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفي وعدة بعضهم في أهل الحسنيين والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف النضري أعطى كل هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم على مائة بعير ، وأعطى دون المائة رجلا من قريش وغيرهم ، منهم مخزومة بن نوفل وعمير بن وهب وهشام بن عمرو وأخو بني عامر بن لؤي ، قال ابن اسحق لا أحفظ ما أعطاهم إلا أنها دون المائة . وأعطى سعيد بن ربوع المخزومي وعدى بن قيس السهمي وعثمان بن نوفل خمسين خمسين ، وأعطى عباس بن مرداس إبلا فسخطها كما في مسلم وقال شعرا :

أبجمل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فانم له رسول الله مائة . زاد ابن اسحق فقال رسول الله : اقطعوا عني لسانه
ومن أعطى رسول الله عددا دون ذلك طليق بن سفيان بن أمية بن عبد شمس وخالد بن أسيد
ابن أبي العاص بن أمية وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو الذي أراد الفتك برسول الله
تقدم ، وأبو السنابل بن بعلك بن الحارث من بني عبد الدار وزهير بن أبي أمية المخزومي
أخو أم المؤمنين أم سلمة وخالد بن هشام بن المغيرة المخزومي وهشام بن الوليد أخو خالد
وسفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومي والسائب بن أبي السائب المخزومي ومطيع بن
الأسود أخو بني عدى وأبو جهم بن حذيفة العدوي وأحبيحة بن عدى بن خلف الجمحي
ونوفل بن معاوية من بني بكر بن عبد مناة وعلقمة بن علاثة بن عوف وخالد بن هودة

وقال رسول الله قاتل من أصحابه : أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة
وتركت جميل بن سراقة الضمري ، فقال رسول الله ﷺ : أما والذي نفس محمد بيده لجميل بن
سراقة خير من طلاع الأرض كلها مثل عيينة ، ولكني تألفتها لیسلمًا ووكتت جميل بن سراقة
إلى إسلامه . وفي الصحيحين عن عبد الله ولقظه لمسلم قال : لما كان يوم حنين آثر رسول
الله ﷺ ناسا في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة مثل ذلك
وأعطى ناسا من أشرف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة ، فقال رجل : والله إن هذه القسمة
ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله . قال قلت : والله لأخبرن رسول الله ، قال فأتيته
فأخبرته ، فغضب من ذلك غضبا شديدا واحمر وجهه حتى تمنيت أني لم أذكره له ، ثم قال :
فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال : يرحم الله موسى ، قد أودى بأكثر من هذا
فصبر . قال قلت : لا جرم لا أرفع إليه حديثا بعدها

ولمسلم عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجرارة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال
فضة ورسول الله يقبض منها يعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل . فقال : بريك ومن يعدل
إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول
الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه
يقراءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية . وفي رواية ابن
اسحق عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه
وهو يعطى الناس فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم . فقال ، أجل فكيف
رأيت ؟ قال : لم أرك عدلت . فغضب النبي ﷺ فقال : ويحك إذا لم يكن العدل عندي
فمن من يكون ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا تراه ؟ قال دعه فإنه سيكون له شعبة يعمقون
في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يوجد فيه شيء ، ثم في
القدح فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق فلا يوجد شيء ، سبق الفرث والدم

وفي الصحيحين عن عبد الله بن زيد أن رسول الله ﷺ لما فتح حنين قسم الغنائم فأعطى
المؤلفة قلوبهم ، فباعد أن الأنصار يحبون أن يصيروا ما أصاب الناس . وللبخاري : فكأهم

وجدوا إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس ، فقام رسول الله فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
 يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ، ومتفرقين فجمعكم الله
 بي ؟ ويقولون : الله ورسوله أمنٌ . فقال ألا تجيبوني ؟ فقالوا الله ورسوله أمنٌ . فقال : أما إنكم
 لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا - لأشياء عددها زعم عمرو أنه
 لا يحفظها - فقال ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والابل وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟
 الأنصار شعار والناس دثار ، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس
 شِعبا وواديا لسلكتُ وادى الأنصار وشعبهم . إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى
 تلقوني على الحوض . وفي رواية أنس في الصحيحين أن ناسا من الأنصار قالوا : يفر الله
 لرسوله ، يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم . قال أنس : فحدثت بذلك رسول
 الله ، فجمعهم في قبة من آدم ، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال : ما حديث بلغني عنكم ؟
 فقال له فقهاء الأنصار : أما ذور رأينا فلم يقولوا شيئا ، وأما أناس حديثه أسنانهم فقالوا يفر
 الله لرسوله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم ، [قال ﷺ] : فاني أعطى رجلا
 حديثي عهد بكفر أنألقهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي الى
 رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ، قالوا يا رسول الله قد رضينا . فقال لم
 النبي ﷺ : ستجدون أثرة شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فاني على الحوض . قالوا
 سنصبر . قال أنس : فلم يصبروا . وفي رواية ابن اسحق عن أبي سعيد الخدري قال : ألا
 تجيبوني يا معشر الانصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال :
 أما والله لو شئتم لقاتم فاصدقتم ولصدقتم : أنيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا
 فأوبناك ، وعاقلا فواسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفتُ
 بها قوما ليسدوا ووكلتكم الى إسلامكم ، أما ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء
 والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت
 امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعبا وسلكت الأنصار شِعبا لسلكت شعب الأنصار .
 اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحام

وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا . ثم انصرف رسول الله وتفرقوا

فصل

وقد كان وفد هوازن قد أسلموا وأتوا رسول الله ﷺ قبل أن يقسم أموالهم ، وهم أربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن سرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله من الرضاة ، فسأله أن يمن عليهم بالسبي والأموال . قال ابن اسحق : حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن وفد هوازن أتوا رسول الله وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فامنن علينا من الله عليك . وقام رجل من هوازن يقال له زهير يكنى أبا سرد فقال : يا رسول الله إنا في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحننا ^(۱) للحارث بن شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين

وفي الصحيح من حديث الزهري أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسأله أن يرد اليهم سبيهم وأموالهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : معي من نزون ، وأحب الحديث إلى أصدقته ، فاخاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي . وقد كنت استأنت بكم - وكان أنظرهم رسول الله بضم عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن رسول الله غير راد اليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : فانا نختار سبينا . فقام رسول الله في المسلمين فأنشأ على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فان إخوانكم قد جاءوا تائبين ، وإني قد رأيت أن ارد اليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه فليطيه من أول ما يفي ، الله علينا فليفعل . فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لاندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع البنا عرفاؤكم أمركم . فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا . هذا الذي بلغنا عن سبي هوازن . وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن اسحق : فقال رسول

(۱) أي أرضعنا

الله : أما من تمسك بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه .
فردوا الى الناس أبناءهم ونساءهم

قال ابن اسحق وقال رسول الله ﷺ لو فد هوازن : ما فعل مالك ؟ فقالوا هو في الطائف مع ثقيف . فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكا إن هو أتى مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . فأتى مالك بذلك ، فخرج اليه من الطائف فأدركه بالجرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل ، فأسلم وحسن إسلامه . فقال مالك بن عوف النضري المذكور :

ما ان سمعت ولا رأيت بمثله في الناس كلهم كمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى واذا تشأ يخبرك عما في غد
واذا الكتيبة عردت أنيابها بالسهمى وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد

فاستمعه رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم صرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم

وعن جبير بن مطعم قال : بينما أنا مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلا من حنين عقلت برسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ فقال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاة نما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا » أخرجه للبخاري في الصحيح . وفي سيرة ابن اسحق أن رسول الله ﷺ قال لهم : أيها الناس ، والله مالي من فيثكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدروا الخيطة والخيطة فان القلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيمة . فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله ﷺ أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي من وبر ، فقال : أما نصيب منها فلك . قال : إذا بلغت ذلك فلا حاجة لي بها . ثم طرحها من يده

وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يقسم الغنائم أمر زيد بن ثابت حتى أحضر الناس ، ثم عد الإبل والغنم وقسمها على الناس ، فوقع في سهم كل رجل أربع من الإبل مع أربعين شاة من الغنم ، وان كان فارسا فسيمة اثنا عشر بعيرا مع مائة وعشرين شاة من الغنم

قال ابن اسحق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمرانة معتمرا ، فلما فرغ رسول الله من عمرته انصرف راجعا الى المدينة ، وكانت عمرته في ذي القعدة ، فقدم رسول الله المدينة في هبة ذي القعدة أو في أول ذي الحجة ، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد الذي استعمله رسول الله على مكة وهو ابن نيف وعشرين سنة ، وكان في غاية الورع والزهد ، وهو أول أمير أقام الحج في الاسلام

قال ابن حزم : وحسن إسلام المؤلفه قلوبهم حاشا عيينة بن حصن فلم يزل مغمورا ، وكان خبرهم متفاضلين : فيهم الفاضل المجتهد كالحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام ، وفيهم خيار دون هؤلاء كصفوان بن أمية وعمير بن وهب ومطيع بن الأسود ومعاوية بن أبي سفيان ، وسائرهم لا يظن بهم إلا الخير . وكان ممن أسلم يوم الفتح وبعده من الأشراف نظراء من ذكرنا ، ووثق عليه الصلاة والسلام بصحة نياتهم في الإسلام لله فلم يدخلهم فيمن أعطاه ، عكرمة بن أبي جهل وعتاب بن أسيد وجبير بن مطعم رضي الله عنهم أجمعين

وكان مدة غيبته منذ خرج من المدينة الى فتح مكة وأوقع بهوازن وحارب الطائف الى أن رجع الى المدينة شهرين وستة عشر يوما . انتهى والله اعلم

وفي هذه السنة أسلم عروة بن مسعود الثقفي ، وأقام أهل الطائف على شريكهم وامتناعهم ما بين ذي القعدة الى انصراف رسول الله من غزوة تبوك سنة تسع في رمضان . قال ابن اسحق : وكان من حديث ثقيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام ، فقال له رسول الله : إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله أن فيهم نحوه الامتناع الذي كان منهم ، فقال له عروة : يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم . ويقال من

أبصارهم - وكان فيهم كذلك محببا مجابا مطاعا ، فخرج يدعو قومه الى الاسلام ورجا أن لا يخالفوه لمنزلة فيهم ، فلما أشرف عليهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فقيل له : ما ترى في دمك ؟ فقال : كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، قاذفوني معهم . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهر ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ؟ فائتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله رجلا كما أرسلوا عروة ، فكلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير - وكان في سن عروة بن مسعود - وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجلا . فأجمعوا أن يرسلوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونون ستة ، فبعثوا الحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان ابن سلمة ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهان وأوس بن عوف وعمير ابن خرشة بن ربيعة ، فخرج بهم عبد ياليل وهو نائب القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية أن يصنع به مثل ما صنع بعروة لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا الى الطائف رهطه ، فلما دنوا من المدينة وتركوا قناة لقوا بها المغيرة بن شعبة يرمى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رعبتها نوبا عليهم ، فلما رأهم ترك الركاب عند الثقيفيين ومر يشتد لبشر رسول الله ﷺ بقدمهم عليه ، فلقبه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام وأن يشترطوا شروطا ويكتبوا من رسول الله ﷺ كتابا في قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بأن لا نسقي لى رسول الله حتى أكون أنا أحدثه ، فقبل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله فأخبره بقدمهم عليه ، ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظهر معهم وعلمهم كيف

يحون رسول الله فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا ضرب رسول الله ﷺ قبة عليهم في ناحية مسجده كما يزعمون ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشی بينهم وبين رسول الله حتى كتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي يكتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم . وقد كانوا فيما سألو رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية - وهي اللات - لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ذلك ، فابرحوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى عليهم حتى سأله شهرا واحدا فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون في ذلك - فيما بظهر - أن يسلموا بتركها من سفاهتهم ونسأهم وذراريهم ، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام ، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبه فيهدمانيها ، وقد كانوا سأله مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا ، فانه لا خير في دين لا صلاة فيه . فقالوا : يا محمد فسنؤتكها ولو كانت دناءة . فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه من أحرصهم على التفقه في الدين وفي الاسلام ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن

قال ابن اسحق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي عن بعض وفداهم قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ما بقى من شهر رمضان بظهورنا وسحورنا من عند رسول الله ، فيأتينا بالسحور وإنا لنقول : إنا لبري الفجر قد طامع فيقول : قد تركت رسول الله يتسحر لتأخير السحور ، ويأتينا بظهورنا وإنا لنقول ما يرى الشمس ذهبت كلها بعد ، فيقول : ماجئتكم حتى أكل رسول الله ، ثم يضع يده في الجفنة فيلت قسمه منها

قال ابن اسحق وحدثني سعيد بن أبي هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عثمان ابن أبي العاص قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيف أن

قال : يا عثمان تجاوز في الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فان فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة

قال ابن اسحق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث معهم رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم ، فلما دخل المغيرة علاها بضربها بالمعول ، وقام قومه دونه بنو سب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حسرا ييكن عليها ، ويقول أبو سفيان والمغيرة بضربها بالقأس : واهالك واهالك . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل الى أبي سفيان ، وحليها مجموع ومالها من الذهب والجزع . وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قد ساء على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شيء أبدا ، فقال لهما رسول الله ﷺ : تولىا من شئنا . قالا : نتولى الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : وخالكما أبا سفيان . قالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة الى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو المليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديننا كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله ﷺ نعم . فقال رسول الله ﷺ إن الأسود مات مشركا . فقال قارب لرسول الله ﷺ : لكن تصل مسلما ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين على وإنما أنا الذى أطلب به . فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية . فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما . انتهى

فهذه قصة هوازن وثقيف من أولها الى آخرها سقناها كما هي ، وإن كان إسلامهم بعد غزوة تبوك لينتظم أولها بآخرها ليقع الكلام على فقه هذه القصة وأحكامها في موضع واحد فنقول : فيها من الفوائد والحكم ما ذكره ابن القيم وغيره ، أن الله سبحانه قد وعد رسوله وهو الصادق الوعد أنه إذا دخل مكة دخل الناس في دينه أفواجا ودانت له العرب بأسرها ، فلما أتم له الفتح المبين واقتضت حكمة الله ﷻ أن أمسك قلوب هوازن عن الإسلام ، وأن

يجمعوا ويتألبوا الحرب رسول الله وللمسلمين ، ليظهر أمر الله وتعام إعزازه لرسوله ونصره لديه
ولتكون غنائمهم شكران أهل الفتح ، وليظهر الله رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة
التي لم يلق المسلمون مثلها فلا يقاومهم بعد أحد من العرب ، وغير ذلك من الحكم الباهرة التي
تلوح للتأملين وتبدو للمتوسمين . واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولا مرارة
الهزيمة والسكرة مع كثرة عددهم وُعددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا رفعت بالفتح ، ولم
تدخل بلده وحرمة كما دخله رسوله واضعا رأسه منحنيا على فرسه حتى إن ذقنه بكاد أن يمس
سرجه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته واستكانة لعزته أن أحل له حرمة وبلده ولم يحله لأحد
قبله ولا لأحد بعده ، وليبين الله سبحانه لمن قال لن تغلب اليوم من قلة أن النصر إنما هو من
عنده وأنه من ينصره فلا غالب له ، ومن يخذله فلا ناصر له ، وأنه هو الذي تولى نصر
رسوله ودينه لا كثرتم التي أعجبتكم فاتها لن تغني عنكم شيئا فوليتم مدبرين ، فلما انكسرت
قلوبهم أرسل اليها خلع الجبر مع بريد ﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل
جنودا لم تروها ﴾ ، وقد اقتضت حكمته أن خلع النصر وجوائزها إنما تخلع على أهل الانكسار
﴿ وزيد أن ممن على الذين استضعفوا في الأرض ونبعظهم أئمة ﴾ الآيتين

ومنها أن الله سبحانه منع الجيش غنائم مكة فلم يعضوا منها ذهباً ولا متاعاً ولا سبياً ولا
أرضاً ، كما روى أبو داود عن وهب بن منبه قال : سألت جابراً هل غنموا يوم الفتح شيئاً ؟
قال لا . وكانوا قد فتحوا ما يجاف الخيل والركاب وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة الى ما يحتاج
اليه الجيش من أسباب القوة ، فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم وقذف في قلوبهم إخراج
أموالهم ونصمهم وشأنهم وسبيهم معهم نزلاً وضيافة وكرامة لحزبه وجنده ، وتم القدير سبحانه
بأن أطمعهم في الظفر ، وألح لهم عبادي النصر ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً . فبدأ أنزل
الله نصره على رسوله وأوليائه ، وبردت الغنائم لأهلها ، وجرت فيها سهام الله ورسوله قيل :
لا حاجة لنا في دمائكم ولا في نسائكم وذراريكم ، فأوحى الله الى قلوبهم التوبة والإنابة فجاءوا
مسلمين ، فقيل إن من شكران إسلامكم أن يرد عليكم أبناءكم ونساءكم ، و ﴿ إن يعلم الله في
قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾

ومنها أن الله سبحانه افتتح غزو العرب بغزوة بدر ، وختم غزوم بغزاة حنين ، ولهذا يقرن بين هاتين الغزاتين بالذكر - بدر وحنين - وإن كان بينهما سبع سنين ، وقالت الملائكة بأنفسها مع المسلمين في هاتين الغزاتين ، والنبي ﷺ رمى وجوه المشركين بالحصباء ، وبهذا يتبين أن بهاتين الغزاتين طفت جمة العرب لغزو رسول الله والمسلمين ، فالأولى خوقهم وكسرت من حدتهم ، والثانية استفرغت قواهم واستنفدت مهامهم وأذات جمعهم ، حتى لم يجدوا بدا من الدخول في دين الله

ومنها أن الله سبحانه جبر بها أهل مكة وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم ، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم ، وإن كان عين جبرهم ، وعرفهم تمام نعمه عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن ، وأنه لم يكن لهم بهم طاقة ، وإنما نصرُوا عليهم بالمسلمين ، ولو أفردوا عنهم لا كلهم عدوهم ، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يحيط بها إلا الله

وفيها من الفقه أن الامام ينبغي له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم وأن الامام اذا سمع بقصد عدو له وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد لينتظرهم بل يسير اليهم كما سار رسول الله إلى هوازن

وفيها أن الامام يجوز له أن يستعير سلاح الكفار وعدتهم لقتال عدوه ومنها أن من تمام التوكل استعمال الأسباب لمسيباتها قدرا وشرعا ، فإن رسول الله وأصحابه أكل الخلق توكلوا ، وإنما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بأنواع السلاح وفيها كمال خلقه ﷺ وعفوه عن من قتلته ، ولم يعاجله بل دعا له ومسح صدره حتى عاد كأنه ولي حميم

ومنها ما ظهر من معجزات النبوة في هذه الغزاة من إخباره لشيبة بما أضمر في نفسه ، ومن ثباته وقد تولى عنه الناس ، وهو ينوه بذكره ويقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقد استقبلته كقائب المشركين وهو على البغلة التي لا تعد للفر والسكر

ومنها ایصال اللہ قبضته الی رمی بها الی عیون أعدائه علی البعد منه ، وبرکتہ فی تلك القبضة حتی ملأت أعین القوم ، الی غیر ذلك من الآیات ، کنزول الملائكة للقتال حتی رآهم العدو جہرة ورآهم بعض المسلمین

ومنها جواز انتظار الامام بقسم الغنائم اسلام الکفار ودخولهم فی الطاعة ، فیرد علیهم غنائمهم وسبیهم ، وفی هذا دلیل لمن یقول إن الغنیمة إنما تملك بالقسمة لا بمجرد الاستیلاء علیها ، اذ لو ملکها المسلمون بمجرد الاستیلاء لم یستأن بهم النبی ﷺ یردها علیهم ، وعلی هذا فلو مات من الغانمین أحد قبل القسمة واحرازها یدار الاسلام رد نصیبہ علی بقية الغانمین دون ورثته ، وهو مذهب أبی حنیفة

ومنها جواز التنقیل من أربعة أخماس الغنیمة ، وقد نص الامام أحمد علی أن النفل یكون من أربعة أخماس الغنیمة ، وهذا العطاء الذی أعطاه النبی ﷺ المؤلفة قلوبهم هو من النفل ، نقل به رؤوس القبائل والمشائر لیتألفهم به وقومهم علی الاسلام ، فهو أولى بالجواز من تنقیل الثلث بعد الخمس والرابع بعده لما فیہ من تقویة الاسلام وشوکتہ وأهله واستجلاب عدوه الیه ، وهكذا وقع ، سواء كما قال بعض هؤلاء الذین نقلهم : لقد أعطانی رسول اللہ ﷺ وانه لأبغض الخلق الی ، فما زال یعطینی حتی إنه لأحب الخلق الی ، فما ظنک بعطاء قوی الاسلام وأهله وأذل الکفر وحزبه ، واستجباب به رؤوس القبائل والمشائر الذین إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم ، وإذا رضوا رضوا لرضاهم ، فاذا أسلم هؤلاء لم یتخاف أحد من قومهم . فله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجدها وأنفعه للاسلام وأهله . ومعلوم أن الأتقال فی ورسوله یقسمها رسوله حیث أمره لا یتعدی الأمر ، فلو وضع الغنائم بأمرها فی هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة لما خرج عن الحکمة والمصلحة والعدل . ولما عمیت أبصار ذی الخویبصرة التیمی وأضرابه عن هذه المصلحة والحکمة قال له قائمهم : اعدل فانک لم تعدل ، وقال غیره ان هذه لقسمة ما أرید بها وجه اللہ . ولعمر اللہ إن هؤلاء من أجهل الخلق برسوله وبمعرنته بربه وطاعته له وتمام عدله وإعطائه لله وسنعه لله ، والله سبحانه أن یقسم الغنائم كما یحب ، وله أن یمنعها الغانمین جملة كما منعهم غنائم مکة وقد أوجفوا علیها بخیلهم وركابهم ، وله أن یسلط

عليها ناراً من السماء تأكلها ، وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين ، وما فعل من ذلك عبثاً ولا قدره سدى ، بل هو عين المصلحة والحكمة والعدل والرحمة ، مصدره كمال علمه وعزته ورحمته . ولقد أتم نعمته على قوم ردهم الى منازلهم برسوله يقودونه الى ديارهم وأرضي من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبمير كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته ، ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه ، وهذا فضله وهذا فضله ، وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه فيوجيون عليه بمقولهم ويحرمون ، ورسوله منفذ لأمره . والله أعلم

وفيها أن السلامة من السنة الناس غاية لا تدرك كما قال الشافعي ، فعليك بما يصلحك عند الله ودع عنك الناس ، فإذا كان رسول الله تكلم فيه ونسب الى الجور والظلم وهو رسول رب العالمين وأعظم الخلق عدلاً وأمانة ومع هذا قيل فيه ما قيل ، فكيف يطمع العاقل في السلامة من الناس ؟

ومنها التأمي بالأنبياء ، والصبر كصبرهم ، لقوله عليه السلام « قد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر »

ومنها - وهي من علامات نبوة نبينا ﷺ - إخباره بخروج الخوارج قبل وقت خروجهم بمدة ، فصار الأمر كما أخبر ﷺ

وفيها أنها تفيدك الخوف العظيم على نفسك ولا تغتر بالهلاك ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم

وفيها معرفة المؤمن أن كل ما خالف هدى رسول الله ﷺ وهدى أصحابه فهو باطل مردود على صاحبه ، وان كان قصده رضى الله ، لأن الخوارج لم يقصدوا بيدعتهم إلا رضى الله والجنة ، ولكن لما كان دينهم ومذهبهم خلاف هدى رسول الله وهدى أصحابه كانوا هم شر الخلق والخليقة ، ولهذا حرض النبي ﷺ على قتالهم إذا خرجوا وقال « لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد » ، وقال « هم شر الخلق والخليقة »

وفيها معرفة المؤمن أن المنسب الى الاسلام والسنة والزهد والعبادة قد يبرق من

الاسلام ، فاذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن انتسب الى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الاسلام ، وذلك باسباب : منها الغلو الذي ذمه الله حيث قال في كتابه ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ وقال ﷺ « إياكم والغلو ، فانما أهلك من قبلكم الغلو » . وعن ذلك أيضا الغلو في المخلوق كائنا من كان ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح كالمسيح أو عزيز أو علي بن أبي طالب أو عبد القادر أو معروف الكرخي أو غيرهم وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يدعو مع الله أو يستغيث به في رخاء أو شدة ليفرج كربته أو يجلب اليه منفعة أو ينذر له ليحلب له خيرا أو يدفع عنه شرا ، أو يذبح له ذبيحة يتقرب بها اليه أو يقول إذا ذبح شاة « باسم سيدي » أو يعبده بالسجود له أو لقبه ، فكل هذا شرك وضلال وغلو في الدين وجعل إله مع رب العالمين ، يستتاب صاحبه ، فان تاب وإلا قتل كافرا مرتدا ، فان الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ، ولا يدعى معه آلهة أخرى . وقد عمت البلوى بهذا الأمر في كثير من البلاد نسأل الله العفو والعافية

ومنها أنه قال ﷺ في هذه الغزوة « من قتل قتيلا له عليه بينة فلا سلبه » وقاله قبله في غزوة أخرى ، فاختلف الفقهاء هل هذا السلب مستحق بالشرع أو بالشرط ، على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنه له - شرطه الإمام أو لم بشرطه - وهو قول الشافعي ، والثاني أنه لا يستحقه إلا بشرط الإمام وهو مذهب أبي حنيفة . وقال مالك : لا يستحقه إلا بشرط الإمام بعد القتال ، فلو نصر قبله لم يجز . وماخذ النزاع أن النبي ﷺ هو الإمام والحاكم والمفتي وهو الرسول ، فقد يقول الحكم لمنصب الرسالة فيكون شرعا عاما الى يوم القيمة ، وقد يقوله لمنصب الفتوى كقوله لهند « خذي دابكتك وولديك بالمعروف » فهذه فتيا لا حكم ، وقد يقوله لمنصب الإمامة فيكون مصلحة للامة في ذلك الوقت وذلك المكان على تلك الحال فيلزم من بعده من الامة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التي راعاها النبي ﷺ زمانا ومكانا وحالا . ومن ههنا يختلف الأئمة في كثير من المواضع التي فيها أثر عنه كقوله « من قتل قتيلا فلا سلبه » هل قاله بمنصب الإمامة فيكون حكمه متعلقا بالأئمة ، أو بمنصب الرسالة والنبوة

فيكون شرعا عاما؟ وكذلك قوله « من أحميا أرضا ميتة فهي له » هل هو شرع عام لكل أحد أذن فيه الإمام أو لم يأذن له ، أو هو راجع إلى الأئمة فلا تملك بالإحياء إلا باذن الامام؟ على قولين : فالأول للشافعي وأحمد في ظاهر مذهبهما ، والثاني لأبي حنيفة . و فرق مالك بين الفلوات الواسة وما لا يتشاح فيه الناس ، وبين ما يقع فيه التشاح ، فاعتبر إذن الإمام في الثاني دون الأول

وقوله عليه السلام « عليه بينة » يدل على مسألتين : إحداهما أن دعوى القاتل أنه قتل هذا الكافر لا تقبل ، الثانية ثبوت هذه الدعوى بشاهد واحد من غير يمين لحديث أبي قتادة المتقدم في الصحيح في قتل الرجل ، وهذا أحد الأقوال في المسألة وهو وجه في مذهب أحمد ، والثاني أنه لا بد من شاهد ويمين كاحدى الروايتين عن أحمد ، والثالث لا بد من شاهدين نص عليه أحمد لأنه دعوى قتل فلا تقبل إلا بشاهدين

وفي القصة دليل على مسألة أخرى وهي أنه لا يشترط في الشهادة التلفظ بلفظ أشهد ، قال في الهدى : وهذا أصح الروايات عن أحمد في الدليل ، قال شيخنا : ولا نعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط لفظ الشهادة ، وقد قال ابن عباس : شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح ، ومعلوم أنهم لم يتلفظوا بلفظة أشهد

وقوله « له سلبه » دليل على أن له سلبه غير مخموس ، وقد صرح بهذا في قوله لسلمة بن الأكوع لما قتل قتيلا : له سلبه . وفي المسألة ثلاثة مذاهب : هذا أحدها . والثاني يخص كالغنيمة ، وهذا قول الأوزاعي وأهل الشام ، وهو مذهب ابن عباس لدخوله في آية الغنيمة . والثالث إن استكثره الإمام خسه وهو قول اسحق ، وفعله عمر بن الخطاب رواه عنه ستة في مبارزة البراء المرزبان ، قال صاحب الهدى : والأول أصح ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص السلب وقال : هو له أجمع ، وعصت على ذلك سنة وسنة الصديق بعده ، وما فعله عمر اجتهاد

وفي الحديث دليل على أنه من أصل الغنيمة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى به للقاتل ولم ينظر

في قيمته وقدره واعتبار خروجه من خمس الخمس

وفيها جواز نصب المنجنيق على الكفار ورعيهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية

ومنها جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويغيظهم وهو أنسكى فيهم

ومنها أن العبد إذا أبق من المشركين إلى المسلمين صار حرا

ومنها استجابة الله دعاء رسوله لتقيف أن يهديهم ويأتي بهم ، وقد حاربوه وقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه وقتلوا رسوله الذي أرسله اليهم يدعوهم إلى الله ، ومع هذا كله فدعاهم ولم يدع عليهم ، وهذا من كمال رحمته ونصيحته

ومنها كمال محبة الصديق وقصده التقرب اليه بكل ما يمكنه ، ولهذا أنشد المغيرة أن

بدعه هو يبشر النبي ﷺ بقدم وفد الطائف ليكون هو الذي فرحه بذلك ، وهذا يدل على أنه يجوز للرجل أن يسأل أخاه أن يؤثره بقربة من القرب ، وأنه يجوز للرجل أن يؤثر أخاه ، وقول من قال من الفقهاء لا يجوز الايثار بالقرب لا يصح ، وقد آثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنه في بيتها بجوار النبي ﷺ وسألها عمر ذلك فلم تكره له السؤال ولا لها البذل ، وهل اهداء القرب المجمع على جوازها والمتنازع فيها إلى الميت الايثار بالقرب ، فأى فرق بين أن يؤثره بفعلها ليحرز ثوابها وبين أن يعملها ثم يؤثره بثوابها ؟

ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على عدمها وإبطلها يوما واحدا ، فإنها شعار الكفر والشرك ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البتة ، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأعظم شركا عندها وبها وبالله المستعان . ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد فيها أنها تخاق وترزق ونحبي ونميت ، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وأخذوا

مآخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ على ذلك الصغير وهمم فيه الكبير ، وطمست الأعلام واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء وغلبت السفهاء ، واتفق الأمر واشتد البأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصل إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين ، فيجوز للإمام - بل يجب عليه - أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها كلها ويصرفها إلى الجند والمقاتلة ومصالح الاسلام ، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات وأعطاهما لابي سفيان يتألفه بها ، وقضى منها دين عروة والأسود ، وكذلك يجب عليه أن يهدم هذه المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا ، وله أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بثمنها على مصالح المسلمين ، وكذلك الحكم في أوقافها والوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع ، فينصرف في مصالح المسلمين ، فإن الوقف لا يصح إلا في قرينة وطاعة لله ورسوله ، فلا يصح الوقف على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويحج إليه ويعبد من دون الله ويتخذ وثنا من دون الله ، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الاسلام زمن اتبع سبيلهم . انتهى ملخصا من الهدى النبوي لابن القيم رحمه الله تعالى . وفيها من الفوائد والفقهاء أكثر مما ذكر . والله اعلم

ذكر قصة كعب بن زهير مع النبي ﷺ

قال ابن اسحق : ولما قدم رسول الله من الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب وكان بجير قد أسلم وهو حسن الاسلام يخبره أن رسول الله قتل رجلا بمكة ممن كان يهجو ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزبيري وهيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فان كنت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت

لم تفعل فأفح إلى نجاتك . وكان كعب قد قال :

ألا أبلغا عنى بغيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
فبين لنا ان كنت لست بفاعل على أى شىء غير ذلك دلوكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه ولم تلف عليه أبا لك
فان كنت لم تفعل فلست بأسف ولا قائل إما عثرت لما كا
سقاك بها المأمون كأما روية فانهلك المأمون منها وعلكا

قال فبعث بها الى بغير ، فلما أنت بغيرا كره أن يكتبها رسول الله ، فأنشده إياها ، فقال رسول ﷺ : سقاك بها المأمون ، صدق وإنه لكذوب ، وأنا المأمون . ولما سمع : « على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه » قال : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه . ثم قال بغير لأخيه كعب :

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى تلوم عليها باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنبجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينة ودين أبى سلمى على محرم

فلما بلغ كعبا ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه فقال : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بدأ قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر ، فغدا به الى رسول الله ﷺ ، ثم أشار له الى رسول الله فقال : هذا رسول الله ، فقم اليه واستأمنه ، فذكر لى أنه قام الى رسول الله حتى جلس اليه فوضع يده فى يده - وكان رسول الله لا يعرفه - فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء ليستأمنك تابعا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله : نعم . قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب اليه

رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه . فقال رسول الله : دع
 عنك ، فقد جاءنا تأيها نازعا . قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما صنع به
 صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم رجل من المهاجرين إلا بنجر ، فقال قصيدته اللامية المشهورة
 يصف فيها محبوبته وناقته التي أولها :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة	لا يشتكى قصر منها ولا طول
تمشى الغواة بجنيها وقولهم	إنك يا ابن أبي سلى لمقتول
وقال كى خليل كنت آمله	لا أهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم	فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أشى وإن طالت سلامته	يوما على آله حدباء محمول
نبئت أن رسول الله أوعدنى	والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة	القرآن فيها مواعظ وتفصيل
لا تأخذنى بأفوال الوشاة ولم	أذنب ولو كثرت فى الأقاويل
لقد أفوم مقاما لو يقوم به	أرى وأسمع ما لو يسمع القليل
لظل يرعد إلا أن يكون له	من الرسول باذن الله تنويل
حتى وضعت يمينى ما أنازعها	فى كف ذى ثقات قوله القليل
فلهو أخوف عندى إذ أكله	وقيل إنك منسوب وميسول
من ضيفم من ضراء الأسد مخدره	فى بطن عثر غيل دونه غيل
إن الرسول لنور يستضاء به	مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبه من قريش قل قائلهم	يبطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنسكاس ولا كشف	عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم	ضرب إذا عرود السود التنايل

شم العرائن أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سراويل
بيض سوابغ قد شكت لما حلق كأنها حلق القفماء مجدول
ليسوا مفاريج ان نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيما إذا نيلوا
لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

قال ابن اسحق قال عاصم بن قتادة : فلما قال كعب « إذا ورد السود التنايل » وإنما يريد معاشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ، وخص المهاجرين من قريش بمدحته ، غضبت الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ :

من مره كرم الحياة فلا يزل في منقب من صالحى الانصار
ورثوا المكارم كبراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهرى بأذرع كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين بأعين حمرة كالجمر غير كليلة الأبصار
والباتين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعاق وكرار
يتطهرون برونه نسكا لم بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت يبطن خفية غلب الرقاب من الأسود ضوار
وإذا حلت ليمعوك اليهم أصبحت عند معاقل الاغفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الأفوام على كله فيهم لصدقنى الذين أمارى
قوم إذا خوت النجوم فانهم للطارقين النازلين مقارى

قال ابن هشام ويقال ان رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد : لولا ذكرت الأنصار بخير ، فان الأنصار لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات . وفي رواية أبي بكر بن الأنبارى لما وصل إلى قوله :

ان الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيف الله معلول

رى عليه ﷺ بركة كانت عليه ، وإن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحدا . فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا وأخذها منهم ، قال وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم

وكان كعب بن زهير من فحول الشعراء هو وأبوه زهير ، وابنه عقبة ، وابن ابنه العوام ابن عقبة

فصل

قالوا : ولما دخلت سنة تسع بعث ﷺ المصدقين يأخذون الصدقات من الأعراب ، قال ابن سعد : ثم بعث رسول الله ﷺ للمصدقين . قالوا لما رأى رسول الله هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون الأعراب ، فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم ، وبعث يزيد ابن الحصين إلى أسلم وغفار ، وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة ، وبعث عمرو بن العاص إلى فزاره ، وبعث الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب ، وبعث بشير بن سفيان إلى بني كعب ، وبعث ابن اللثبية الأزدي إلى بني ذبيان ، وأمرهم رسول الله أن يأخذوا العفو منهم ويتوقفوا كرائم أموالهم . قال ابن اسحق : وبعث المهاجر بن أمية إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زياد بن ليلى إلى حضرموت ، وبعث عدى بن حاتم إلى طيء وبني أسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ، وفرق صدقات بني سعد على رجلين : فبعث الزبرقان ابن بدر على ناحية ، وقيس بن عاصم على ناحية ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث عليا إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم

فصل

في السرايا والبعوث في سنة تسع

فمنها سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم ، وذلك في المحرم من هذه السنة في خمسين قارصا ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، فكان يسير الليل ويكن النهار ، فهجم عليها في صحراء وقد سرحوا مواشيهم ، فلما رأوا الجمع ولو أخذ منهم أحد عشر رجلا وعشرين

امرأة وثلاثين صبياً فساقهم إلى المدينة فزولوا في دار رملة بنت الحارث ، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم عطار بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الأهم ورياح بن الحارث ، فلما رأوا نساءهم وذريتهم بكوا اليهم ، فعبجوا فجاءوا إلى باب النبي ﷺ فنادوه : يا محمد اخرج إلينا لنفاخرك ونشاعرك ، فنزل فيهم ﴿ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ الآية . فخرج اليهم رسول الله ﷺ فأقام بلال الصلاة وتلقوا برسول الله يكامونه فوقف معهم ، ثم مضى فصلى الظهر ، ثم جلس في صحن المسجد ، فقدموا عطار بن حاجب فتكلم وخطب ، وأمر عليه السلام ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم فغلبهم ، فقام الزبرقان شاعر بني تميم فاشد مفاخرأ فقال :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا
بما ترى الناس تأتينا سراتهم
فتنحر الكوم عبطا في أرومتنا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم
فن يفاخرنا في ذلك تعرفه
إنا أيينا ولم يأب لنا أحد
منا الملوك وبنينا تنصب البيع
عند النهاب وفعل العز يتبع
من الشواء إذا لم يؤنس القزع
من كل أرض هويا ثم نصطع
لننازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
الاستقادوا فكانوا الرأس يقطع
فيرجع القوم والأخبار تسمع
إنا كذلك عند الفخر نرتقم

قال ابن اسحق وكان حسان غائبا فبعث إليه رسول الله ، قال حسان : جاءني رسول رسول الله ﷺ فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا
منعناه لما حل بين بيوتنا
على ألف راض من معد وراغم
بأسياقنا من كل باغ وظالم

هل المجد إلا السؤدد العود والندى
ونحن ضربنا الناس حتى تابعوا
وجاء الملوك واحتمال المظالم
على دينه بالرهفات الصوارم

زاد بعضهم :

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم
وان كنتم جثم لحقن دماءكم
يعود وبالا عند ذكر المكارم
وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا
ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

فلما انتهت الى رسول الله وقام شاعر القوم فقال ما قال فلما فرغ قال رسول الله : قم يا حسان فأجب الرجل ، فقام حسان فقال :

ان الذوائب من فخر وإخوتهم
يرضى بها كل من كانت سريره
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
سجية تلك منهم غير محدثة
ان كان في الناس سباقون بعدهم
لا يرقع الناس ما أوهت أكتفهم
لا يبخلون على جار بفضاهم
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم
كانهم في الوغى والموت مكتنع
خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضوا
فان في حربهم فابرك عداوتهم
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
تقوى الاله وكل الخير يصطنع
أو حاولوا النفع في أشياعهم تفعوا
إن الخلائق فاعلم شرها البدع
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
عند الدقاع ولا يوهون ما رقموا
ولا يمسم من مطمع طبع
كما يدب الى الوحشية الذرع
إذا الزعاقف من أظفارها خشموا
وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
أسد بحلية في أرساغها فدع
ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
شرا يخاض عليه السم واللع
إذا تقارنت الأهواء والشبع

أهدى لهم مدحتي قلب يوازره فيما أحب لسان حائك صنع
فانهم أفضل الأحياء كلهم ان جد بالناس جد القول أو شمعوا

فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتى ، خطيبه أخطب من
حطينا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا . ثم أسلوا وجوزهم
رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم ورد عليهم نساءهم وأبناءهم

سرية قطبة بن عامر في سنة تسع

قالوا بعث رسول الله ﷺ قطبة في عشرين رجلا الى حى من خثعم بناحية تبالة وأمره
أن يشن الغارة ، فخرجوا على عشرة أبعرة فاعتقبوها فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا
حتى كثر الجرحى في الفريقين ، وقتل قطبة بن عامر من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء
الى المدينة . وفي القصة أن القوم اجتمعوا وركبوا في آثارهم ، فأرسل الله سيلا عظيما حال
بينهم وبين المسلمين فساقوا النعم والسبي وهم ينظرون لا يستطيعون أن يعبروا اليهم

سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب

في ربيع الأول سنة تسع . قالوا بعث رسول الله ﷺ جيشا الى بني كلاب وعليهم الضحاك بن
سفيان بن عوف ومعهم الأصيد بن سلمة ، فاقوم بالرخوخ ، فدعومهم الى الاسلام فأبوا
فقاتلهم فهزموهم ، فالحق الأصيد أباه سلمة وسلمة على فرس له في غدير بالرخ ، فدعا أباه الى
الاسلام وأعطاه الأمان ، فسبه وسب دينه ، ففرض الأصيد عرقوب فرس أبيه ، ولما وقع
الفرس على عرقوبه ارتكز سلمة على الرمح في الماء ثم استمسك حتى جاءه أحدهم فنتله ،
ولم يقتله ابنه

سرية علقمة بن محرز المدلجي إلى الحبشة

في ربيع الآخر سنة تسع ، وقال الحاكم في صفر . قال ابن سعد : فلما بلغ رسول الله ﷺ
أن ناسا من الحبشة تراهم أهل جدة بعث اليهم علقمة بن محرز في ثلاثمائة فانتفى الى جزيرة

وقد خاض اليهم البحر فهربوا منه

ذكر سرية علي بن أبي طالب إلى صنم طيء ليهدمه

وفي هذه السنة قالوا : بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلج وهو صنم طيء، ليهدمه ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع النجر فهدموه ، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء ، وفي السبي أخت عدي بن حاتم ، وكان عدي قد هرب إلى الشام ووجدوا في خزائنه ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع ، واستعمل على السبي أبا قتادة ، وعلى الماشية والركة عبد الله بن عتيك ، وقسم الغنائم في الطريق ، وعزل الصفي لرسول الله ، ولم يقسم آل حاتم حتى قدم بهم المدينة

قال ابن اسحق قال عدي بن حاتم : ما كان رجل من العرب أشد كراهة لرسول الله ﷺ مني حين سمعت به ، وكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير في قومي بالرباع ، وكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكا في قومي . فلما سمعت برسول الله كرهته ، فقلت لفلان عربي لي - وكان راعي لابل - لا أبالك ، أعد لي من إبل أجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني ، فاذا سمعت بخيل محمد قد وطئت هذه البلاد فأذني . ففعل . ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد . قال فقلت : قرب لي أجمالي ، فحربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ثم ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام ، وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها ، وخالفتني خيل رسول الله فتصيب انة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبأيا من طيء . وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام ، فر بها رسول الله فقالت : يا رسول الله غاب الوافد ، وانقطع الوالد ، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة ، فمن علي من الله عليك . فقال : من وافدك ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : الذي فر من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله وتركني ، فلما كان من الغد صر بي ، فقلت

له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس ، قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد
يئست ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه ، قالت فقامت إليه فقلت : يا رسول
الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامتن علي من الله عليك . قال رسول الله : قد فعلت ، فلا
تسجلي بمخرج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذني .
فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن كلمه فقيل : علي بن أبي طالب . فأقمت حتى قدم ركب
من طيء أو قضاة . قالت : وإنما أريد أن آتي أخي بالشام . قالت . فحجت رسول الله
فأخبرته ، فكساني وحملي وأعطاني نفقة . قال عدى : فأنتني أختي بالشام فقالت : لقد فعل
فعله ما كان أبوك يفعلها ، ائمه راغبا أو راهبا ، فقد اتاه فلان فأصاب منه وفلان فأصاب منه .
قال عدى : فأنته وهو جالس في المسجد ، فقال القوم : هذا عدى بن حاتم . وجئت بغير
أمان ولا كتاب ، فلما دفت إليه أخذ يدي ، وقد كان قبل ذلك قال : اني لأرجو أن
يجعل الله يده في يدي . قال فقام بي ، فلقيته امرأة ومعه صبي فقالا إن لنا إليك حاجة . فقام
معهما حتى قضى حاجتهما . فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك . ثم أخذ يدي حتى آتى داره
فألقت له الوايدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه . وعند ابن اسحق : فتناول وسادة من
أدم محشوة ليفا فثدنها إلى فقال : اجلس على هذه . فقلت : بل أنت فاجلس إليها . قال : بل
أنت . فجلست عليها وجلس رسول الله على الأرض . قال فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر
ملك . ثم قال : ايه يا عدى بن حاتم ، ألم تكن ركوسيا ؟ قال قلت بلى . قال : أولم تكن
تسير في قومك بالرباع ؟ قال قلت بلى . قال فان ذلك لم يمل لك في دينك . قال قلت أجل
والله ، قال وعرفت أنه نبي مرسل يعرف ما يجمل . ثم قال : يا عدى ، لملك إنما يمنعك من
دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد
من يأخذه ، ولملك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقتل عدوهم ، فوالله
ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف . ولملك
إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن
تسمع بالقصور البيض من أرض بابل أن تفتح عليهم . قال : فأسلت . فكان عدى يقول

مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن . قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد
فتحت ، وقد رأيت للمرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تمجج هذا البيت ،
ووالله لتكونن الثالثة ليفيطن لئال حتى لا يوجد من يأخذه . كذا في رواية ابن اسحق

وفي رواية غيره بعد قوله فجلست بين يديه : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بضرك أن
يقال لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله سوى الله ؟ قلت لا . ثم تكلم ساعة ثم قال : إنما تقر
أن يقال الله أكبر ، وهل تعلم شيئاً أكبر من الله ؟ قال قلت لا . قال فان اليهود مفضوب
عليهم ، والنصارى ضالون . قال قلت : فاني حنيف مسلم . فرأيت وجهه منبسطة فرحا . قال
ثم أمر بي فأنزلت عند رجل من الأنصار ، وجعلت أغشاه آتية طرفي النهار . قال فيينا أنا
عنده إذ جاء قوم في ثياب من الصوف من هذه التمار ، قال فصلي وقام فحث عليهم ثم قال :
أيها الناس ارضخوا من الفضل ، ولو صاعاً ، ولو بنصف صاع ، ولو بقبضة ، ولو ببعض
قبضة ، يبق أحدكم نفسه من جهنم أو النار ، ولو بتمر ، فان أحدكم لاق الله وقائل له ما أقول
لكم : ألم أجعل لك مالا وولداً ؟ فيقول بلى . فيقول : أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر قدومه
وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يبق به وجهه جهنم ، لبق أحدكم وجهه النار ولو
بشق تمر ، فان لم يجد فبكلمة طيبة ، فاني لا أخاف عليكم الفاقة فان الله ناصركم ومعطيكم
حتى تسير الظئينة ما بين يثرب والحيرة أكثر ما تخاف على مطيئها السرق . قال فجعلت أقول
في نفسي : فأن لصوص طيباء ؟ رواه الامام أحمد والترمذي وغيرها بزيادات وقص

وفي رواية أحمد : دخلت على رسول الله وهو يقرأ في هذه الآية ﴿ اتخذوا أحمالهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ قال قلت : انهم لم يعبدوهم . قال بلى ، إنهم حرموا عليهم
الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم . ثم قال : يا عدى أسلم تسلم . قلت
إني من أهل دين . قال أنا أعلم بدينك منك . قلت أنت أعلم بديني مني ؟ قال : نعم ، ألسنت
من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك ؟ قلت : بلى . قال ثأن هذا لا يحل لك في دينك .
قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها . وذكر نحو ما تقدم

فصل

قالوا: وفي هذه السنة هجر رسول الله نساءه وقال: ما أنا بداخل عليكن شهرا، فاعتزل في مشربة له، فنزل بعد تسع وعشرين ليلة، فبدأ بعائشة، فقالت له: يا رسول الله كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدتها عداء. فقال: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين. والقصة في الصحيحين

غزوة تبوك

قالوا: وكانت في رجب من هذه السنة، وهي آخر غزواته ﷺ. وتبوك موضع معروف، وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق، وهي غزوة العسرة، والفاضحة: لافتضاح المناقنين فيها. ولعبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال: خرجوا في قلة من الظهر، وفي حر شديد، حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، وفي الظهر وفي النفقة، فسيت «غزوة العسرة». وللطبراني من حديث عمران بن حصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: ان هذا الرجل الذي خرج يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون، فهلكت أموالهم. فبعث رجلا من عظامهم وجهاز معه أربعين ألفا، فبلغ ذلك النبي ﷺ - ولم يكن للناس قوة - وكان عثمان قد جهز عيرا للشام فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقنابها وأحلامها ومائتا أوقية. قال فسمعتة يقول «لا يضر عثمان ما عمل بعدها». وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بألف دينار في مكة حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ﷺ فرأيت^(١) يقلبها في حجره ويقول «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» خرجه الترمذي وقال: حسن غريب

وبعث رسول الله ﷺ إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة - وكانوا كلهم مسلمين في هذا الوقت - يستنفرهم، وحض رسول الله من عنده من المسلمين على الجهاد، وأمرهم بالصدقة فجاءوا بصدقات كثيرة، وكان أول من جاء بها أبو بكر، جاء بماله كله، وكان

(١) يياض. لعله: رسول الله ﷺ

أربعة آلاف درهم . وجاء عمر بنصف ماله . وجاء العباس بن عبد المطلب بمال كثير .
وجاء طلحة بمال . وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة . وجاء سعد بن عباد بمال .
وجاء محمد بن مسلمة بمال . وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقا من تمر . وبعث النساء كل
ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخلخل وقرط وخواتم . قال ابن اسحق : فذكر لنا
الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر وغيرهم من أصحابنا وبعض القوم
يحدث ما لا يحدث بعض أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان
عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد حين طابت الثمار والناس يحبون المقام
ويكرهون الشخوص على حال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قل ما يخرج
في غزوة إلا كفى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يعمد له ، إلا ما كان من غزوة
تبوك فإنه يئنها للناس لبعث الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يعمد له ، ليتأهب الناس
لذلك أهبطه ، فأمر الناس بالجهاز وأخبر أنه يريد الروم ، فقال رسول الله ذات يوم وهو في
جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلمة : يا جد ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ فقال
يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء
منى ، وإني أخشى ان رأيت نساء بني الأصفر أتي لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله وقال :
قد أذنت لك . ففيه نزلت هذه الآية ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ الآية قال قوم
من المناققين : لا تنفروا في الحر زهادة في الجهاد وشكا في الحق وإرجافا بالرسول ، فأنزل الله
﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً ﴾ الآية

ثم ان رسول الله ﷺ جد في سفره ، ثم إن رجلاً من المسلمين أتوا رسول الله وهم
البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير
وغلبة بن زيد أحد بني حارثة وأبو ليلي عبد الرحمن أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام
ابن الجوح أخو بني سلمة وعبد الله بن مغفل المازني - وبعض الناس يقول : هو عبد الله بن
عمرو الدرني - وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية ، فاستحملوا رسول الله
وكانوا أهل الحاجة ، فقال : لا أجد ما أحكمكم عليه . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن

لا يجدوا ما ينفقون . قال وجاء المعتدون من الأعراب فاعتذروا اليه فلم يعذرهم الله . وجاءه المنافقون وهم ثمانون فأذن لهم . ثم استحث برسول الله السير في سفره وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة وسرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خبيشة أخو بني سالم ، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري . وذكر الدراوردي أنه استعمل سباع بن عرفطة . وخلف رسول الله على أهله على بن أبي طالب وأمره بالإقامة فيهم ، فارجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استنقلا منه وتخففا منه ، فلما قال ذلك المنافقون أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو نازل بالجرف فقال : يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استنقلتني وتخففت مني ، قال : كذبوا ، ولكني خلفتك لما تركت ورأى ، فارجع فأخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . فرجع إلى المدينة . قلت وفي الصحيح عن سعد أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا ، فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ؟ انتهى . فهذا يدل على أنه استخلف عليا على المدينة كما رجحه ابن عبد البر ، وجزم ابن القيم بأن خلافة علي خاصة على الأهل ، وأما الاستخلاف العام فهو لمحمد بن مسلمة كما تقدم . قال ابن اسحق : ومضى رسول الله ﷺ على سفره

ثم إن أبا خبيشة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياما إلى أهله في يوم طار ، فوجد امرأتين له في عريش لهما في حائط قدر شت كل واحدة منها عريشها وبردت فيه ماء وهيات له فيه طعاما . فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال : رسول الله في الضحى والريح والحر ، وأبو خبيشة في ظل بارد وطعام مهيا وامرأتين حسناوين في ماء

مقيم اما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألقى برسول الله ﷺ ، فميثا لي زادا . ففعلنا . ثم قدم ناضحه فارتحل ، ثم خرج في طلب رسول الله حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبو خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنبا فما عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله . ففعل . حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق . فقال رسول الله : كن أبا خيثمة . فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله وأخبره خبره . فقال له رسول الله خيرا ، ودعا له بخير

وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزها واستسقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله : لا تشربوا من مائها شيئا ولا توضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين مجتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ، إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي ذهب لحاجته فانه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فعملته الريح حتى طرحته بجبل طيء ، فأخبر رسول الله فقال : ألم أنهم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر فأهدته طي رسول الله ﷺ حين قدم المدينة . وفي صحيح مسلم عن أبي حميد : انطلقنا حتى أتينا تبوك ، فقال ﷺ : تهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عقاله . فهبت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء . وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : لما مر النبي ﷺ بالحجر قال : لا تدخلوا ما كن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين . ثم قنع رأسه وأسرع بالسير حتى جاز الوادي . وفي البخاري أنه أمرهم بالقاء العجين . وفي مسلم أنه أمرهم أن يعفوه الإبل وأن يهريقوا الماء وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة . ورواه البخاري أيضا ، وقد حفظ زاوية ما لم يحفظ الأول

وقال ابن اسحق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك الى رسول الله ، فدعا رسول الله ﷺ فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء فقبل لبعض المذاقين : ويحك هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة . حتى إذا كان رسول الله ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها فقال زيد بن لصيت : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم خبير السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم بأمر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ، وأنا والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلتني الله عليها وهي في هذا الوادي من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ، فاطلقوها حتى تأتونني بها . فذهبوا فجاءوا بها

ثم مضى رسول الله ﷺ سائرا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه . حتى قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره . فقال : دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وتلوّم على أبي ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمّله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشيا ، ونزل رسول الله في بعض منازلهم فقالوا : يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله : كن أبا ذر . فلما تأمله للقوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر . فقال رسول الله : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده . قال ابن اسحق : فحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود قال : لما نفي عثمان أبا ذر إلى الرينة فأصابه بها قدره لم يكن معه بها أحد إلا امرأته وغلّامه ، قال فأوصاها أن غسلاها وكفّاني ثم ضعاني على قارعة الطريق فقول راكب يمر بكم فتقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعناه على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمارا ، فلم يرعهم إلا بالجنّازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطأها ، وقام اليهم الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه ، فاستهل عبد الله يبكي ويقول : صدق رسول الله ، تمشي وحدك وتموت وحدك ،

ثم نزل هو وأصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك

وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلعة يقال له مخشى بن حمير قال بعضهم لبعض : أتحمسون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم لبعض ؟ والله لكأني بكم غدا مقرنين في الجبال - إرجافا وترهيبا للمؤمنين - فقال مخشى بن حمير : والله لو ددت على أنى أفاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا لنفقت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله ﷺ لعمار ابن ياسر : أدرك القوم ، فانهم قد احترقوا فسلمهم عن ما قالوه ، فان أنكروا فقل : بلى قلم كذا وكذا . فانطاق اليهم عمار فقال لهم ، فأتوا رسول الله يعتذرون اليه ، فقال : وديعة بن ثابت : كنا نخوض ونلعب [فأنزل الله عز وجل فيهم] ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب [] ، وقال مخشى بن حمير : يا رسول الله قعد بي اسمى واسم أبى ، وكان الذى عنى عنه في هذه الآية وتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . قلت : روى ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لرغب بطونا ولا لكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله . فباغ ذلك رسول الله ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : وأنا رأيته متعلقا عقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله يقول : أبا الله وآياته ورسوله تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . قال ابن كثير : وقد رواه الليث بن سعد عن هشام بن عمار

فصل

قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة ، فصالحه وأعطاه الجزية ، وأعطاه أهل جربا وأذرح بالذال المعجمة والراء والحاء المهملة بلدين بالشام بينهما ثلاثة أيام فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله كتابا . وذكر ابن عائد في مغازيه أن رسول الله

ﷺ نزل بتبوك في زمان قد قل ماؤها فيه ، فاغترف رسول الله بيده غرفة من ماء ففضض بها ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت ، فهي كذلك حتى الساعة . قلت : في صحيح مسلم عن معاذ أنه ﷺ قال قبل وصوله اليها : انكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك وانكم لن تأنوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسه من مائها شيئاً حتى آتى . قال فجئنا وقد سبق اليها رجلان والعين تبض بشيء من مائها ، فسألها رسول الله : هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا نعم . وقال لهما ماشاء الله أن يقول . ثم غرف من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع الوشل ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويده ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناتنا وذكر البيهقي في الدلائل والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله لما كان منها على ليلة ، فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، فقال : ألم أقل لك يا بلال اكلاً لنا الفجر ؟ فقال : يا رسول الله ذهب بي النوم الذي ذهب بك . فانتقل رسول الله من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى ، ثم ذهب بقية يومه وليلته

ثم أصبح في تبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير المثل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص القرآن ، وخير الأمور عوارفها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرأ ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الفنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما وفر في القلب اليقين ، والارتياح من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من حرجهم ، والسكر كى من النار ،

والشعر من إبليس ، والحجر جماع الإنم ، وشرب المسآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ،
والثقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدمكم إلى موضع أربعة أذرع ، والأسر إلى آخره ،
وملاك العمل خواتمه وشرب الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المسلم
فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألم على
الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ،
ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يبتغ السعة بسم الله به ، ومن يتصبر يغفر الله له ،
ومن يمص الله يعذبه . ثم استغفر ثلاثا . انتهى

ولمسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جمع بين الصلاتين في غزوة تبوك ، فجمع بين
الظهر والعصر والمغرب والمشاء ، قال شعبة فقلت لابن عباس : ما حمل على ذلك ؟ قال : أراد
أن لا يخرج أحد من أمته . وله عن معاذ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك
فكان يصلي الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والمشاء جميعا . وأخرجه مالك في الموطأ وزاده
فآخر الصلاتين يوما ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم خرج فصلى المغرب والمشاء جميعا .
وفي رواية أبي داود والترمذي عن معاذ أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك إذا ارتحل بعد زيف
الشمس صلى الظهر والعصر جميعا ، لكن أعل هذه الرواية جماعة من أئمة الحديث . وذكر
البخاري أن بعض الضعفاء أدخلها على قتبية حكاه الحاكم في علوم الحديث . قال ابن عبد البر :
هذا أوضح دليل على من قال لا يجمع إلا إذا جدَّ به السير . انتهى

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعائة وعشرين فارسا إلى أكيدر بن عبد الملك من
كندة ، وكان ملكا عليها وكان نصرانيا بدومة الجندل . قال أبو عبيد : دومة الجندل
حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طبي ، ودومة من قرىات من وادي القرى ، وذكر
أن عليها حصنا حصينا يقال له مارد وهو حصن أكيدر الملك ، فقال خالد : يا رسول الله كيف
لي به وسط بلاد كلب وأغار ، وأنا في أناس بسير ؟ فقال رسول الله : ستلقاه بصيد الوحش
أو قال البقر فتأخذه . فخرج خالد ومن معه فلما بلغ خالد قريبا من حصنه بمنظر العين وكانت
ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له في الحصن معه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب

الحصن ، وأشرفت امرأته على باب الحصن فقالت : ما رأيت كالبيلة . وفي لفظ : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال لا والله . قالت : فمن يترك هذه البيلة ؟ قال لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان فخرجوا من حصنهم بمطاردم ، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ، فاستأمر أ كيدر وامتنع حسان فقاتل حتى قتل ، وهرب من كان معه ودخل الحصن ، وكان على أ كيدر قباء مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به على رسول الله قبل قدومه به عليه . وفي الصحيح عن أنس قال : رأيت قباء أ كيدر حين قدم به على رسول الله فجعل المسلمون يلمسونه ويتمجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا . انتهى

وقال خالد لأ كيدر : هل لك على أن أخيرك من القتل حتى آتي بك رسول الله على أن تفتح دومة الجندل ؟ قال نعم ذلك لك . فلما صالح خالد أ كيدرا وأ كيدر في وثاق ومضاد أخو أ كيدر في الحصن ، أبي مضاد أن يفتح باب الحصن لما رأى أخاه في الوثاق ، فطلب أ كيدر من خالد أن يصالحه على شيء حتى يفتح له باب الحصن وينطلق به وبأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما شاء ، فرضى خالد بذلك فصالحه أ كيدر على ألفي بعير وثلاثمائة فرس ، وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ، ففعل خالد وخلي سبيله ، ففتح له باب الحصن فدخله وحقن دمه ودم أخيه ، فانطلق بها إلى رسول الله ﷺ وهو قد وصل إلى المدينة ، فلما قدم بها إلى رسول الله ﷺ صالحه على الجزية وخلي سبيلها ، وكتب لها كتاب إمارة . قال ابن الأثير : ومات أ كيدر نصرانيا بلا خلاف بين أهل السير ، لأنه بعد المصالحة عاد إلى حصنه وبقى فيه فحاصره خالد زمن أبي بكر فقتله مشركا بنقضه العهد

فصل

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ، وقيل عشرين ليلة يصلى بها ركعتين ركعتين ولم يبق كيدا . وفي مسند أحمد أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ : إني مسلم ، فقال النبي كذب وهو على نصرانيته . ولأبي عبيد بسند صحيح نحوه ولفظه : قال كذب عدو الله ، ليس بمسلم . وفي اللواهب الدنية كتب رسول الله ﷺ كتابا من تبوك إلى هرقل يدعو إلى

الإسلام فقارب الإجابة ولم يجب رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس . وفي المتقى شاور رسول الله أصحابه في التقدم والمسير إليهم ، فقال عمر : إن كنت أمرت بالمسير فسر ، فقال رسول الله : لو أمرت ما استشرتكم فيه ، فقال عمر : يا رسول الله إن للروم جوعا كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الاسلام ، وقد دنوت وأفزعتهم دنوك ، لو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك في ذلك أمراً عظيماً . فانصرف رسول الله إلى المدينة ، ولم يبق كيدا . وكان في الطريق ماء يخرج من وشل يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشق فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى الماء فلا يسقين منه شيئاً حتى نأتيه ، فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال : من سبقنا إلى هذا؟ فقيل : يا رسول الله فلان وفلان . فقال : ألم أنحكم أن تستقوا منه شيئاً حتى آتية؟ ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل ووضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ، أما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ :
لئن بقيتم أو تقي منكم لتسمن بهذا الطريق وقد أخضب ما بينه وما خلفه

وفي مرجعه ﷺ من تبوك هم المنافقون بالفتك به فعصمه الله منهم ، ذكر البيهقي في الدلائل من حديث ابن اسحق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى عن حذيفة قال : كنت أخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أفود به وعمار بسوق الناقة وأنا أسوق وعمار يقوده ، حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها قال فأنبت رسول الله فصرخ فيهم فولوا مدبرين ، فقال رسول الله : هل عرفتم القوم؟ قلنا : يا رسول الله قد كانوا مثلثمين ، والسكن عرفنا الركاب . قال : هؤلاء المنافقون إلى يوم القيمة . قال : هل تدررون ما أرادوا؟ قلنا لا . قال : أرادوا أن يزحوا رسول الله في العقبة فيقتلوه بها . قلنا يا رسول الله ألا تبعث لعشارهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال لا ، أكره أن تتحدث العرب أن محمداً قاتل بالقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم . اللهم ارمهم بالديلة . قلنا يا رسول الله وما الديلة؟ قال : شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدكم فيهلك . ولأحد

عن أبي الطفيل قال : لما أقبل رسول الله من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى : إن رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رهط منتمون على الرواحل ، فعقبوا عمارا وهو يسوق برسول الله ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال النبي ﷺ قد قد ، حتى هبط رسول الله ، فلما هبط ونزل رجع عمار فقال : يا عمار هل عرفت القوم ؟ فقال عرفت الرواحل والقوم منتمون . قال : وهل تدري ما أرادوا ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أرادوا أن ينفروا برسول الله ويطرحوه . قال فسار عمار رجلا من أصحاب النبي فقال نشدتك بالله هل تعلم كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة . قال إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر ، قال فتعذر لرسول الله منهم ثلاثة وقالوا والله ما سمعنا منادى رسول الله ما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار أشهد أن الاثنى عشر حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . انتهى . وأعلم رسول الله ﷺ حذيفة وعمارا بأسمائهم وما هموا به وأمرهما أن يكتم عليهما ، وكان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . قال الضحاك في قوله تعالى ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ الآية : إنها نزلت في أهل العقبة

قال ابن اسحق : وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن عبد الله بن مسعود يحدث قال : قت من جوف الليل في غزوة ، قال فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها فاذا رسول الله وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله في حفرة وأبو بكر وعمر يدلانه إليه ، وهو يقول إدليا لي أخا كما ، فدليا له ، فلما هياها لشقه قال : اللهم إني أمسيت راضيا عنه فارض عنه . قال يقول عبد الله ابن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة . قال ابن هشام : إنما سمي ذا البجادين لأنه كان ينازع إلى الاسلام فيمعه قومه من ذلك ويضيقون عليه حتى تركوه في بلاد ليس عليه غيره ، والبجاد الكساء الغليظ . فهرب منهم إلى رسول الله ، فلما كان قريبا منه شق بجاده باثنتين فآثرر بواحدة واشتمل بالأخرى ، ثم أتى رسول الله فقيل له ذا البجادين

قال ابن اسحق : ثم أقبل رسول الله ﷺ من تبوك حين نزل ندى أو ان وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، جاءه خبر مسجد الضرار من السماء ، وذكر غيره أن بني عمرو

ابن عوف لما اتخذوا مسجد قباء فبعثوا إلى رسول الله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه ، فحسدتهم إخوانهم بنى غم - وكانوا من منافق الأنصار - فقالوا : بنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله فيصلى فيه كما صلى في مسجد إخواننا ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام . وروى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عباس في قوله ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ﴾ هم ناس من الأنصار ائبنوا مسجداً ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فأتى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فأتى بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه . فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا : إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلى فيه وتدعو بالبركة ، فأنزل الله ﴿ لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم ﴾ - يعني مسجد قباء - أحق أن تقوم فيه ﴿ إلى قوله ﴾ ﴿ فأنهار به في نار جهنم ﴾ يعني قواعده ﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم ﴾ من الشك ﴿ إلا أن تقطع قلوبهم ﴾ يعني بالموت . انتهى

قال ابن اسحق : وقد كان أهل مسجد الضرار ، أتوا رسول الله وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لدى العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشاتية ، وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه . فقال رسول الله : إنا على جناح سفر وحال شغل ، ولو قدمنا إن شاء الله أتينا فصلينا لكم فيه . فلما انصرف رسول الله من تبوك ونزل بذي أوان أتاه المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار فسألوه إتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبرهم وما هموا به ، فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن فقال لهم : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلها فاهدموه وأحرقوه . فخرجوا صراخاً حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك : انظروني حتى أخرج اليكم بنار من أهلي . فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد فحرقوه وهدموه وتفرق أهل عنه . ولما دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقطن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال في الهدى : وبعض الناس بهم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه من مكة ، وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام . فلما أشرف على المدينة قال « هذه طابة وهذا جبل أحد يحبنا ونحبه » . وفي البخارى لما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال : إن بالمدينة رجالا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر . قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة

فصل

ولما دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين - كما في حديث كعب بن مالك في الصحيحين - ثم جلس للناس ، فجاء الخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل رسول الله منهم علائقهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله . وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، وأمر رسول الله أصحابه أن لا يكلموا هؤلاء الثلاثة

وروى البخارى ومسلم وغيرها عن كعب بن مالك قال : ما تخلفت عن رسول الله في غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكان غزوة بدر لم يعاتب أحد تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله إنما خرج يريد غير قريش ، فجمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة حين توائفنا على الاسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر أذكر في الناس منها . وكان من خبرى حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله قل ما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل عدواً كثيراً فجلا للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة . وأخبرهم

بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان -
وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وجعلت أغدو لأتجهز معه
فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إن أردت ، فلم يزل ذلك يتبادى بي
حتى شمر بالناس الجدد وأصبح رسول الله غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ،
فقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحق بهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت فلم أقض
شيئاً ، ثم عدوت ورجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى أسرعوا وتقارط
الغزو . فهمت أن أرتحل فأدرتهم ، وليتني فعلت ولم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس
بعد خروج رسول الله فطفت فيهم يحزنتي أن لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق ، أو
رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس
في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه
برداه ونظره في عطفه ، فقال معاذ بن جبل : بش ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه
إلا خيراً ، فسكت رسول الله . فلما بلغني أن رسول الله ﷺ توجه قافلاً حضرنى همى وطفقت
أذكر الكذب وأقول : بما أخرج من سخطة رسول الله غداً ؟ وأستفتى على ذلك كل ذى
رأى من أهلى ، فلما قيل لى إن رسول الله قد قفل قادمًا زاح عنى الباطل وعرفت أنى لا أنجو منه
إلا بالصدق ، فأجمت أن أصدقه . وأصبح رسول الله قادمًا إلى المدينة ، وكان إذا قدم من
سفر بدأ بالمسجد فيركم فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء الخلفون فطفقوا
يعتذرون إليه ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل رسول الله علانيتهم وبايعهم
واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت فسلمت عليه ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم
المغضب ثم قال : تعال . فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال : ما خلفك ؟ ألم تكن قد
ابتعت ظهرك ؟ فقلت : بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من
سخطة بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكن والله قد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب
ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه إني
لا رجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى

حين تخلفت . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك . وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله بما اعتذر به المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك ، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالوا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي . فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرا فيهما أسوة - ولم يذكر ابن اسحق في روايته قد شهدا بدرا - فمضيت حين ذكرتهما لي

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فإني التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكنا وقعدا في بيوتها يبكيان ، وأما أنا فسكنت أشب القوم وأجلدهم ، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق فلا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى ، فإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت له قشدته فسكت ، فعدت له قشدته فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي وترايت حتى تسورت الحائط . قال فينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطنق الناس يشيرون له . فقلت : من يدل على كعب بن مالك ؟ فقالوا : كتابا فقرأته فإذا فيه « أما بعد فإنه قد بغاني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيمة ، فالحق بنا نواسيك » فقلت لما قرأتها ، وعذا أيضا من البلاء . زاد ابن اسحق قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك . فقيمت بها التنور فسجرت بها . حتى إذا مضت أربعون ليلة من المحسين إذا رسول لرسول

الله ﷺ فقال : إن رسول الله يأمرك أن تعزل امرأتك : فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال لا بل اعزلها ولا تقربنها . وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك . فقلت لامرأتى الحق بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر . قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك . قالت : انه والله مابيه حراك إلى شىء ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله فى امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله وما يدرينى ما يقول رسول الله إذا استأذنته وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسين ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا . فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله : قد ضاقت على نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت - زاد ابن اسحق : وقد كنت ابتليت خيمة فى ظهر سطح فكنت أكون فيها - إذ سمعت صوت صارخ على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب ابن مالك أبشر . فخررت ساجدا ، وعرفت أن جاء الفرج . قال وأذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون . وركض رجل إلى فرما وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاء الذى سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبى فسكسوته إياها يبشراه ، والله ما أملك غيرها يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستها ، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فلتقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت للمسجد ، فاذا رسول الله جالس وحوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحنى وهنأتى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة . فلما سامت على رسول الله ، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . قال قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قر ، وكنا

نرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أتخلى من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قلت : فاني أمسكت سهمي الذي بخير ، فقلت يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما ابتلاني ، وما تعدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومى هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي - وأنزل الله على رسوله ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ﴾ إلى قوله ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ . قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله يومئذ أن لا أكون كذبتة ، فاهلك كما هلك الذين كذبوا ، فان الله تبارك وتعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم انهم رجس ﴾ الآيتين . قال كعب : وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ وليس الذي ذكر الله من تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخلفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . انتهى

وقوله فذكروا لي رجالين صالحين قد شهدا بدرا . قال في الهدى : هذا الموضع مما عد من أوهام الزهري ، فإنه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسير البتة ذكر هذين الرجلين في أهل بدر ، لا ابن اسحق ولا ابن عقبة ولا الواقدي ، وكذلك ينبغي أن لا يكونا من أهل بدر ، فإن النبي ﷺ لم يهجر حاطبا ولا عاقبه وقد حبس إليه ، وأين ذنب التخلف عن ذنب الحبس ؟ قال أبو الفرج بن الجوزي : ولم أزل حريصا على كشف ذلك وتحقيقه حتى رأيت أبا بكر الأثرم قد ذكر الزهري وفضله وحفظه واتقانه وأنه لا يكاد يحفظ عليه غلط إلا في هذا الموضع ، وهذا لم يقله أحد غيره ، والغلط لا يعصم منه إنسان

فصل

قالوا : ولما قدم رسول الله ﷺ من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فلاعن عليه السلام بينهما كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرها

وفيها رجم رسول الله المرأة الغامدية وذلك أنها جاءتته فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت وأنا أريد أن تطهرني ، فقال لها النبي ﷺ : ارجعي . ثم أتته الغد فقالت أيضا ، وبعد الغد أيضا وقالت : يا رسول الله طهرني ، فملكك تردني كما رددت معاوية بن مالك ، فوالله إني لحبلى من الزنا ، فقال لها : ارجعي حتى تلدى . فلما ولدت جاءت بالصبي في يده كسرة خبز فقالت : يا نبي الله ، هذا فطمته . فأمر النبي ﷺ بالصبي فدفن إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفرة فجعلت فيها إلى صدرها ثم أمر الناس أن يرموها ، فأتى خالد بن الوليد بمحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد بن الوليد فسبها ، فسمع النبي ﷺ سبه إياها فقال : عملا يا خالد ، لا تسبها ، فوالذي نفس محمد بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . فأمر بها فصلى عليها ودفنت .

قالوا وفي هذه السنة توفي النجاشي ملك الحبشة في المغرب واسمه أصحمة وهو الذي هاجر إليه المسلمون ، فنعاه النبي ﷺ ، وخرج إلى المصلى وصف أصحابه خافه وكبر عليه أربع تكبيرات كما ثبت ذلك في الصحيحين ، وتقدم ذلك عند ذكر هجرة الحبشة

وفيها توفيت أم كلثوم بنت رسول الله تحت عثمان بن عفان ، فحزن عليها حزنا شديدا فقال ﷺ لو كانت عندي ثالثة لزوجكها يا عثمان . وجلس عليه الصلاة والسلام على قبرها وعيناه تدمعان وقال : هل منكم أحد لم يقارف الليلة أهله ؟ فقال أبو طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : انزل ، فنزل في قبرها أبو طلحة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري

وفيها مات عبد الله بن أبي رأس المناقنين ، فأناه النبي ﷺ فشده وصلى عليه وألبسه قميصه . ولما قام ليصلى عليه وثب إليه عمر فقال : يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال كذا يوم كذا وعدد قوله ، فتبسم رسول الله وقال أخر عني يا عمر . فلما أكثر عليه

قال : انى خيرت فاخترت ، ولو أعلم انى إن زدت على السبعين ينفر له لزدت عليها . فصلى عليه رسول الله ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآياتان من براءة ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ﴾ الآياتان قال عمر : فمجبت من جرأتى على رسول الله يومئذ ، والله ورسوله أعلم . وعن جابر بن عبد الله قال : أتى رسول الله عبد الله بن أبى عندما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضع على ركبتيه فنفت فيه من ريقه وألبسه قميصه ، وكان كسا عباساً قميصاً لما أتى به يوم بدر ولم يكن عليه ثوب ، فوجدوا قميص عبد الله بن أبى يقدر عليه كساه النبي ﷺ إياه فلذلك ألبسه عليه الصلاة والسلام قميصه ، قال ابن عيينة كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه

وفى هذه السنة قدم النبي ﷺ كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك سنة تسع ، وهم الحارث ابن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان بن قيل ذى رعين وهمدان ومعافر ورسولهم اليه ﷺ مالك بن مرة الرهاوى . قال الواقدي : بعث زرة ذو يزن إلى رسول الله مالك بن مرة باسلام ملوك حمير ومفارقتهم الشرك وأهله ، وقد كان رسول الله فى مسيره الى تبوك يقول : إني بشرت بالكنزين فارس والروم ، وأمددت بالملوك ملوك حمير يا كلون فى الله ومجاهدون فى سبيل الله ، فلما قدم مالك بن مرة باسلامهم كتب اليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي ، الى الحارث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال والى النعمان بن قيل ذى رعين ومعاذ رهمدان . أما بعد فإني أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم منقلبين من أرض الروم فاتمينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قلتم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم لهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقم الصلاة وآتيم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله ورسوله النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة (وبين لهم صدقة الزرع والابل والبقر والغنم . ثم قال) : فمن زاد فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم . ومن كان على يهوديته أو نصرانيتها فانه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعاة

أو عوضه ثيابا ، فمن أدى ذلك الى رسول الله فان له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فانه عدو لله ورسوله . أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسل فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعتبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم ، وإن جمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم فأبلغوها رسلنا ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا . أما بعد فان محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله . ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين ، فأبشر بخير ، وأمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم . وإن الصدقة لا تحمل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يركى بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وأمركم به خيرا ، وإني قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى ، وأولى دينهم وأولى عملهم ، وأمركم بهم خيرا فانه منظور اليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهذا ما ذكره ابن اسحق من شأن ملوك حمير وما كتبوا به وما كتب اليهم

وفي هذه السنة في ذى القعدة بعث رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد ، وواقفه عكرمة بن خالد ، وقال قوم : في ذى الحجة ، وبه قال الداودي والماوردي ومحمد بن سعد ، ويؤيده أن ابن اسحق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعدما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر على الحج ، فيكون حجه في ذى الحجة . والله أعلم

ثم حج رسول الله ﷺ في العام القابل في ذى الحجة وذلك حين قال رسول الله في حجه تلك « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خاق الله السموات والارض » وذلك أن العرب كانوا يستعملون النسيء فيؤخرون المحرم الى صفر ثم كذلك حتى تتدافع الشهور فيستدير التحريم على السنة كلها ، وروى نحو هذا عن مجاهد . قال ابن كثير في تفسيره : وقول مجاهد فيه نظر . وأيضا كيف تصح حجة في ذى القعدة وأنى هذا؟ وقد قال الله ﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ﴾ الآية . وإنما نودى بذلك في حجة أبي بكر ،

فلو لم يكن في ذى الحجة لما قال الله ﷻ وأذان من الله ورسوله يوم الحج الأكبر ﷻ ولا يلزم من فعلهم النسيء الذي ذكره من دوران السنة عليهم وحجهم في كل عام شهرا ، فان النسيء حاصل بدون هذا ، فانهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاما عوضوا صفر وبعده ربيعا وربيع الآخر والسنة حالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها ، ثم في العام القابل يحرمون المحرم ويتركونه على تحريمه وبعده صفر وربيعا وربيعا الآخر الى آخرها ، فيحلونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله أى في تحريمه أربعة أشهر من السنة ، إلا أنهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم وتارة ينسونه الى صفر أى يؤخرونه . وأما قوله ﷺ « ان الزمان قد استدار كهيئته » الى آخره ، فهو تقدير منه وتثبيت للناس على ما جعله الله لهم في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل ، كما قال في تحريم مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيمة » وهكذا قال ههنا « ان الزمان قد استدار » الخ ، أى الأمر شرعا كما ابتداء الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض . انتهى كلامه

قال ابن اسحق : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، قال في المواهب : وكان معه ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة . قال ابن اسحق ونزلت براءة في تقض ما بين رسول الله وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه : أن لا يصدوا عن البيت أحدا جاءه ولا يخلف أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً علما بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص الى آجال سماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك وفي قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سراير أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من محى لنا ومنهم من لم بسم لنا . قال ابن اسحق : وكانت براءة تسمى في زمان رسول الله وبعده المبيثرة لما كشفت من سراير الناس قال وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي أنه لما نزلت

براءة على رسول الله قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها الى أبي بكر ، فقال : لا يؤدي عنى إلا رجل من أهل بيتى ، فدعا على بن أبي طالب فقال : اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك . ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له مدته . فخرج على على ناقة رسول الله العضاء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق ، فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ قال : بل مأمور . ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج

وللسائى عن جابر قال كنا مع أبي بكر فى حجته ، فلما كان بالعرج ثوب بالصبح ، فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره ، فوقف عن التكبير فقال : هذه رغوة ناقة رسول الله الجدعاء ، لقد بدا رسول الله فى الحج ، فعلمه أن يكون رسول الله فصلى معه ، فاذا هو على عليها ، فقال له أبو بكر : أمير أم رسول ؟ فقال : لا بل رسول ، أرسلنى رسول الله ﷺ براءة أقرؤها على الناس فى مواقف الحج . فقدمنا مكة ، فلما كان قبل يوم التروية يوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم ، حتى اذا فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ، ثم كان يوم النحر فأفضنا . فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم ، فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون . يعلمهم مناسكهم ، فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن أبا بكر بعثه فى الحجة التى أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع فى رهط يؤذن فى الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . ثم أردف النبى ﷺ على بن أبى طالب وأمره أن يؤذن براءة ، فاذن معنا فى أهل منى براءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . قال فنبذ أبو بكر الى الناس فى ذلك العام ، فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه رسول الله حجة الوداع مشرك ، فأنزل الله فى العام الذى نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا للمسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ الآية . وفى رواية للبخارى : فكان حميد بن عبد الرحمن يقول

يوم النحر يوم الحج الأكبر ، من أجل حديث أبي هريرة . وقال الحميدي : حدثنا سفيان حدثني أبو إسحق الهمداني عن زيد بن يثيع قال : سألتنا علياً بأى شيء بعثت في الحج ؟ قال « بعثت بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع كافر ومؤمن في المسجد الحرام بعد عامه هذا ، ومن كان بينه وبين النبي عهد فعهده إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر »

قال في الهدى : واختلاف في حجة الصديق هل هي التي أسقطت الفرض ، أو المسقطه هي حجة الوداع مع النبي ﷺ ؟ على قولين أحدهما الثاني والقولان مبنيان على أصلين : أحدهما هل كانت حجة الصديق في ذى الحجة أو وقعت في ذى القعدة من أجل التسمية الذي كان أهل الجاهلية يؤخرون له الأشهر ؟ والثاني قول مجاهد وغيره ، وعلى هذا قلم يؤخر النبي ﷺ الحج بعد فرضه عاماً واحداً ، بل بادر إلى الامتثال في العام الذي فرض فيه ، وهذا هو الأليق بهديه وحاله ، وليس بيد من ادعى تقدم فرض الحج سنة ست أو سبع أو ثمان دليل واحد ، وغاية ما احتجوا به قوله تعالى ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وهي نزلت بالحديبية سنة ست ، وهذا ليس فيه ابتداء فرض الحج ، إنما فيه الأمر باتمامه إذا شرع فيه ، وآية فرض الحج هي قوله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ الآية وهي نزلت عام الوفود أو آخر سنة تسع . انتهى والله أعلم

فصل

في قدوم وفود العرب وغيرهم على رسول الله ﷺ

وقد كان ابتداء الوفود بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة آخر سنة ثمان وما بعدها . وقال ابن اسحق : لما افتتح رسول الله مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه ، قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى « سنة الوفود » . قال ابن اسحاق : وإنما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصریح ولد اسمعيل بن ابراهيم ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ،

وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت قريش
 عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ، فدخلوا في دين الله كما قال عز وجل
 ﴿ أفواجا ﴾ فقدم عليه وفد هوازن وهو بالجمرة كما تقدم ، وقدم عليه وفد ثقيف وتقدم ذلك
 أيضا . وقدم عليه وفد بني تميم وتقدم ذلك أيضا ، وقدم عليه وفد بني عامر بن صعصعة
 وفيهم عامر بن الطفيل عدو الله وأربد بن قيس أخو ليبيد الشاعر لأمه وخالد بن جعفر وجبار
 ابن أسلم بن مالك ، وكان هؤلاء نفر الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ، فأقبل عدو الله عامر
 وأربد يريدان أن يغدرا برسول الله ، فقيل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك .
 فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، إن يرد الله به خيرا يهده . فأقبل حتى قام عليه فاستشرف
 الناس لجمال عامر ، وكان من أجمل الناس ، فقال : يا محمد ما لي إن أسلمت ؟ قال : لك
 ما للمسلمين وعليك ما عليهم . فقال : تبجل الأمر لي بعدك ؟ قال : ليس ذلك إلي ، إنما ذلك
 إلى الله يجمله حيث يشاء . قال : فاجعلني على الوبر وأنت على المدر . قال : لا . قال : فاذا
 تبجل لي ؟ قال : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها . قال وليس ذلك إلي اليوم ؟ وكان عامر
 قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فإنا شاغل عنك وجهه فاذا رأيتني أكله فدر من خافه
 فاضربه بالسيف ، فدار أربد ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبس الله يده فلم يقدر على سه
 فمصم الله نبيه ، فالتفت رسول الله فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال : اللهم اكفنيهما بما شئت .
 فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد : أين ما أمرتك به ؟ قال : ويحك والله ما هممت
 بالذي أمرتني به إلا وحلت بيني وبينه ، أفاضرك بالسيف ؟ فأرسل الله على أربد وجهه
 صاعقة فأحرقتة ، وكان أربد أخا ليبيد لأمه ، فبكاه ورثاه ، ومما قال :

أخشى على أربد الخنوف ولا أهرب نوء السماء والأسد
 ما إن تعرى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد
 فجنى الرعد والصواعق بالفارس يوم الكربة النجد
 يا عين هلا بكيت أربد إذ قنا وقام الحصوم في كبد

وقال :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
لا ينفعون ولا يرجي خيرهم ويعاب قائلهم وإن لم يشغب
إن الرزية لا رزية مثلها فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قال ابن عبد البر : وما يستجد قوله في قصيدة يرثي بها أخاه :

أعاذل ما يدريك إلا تظننا إذا رحل السفار من هو راجع
أجزع مما أحدث الدهر بالفتى وأين كريم لم تصبه القوارع
لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى ولا زاجرت الطير ما الله صانع
وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه يعود رمادا بعد إذ هو ساطع
وما البر إلا مضمرات من التقى وما المال إلا معمرات ودائع

قال ابن اسحق : وأتزل الله عز وجل ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ وفي رواية قال عامر : والله لأربطن بكل نخله فرسا . فقال رسول الله : يملكك الله من ذلك وأبناء قبيلة . يعني الأوس والخزرج : وفي صحيح البخاري : إن عامرا أتى النبي ﷺ فقال أخبرك بين خصال ثلاث : يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر ، أو أكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بنظفان بألف أشقر وألف شقراء . فطعن في بيت امرأة فقال : أغدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني فلان ؟ ايتوني بفرسى ، فركب ، فمات على ظهر فرسه

وقدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ، وهي قبيلة كبيرة ينسبون الى عبد القيس بن أفضى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وفي الصحيحين عن ابن عباس أن وفد عبد القيس قدموا ، فقال رسول الله : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : مرحبا بالوند غير خزايا ولا ندامى . فقالوا : يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، وإنما لانصل إليك إلا في شهر حرام ، فرنا بأمر فصل نأخذ به من وراءنا وندخل به الجنة . فقال : أمركم بأربع وأنها لكم عن أربع : أمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم

الخمس . وأنها كم عن أربع : الدباء والحنتم والنقير والمزفت . قاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم » زاد مسلم قالوا : يا رسول الله ما علمك بالنقير ؟ قال : بلى ، جذع تنقرونه ثم تلقون فيه من التمر ثم تصبون عليه الماء حتى يغلي ، فاذا سكن شربتموه ، فمسي أن يضرب ابن عمه بالسيف . وفي القوم رجل به ضربة لذلك . قال : وكنت أخبروها حياء من رسول الله . قالوا : فقيم نشرب يا رسول الله ؟ قال : اشربوا في أسقية الأدم التي ثلاث على أفواهاها . قالوا : يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان لا تبقئ بها أسقية الأدم . قال : وإن أكلتها الجرذان (مرتين أو ثلاثا) . ثم قال رسول الله ﷺ لأشجع عبد القيس : إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة . قال في الهدى : وفي هذه القصة أن الايمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك أصحاب رسول الله والتابعون وتابوهم كلهم . ذكره الشافعي في المبسوط . وفيها أنه لم يعد الحج من هذه الخصال . وكان قدومهم في سنة تسع ، وهذا أحد ما يحتاج به على أن الحج لم يكن فرض بعد ، وأنه إنما فرض في العاشرة

وقدم على رسول الله ﷺ (وفد بني حنيفة) فيهم مسيلمة الكذاب . قال ابن اسحق عن شيوخ من أهل اليمامة : إن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله وخلفوا مسيلمة في رحالم ، فلما أسدلوا ذكروا له مكانه فقالوا : يا رسول إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وركابنا . فأمر له رسول الله بما أمر للقوم وقال : أما أنه ليس بشركم مكانا ، يعني حفظه ضيعة أصحابه . ثم اتصرفوا وجاءوه بالذي أعطاه ، فلما قدم اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وقال : إني أشركت في الأمر معه ، ألم يقل لكم حين ذكرتموني : إنه ليس بشركم مكانا . ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن « لقد أنعم الله على الجبلي ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين شفاف وحشا » ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله أنه نبي . فأصفت معه بنو حنيفة على ذلك . وقد كان كتب لرسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله ، أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر ، وليس قریش قوما يعدلون . فقدم عليه رسوله بهذا الكتاب ، فكتب اليه رسول الله : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله

إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . فكان في آخر سنة عشر . وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : لما قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله فجعل يقول : ان جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته . وقدامها في بشر كثير من قومه ، فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها . ولن تعد أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإن أراك الذي رأيتُ فيه ما رأيت ، وهذا ثابت بن قيس يجيبك غنى . ثم انصرف . قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله ﷺ : وإن أراك الذي رأيت فيه ما رأيت ، فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما ، فأوحى إلي في المنام أن أنفخهما ، فنفختهما ، فأولتهما كذايين يخرجان من بعدي : أحدهما العنسي صاحب صنعاء ، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة . وهذا أصح من حديث ابن اسحاق المتقدم

وقدم (وفد طيء) على النبي ﷺ وفيهم زيد الخليل وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم ، وقال النبي ﷺ : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيتُه دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخليل فإنه لم يبلغ كل ما فيه ، ثم سماه « زيد الخليل » وأقطعه فهد وأرضين معه وكتب بذلك . وخرج من عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه . فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد يقال له فردة أصابته الحمى فمات . كذا ذكر ابن اسحق . قال ابن عبد البر : وقيل مات في آخر خلافة عمر . وفي رواية قال النبي ﷺ « يا زيد تقنلك أم ملدم » يعنى الحمى ، فلما رجع إلى أهله حم ومات . وله ابنان حريث ومكثف أسلما وصحبا رسول الله ﷺ وشهدا قتال أهل الردة

وقدم (وفد كندة) سنة عشر . قال ابن اسحق حدثني ابن شهاب أنهم قدموا في ثمانين أو ستين راكبا من كندة فيهم الأشعث بن قيس ، فدخلوا عليه مسجده وقد رجلوا جميعهم وتسكعوا عليهم جبات الخبرات مكفوفة بالحرير ، فلما دخلوا قال رسول الله ﷺ : أولم تسدوا؟ قالوا : بلى . قال : فما هذا الحرير في أعناقكم ؟ فشقوه ونزعوه فآلقوه . وفي

للسند عن الأشعث بن قيس قال : قدمنا على رسول الله ﷺ وقد كندة ولا يرون إلا أئى أفضاهم ، قلت يا رسول الله أستم منا ؟ قال : لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا نتقى من أئينا . فكان الأشعث يقول : لا أوتى برجل نقى رجلا من قريش من النضر ابن كنانة إلا جلده الحد . قال فى الهدى : وفيه من الفقه أن من كان من ولد النضر فهو من قريش . وفيه جواز اتلاف المال المحرم استعماله كشياب الحرير على الرجال ، وأن ذلك ليس إضاعة وللنبي ﷺ جدة من كندة مذكرة وهى أم كلاب بن مرة وإياها أراد الأشعث . وفيه أن من انتسب الى غير أبيه فقد انتفى من أبيه ، وقفا أمه أى رماها بالفجور . وفيه أن كندة ليسوا من ولد النضر بن كنانة . وفيه أن من أخرج رجلا من نسبه المعروف بجلد حد التذف

قال ابن اسحق : وقدم فروة بن مسيك المرادى مفارقا ملوك كندة ومباعدة لها الى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ فقال : من ذا يصب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوؤه ذلك ؟ فقال له رسول الله : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الى خيرا . واستعمله على مراد وزيد ومدحج كلها . وبث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله وقد كان بين مراد وهدان وقعة قبل الاسلام أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا حتى أئخنوهم فى يوم كان يقال له يوم الردم ، وفى ذلك يقول فروة بن مسيك :

مررت على لفات وهى خوص	ينازعن الأعنة ينتحيننا
فان قلب فغلابوت قدما	وان نقاب فقير مغلبنا
وما إن طبنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخربنا
كذاك الدهر دولته سجال	تكر صروفه حيننا لحبنا
فبينا ما نسر به وبرضى	ولو لبثت غضارته سنبنا
اذ اتقلت به كرات دهر	وأفيت الألى غطوا طحبنا
فمن يغبط بربب الدهر منهم	يجد ربب الزمان له خوونا

فلو خلد الملوك إذا خلدنا ولو بقى الكرام إذا بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومي كما أفنى القرون الأولينا

وقدم عمرو بن معدى كرب على رسول الله ﷺ في أناس من زبيد فأسلم ، ثم رجع
إلى قومه فأقام فيهم وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله ارتد عمرو بن معدى
كرب ثم رجع إلى الاسلام وقتل في قتال المعجم زمن عمر رضی الله عنه

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعريون وأهل اليمن ، روى يزيد بن هرون عن حميد
عن أنس أن النبي ﷺ قال : يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا ، فقدم الأشعريون
فجعلوا يرتجزون :

غدا نأق الأجه محمدا وحزبه

ولمسم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ « جاء أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وأضعف
قلوبا . الإيمان يمان والحكمة يمانية . السكينة في أهل النعم ، والفخر والخيلاء في الفدادين
أهل الوبر قبل مطلع الشمس » وفي البخاري عن عمران أن نفراً من بني تميم جاءوا إلى رسول
الله فقال « أبشروا يا بني تميم » فقالوا ابشرتنا فأعطانا ، فتغير وجه النبي ﷺ ، وجاءه نفر من
أهل اليمن فقال اقبلوا البشري إذ لم يقبلها بنو تميم . قالوا قد قبلنا . ثم قالوا يا رسول جئنا لتنفقه
في الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر ، فقال : كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه
على الماء . وكتب في الذكر كل شيء . انتهى . وليس أراد اجتماع الأشعريين وأهل اليمن في
الوفادة ، فان الأشعريين قد قدموا مع أبي موسى سنة سبع في فتح خيبر ، وقدم هؤلاء
كان سنة الوفود سنة تسع ، ولهذا اجتمعوا مع تميم

وقدم على رسول الله ﷺ سرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزد ،
فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من
أهل الشرك من قبائل اليمن ، فخرج بسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة
مغلقة ربتها قبائل من قبائل العرب ، قال : وقد ضوت إليهم خنعم فدخلوا معهم حين سمعوا

بمسير المسلمين اليهم فحاصروهم قريبا من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم قافلا حتى إذا كان في جبل لهم يقال له سكن ظن أهل جرش أنه إنما ولي عنهم منهزما فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا ، وقد كانت أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر إذ قال رسول الله : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام الجرشيان فقالا : يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كسر ، وكذلك يسميه أهل جرش . فقال : إنه ليس بكسر ولكنه شكر . قال : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن . قال فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما : وبمكما إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما ، تقوما فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فأسألاه ذلك فقال : اللهم ارفع عنهم . فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر ، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم . ذكره ابن اسحق في السيرة

وقدم وفد بنى الحارث بن كعب . قال ابن اسحق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أوجاهدى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فان استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الاسلام ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه . قال فقام فيهم خالد يعلمهم الاسلام ، فكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك ، فكتب إليه رسول الله ﷺ أن أقبل ويقبل معك وفدهم . فأقبل وأقبل معه وفدهم ، منهم قيس بن الحصين ذى الفضة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن الجمل وعبد الله بن قراد وشداد بن عبد الله ، وقال لهم رسول الله ﷺ بم كنتم تغلبون من قاتتكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نفرق ، ولا نبدأ أحدا بظلم . قال صدقتم . وأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا إلى قومهم فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ

وقدم عليه وقد همدان ، منهم مالك بن النبط ومالك بن أيفع وضمام بن مالك وعمرو
ابن مالك فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الخبرات والعمائم المدنية على
الرواحل المهرية ومالك بن النبط يرتجز بين يدي رسول الله يقول :

همدان خير سوقة وأقيال ليس لها في العالمين أمثال
محلها الهضب ومنها الأبطال لها اطابات بها وأكال
ويقول الآخر :

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف
مخطات بحبال اليف *

وذكروا له كلاما كثيرا حسنا فصيحاً ، فكتب لهم رسول الله كتاباً أقطعهم فيه
ما سألوه ، وأمر عليهم مالك بن النبط ، وقال مالك بن النبط شعراً :

ذكرت رسول الله في فحة الدجى ونحن بأعلى رحرحان وصلد
وهن بنا خوص طلائح تعلى بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جصرة تمر بنا مر المجهف الخفيدد
حلفت برب الرافصات إلى منى صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عندذي العرش مهتد
فأحملت من ناقة فوق رحلها أبراً وأوفى ذمة من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه وأمضى بحد المشرقي المهند

وروى البيهقي بسند صحيح عن أبي اسحق أن النبي ﷺ بعث خالداً إلى اليمن يدعوهم
إلى الإسلام ، قال البراء : فسكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم
إلى الإسلام فلم يجيبوا : ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالداً
إلا رجلاً كان ممن مع خالد أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه ، قال البراء : فسكنت فيمن
عقب مع علي ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفوا واحداً ثم تقدم بين

أبدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمت همدان جميعا ، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ ، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان السلام على همدان . وأصل الحديث في صحيح البخاري . ولأحمد وأبي داود والترمذي عن علي قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء ، قال فوضع يده في صدري وقال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه . وقال : يا علي إذا جالس اليك الخصمان لا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر . . الحديث . انتهى

وقدم وفد مزينة على رسول الله ﷺ . روى البيهقي عن النعمان بن مقرن ، قال : قدمنا على رسول الله ﷺ أربعائة رجل من مزينة ، فلما أردنا أن ننصرف قال : يا عمر ، زد القوم . فقال : ما عندي إلا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعا . قال : انطلق فزودهم . قال فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ثم أصددهم إلى علي ، فلما دخلنا إذا فيه من التمر مثل الجمل الأورق ، فأخذ القوم منه حاجتهم . قال النعمان : وكنت في آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع نمرة من مكانها

وقدم وفد نجران عليه ﷺ سنة عشر . قال ابن اسحق وقدم على رسول الله ﷺ وفد نجران بالمدينة ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده ، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده ، فاراد الناس منعهم فقال رسول الله ﷺ : دعوهم . فاستقبلوا للشرق فصلوا صلاتهم . قال وحدثني يزيد بن مفيان عن السلماني عن كرز بن علقمة قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشراهم ، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم : العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيهم وأمره واسمه عبد المسيح ، والسيد تالم وصاحب رحاهم ومجتمعهم واسمه الأيهم ، وأبو حارث ابن علقمة أخو بكر بن وائل أسقفهم وحبهم وإمامهم وصاحب مدراسهم ، وكان قد شرفهم فيهم ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وخدموه

وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما توجهوا إلى رسول الله من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له متوجها إلى رسول الله ، وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسيره ، إذ عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال له كرز : نص الأبعد - يريد رسول الله - فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ، فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله إنه للنبي الأمي الذي ينتظرونه . فقال له كرز : فما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ فقال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وكرمونا ، وقد أيوا إلا خلافة ، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى ، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك

قال ابن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال : حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله فتنازعوا عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا . وقالت النصارى : ما كان إلا نصرانيا فتنازعوا فأنزل الله فيهم ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ﴾ إلى قوله ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ فقال رجل من الأخبار : أتريدنا يا محمد أن نعبدك كما عبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من النصارى : وذلك تريد يا محمد وإليه تدعوننا ؟ فقال رسول الله ﷺ : معاذ الله أن أعبد غير الله وأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعني ولا أمرني . فأنزل الله في ذلك من قولها ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ﴾ إلى قوله ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ ، ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه وإقرارهم به على أنفسهم فقال ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ﴾ الآية . وحدثني محمد بن مهمل بن أبي أمامة قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله يسألوه عن عيسى بن مريم نزل فيهم فاتحة آل عمران الثمانين منها . انتهى

قال ابن اسحق : وكانوا مختلفين في أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة : وكذلك قولهم في النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيى الموتى ويبرئ الأسماع ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ

فيه فيكون طيرا ، وذلك كله بأمر الله وليجعله آية للناس ، ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانهم يقولون لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد ، شئ لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ، ويحتجون في قولهم انه ثالث ثلاثة بقول الله : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كانت واحدا ما قال إلا فعلت وقضيت وأمرت وخلقته ، ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففي ذلك من قولهم تزل القرآن . فلما كلف الخبران قال لهما رسول الله : أسلما . قالا : قد أسلما . قال : إنكما لم تسلما فأسلما . قالا : بل قد أسلما قبلك . قال : كذبتما بمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير . قالا : فمن أبوه ؟ فصمت رسول الله عنها فلم يجبها ، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها فقال ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ فاستفتح السورة في تنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده إياها بالخلق والأمر والإهية ، ردا عليهم ما ابتدئوه من الكفر ، ﴿الحي﴾ الذي لا يموت وقد مات عيسى وصلب في قولهم ، ﴿القيوم﴾ القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى وصلب في قولهم عن مكانه الذي كان به وذهب عنه إلى غيره إلى قوله ﴿هو الذي بصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ أي قد كان عيسى ممن صور في الأرحام - لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه - كما صور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل ؟ ثم قال تنزيها لنفسه وتوحيدها لما مما جعلوا معه ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ في انتصاره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ حجة للرب وعصمة للعباد ودفع للخصوم والباطل ليس لمن تصريف ولا تأويل ﴿وأخر متشابهات﴾ ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ولا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق ، يقول الله ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي ميل عن الهدى ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ أي لتكون لهم الحجة فيما ابتدئوا وأحدثوا ، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ابتغاء الفتنة﴾ أي اللبس ﴿وابتغاء تأويله﴾ ذلك أي على ما راكبوا من الضلالة ﴿وما يعلم تأويله﴾ أي الذي أراده ﴿إلا الله﴾ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴿فكيف يختلف وهو قول واحد من رب واحد؟

ثم ردوا تأويل التشابهة على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتفق بقول الكتاب وصدق بعضه بعضا فنقدت به الحجة وظهر به العذر وزاح الباطل ودمغ به الكفر، يقول الله ﴿ وما يذكر ﴾ في مثل هذا ﴿ إلا أولو الأنساب ﴾ ، إلى قوله ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك ﴾ فيما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه ، وإن قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودماء وشعرا وبشرا ، فليس خاق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنبهل لنعنة الله على الكاذبين ﴾ قال ابن هشام قال أبو عبيدة : نبهل ندعو باللعنة . وقال غيره أي ثم نجتهد في الدعاء ، قال ابن اسحق ﴿ إن هذا ﴾ الخبر الذي جئت به عن عيسى ﴿ هو القصص الحق ﴾ من أمر الله ﴿ وما من اله إلا الله ، وإن الله هو العزيز الحكيم ، فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين . قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجة . فلما أتى رسول الله الخبر عن الله عنه والفصل من القضاء بينهم وبينه وأمر بما أمر به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك . وروى الحاكم بإسناده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران : باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . أما بعد فاني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتُم فالجزية ، فإن أبيتُم فقد آذنتكم بحرب الاسلام . فلما أتى إلى الأسقف الكتاب فقرأه قطع به وذعر ذعرا شديدا ، فبعث به إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة وكان من أهل همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله ، لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب ، فدفع إليه الأسقف كتاب رسول الله فقرأه ، فقال الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله

إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، رأي لو كان من أمر الدنيا أشرت عليك فيه برأى وجهدت لك فيه . فقال الأسقف : تنح فاجلس ، ثم دعا الأسقف رجلا آخر منهم [يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح ^(١)] فقال مثل قول شرحبيل . فبعث إلى آخر [يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب ^(١)] فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله . فلما اجتمع الرأي على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت المسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا نزل أمر بالتهار ، وإذا فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع ، فاجتمع أهل الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيه ، فاجتمع رأي أهل الوادي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن قيس الحارثي فيأتونهم بمخبر رسول الله ، فذكر مجيئهم لرسول الله ﷺ وسؤالهم له عن عيسى عليه السلام ، فأصبح الغد وقد أنزل الله ﷻ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴿ إلى قوله ﴿ لعنة الله على الكاذبين ﴾ فأبوا أن يقرؤا بذلك ، فلما أصبح رسول الله الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتتلا على الحسن والحسين في خميل له وقاطمة تمشي عند ظهره للباهلة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل إن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض مناشرة ولا ظفر إلا هلك . فقال له صاحبه : فما الرأي ؟ فقد وضعتك الأمور على ذراع فبات رأيك . فقال : رأي أن أحكمه ، فاني أرى رجلا لا يحكم شططا أبداً . فقال له : أنت وذاك . فلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت خيرا من ملاعتك . فقال : وما هو ؟ قال شرحبيل : أحكمك ، فما حكمت فبنا فهو جائز . فرجع رسول الله ولم يلاعهم ، حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لنجران ، إذا كان عليهم حكمه : في كل ثمرة وفي كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فافضل عليهم وترك ذلك كله على

(١) عن البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ٥٣

ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وكل صفر ألف حلة ، وكل حلة أوقية ما زادت على
الخرج أو نقصت عن الأوقى فبحساب ، وما قضا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض
أخذ منهم بحساب ، وعلى نجران مائة رسل ومنعهم من عشرين فدونه ، ولا يحبس رسول
فوق شهر . وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا إذا كان كيد باليمن
ذو معذرة ، وما هلك مما أعاروا رسولاً من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على
رسول حتى يؤديه اليهم ، ولنجران وحشيتها جوار الله وذمة النبي على أنفسهم وسكنهم
وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدتهم وعشيرتهم وبيعهم ، وأن لا يغيروا عما كانوا عليه ، ولا
يغير حق من حقوقهم ولا ملاتهم ، ولا يغير سقف من أساقفتهم ولا راهب من رهبانيتهم
ولا وقه من وقهته وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وليس عليهم دية ولا دم جاهلية
ولا ينجسرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل فيهم فيسهم النصف غير
ظالمين ولا مظلومين . ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ منهم رجل
بظلم آخر ، وعلى ما في هذه الصحيفة بجوار الله وذمة محمد رسول الله حتى يأتي الله بأمره
ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مبتلين بظلم . شهد أبو سفيان وغيلان بن عمرو ومالك
ابن عوف والأفرع بن حابس الخنظلي والمغيرة وكتب . حتى إذا قبضوا كتابهم وانصرفوا
إلى نجران نلتقام الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن
عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله إلى
الأسقف ، فبينما هو يقرأ وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كبت يبشر ناقته فتعس بشر - غير
أنه لا يكنى عن رسول الله - فقال له الأسقف عند ذلك : قد والله تعست نبيا مرسلًا . فقال
بشر : لا جرم والله لا أحل عنها عقدا حتى آتية ، فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف
ناقته عليه فقال له : انهم عنى ، إنما قلت هذا ليلبغ عنى العرب مخافة أن يقولوا إما أخذنا حقه ،
أو نجعنا لهذا الرجل بما لم تنجع به العرب ونحن أعزهم وأجمعهم دارا . فقال له بشر : لا
والله لا أقيلك ما خرج من رأسك ، فضرب بشر ناقته وهو مول ظهره للأسقف
وهو يقول :

إليك تغدو قلقا وضيئها معترضا في بطنها جنيها

مخالفا دين النصارى دينها

حتى أتى النبي ﷺ فأسلم ولم يزل مع رسول الله حتى استشهد أبو عاقمة بعد ذلك .
 ودخل الوفد نجران . وروى البخاري عن حذيفة قال : جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى
 رسول الله يريدان أن يلاعناه ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لن
 فلاح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قال إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا
 إلا أميناً . فقال : لا بعثن معكم رجلا أميناً حق أمين حق أمين ، فاستشرف لها أصحاب رسول
 الله ، فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله ﷺ : هذا أمين هذه الأمة
 وله أيضا عن ابن عباس قال أبو جهل : إن رأيت رسول الله يصلي عند الكعبة لآتينه
 حتى أطأ على عنقه . قال فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت
 لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله لرجعوا لا يجدون مالا
 ولا أهلا . انتهى

وفي ذلك من الفقه : مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة ، ووقع ذلك
 لجماعة من العلماء ودعوا إليها سلفا وخلفا . وما عرف بالتجربة أن من باهل - لو كان مبطلا -
 لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة

وفي القصة أيضا أن من عظم مخلوقا فوق منزلته التي يستحقها بحيث أخرجته عن منزلة
 العبودية المحضة فقد أشرك وعبد مع الله غيره ، وذلك مخالف لجميع دعوة الرسل صلوات الله
 وسلامه عليهم (١)

وقول ابن اسحق : إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع
 صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم فقد يظن أنه كلام متناقض لأن الصدقة والجزية لا يجتمعان ،
 وأشكّل منه ما ذكره هو وغيره أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر

(١) بعد هذا بياض بالأصل قدر خمسة أسطر

أو جادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام ثلاثا قبل أن يقاتلهم ، وقد تقدمت القصة عند ذكر وفد بنى الحارث بن كعب ، وتقدم فى قصة أهل نجران أنهم وفدوا وصالحوه على ألى حلة . وجواب هذا أن أهل نجران كانوا صنفين نصارى وأميين ، فصالح النصارى على ما تقدم ، وأما الأميون منهم فبعث اليهم خالدا فأسلموا ، وقدم على النبي ﷺ وفدم . وم الذين قال لم رسول الله : بم كنتم تطلبون من قائلكم الخ . . فقوله بعث عليا إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم أراد به الطائفتين من أهل نجران صدقات من أسلم منهم وجزية النصارى

وقدم وفد دوس وكان قدومهم عليه بخير

وقدم وفد فروة بن عمرو الجذامى وكان عاملا للروم . قال ابن اسحق : وبعث فروة بن عمرو الجذامى إلى رسول الله ﷺ رسولا باسلامه وأهدى اليه بغلة بيضاء وكان عاملا للروم على ما يليهم من العرب ، وكان منزله معان ، فلما باع الروم ذلك طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم صلبوه وقتلوه ، وزعم الزهرى أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

بلغ سراة المسلمين بانى سلم لربى أعظمى ومقامى

وقدم وافد بنى سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة ، فى صحیح البخارى عن أنس بن مالك أنه قال : بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ فى المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال : أيكم محمد ؟ والنبي ﷺ متكى بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المنكئ . فقال له الرجل : يا بن عبد المطاب ؟ فقال له النبي : قد أجبتهك . قال الرجل : إني سائلك ومشدد عليك فى المسألة فلا تجد على فى نفسك . فقال : سل عما بدالك . قال : أسألك بربك ورب من قبلك ، آله أرسالك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم . فقال : نشدتك بالله ، آله أملك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم . قال : نشدتك بالله ، آله أملك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا وتقسمها على فقرائنا ؟ قال النبي ﷺ : اللهم نعم فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورأى من قومى ، وأنا ضمام بن ثعلبة

أخو بني سعد بن بكر . قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن الوليد عن كريب عن ابن عباس قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة واندا إلى رسول الله ، فذكر نحو ما تقدم ، وزاد : قال فاني أشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك : آله أمرك أن نعبده لا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ فقال رسول الله ﷺ : اللهم نعم . ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة ، الصلاة والزكاة والصيام والحج وفرائض الاسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف راجعا إلى بيته . فقال رسول الله ﷺ حين ولى : إن يصدق ذو العقيبتين يدخل الجنة ، وكان ضمام رجلا جلدا أشقر ذا غدبرتين . ثم أتى بيته فأطلق عقاله ثم خرج ، حتى قدم على قومه فاجتمعوا اليه ، وكان أول ما تكلم به ان قال بثت اللات والعزى ، فقالوا : مه يا ضمام ؟ اتق البرص والجنون والجذام . فقال : ويلكم انما ما يضران ولا ينفعان ، وإن الله قد بعث رسولا وقد أنزل عليه كتابا استنقذكم مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وإني جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما . قال ابن عباس : فما سمعنا بوفاء قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة

وذكره الحج في هذه القصة يدل على أن قدوم ضمام كان بعد فرض الحج ، وهذا بعيد ، فالظاهر أن هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة . والله أعلم

وقدم وفد طارق بن عبد الله وقومه ، وفي رواية ابن اسحاق قال طارق : ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد ، فإذا هو قائم على المنبر يخطب ، فأدركنا من خطبته وهو يقول : تصدقوا فان الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، وأدائك أدناك ، إذ أقبل رجل من بني يربوع . أو قال من الأنصار . فقال : يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية ، فقال : ان أما لا نجني على ولد (ثلاث مرات)

وقدم وفد نجيب سنة تسع وهم من السكون ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا معهم صدقات

أموالهم التي فرض الله عليهم ، فقال رسول الله : ردوها فاقسموها على فقرائكم . فقالوا : يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما وفد العرب بمثل ما وفد به هذا الحى من نجييب . فقال رسول الله ﷺ : ان الهدى بيد الله ، فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان . وسألوا رسول الله فكتب لهم بها ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن . فزاد رسول الله فيهم رغبة . وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم ، فلما أرادوا أن ينصرفوا أمر بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود . قال : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام خلفناه على رحالنا . قال : أرسلوه إلينا . فجاء الغلام فقال : يا رسول الله ، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي ، إني والله ما حملني من بلادى إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي ويجعل غناى في قلبي . قال رسول الله : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم . ووافوا رسول الله في الموسم بمضى سنة عشر فقالوا : نحن بنوا يدى . فقال : ما فعل الغلام الذى أتانى معكم ؟ قالوا : يا رسول الله ما رأينا مثله قط ، ولا حدثنا بأفنع منه بما رزقه الله ، لو أن الناس اقسوا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها . فقال : الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعا . فقال رجل منهم : أو لبس الرجل يموت جميعا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله : تشعب أهواؤه وهومته في أودية الدنيا ، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله في أيها ملك قالوا : فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأبقعه بما رزق . فلما توفي رسول الله ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكرهم الله والإسلام ، فلم يرجع منهم أحد . وجعل أبو بكر الصديق يذكره ويسأل عنه حين بلغه حاله وما قام به ، فكتب إلى زياد بن أسد يوصيه به خيرا

وقدم وفد بنى سعد هذيم بن قضاة في سنة تسع وهم من أهل اليمن ، وقدم وفد بنى فزارة سنة تسع ، قال أبو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء : ولما رجع رسول الله من تبوك قدم عليه وفد بنى فزارة بضممة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحرب بن قيس ابن أخو عيينة بن حصن وهو أصغرهم فنزلوا في دار بنت الحارث ، وجاءوا رسول الله مقربين بالإسلام

وهم مستنون على ركاب هجاف ، فسألهم رسول الله عن بلادهم فقال أحدهم : يا رسول الله أسنت بلادنا وهلكت مواشينا وجدبت جناننا وغرث عيالنا ، فادع لنا ربك يفتينا ، وتشفع لنا إلى ربك وليشفع ربك اليك . فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله ، ويلكم إنما شفعت إلى ربي عز وجل ، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه ، لا إله إلا هو العظيم ، وسع كرسيه السموات والأرض ، فهي تنط من عظامته وجلاله كما يبط الرجل الجديد . وقال رسول الله ﷺ : إن الله يضحك من شفقتكم وأزلكم وقرب غيائكم . فقال الأعرابي : يا رسول الله ويضحك ربنا ؟ قال : نعم . فقال الأعرابي : لن نعلمك من رب يضحك خيرا . فضحك النبي ﷺ من قوله . وصعد المنبر فتكلم بكلمات ، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا رفع الاستسقاء ، فرفع يديه حتى رؤى بياض ابطنه ، وكان مما حفظ من دعائه : اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريحا مريحا طبقا وانسعا عاجلا غير آجل نائما غير ضار . اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق . اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء .

وقدم وفد بنى أسد على رسول الله ﷺ عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد ، ورسول الله جالس في المسجد مع أصحابه فتكلموا ، فقال متكلمهم : يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله وجنتك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ، ونحن لمن وراةنا . قال محمد بن كعب القرظي : فأنزل الله على رسوله ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تُمِنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَعَكُمْ ﴾ الآية . وكان مما سألوا رسول الله عنه يومئذ العيافة والسكمانية وضرب الحمى ، فهام عن ذلك كله . قالوا : أرأيت خصلة واحدة بقيت ؟ قال : وما هي ؟ قالوا : الخط . قال : علمه نبي من الأنبياء ، فمن صادف مثل علمه علم

وقدم وفد بهراء من اليمن سنة تسع ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا ، ونزلوا على المقداد بن عمرو وأقاموا أياما وتعلموا الفرائض ، ثم ودعوا رسول الله وأمر لهم بالجوائز وانصرفوا إلى بلادهم

وقدم وفد عذرة في سنة تسع ، وكانوا اثني عشر رجلا ، منهم حمزة بن النعمان فقال رسول الله ﷺ : من القوم ؟ فقال متكلمهم : ممن لا تفكر ، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه ، نحن الذين عضدوا قصبيا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبنو بكر ، ولنا قرابات وأرحام . فقال رسول الله : مرحبا بكم وأهلا ، ما أعرفني بكم . فأسلموا وبشرهم رسول الله بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده ، ونهاهم عن سؤال السكاهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها ، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية . ثم الصرفوا إلى بلادهم وقد أجزوا

وقدم وفد بليّ في ربيع الأول سنة تسع ، فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي ، فقال رسول الله : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا في الغي والضلال ، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار . ثم ودعوا رسول الله بعد أن أجازهم . وقال له أبو الضبيب شيخ الوفد : يا رسول الله إني رجل في رغبة من الضيافة ، فهل لي في ذلك أجر ؟ قال : نعم ، وكل معروف صنمته إلى غنى أو فقير فهو صدقة . قال : يا رسول الله كم وقت الضيافة ؟ قال : ثلاثة أيام . ما كان بعد ذلك فصدقة ، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك حتى يخرجك

وقدم وفد ذي مرة ، وكانوا ثلاثة عشر ، ورئيسهم الخثعمي بن عوف ، فقال رسول الله ﷺ : كيف البلاد ؟ فقالوا : والله إنا لمسنتون فادع الله لنا . فقال : اللهم استقم الغيث . ثم أقاموا أياما ورجعوا بالجائزة ، ووجدوا بلادهم قد أمطرت في ذلك اليوم الذي دعاهم فيه رسول الله ﷺ

وقدم وفد خولان في شعبان سنة عشر ، وكانوا عشرة مسلمين ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه ؟ قالوا : أبدلنا الله ما جئت به ، إلا أن عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به ، وإن قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله . ثم أعلمهم فرائض الدين ، وأمرهم بالوفاء بالعهد والأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا ، ثم أجازهم ورجعوا إلى قومهم وهدموا الصنم

وقدم محارب عام حجة الوداع ، وكانوا أنظ العرب وأغابهم عليه أيام عرضه نفسه على

القبائل يدعوهم إلى الله ، فجاءه منهم عشرة فأسلموا ثم انصرفوا إلى أهلهم
وقدم وفد صداء في سنة ثمان فأسلموا ، وهم خمسة عشر رجلا ، فبايعوه على الاسلام
ورجعوا إلى قومهم ، ففشا فيهم الاسلام ، فوفى رسول الله منهم مائة رجل في حجة
الوداع ، ذكره الواقدي

وقدم وفد غسان في شهر رمضان سنة عشر ، وكانوا ثلاثة نفر ، فأسلموا وأجازهم
رسول الله وانصرفوا راجعين وقالوا : لا ندرى أينبعنا قومنا أم لا ، وهم يحبون بقاء ملككم
وقرب قيصر ، فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم ، وكتبوا اسلامهم حتى مات منهم
رجلان على الاسلام ، وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب عام اليرموك فلقى أبا عبيدة
نخبره باسلامه فكان يكرمه

وقدم وفد سلامان في شوال سنة عشر كما قال الواقدي ، وهم ستة عشر نفراً فأسلموا ،
وشكوا اليه جذب بلادهم فدعاهم ، ثم ودعوه وأمرهم بالجواز ، فرجعوا إلى بلادهم
فوجدوها قد أمطرت ، ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه تلك الساعة

وقدم وفد عبس فقالوا : يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن
لا هجرة له ، ولنا أموال ومواش ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا . فقال
عليه السلام : اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئا ، وسألم رسول الله عن
خالد بن سنان هل له عقب ؟ فأخبروه أنه لا عقب له ، كانت له ابنة فأنقضت ، وأنشأ
رسول الله يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال : نبي ضيمه قومه

وقدم وفد عامر كما قال الواقدي ، وكانوا عشرة فأقروا بالاسلام ، وكتب لهم كتابا
فيه شرائع الاسلام ، وأمر أبي بن كعب فعلمهم قرآنا وأجازهم عليه السلام وانصرفوا

وقدم وفد الأزدي سنة عشر ، ذكر أبو نعيم في معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى
المديني من حديث أحمد بن أبي الخوارى قال : سمعت أبا سليمان الداراني قال : حدثني علقمة
ابن يزيد بن سويد الأزدي قال : حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال : وفدت

سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنا عليه وكنناه وأعجبته ما رأى من سمنا وزينا فقال : من أنتم ؟ قلنا : مؤمنون . فتبسم رسول الله ﷺ وقال : لكل قوم حقيقة ؛ فما حقيقة قواكم وإيمانكم ؟ قلنا : خمس عشرة خصلة : خمساً أمرنا رسلك أن تؤمن بها ، وخمساً أمرتنا أن نعدل بها ، وخمساً تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً . فقال رسول الله ﷺ : ما الخمس التي أمرتكم ربي أن تؤمنوا بها ؟ قالوا : أمرتنا أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والبعث بعد الموت . قال : وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ قلنا أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤدى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً . قال : وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق في موطن اللقاء ، وترك الشماناة بالأعداء . فقال رسول الله ﷺ : حكاء علماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . ثم قال : وأنا أزيدكم خمساً فتم لكم عشرون خصلة : إن كنتم كما تقولون فلا تجميعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء . أنتم عنه غدا زائلون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا في ما عليه تقدمون وفيه تخلدون . فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وقد حفظوا وصيته وعملوا بها

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني المنتفق ، روى الامام عبد الله بن أحمد في مسند أبيه قال : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى : كتبت إليك هذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث به عنى . قال : حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى عن دلم بن الأسود ابن عبد الله بن حاطب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر . قال دلم : وحدثني أبي الأسود بن عبد الله عن عاصم بن لقيط ، أن لقيط بن عامر خرج واندا الى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله ﷺ ، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيباً فقال : يا أيها الناس ، ألا إني قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام

لتستمعوا اليوم ، ألا فهل من امرى بعته قومه فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله ؟
 ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال . ألا وإني مستول ،
 هل بافت ؟ ألا اسمعوا تعيشوا . ألا اجلسوا . فجلس الناس . وقت أنا وصاحبي حتى إذا
 فرغ لنا فؤاده ونظره قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟ فضحك لعمر الله وعلم
 أنى أبتنى السقط فقال : صن ربك بمفاتيح خمس من الغيب ، لا يعلمها إلا الله - وأشار
 بيده - قلت : ما هن يا رسول الله ؟ فقال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه . وعلم
 متى يكون في الرحم ، قد علمه ولا تعلمونه . وعلم ما في غد ، قد علم ما أنت صانع ولا
 تعلمه . وعلم يوم النيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك وقد علم أن خوفكم
 إلى قريب . قال لقيط فقلت : إن نعدم من رب يضحك خيرا يا رسول الله . وقال : وعلم
 الساعة . قلت : يا رسول الله علمنا بما تعلم الناس وتعلم ، فأنا من قبيل لا يصدق تصديقنا
 أحد من مذحج للتي تربو علينا وختمهم التي توألينا وعشيرتنا . قال : تلبسون فيها ما لبثتم ثم
 يتوفى نبيكم ثم تبعث الصائحة ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئا إلا مات ، والملائكة
 الذين مع ربك عز وجل ، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وختل البلاد ،
 فأرسل ربك السماء بهضبان عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل
 ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه عند رأسه فيستوى جالسا ، فيقول ربك :
 مهيم ؟ لما كان فيه . فيقول : يا رب أمس اليوم . لعنده بالحياة يحسبه حديثا بأهله . قلت :
 يا رسول الله ، فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟ قال : أنبتك بمثل
 ذلك في آلاء الله ، الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية . فقلت لا تحيي أبدا ، ثم
 أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة ، ولعمر
 إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فتخرجون من الأصوات
 من مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم . قال قلت : يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض
 وهو شخص واحد ينظر إلينا ونظر إليه ؟ قال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله ، الشمس
 والقمر آية منه صغيرة ترونها وبريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتها . قلت :
 يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى

عليه خافية ، فيأخذ ربك بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم ، فلعمرك إلهك ما تخطى وجه أحد منهم قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرابطة البيضاء ، وأما الكافر فتخطمه بمثل الحميم الأسود . ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون ، فيسلكون جسراً من النار يظأ أحدهم الجمره يقول : حس ، يقول ربك عز وجل : أو انه . فتطلعون على حوض نبيكم على أظلماء والله ناهية قط ما رأيتموها ، فلعمرك إلهك ما يبسط أحدكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى ، وتخنس الشمس والقمر فلا ترون منها واحدا . قال قلت : يا رسول الله فيم نبصر ؟ قال بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار . قال قلت : يا رسول الله فيم نجزي من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال : الحسنه بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، إلا أن يعفو الله . قال قلت : يا رسول الله ما الجنة ، ما النار ؟ قال : لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ، ما منها بايان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منها بايان إلا يسير الراكب سبعين عاما . قال قلت : يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عمل مسقى ، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن . وقا كفة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله أولنا فيها أزواج ، ومنهن مصلمات ؟ قال : المصلمات للمصلحين ، وفي لفظ الصالحات للمصلحين ، تلدونهن ويلدذنكم مثل لذاتكم في الدنيا ، غير أن لا توالد . قال اقمط فقلت : يا رسول الله أقصى ما نحن بالفنون ومنتهمون إليه ؟ قال : ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(١) . قلت : يا رسول الله على م أبايعك ؟ فيسقط النبي ﷺ يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره . قال قلت : يا رسول الله وأن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فيقبض النبي ﷺ يده ونحن أن مشقراط ما لا يعطينيه . قال قلت : نحل منها حيث شئنا ، وأن لا يجي على أمرنا إلا نعد . فيبسط يده وقال : له

(١) قال في الأصل وجدت في نسخة أخرى ما صور به : فلم يعد الله ﷻ

ذلك ، تحمل حيث شئت ، ولا يجنى عليك إلا نفسك . قال فانصرفنا عنه . ثم قال : ها إن ذين ، ها إن ذين (مرتين) . من أتقى الناس في الأولى ، والآخرة . فقال له كعب بن الخدارية أحد بني بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق بنو المنتفق ، أهل ذلك منهم . قال فانصرفنا . وأقبلت عليه فقلت : يا رسول الله ، هل لأحد ممن مضى من خير في الجاهلية ؟ فقال رجل من عرض قريش : إن أباك المنتفق لفي النار . قال فكأنه وقع حرب بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي علي رؤوس الناس ، فهمت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ قال : وأهل لصر الله . حيث ما أتيت عليه من قبر كافر عامري أو قرشي أو دوسي قل : أرساني إليك محمد ، فأبشر بما يسوؤك ، تجر على وجهك وبطنك في النار . قال قلت : يا رسول الله وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحبون إلا إياه ، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون ؟ قال ﷺ : ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبيا ، فمن يعصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .

قال ابن القيم رحمه الله : هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة ، لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن المدني ، رواه عنه إبراهيم ابن حمزة الزبيرى ، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح ، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن اسمعيل البخارى وزواه أئمة السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والالتقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ، ولا في أحد من رواه . قال أبو عبد الله بن منده : وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة ، منهم أبو زرعة الرازى وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن اسمعيل ، ولم ينكره أحد ، ولم يتكلم في إسناده ، بل روه على سبيل القبول والتسليم ، ولا ينكر هذا الحديث الا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة . هذا كلام ابن منده رحمه الله . وقوله « نهضب » أى « نظر » والأصواء « القبور » ، « والشربة » بفتح الراء الحوض الذى يجتمع فيه الماء وبالسكون الحنطة ، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت شربت ، وعلى رواية السكون يكون قد شبه الأرض

بمخضرتها بالنبات بمخضرة الحنطة واستوائها . وقوله « حس » هي كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما يحرقه على غفلة أو يؤلمه ، قال الأصمعي : وهي مثل أوه . وقوله « يقول ربك أو انه » قال ابن قتيبة : فيه قولان أن يكون « انه » بمعنى نعم ، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك أو انه على ما يقول . و « الطوف » الغائط . وفي الحديث : لا يصلح أحدكم وهو يدافع الطوف والبول . و « الجسر » الصراط . وقوله « مهيم » أي ما شألك وما أمرك وفيه كنه ؟ وقوله « أزلين » الأزل بسكون الزاي الشدة والأزل على وزن كنف هو الذي أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط . وقوله « فيظل بضحك » هو من صفات أفعاله سبحانه التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته . وقوله « حتى يخلفه من عند رأسه » هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده ، شبه النشأة بعد الموت باختلاف الزرع بعد ما حصد ، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع . وقوله « يقول يا رب أمس اليوم » استقلالاً لمدة لبثه في الأرض ، وكأنه لبث فيها يوماً فقال أمس ، أو بعض يوم فقال اليوم ، يحسب أنه حديث عهد بأهله وإنما فارقهم أمس أو اليوم . وقوله « على أظماً والله ناهلة قط » الناهلة المطاش الواردون للماء ، أي يردونه أظماً ما هم عليه . وقوله « وتخنس الشمس والقمر » أي يختفيان وينخنسان ولا يريان ، الانخناس التوارى والاختفاء ، وقوله « ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً » يحتمل أن يريد به أن بعد ما بين الباب والباب هذا المقدار ، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين ، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين : أحدهما أنه لم يصرح به راويه بالرفع بل قال ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين أربعين عاماً ، والثاني أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير وبطئه . وقوله « أقصى ما نحن بالفوز ومنتهون إليه » لا جرائب عند المسافة ، لأنه إن أراد أن أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله ، وإن أراد أقصى ما نحن منتهون إليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما تنتهي إليه من ذلك ، وإن كان الانتهاء إلى نعيم أو جحيم ، ولهذا لم يحبه صلى الله عليه وسلم . وقوله في عقد البيعة « وزيال الشرك » أي مفارقتة ومعاداته فلا يجاوره ولا يواليه كما في الحديث الذي في السنن « لا تراءى ناراهما »

يعنى المسلمين والمشركين . وقوله « حيث ما سررت بغير كافر قتل : أرسلنى اليك محمد » هذا إرسال قهريع وتوبيخ ، لا تبليغ أمر ونهى ، وفيه دليل على سماع أهل القبور كلام الأحياء ، وخطابهم لهم ، ودليل على أن من مات مشركا فهو فى النار وإن مات قبل البعث ، لأن للمشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام واستبدلوا بها الشرك وارتكبهوه ، وليس معهم حجة من الله به ، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوما من دين الرسل كلهم ، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرنا بعد قرن ، فله الحجة البالغة على المشركين وقدم على رسول الله ﷺ وفد النخع ، وهم آخر الوفود قدوما عليه ، فى نصف المحرم سنة إحدى عشرة فى مائتى رجل ، فنزلوا دار الأضياف ، ثم جاءوا رسول الله مقرنين بالاسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث معاذا إلى اليمن قبل ذلك هو وأبا موسى الأشعري كل واحد منهما على مخالاف ، قالوا : واليمن مخلاقان ثم قال : يسرا ولا تسر ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تخالفا . وقال لمعاذ « إنك ستأتى قوما من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فان هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابن عباس . والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء بلغة أهل اليمن الكورة والاقليم . وروى أنه قال له « يا معاذ ، إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة ، فأخبرهم أن مفاتيح الجنة « لا إله إلا الله » وأنها تمخرق كل شىء حتى تنتهى إلى الله ولا تحجب دونه ، من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب » . فقال معاذ : رأيت ما سئلت عنه واختصم إلى فيه مما ليس فى كتاب الله ولم أسمع منك سنة الله ؟ فقال « تواضع يرفعك الله ، ولا تقضين إلا بعلم ، فان أشكل عليك أمر فسل ولا تستحى ، واستشر ثم اجتهد ، فان الله إن علم من قبلك الصديق يوفقك ، فان التبس عليك فقف حتى تنتبه أو تكتب إلى فيه ، واحذر الموى

فانه قائد الأشقياء إلى النار . وعليك بالرفق » وفي رواية أنه قال له لما بعثه إلى اليمن « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أفضى بكتاب الله . قال فان لم تجد في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله . قال : فان لم تجد في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . قال فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : الحمد لله الذي سدد رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » رواه الترمذى وأبو داود والدارمى . والبخارى أن أبا موسى قال : يا رسول الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر وشراب من الصل البتع ، فقال : كل مسكر حرام . فانطلقا . فقال معاذ لأبي موسى : كيف تقرأ القرآن ؟ قال : قائماً وقاعدا وعلى راحلتى ، وأتفوقه تفوقاً . قال : أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتى كما احتسبت قومتى . فضرب فسطاطاً فجعلاً يتزوران ، فزار معاذ أبا موسى ، فإذا رجل موثق ، فقال : ما هذا ؟ فقال أبو موسى : يهودى أسلم ، ثم ارتد . فقال معاذ : لأضربن عنقه . انتهى

رجعنا إلى حديث الوفد . فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو : يا رسول الله إنى رأيت فى سفرى هذا عجيباً . قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت أننا تركتها فى الحى كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى . فقال له رسول الله : هل تركت أمة لك مصرة على حمل ؟ قال نعم . قال : فانها ولدت لك غلاماً وهو ابنك . قال : يا رسول الله ما باله أسفع أحوى ؟ قال : ادن منى فدنا منه ، فقال : هل بك من برص تكتمه ؟ قال : والذى بعثك بالحق ما علم به أحد من الأنبياء عليه غيرك . قال : يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان . قال : ذلك ملك العرب إلى أحسن زيه وبهجهته . قال : يا رسول الله ورأيت عجوزاً شمطاء خرجت من الأرض . قال : تلك بقية الدنيا . قال : ورأيت ناراً خرجت من الأرض فجالت بين يدي . قال : ابن لى يقال له عمرو وهى تقول : لظى لظى ، بصير أعمى ، أطعمونى أكلكم وأما لكم ما لكم . قال رسول الله ﷺ : تلك فتنة تكون فى آخر الزمان . قال : يا رسول الله وما الفتنة ؟ قال : يقتل للناس إمامهم ويشجعرون اشتجار أطباق الرأس - وخالف رسول الله بين أصابع - بحسب المسىء فيها أنه محسن ، يكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء ، إن مات ابنك أدركت الفتنة ، وإن مات أدركها ابنك . قال : يا رسول الله ادع الله أن

لا أدركها . فقال له رسول الله : اللهم لا يدركها . فمات وبقى ابنه ، وكان ممن خلع عثمان .
والله أعلم

فصل

قالوا وفي هذه السنة - سنة تسع - بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى تخريب ذي
الخلصة وقد تقدم ذلك في ذكر أصنام العرب في أول الكتاب^(١) . قالوا : وفيها بعث جرير
ابن عبد الله إلى ذي الكلاع فأسلم وأسلمت امرأته خزيمة بنت أبرهة بن الصباح ، واسم ذي
الكلاع سميفع ، وكان قبل ذلك قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية فأطبع ، ووفد ذو
الكلاع في خلافة عمر ومعه ثمانية عشر ألف عبد ، وأعتق من عبيده أربعة آلاف ، قال :
يا أمير المؤمنين لي ذنب ما أظن أن الله يفره . قال : وما هو ؟ قال : تواريت يوماً ممن
يتعبدني ، ثم أشرفت عليهم من مكان عال فسجد لي زهاء مائة ألف إنسان . فقال عمر :
التوبة باخلاص والانابة باقلاع يرجى بهما مع رافة الله الغفران . وفي رواية أعتق ذو
الكلاع اثني عشر ألف بيت ، وقتل بصفين

وفيها في يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ
وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، ودفن بالبقيع ، ورش قبره وعلم بعلامة . قال الزبير : وهو أول
قبر رش ، وقيل صلى عليه بالبقيع ، وقيل لم يصل عليه . وقال ﷺ « القلب يحزن والعين
تدمع ، ولا تقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون »

وفيها انكسفت الشمس يوم موت إبراهيم ، فقال الناس : إنما كسفت لموت إبراهيم ،
قال رسول الله ﷺ : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد
ولا لحياته » رواه الشيخان . قيل الغالب الكسوف في الثامن والعشرين فكسفت يوم مات
إبراهيم في العاشر فلذلك قالوا كسفت لموته

قالوا : وفيها طاع جبريل على مجلس النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب
شديد سواد الشعر وطيب الرائحة وحسن الوجه ، رآه حضار المجلس لا يرى عليه أثر السفر

(١) في الصفحة ٣٣

ولا يعرفه أحد ، فجاء حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذه وسأله عن الإسلام والإيمان والاحسان والقيامة وأماراتها ، فأجاب النبي ﷺ عن غير القيمة وقال فيها : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . فخرج جبريل من المجلس ، فأمر النبي ﷺ حتى طلبوه فما وجدوه ، قال ﷺ : أتدرون من السائل ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : انه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . أخرجه مسلم من حديث عمر ، والبخارى من حديث أبي هريرة

وفيها قدم فيروز الديلمي المدينة فأسلم ، وهو الذي قتل الأسود العنسي الكذاب المتنبئ
قتله في الحادية عشرة من الهجرة

قال ابن اسحق : وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما وطئ الإسلام ، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها . وبعث زياد بن لييد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها . وبعث عدى بن حاتم على كل طي وصدقاتها وعلى بنى أسد . وبعث مالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة . وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية ، وقيس ابن عاصم على ناحية . وبعث الملاء بن الحضرمي على البحرين . وبعث على بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم

حجة الوداع ، وتسمى حجة الاسلام وحجة التمام

قال ابن اسحق : فلما دخل على رسول الله ﷺ شهر ذي القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له انتهى . وذلك سنة عشر ، فأجمع الخروج إلى الحج . وفي البخارى عن زيد ابن أرقم أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة حجة الوداع ولم يحج بعدها ، وأخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله : حج رسول الله ﷺ ثلاث حجج حجبتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة . هذا لفظه وصححه الحاكم . قال ابن حزم : حج رسول واعتمر قبل النبوة وبعدها وقبل الهجرة حججا وعمراً لا يعرف عددها .

ولم يحج عليه السلام بعد أن هاجر إلى المدينة إلا حجة واحدة وهي حجة الوداع سنة عشر ، واعتمر بعد أن هاجر إلى المدينة أربع عمر : عمرتين مفردتين قصد بهما في ذي القعدة وأتمها ، إحداهما عمرة القضية سنة سبع ، والأخرى عمرته من الجعرانة عام ثمان إثر وقعة حنين في ذي القعدة أيضا ، واعتمر عمرة ثالثة قرنهما مع حجة الوداع ، والرابعة عمرته التي صدده عنها المشركون سنة ست في ذي القعدة عام الحديبية . فخرج ﷺ من المدينة بعد ما صلى الظهر بها أربعاً ثم ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها وجوه الإحرام وواجباته وسننه ، يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة ، ثبت في الصحيحين : صلينا مع النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً ، والعصر بذي الحليفة ركعتين . ولمسلم عن جابر : أذن رسول الله في الناس في العاشرة وأعلم الناس أنه حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يريد أن يأتهم برسول الله ويعمل بمثل عمله انتهى . وخرج معه عليه الصلاة والسلام تسعون ألفاً ويقال مائة وأربعة عشر ألفاً ويقال أكثر كما حكاه البيهقي ، وكان أول ذي الحجة يوم الخميس ، وخرجه من المدينة يوم السبت كما تقدم ، ودخوله مكة صبح رابعة ذي الحجة كما ثبت في حديث عائشة ، وذلك يوم الأحد ، فيسكون المسكن في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى ، وكانت الوقفة يوم الجمعة . وأخرج ﷺ معه نسائه كلهن في الهوداج ، وساق معه الهدى هو وأبو بكر وعمر وذوو اليسار من أصحابه ، فقلده وأشعره ، وبات بذي الحليفة وقال : أتاني الليلة آت من ربي وقال : صل بهذا الوادي المبارك ، وقل : عمرة وحجة . رواه البخاري عن عمر ، وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر ، فصلى بها خمس صلوات وطاف على نسائه كلهن تلك الليلة . فلما أراد الإحرام اغتسل غسلًا ثانيًا لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيدها بذيرة وطيب فيه مسك في يده ورأسه حتى كان ويبص للمسك يرى في مفارقه ولحيته ، ثم استدأمه ولم يغسله ، ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين ، ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه ، وقرن بينهما ، ولم ينتقل أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر ، وكان قارنًا بين الحج والعمرة لبضعة وعشرين دليلًا ذكرها في الهدى . ولمسلم عن جابر ، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت نافته على اليداء نظرت إلى مد بصرى

بين يديه من راكب وماش وعن يمينه بمثل ذلك وعن شماله بمثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد : لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . وأهل الناس بهذا الذي يهلون به ، فلم يرد رسول الله شيئاً منه . ولزم رسول الله تليته . قال جابر : لسنا نرى إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة . وفي الصحيحين عن عائشة ، خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع ، ففنا من أهل بصرة ، ومنا من أهل بحج وعمره ، ومنا من أهل بالحج ، وأهل رسول الله بالحج . فأما من أهل بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلم يخلق حتى كان يوم النحر . انتهى . وجمع شيخ الإسلام ابن تيمية بين الأحاديث المختلفة في صفة حجه ﷺ بأن قال : والصواب أن الأحاديث في هذا الباب متفقة ليست بمختلفة إلا اختلافاً يسيراً يقع مثله في غير ذلك ، فإن الصحابة ثبت عنهم أنه تمتع ، والتمتع عندهم يتناول القرآن ، والذين روى عنهم أنه أفرد روى عنهم أنه تمتع كما في الصحيحين عن عمران أن رسول الله ﷺ جمع بين حج وعمره ، ثم إنه لم يبه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يخرمه . وفي رواية عنه تمتع نبي الله و تمتعنا معه ، فهذا عمران وهو من أجل السابقين الأولين أخبر أنه تمتع ، وأنه جمع بين الحج والعمرة . والقارن عند الصحابة تمتع ، ولهذا أوجبوا عليه الهدى ، ودخل في قوله تعالى ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ ، وما ذكره بكر بن عبد الله المزني أنه لبي بالحج وحده فجوابه أن الثقات الذين هم أثبت في ابن عمر - مثل سالم ابنه ونافع - رووا عنه أنه قال : تمتع رسول الله بالعمرة إلى الحج . فتغليب بكر أولى من تغليب سالم . ويشبه أن ابن عمر قال له « أفرد الحج » فظن أنه قال لبي بالحج ، فإن أفراد الحج كانوا يطلقونه ويريدون به أفراد أعمال الحج ، وذلك رد منهم على من قال إنه قرن قرآناً طاف فيه طوافين وسعى فيه سعيين ، وعلى من يقول إنه حل من إحرامه ، فرواية من روى من الصحابة أنه أفرد الحج فهم ثلاثة عائشة وابن عمر وجابر ، والثلاثة نقل عنهم التمتع ، وحديث عائشة وابن عمر أنه تمتع بالعمرة والحج أصح من حديثها عنه أنه أفرد الحج ، وما صح من ذلك عنها فمعناه أفراد أعمال الحج أو أن يكون وتم فيه

غلط كفظائه ، فان أحاديث التمتع متوافرة رواها أكابر الصحابة كعمر وعلي وعثمان وعمران ابن حصين ، بل رواها عن النبي ﷺ بضعة عشر من الصحابة والله أعلم . قلت : وهذا الكلام من أحسن ما يجمع لك بين الأحاديث في هذا الباب ، وبه يتفق معناه

عدنا إلى سياق حجته ﷺ . ولبد رسول الله رأسه بالغسل ، وهو بالغين المعجمة على وزن كفل ، وهو ما يغسل به الرأس من خطمي ونحوه يلبد به الرأس حتى لا ينتشر ، وأهل في مصلاه ، ثم ركب على ناقته فأهل أيضا ، ثم أهل لما استقلت به على البيداء . قال ابن عباس : وأيم الله لقد أوجب في مصلاه ، وأهل حين استقلت به ناقته ، وأهل حين علا شرف البيداء . وكان يهل بالحج والعمرة تارة ، وبالحج تارة ، لأن العمرة جزء منه ، فمن ثم قيل قرن ، وقيل تمتع ، وقيل أفرد . ثم لبي وأمر الصحابة بأمر الله أن يرفضوا أصواتهم بالتلبية . وكان حجه على رحل ، لا في محمل ولا هودج ولا عمارية

ثم انه ﷺ خير أصحابه عند الاحرام بين الأنساك الثلاثة : القران ، والتمتع الخاص ، والإفراد . ثم نديهم عند دنوهم من مكة إلى فسخ الحج والقران إلى العمرة لمن لم يكن معه هدى ، ثم حتم ذلك عليهم عند اللروة

وولدت أسماء بنت عميس بذي الحليفة محمد ابن أبي بكر ، فأمرها رسول الله أن تفتل وتستقر بثوب وتحرم وتهل ، ففي هذه ثلاث سنن : غسل المحرم ، وأن الحائض تفتل لإحرامها ، وأن الإحرام يصح من الحائض . ثم سار رسول الله ولزم تلبيته والناس يزيدون فيها وينقصون منها وهو يقرم ولا ينكر عليهم ، فلما كان بالروحاء رأى حمار وحش عقيرا فقال : دعوه فانه يوشك أن يأتي صاحبه ، فجاء صاحبه فقال : يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار . فأمر رسول الله أبا بكر أن يقسه بين الرفاق . وفي هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذا لم يصد لأجله ، وأن الهبة لا تفقر إلى لفظ وهبت ، وجواز قسمة اللحم مع عظامه بالتحري ، وأن الصيد يملك بالإثبات ، وعلى أكل الحمار الوحش ، وعلى التوكل في القسمة ، وعلى كون القاسم واحدا

ثم مضى حتى إذا كان بالاثاية بين الرويثة والمرج إذا ظبي حاقف في ظل فيه نيم ، فأمر

رجلا أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس . والفرق بين هذا والذي قبله أن الذي صاد الحمار كان حلالا فلم يمنع من أكله ، وهذا لم يعلم أنه حلال فلم يأذن في أكله للمحرم . وفيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يجعله بمنزلة الميتة في عدم الحل ، إذ لو كان حلالا لم يضيع ماليته . ثم سار حتى نزل بالعرج وكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة ، وكانت مع غلام لأبي بكر ، فجلس رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى جانبه وعائشة إلى جانبه الآخر وأسماء زوجته إلى جانبه وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير ، فقال : أين بعيرك ؟ فقال : أضلته البارحة . فقال بعير واحد تفضله ! قال فطلق بضربه ورسول الله يتسم ويقول : انظروا إلى المحرم ما يصنع ؟ وما يزيد رسول الله أن يقول ذلك ويتسم . ومن تراجم أبي داود على هذه القصة « باب المحرم يؤدب »

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالابواء أهدي له الصعب بن جثامة عجز حمار وحش ، فرده عليه وقال : إنا لم نرده إلا أنا حرم . أخرجاه في الصحيحين . وإذا حمل حديث أبي قتادة على أنه لم يصد لأجله وحديث الصعب على أنه صيد لأجله زال الاشكال ، ويشهد له حديث جابر المرفوع « صيد البر حلال ما لم تصيدوه وبصاؤكم » . فلما مر بوادي عسفان قال : يا أبا بكر أي واد هذا ؟ قال : وادي عسفان . قال : لقد مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خطمهما الليف ، وأزرهم العبا ، وأرديتهم النمار يلبون ، يحجون البيت العتيق . ذكره الإمام أحمد في مسنده

فلما كان بسرف حاضت عائشة ، وقد كانت أهلت بعمرة ، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال : ما يبكيك ؟ لعلك نفست . قالت : نعم . قال هذا شيء ، كتبه الله على بنات آدم ، افعل ما يفعل الحاج غير أن لا تطوف بالبيت . أخرجاه في الصحيحين . وفيها عن عروة عنها : خرجنا مع رسول الله ﷺ قالت : أهلنا بعمرة ، فقدمت مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة ، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : اتقضي رأسك وامتنطي وأهلي بالحج ودعي العمرة . قالت : ففعلت . فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع أخي عبد الرحمن إلى التنعيم فاعتمرت ، فقال : هذه مكان عمرتك . فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبالصفا

وللرؤية ثم رحلوا، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجوا من منى لحجهم. وأما الذين كانوا يجمعون الحج والعمرة فأنما طافوا طوافاً واحداً انتهى. فلما كان بسرف قال لأصحابه: من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه هدى فلا. وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الإحرام، فلما كان بمكة أمر أصحاباً من لا هدى معه أن يجعلها عمرة من إحرامه، ومن معه هدى أن يقيم على إحرامه، ولم ينسخ من ذلك شيء البتة، بل سأله سراقه ابن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالنسخ إليها هل هي لعامهم ذلك أم للابد؟ فقال ﷺ: إن العمرة دخلت في الحج إلى يوم القيامة. وقد روى عنه ﷺ الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم وأحاديثهم كلها صحاح وهم عائشة وصفية وعلي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله وأسماء بنت أبي بكر وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وسبرة بن معبد وسراقه بن مالك. ففي الصحيحين عن ابن عباس: قدم النبي ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاضم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أي الحل؟ قال: حل كله. وفي لفظ: وأمر النبي ﷺ أصحابه أن يجعلوا إحرامهم بعمرة إلا من كان معه الهدى. وفي الصحيحين عن جابر: أهل النبي ﷺ وأصحابه وليس مع أحد هدى غير النبي ﷺ وطلحة. وقدم على من اليمن ومعه هدى. فقال أهلات بما أهل به النبي ﷺ. فأمر النبي أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ويقصروا، إلا من كان معه الهدى. قالوا ننطق إلى منى وذكر أحدنا يقطر؟ فباغ ذلك النبي ﷺ فقال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معى الهدى لاحتلت. وفي لفظ ققام فقال علمت أنى أتقاكم الله وأصدقكم وأبركم، ولولا هدى لحتلت كما تحلون، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى، فحلوا. فحللتنا، فسمعنا وأطعنا. وسلم عن عائشة: دخل رسول الله ﷺ على وهو غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار؟ قال أو ما شعرت؟ إني أمرت الناس بأمر فاذا هم يترددون. الحديث. قال في الهدى: ونحن نشهد الله علينا أننا لو أحرمتنا بحج لرأينا فرضاً علينا فسخه إلى عمرة تقادياً من غضب رسول الله واتباعاً

لأمره ، فوالله ما نسخ هذا في حياته ولا بعده ، ولا صح حرف واحد يعارضه ، ولا خص به أصحابه دون من بعدهم ، بل أجرى الله سبحانه على لسان مراقبه أن سأله : هل ذلك مختص بهم ؟ فأجابه بأن ذلك كأن لأبد الأبد . فما ندري ما يقدم على هذه الأحاديث ، وهذا الأمر للؤكد قد غضب رسول الله على من خالفه . والله در الإمام أحمد إذ يقول لسلمة بن شبيب ، قال له : يا أبا عبد الله كل أمرك عندي حسن إلا خلة واحدة . قال : وما هي ؟ قال تقول بفسخ الحج إلى العمرة . فقال : يا سلمة كنت أرى لك عقلا ، عندي في ذلك أحد عشر حديثا صحاحا عن رسول الله أتراكها لقولك ؟ وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن رجلا قال له : ما هذه الفتيا التي قد فشت بالناس أن من طاف فقد حل ؟ فقال : سنة نبيكم ﷺ وإن زعمتم . وصدق ابن عباس : كل من طاف بالبيت ممن لا هدى معه من مفرد وقارن أو متمتع فقد حل إما وجوبا وإما حكما . هذه هي السنة التي لا راد لها ولا مدفع . وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال : من جاء مهلا بالحج فان الطواف بالبيت بصير إلى عمرة شاء أو أبي . قلت : إن الناس ينكرون ذلك عليك . قال : وهذه سنة نبيهم وإن زعموا . وهذا مذهب أهل بيت رسول الله ومذهب خير الأمة وبجرها ابن عباس وأصحابه ومذهب إمام أهل السنة وأتباعه أحمد بن حنبل وأهل الحديث معه ومذهب أهل الظاهر . وأما قول عروة وغيره : نهى عنها أبو بكر وعمر فقد أجابه ابن عباس فأحسن جوابه ، فروى الأعمش عن فضيل بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : تمتع رسول الله ، فقال عروة نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس : أراهم سيهلكون ، أقول رسول الله وتقول قال أبو بكر وعمر ؟ وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة أن عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله يأمر الناس بالعمرة في هذا الشر وليس فيها عمرة فقال أو لا تسأل أمك عن ذلك ؟ فقال عروة : فإن أبا بكر وعمر لم يفعلوا ذلك . قال الرجل : من ههنا هلكتكم . ما أرى الله إلا سيعذبكم ، إنى أحدثكم عن رسول الله وتخبروني بأبي بكر وعمر . قال عروة : إنها والله كانا أعلم بسنة رسول الله منك . فسكت الرجل . قال أبو محمد ابن حزم : نحن نقول لعروة : ابن عباس أعلم بسنة رسول الله منك وبأبي بكر وعمر منك وخير منك وأولى بهم ثلاثهم منك ، لا يشك في ذلك مسلم ، مع أنهما قد رر عندهما

خلاف ما قال عروة ومن هو خير من عروة وأفضل وأعلم وأوثق . ثم روى من طريق ابن عباس : تمتع رسول الله حتى مات ، وأبو بكر حتى مات ، وعمر حتى مات ، وعثمان كذلك . وأول من نهى عنها معاوية وقد رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن . وقال عبد الله ابن عمر لمن سأله عنها فقال له السائل إن أباك نهى عنها قال : أفرسول الله أحق أن يتبع ، أو أبي ؟ وأجاب الشيخ تقي الدين رحمه الله عن ذلك بأن قال : إن عمر لم ينه عن المتعة البتة ، وإنما قال : إن أتم لحجكم وعمرتكم أن تفصلوا بينها ، فاختر لم عمر أفضل من القرآن والتمتع الخاص بدون سفرة أخرى ، وقد نص على ذلك الإمام أحمد وأبو حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم ، وهذا هو الأفراد الذي فعله أبو بكر وعمر ، وكان عمر يختاره للناس وكذلك علي ، وقال عمر وعلى في قوله ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ قال إمامها أن تحرم بها من دويرة أهلك ، وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة في عمرتها : أجرك على قدر نصيبك . قال في الهدى : فهذا الذي اختاره عمر للناس ، فظن من غلط منهم أنه نهى عن المتعة . ومن الناس من جعل عنه فيها روايتين ، ومنهم من جعل النهى عنه قولاً قديماً رجع عنه كما فعل أبو محمد بن حزم

عدنا إلى سياق حجه صلى الله عليه وسلم : نهض صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذي طوى ، وهي المعروفة اليوم بآبار الزاهر ذكره في الهدى ، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ، وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة فدخلها نهاراً من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون ، وكان في العمرة يدخل من أسفلها ، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها . ثم سار حتى دخل المسجد ، وذلك ضحى ، وذكر الطبراني أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم زد هذا البيت شريفاً ومظيماً وتكريماً ومهابة . وروى عنه أنه كان يرفع يديه ويكبر ويقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، حينا ربنا بالسلام . اللهم زد . الخ . وهو مرسل ، لكن هذا سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب يقوله . فلما دخل للمسجد عند إلى البيت ولم يركع تحية المسجد فان تحية المسجد الحرام للطواف ، فلما حاذى الحجر استلمه : ثم أخذ على يمينه وجعل البيت عن يساره ، ولم يدع عند الباب بدعاء ولا تحت لليزاب ولا عند

ظهر الكعبه وأركانها ولا وقت الطواف ذكرنا معنا ، لا بفعله ولا بتعليمه ، بل حفظ عنه بين الركنين : ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ورمل في طوافه هذه الثلاثة الأشواط الأول يسرع في مشيه ويقارب بين خطاه ، واضطبع بردائه فجعله على إحدى كتفيه وأبدى كتفه الأخرى ومنكبه ، وكما حاذى الحجر الأسود أشار إليه واستلمه بمحجبه وقبل المحجن ، والمحجن عصا محججة الرأس . وثبت عنه أنه استلم الركن اليماني ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند استلامه ، وثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وأنه استلمه بيده ووضع يده عليه ثم قبلها ، وثبت أنه استلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات ولم يستلم ولم يمس من الأركان إلا اليمينين فقط . فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف للمقام فقرأ ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ فيصلي ركعتين والمقام بينه وبين البيت ، فقرأ فيها بعد الفاتحة سورتي الآخرة (١) فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا من الباب الذي يقابله فلما دنا منه قرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ أبدأ بما بدأ الله به ، وفي رواية النسائي أبدأوا على الأمر ، ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ووجد الله وكبره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة يمشي فلما انتصب قدماء في بطن الوادي وأصعد مشى وذلك اليوم قبل الميئين الأخضرين في أول السعي ، هكذا في حديث جابر قال : حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا ، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لا هدى معه أن يحمل حتما ولا بد . قارنا كان أو مفردا . الحل كله من وطء النساء والطيب والخيط ، وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية ، ولم يحمل هو من هديه . وهناك دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثا وللمتصرين مرة ، وهناك سأله سراقه بن مالك عقيب أمره لم بالفسخ والإهلال : هل ذلك لعامهم خاصة أم للأبد . ولم يحمل أبو بكر ولا عمر ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى . وأما نساؤه فأحلقن إلا عائشة فباتها لم

(١) عند النسائي والترمذي : قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون

تحمل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها . وأمر من أهل باهلال كاهلاله ﷺ أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدى ، وكان يصلي مدة قيامه إلى يوم التروية بمنزله الذي هو نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة ، فأقام أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء ، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين إلى منى فأحرم بالحج من كان أحل منه من رحالم ، ولم يدخلوا إلى المسجد ، بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم . وفي حديث جابر : وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر وبات بها ليلة الجمعة حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة له من شعر تضرب بنمرة ، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية ، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرنة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم - وفي رواية غيره وأعراضكم - حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة . وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث (كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل) ، وربما الجاهلية موضوعة وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله . واتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك قاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال باصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكسها إلى الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد (ثلاث مرات) ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا . قال في الهدى : وذلك يوم الجمعة ، فدل على أن للسافر لا يصلي الجمعة ، ومعه أهل مكة فصلوا بصلاته قصر واجمعا بلا ريب ولم يأمرهم بالانمام وإنما قال ﷺ لأهل مكة « أتمو صلاتكم فإننا قوم سفر » في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين ، ولهذا كان أصح أقوال العلماء أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة

كما فعلوا مع النبي ﷺ ، وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يحدد بمسافة معلومة ولا أيام ، ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة

وقال جابر : ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ولم يزل واقفا حتى غربت الشمس . قال في الهدى : وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال : وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف ، وأرسل إلى الناس أن يكونوا على مشاعرهم وبقفوا بها فانها من إرث أبيهم إبراهيم . وهناك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال : الحج يوم عرفة ، من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج ، أيام منى ثلاثة أيام التشريق ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه . وكان في دعائه رافعا يديه إلى صدره كما استطام المسكين ، وأخبر أن خير الدعاء الدعاء في عرفة ، وهناك نزلت عليه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات . فأمر رسول الله ﷺ أن يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه ، وأخبر أن الله يبعثه يوم القيامة يلبى ، فلما غربت الشمس واستحکم غروبها بحيث ذهبت الصفرة أفاض من عرفة ، وأردف أسامة بن زيد خلفه وأفاض بسكينة وضم اليه بزمام ناقته حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله . وفي حديث جابر : ويقول بيده اليمنى أيتها الناس عليكم بالسكينة . وكما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد . انتهى

وأفاض من طريق المازمين ودخل عرفة عن طريق ضب ، وهكذا كانت عادته عليه السلام في الأعياد أن يخالف الطريق ، ثم جعل يسير العنق ، وهو ضرب من السير يسير بالسريع ولا البطي ، فاذا وجد فجوة وهو المتسع نص سيره أي رفعه فوق ذلك . وكان يلبى في سيره ذلك لا يقطع التلبية ، ثم أمر بالأذان فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال ، فلما حطوا رحلهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة

بلا أذان ولم يصل بينهما بشيء ، ثم نام حتى أصبح وأذن تلك الليلة لضعفة أهله أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الفجر وذلك عند غيوب القمر ، وأمرهم أن لا يرموا الجمره حتى تطلع الشمس . حديث صحيح صححه الترمذى . والذي دلت عليه السنة جواز الرمي قبل طلوع الشمس للعدو بمرض أو كبر يشق عليه مزاحمة الناس لأجله ، وأما القادر الصحيح فلا يجوز له ذلك ، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله قطعا بأذان وإقامة يوم النحر ، وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر

ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القبلة فأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتهايل والذكر حتى أسفر جدا ، ووقف وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف ، ثم سار من مزدلفة مردفا للفضل بن عباس وهو يلبي في سيره ، وكان الفضل رجلا حسن الشعر أبيض وسيما ، فلما دفع رسول الله ﷺ من ثمن يجرين ، فطلق الفضل ينظر اليهن ، فوضع يده على وجهه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر ، فحول صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر . وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلقط له حصي الجمار سبع حصيات ، ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما فعل من لا علم عنده ، ولا التقطها بالليل ، فالتقط له سبع حصيات من حصي الخذف ، فجعل ينفسه من كفه ويقول : أمثال هؤلاء ، فارموا ، وإياكم والغلو في الدين ، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين

فلما أتى بطن محسر حرك ناقته وأمرع السير ، وهذا كان عادته في المواضع التي نزل بها بأس الله بأعدائه ، فان هناك أصاب أصحاب القيل ما قص الله عليه ، وسمى محسرا لأن القيل حسر فيه أى أعيا وانقطع عن الذهاب . وقال جابر في حديثه : ثم سلك الطريق التي تخرج على الجمره ، حتى أتى الجمره التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات مثل حصي الخذف ، يكبر مع كل حصاة منها من بطن الوادى . انتهى . وكان رميه إياها راجبا بعد طلوع الشمس واحدة ، وحينئذ قطع التلبية ورمى ، وبلال وأسامة معه أحدهما أخذ بخطام ناقته والآخر يظله بثوب من الحر ، وفيه دليل على جواز استئلال الحرم بالحمل ونحوه إن كانت هذه القصة يوم النحر ، وإن كانت أيام منى فلا حجة فيها

ثم رجع الى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله ، وحرمة مكة على جميع البلاد . وأمر بالسمع والطاعة لمن قادم بكتاب الله ، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال : لعل لا أحج بعد عامي هذا ، وعلمهم مناسكهم ، وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم ، وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع ، وقال في خطبته : لا يجنى جان إلا على نفسه ، وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والأنصار عن يسارها والناس حولهم ، وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعه أهل منى في منازلهم ، وقال في خطبته تلك : اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم . وودع حينئذ الناس فقالوا « حجة الوداع »

ثم انصرف إلى المنحرف فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده ، وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى ، وكان عدد ما نحر عدد سني عمره ، ثم أمسك وأمر عليا أن ينحر ما بقي من المائة ، ثم أمر عليا أن يتصدق بجلالها وجلودها ولحومها في المساكين ، وأمره أن لا يعطى الجزار في جزارتها شيئا منها وقال : نحن نعطيها من عندنا . وقال : من شاء اقتطع ، ونحر ﷺ بمنحره بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحرة ، وأن فجاج مكة طريق ومنحرة ، وفي هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من فجاج مكة أجزاءه . وسئل ﷺ أن يبنى له بمنى مظلة من الحجر فقال : لا ، منى مناخ من سبق

فلما أكمل ﷺ نحره استدعى بالحلاق فقال للحلاق - وهو معمر بن عبد الله - وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال : يا معمر أمسك رسول الله من شحمة أذنه وفي يده الموسى . قال معمر : فقلت أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله علي . قال أجل . ذكره أحمد . وقال للحلاق : خذ . وأشار إلى جانبه الأيمن . فلما فرغ قسم شعره بين من يليه ، ثم أشار إلى الحلاق فخلق جانبه الأيسر قال : ههنا أبو طلحة ؟ فدفعه إليه . هكذا وقع في صحيح مسلم . قيل أصاب خالد بن الوليد شعرات من ناصيته فجعلها في فلتسوته فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر

قال جابر في حديثه : وأشرك ﷺ عليا في هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببعضه فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها . ثم ركب ﷺ فأفاض إلى البيت ، وصلى بمكة الظهر ، فأتى بنو عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : انزعوا بني عبد المطلب ، فلو أن يغلبكم الناس على سقائكم لنزعت معكم . فناولوه دلوفا فشرب منه

وطاف في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة ليراه للناس وليسألوه . ثم رجع إلى منى . واختلف ابن صلي الظهر يومئذ ، ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه ﷺ أفاض يوم النحر فصلى الظهر بمنى . وفي مسلم عن جابر أنه صلى الظهر بمكة . وكذلك قالت عائشة . وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها وهي شاكية ، وكانت استأذنت رسول الله . وطافت عائشة في ذلك اليوم طوافا واحدا وسعت سعيها واحدا أجزأها عن حجها وعمرتها . وطافت صفية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع فلم تودع ، فاستقرت سنته ﷺ في المرأة الطاهر إذا حاضت قبل الطواف أن تفرن وتكتفي بطواف واحد وسعى واحد ، وإن حاضت بعد طواف الاقضية اجتزأت به عن طواف الوداع ثم رجع ﷺ إلى منى من يومه ذلك فبات بها ، فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار ولم يركب ، فبدأ بالجمرة الأولى التي تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات : واحدة بعد واحدة ، يقول مع كل حصاة : الله أكبر . ثم تقدم عن الجمرة أمامها حتى أسهل فقام مستقبل القبلة ، ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ، ثم أتى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ، ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادي فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول . ثم أتى الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة فاستبطن الوادي واستعرض الجمرة ، فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرهما من أعلاها كما يفعل الجهال ، ولا جعلها عن يمينه ، واستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء ، فلما أكمل الرمي رجع من فوره ولم يقف عندها ، فقيل لضيق المكان بالجبل ، وقيل وهو أصح إن دعاءه كان في نفس العبادة قبل الفراغ منها ، فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمي ، والدعاء في صلب العبادة أفضل منه بعد الفراغ

منها ، وهذه كانت سنته في دعائه في الصلاة . وذكر الإمام أحمد أنه كان يرمى يوم النحر راكبا وأيام منى ماشيا في ذهابه ورجوعه . فقد تضمنت حجته ﷺ ست وقفات للدعاء الأولى على الصفا ، والثانية على المروة والثالثة بعرفة ، والرابعة بمزدلفة ، والخامسة عند الجرة الأولى ، والسادسة عند الجرة الثانية

واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل السقاية فاذن له ، واستأذنه رعاء الإبل في البيوتة خارج منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمي يومين بعد يوم النحر يرمونه في أحدهما . قال مالك : ظننت أنه قال في أول يوم منها ثم يرمون يوم النفر ، وقال ابن عيينة في هذا الحديث : رخص للرعاء أن يرموا يوما ويدعوا يوما ، فيجوز للطائفتين بالسنة ترك للبيت منى ، وأما الرمي فلا يتركونه ، بل لهم أن يؤخروه الى الليل فيرمون فيه ، ولهم أن يجمعوا رمي يومين في يوم ، وكذلك من له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخافه عنه ، أو كان مريضا لا يمكنه البيوتة سقطت عنه بتبيينه النص على هؤلاء . والله أعلم

ولم يتعجل ﷺ في يومين ، بل تأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر إلى المحصب - وهو الأبطح وهو خيف بني كنانة - فوجد أبا رافع قد ضرب قبتة هناك ، وكان على ثقله ، توفيقا من الله دون أن يأمره ﷺ ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء وردد رعدة . ثم نهض إلى مكة فطاف طواف الوداع ليلا سحرا ، ولم يرمل في هذا الطواف ، ورغبت إليه عائشة أن تعمر عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفا والمروة قد أجزأ عن حجها وعمرتها . فقالت : يا رسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع أنا بحجة ؟ قال : أو ما طفت ليالي قدما مكة ؟ قالت : لا . قال : ذاهبي مع أخيك إلى التنعيم فأهلي بعمرة ، ثم موعدك كذا وكذا ، ففرغت من عمرتها ليلا ثم وافت المحصب مع أخيها فأتيا في جوف الليل ، فقال رسول الله ﷺ : فرغتما ؟ قالت : نعم . فتأدى بالرحيل في أصحابه فارتحل الناس . ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح ، هكذا عند البخاري في حديث القاسم عنها . وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله قال حين أراد أن ينفر من منى : نحن نازلون ان شاء الله غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على بني هاشم وبني

المطلب لا ينا كحوم ولا يكون بينهم شيء حتى يسلموا اليهم رسول الله انتهى ، فقصده النبي ﷺ إظهار شمائر الإسلام في المكان الذي أظهروا فيه شمائر الكفر والشرك ، وكان ابن عمر يرى نزوله سنة ، وذهب ابن عباس وعائشة إلى أنه ليس سنة ، وإنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ ليكون أسمح لخروجه

قال ابن اسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد مولاه وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون . انتهى . وهي آخر سرية جهزها النبي ﷺ ، وأول شيء جهزه أبو بكر

فلما كان يوم الأربعاء بدى برسول الله ﷺ وجهه ، فحمَّ وصدع ، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ، فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة الأسلمي فسكن بالجرف ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين ا فغضب من ذلك غضبا شديدا ، ففي الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن الناس في إمارته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : بلغني أنكم قلم في أسامة وإنه أحب الناس إلى . وفي لفظ : إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إماره أبيه ، وأيم الله إنه كان خليقا لامارته وإنه كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده . قال ابن اسحاق وانكش الناس في جهازهم ، فخرج أسامة بجيشه حتى نزلوا الجرف ، وتعام إليه الناس ، وثقل رسول الله ﷺ ، فأقام أسامة والناس معه لينظروا ما الله قاض في رسوله ، وعن محمد بن أسامة عن أبيه قال : لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد صمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، أعرف أنه يدعو لي

وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثلاث سنين صلواته على الميت كالمودع للأحياء والأموات ، ثم انصرف إلى النبر فقال : إني فرطكم ، وإني شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح

خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بصدى ، ولكنني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال : خطب رسول الله ﷺ الناس فقال : ان الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختر ذلك العبد ما عند الله . قال فبكى أبو بكر ، فمجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خير ، فكان رسول الله هو الخير ، وكان أبو بكر هو أعلمنا . فقال رسول الله ﷺ : إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب الاسد ، الا باب أبي بكر

قال ابن اسحق : وحدثني عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير مولى الحكم بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة مولى رسول الله قال : بشئ رسول الله من جوف الله فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى . ثم أقبل على فقال : يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة . قال فقلت : بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة . قال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة . ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله وجمعه الذي قبضه الله فيه

قال : وحدثني يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع . فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول : واراأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة واراأساه . ثم قال : وما ضرك لو مت قبلي ففمت إليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك . قالت : قلت والله لكأني بك لو قد فعلت

ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله . وتقام به وجهه وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به وهو في بيت ميمونة . فدعا نساءه فاستأذنهن أن يرض في بيتي فاذن له . قالت : فخرج رسول الله يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي . قال عبيد الله : فحدث بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال : هل تدري من الرجل الآخر؟ قال قلت لا . قال : علي ابن أبي طالب . ثم غمى رسول الله واشتد به وجهه ، فقال : هريقوا علي سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : وأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم . انتهى . قلت : وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري من طريق الزهري عن عبيد الله عن عائشة . زاد البخاري في هذه الرواية : ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم

وله عن عروة عن عائشة أنها قالت : إن رسول الله قال في مرضه الذي مات فيه : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت عائشة قلت : إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فر عمر فليصل بالناس^(١) ، قالت عائشة فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فر عمر فليصل بالناس ، ففعلت حفصة ، فقال رسول الله ﷺ : مه ، إنك لن لأتني صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيرا . وفي رواية لمسلم : ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأوماً إليه النبي ﷺ أن لا تتأخر ، وقال لها : اجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، وكذا في رواية الأسود عن عائشة ، وكذا في رواية عروة عنها . وله في رواية أبي موسى في هذه القصة فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ . وللبخاري عن

(١) في الكتب الأخرى أن عائشة كررت له هذا القول ، وكرر ﷺ الاجابة

عائشة في حديث عبيد الله قالت عائشة : لقد راجعت رسول الله في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل رسول الله عن أبي بكر

قال الزهري : وأخبرنا عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذروا ما صنعوا . وفي رواية أحمد « قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحرم ذلك على أمته . وفي رواية للبخاري قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً

وله عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي مات فيه فقال الناس : يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له « أنت والله بعد ثلاث عبد العصى ، وإني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا . إني لأعرف بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله فلنسالنه في من هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصي بنا . فقال علي : إنا لئن سألتها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسأله رسول الله . وللبخاري أن رسول الله ﷺ قال لعائشة « ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » قال ابن اسحق : فكان المسلمون يرون أن رسول الله مات شهيداً ، مع ما أمكره الله به من النبوة . وقالت عائشة : لدنا [رسول الله] في مرضه ، فجعل يشير إلينا أن لا تلذوني ، فلنا كراهية المريض للدواء . فلما أفاق قال : ألم أنهم أن تلذوني ؟ قلنا كراهية المريض للدواء . فقال : لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم . انتهى . والد شيء تصنعه العرب دواء بصب في أحد شقي الفم ، فأمر بلدهم كلهم اقتصاصاً

فلما كان يوم الخميس قبل موته بأربع ليال اجتمع عنده ناس من أصحابه فقال عليه

السلام اثتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا . وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، اشتد برسول الله وجهه فقال : اثتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا . فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبى تنازع . فقال بعضهم : إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فأختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول قربوا يكتب لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك . وفي رواية قالوا : ما له أهدر ، استفهموه . فذهبوا يردون عليه فقال : دعوني فالذى أنا فيه خير مما تدعوننى إليه وأوصاهم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . وسكت عن الثالثة ، أو قال فنتسيتها . وفي رواية : فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال : قوموا عني . قال عبد الله : فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، لاختلافهم ولغظهم . انتهى . ولا شك أنه لو كان من واجبات الشريعة لم يغيره عليه السلام كلام عمر ولا غيره . وكان قال لعائشة في تلك المرضة : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتابا وأعهد عهدا لئلا يتمنى متمن أو يقول قائل « أنا أولى » ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . رواه البخارى . فلم يكن والله أعلم للكتاب الذى أراد أن يكتب إلا فى استخلاف أبى بكر ، ولقد ظهرت رزية ذلك وكاد الناس أن يهلكوا فى الاختلاف فى من بلى أمر المسلمين بعده ، ولقد هلكت الشيعة فى ذلك وتمادى ضلالهم إلى اليوم نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى . وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفس على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذى مات فيه طفت أنف من المعوذات التى كان ينفس ، وأمسح بيد النبى ﷺ عنه لبركتها . رواه البخارى . ولها عن أنس قال : لما كان يوم الاثنين والناس فى صلاة الفجر وأبو بكر صلى لهم لم يفجأهم إلا رسول الله يكشف ستر حجرة عائشة ، فنظر إليهم وهم صفوف فى الصلاة . ثم تبسم بضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهم الناس أن يفتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار إليهم بيده أن أموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر . زاد ابن اسحق فى روايته

عن الزهري عن أنس : وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله قد أفاق من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنع . وعن عائشة أنها كانت تقول : إن من نعم الله على أن رسول الله توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ربي وريفي ، ودخل على عبد الرحمن ويده سواك وأنا مسندة رسول الله إلى صدري فرأيت ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناوله فاشتد عليه . وقلت : ألبنه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته بأمره فاستن به وهو مستند إلى صدري ، وبين يديه ركوة أو عليه - يشك عمر - فيها ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات . وكان رسول الله يقول : إنه لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى أو يخير . فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى . وفي رواية : مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وفي رواية فقلت : إذا لا يختارنا . وعرفت أنه الحديث الذي يحدثنا به وهو صحيح . قالت : فكان آخر كلمة تكلم بها : اللهم الرفيق الأعلى . زاد ابن اسحق قالت عائشة : فمن سفى وحدائة سني أن رسول الله قبض في حجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي . وفي رواية للبخاري : فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ . وعن الأسود قال : ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي فقالت : من قاله ؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري . فدعا بالطست فانخنت فأت ما شرت ، فكيف أوصى إلى علي ؟ وعن طلحة قال : سألت ابن أبي أوفى : أوصى النبي ﷺ ؟ فقال : لا . فقلت : كيف كتب على الناس الوصية وأمر بها ؟ فقال : أوصى بكتاب الله . رواه البخاري . وفي مسند أحمد أن النبي ﷺ جعل يقول وهو يجود بنفسه : الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حتى ما يبيض بها لسانه

وعن عمرو بن الحارث قال : ما ترك النبي ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة إلا بخلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه وأرضا جعلها لابن السيل صدقة . وعن عائشة : توفي

رسول الله ودرعه مرهونه عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير . رواها البخارى

وعن أنس بن مالك قال : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه ، فقالت فاطمة : واكرب
أناه ، فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم . فلما مات قالت : يا أبتاه أجب ربا دعاه ،
يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل نعاها . فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس ،
أطابت نفوسكم أن تمثوا على رسول الله التراب ؟ وعن عائشة قالت : دعا النبي ﷺ فاطمة
في شكواه التي قبض فيها فسارها فبكت ، ثم دعاها فسارها فضحكت ، فسألناها عن ذلك
فقلت : سارنى أنه يقبض في وجهه الذى توفى فيه فبكت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهل
بيته يتبعه فضحكت . رواها البخارى

ويذكر أنه لما توفى جاءت التعزية بسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص :
السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته . كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون
أجوركم يوم القيمة ، إن فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل
فأنت ، فبالله ثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصطب من حرم الثواب . والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته

وتوفى رسول الله ﷺ يوم الاثنين نصف النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول
سنة إحدى عشرة مثل الوقت الذى دخل فيه المدينة . وللبخارى عن أنس قال : مر أبو بكر
والعباس ، مجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال : ما يبكيكم ؟ فقالوا ذكرنا مجلس
النبي ﷺ منا ، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك ، قال فخرج النبي وقد عصب على رأسه
حاشية برد قال : فصعد المنبر - ولم يصعد بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أوصيكم بالأنصار فانهم كرمى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لم ، فاقبلوا من
محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم . وله عن ابن عباس قال : خرج النبي ﷺ وعليه ملحفة منعطفا
بها على منكبيه ، وعليه عصاة دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد
أيها الناس فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح للطعام ، فمن ولى منكم أمرا

يضر به أحداً أو ينفعه ، فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم

وله عن عائشة أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال اسماعيل يعني بالعالية -
فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله . قالت وقال عمر : والله ما كان في نفسي إلا
ذلك ، وليبعضه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم . فجاء أبو بكر على فرس من منزله
بالسنح حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فميم رسول الله وهو
مغشى بثوب حبره ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي
طبت حيا وميتا ، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبدا . ثم خرج وعمر يكلم الناس
فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، وفي رواية قال : أيها الخالف على رسلك . فأقبل
إليه الناس وتركوا عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : أما بعد فمن كان يعبد محمدا
فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وقال عز وجل ﴿ إنك ميت
وإنهم ميتون ﴾ وقال ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم ﴾ الآية . قال فنشج الناس يبكون . قال ابن عباس : والله لكان الناس لم يعلموا
أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس
إلا يتلوها . قال ابن المسيب قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففقرت حتى
ما تقلني رجلاي ، وحتى هويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، وعلمت أن رسول الله قد
مات . وعن ابن عباس قال : أنزل على النبي وهو ابن أربعين سنة ، فقام بمكة ثلاث عشرة
سنة ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة . رواه البخاري

ولما عرفوا أنه مات دهش الناس وطاشت عقولهم ، فمنهم من خبل ومنهم من أصممت ،
ولم يكن أثبت وأحزم من أبي بكر والعباس

ذكر أمر سقيفة بني ساعدة

وفي البخاري في حديث عائشة قالت : اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة
بني ساعدة فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ، فذهب اليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ،
م — ٣٠ • مختصر السيرة

فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أنى قد
 هيات كلاما أعجبتى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ، فتكلم أبو بكر أبلغ الناس فقال فى كلامه :
 نحن الأمراء وأنتم الوزراء . فقال حباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير .
 فقال أبو بكر : لا ولسكننا الأمراء وأنتم الوزراء . [إن قريشا] هم أوسط العرب دارا وأعزهم
 أحسابا ، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح ، فقال عمر : بل أبايعك ، فانت خيرنا وأحبنا
 إلى رسول الله . فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة .
 فقال عمر : بل قتله الله . قال القاسم فى حديثه : فما كان من خطبتها من خطبة إلا نفع الله
 بها ، لقد خوف عمر الناس وإن فىهم لنفاقا ، فرددتم الله بذلك ، ثم لقد بصر أبو بكر
 الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم ، فخرجوا يتلون ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من
 قبله الرسل ﴾ الآية

وقال ابن اسحق : ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن
 عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير وطلحة بن عبید الله فى بيت
 قاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر وانحاز معهم أسيد بن حضير فى بنى عبد الأشهل .
 فأتى آت إلى أبى بكر وعمر فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى
 ساعدة قد انحازوا إليه ، فان كان لكم بأمر الناس من حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفارق
 أمرهم - ورسول الله فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله - قال عمر : اتطلق
 بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه . فانطلقا يؤمانهم ، فلقيا رجلا
 صالحان : عويم بن ساعدة ومعن بن عدى فذكرالهما ما تمالأ عليه القوم وقالوا : أين تريدون
 يا معشر المهاجرين ؟ قالوا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقالوا : فلا عليكم أن لا تقربوهم
 يا معشر المهاجرين ، افضوا أمركم . قال عمر : والله لنائينهم . فانطلقا حتى أتياهم فى سقيفة بنى
 ساعدة فاذا بين ظهرانيهم رجل منزمل ، فقال عمر : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة . قال :
 ماله ؟ قالوا : وجع . قال فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأتنى على الله بما هو أهله ثم قال :

أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة من قومكم فاذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا وينصبونا الأمر . قال عمر : فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زورت مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الجد ، فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم . وهو كان أعلم مني وأبلغ ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته أو مثلها أو أفضل حتى سكت . قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا . وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيها شتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة وهو جالس بيننا ، ولم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي - ولا يقربني ذلك إلى إثم - أحب إلى عن أن أنامر على قوم فيهم أبو بكر . قال فقال قائل من الأنصار - الحباب بن المنذر - أنا جَذِيلُهَا المَحْكُوكُ وَعُدَيْقُهَا المَرْجَبُ ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . قال عمر : فكثرت اللغط ، وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار ، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قلت : قتل الله سعد بن عبادة

وعن عبد الله بن مسعود قال : كان رجوع الأنصار - يوم سقيفة بني ساعدة - بكلام قاله عمر قال : أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : فأياكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقامه الذي أقامه فيه رسول الله ؟ قالوا : كلنا لا تطيب أنفسنا ، نستغفر الله . فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقام على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى ، وشغلوا عن دفن جهاز رسول الله ، حتى كان آخر الليل - ليلة الثلاثاء - مع الصبح

قال ابن اسحق حدثني الزهري قال حدثني أنس بن مالك قال : لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الند جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال : يا أيها الناس ، إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدته في

كتاب الله ، ولا كانت عهدا عبده إلى رسول الله ، وكنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا - يقول يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الفار ، فقوموا فبايعوه . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أربح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعوف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم بحكم الله . انتهى

وتخلف عن بيعته علي بن أبي طالب وبنو هاشم والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عباد الأنصاري ، ثم إن الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلا سعد بن عباد فإنه لم يبايع أحدا إلى أن مات ، وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر . وذكر موسى بن عقبة أن رجلا من المهاجرين غضبوا في بيعة أبي بكر ، منهم علي والزبير ، فدخلوا بيت فاطمة معها السلاح ، فجاءها عمر في عصابة من المهاجرين والأنصار ، فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن وقش وثابت بن قيس فكلبواها ، حتى أخذ أحد القوم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره ، ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم فقال : والله ما كنت حربا على الإمارة يوما قط ولا ليلة ، ولا سألتها الله قط سرا ولا علانية ، ولكني أشفت من الفتنة ، ومالي في الإمارة من راحة ، ولقد قلت أمرا عظيما مالي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله ، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم . فقبل للمهاجرين منه ، وقال علي والزبير : ما غضبنا إلا أن أخرنا عن المشورة ، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ، إنه لصاحب الفار وثاني اثنين ، وإنا لنعرف له شرفه ومنه ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة وهو حي . وذكر غير ابن عقبة أن أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إياه بقليل من

بیمته وبتقیلهم مما تحمله من أمرهم ، كل ذلك يقولون له : والله لا نقتيلك ولا نستقيلك .
وروى عن الحسن البصرى عن علي قال : قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه فصلى
بالناس ، وإني شاهد غير غائب ، وإني لصحيح غير مريض ، ولو شاء أن يقدمني لقدمني .
فرضينا لدينانا من رضى الله ورسوله لدينا

وفي الصحيحين عن عائشة أن فاطمة بنت رسول الله أرسلت إلى أبي بكر الصديق
تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فقال
أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة ، وإنما يأكل آل محمد في
هذا المال » وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهد
رسول الله ، ولا أعملن فيها بما عمل به رسول الله . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئا .
فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول
الله ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر ، فصلى
عليها على . وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ،
فأتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا
ولا يأتنا معك أحد ، كراهية محضر عمر بن الخطاب ، فقال عمر لأبي بكر : والله لا تدخل
عليهم وحدك ، فقال أبو بكر : وما عساهم أن يفعلوا بي ؟ إني والله لآتينهم . فدخل عليهم أبو
بكر فتشهد على بن أبي طالب ثم قال : إنا يا أبا بكر قد عرفنا فضيلتك وما أعطاك الله ، ولم
ننفس خيرا سانه الله إليك ، ولكذك ، استبددت علينا بالأمر وكان نرى اننا حقا لقرابتنا من
رسول الله . فلم يزل يكلم أبا بكر حتى هاضت عينا أبي بكر . فلما تكلم أبو بكر قال : والذي
نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي ، وأما لذي شجر بيني وبينكم
من هذه الأمور فإني لم آل فيها عن الحق ، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله يصنعه فيها
إلا صنعته . فقال علي لأبي بكر : موعداك المشية والبيعة ، فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقى على
المنبر وتشهد وذكر شأن علي وتخلّفه من البيعة وعذره الذي اعتذر إليه ثم استغفر . وتشهد
على بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر ، وأنه لم يحمل على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ،

ولا إنكار للذي فضله الله به ، ولكننا كنا نرى لنا في الأمر نصيبا فاستبد علينا به ، فوجدنا في أنفسنا . فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت . وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف

ذكر غسله ﷺ وتكفينه ودفنه

ولما فرغ الناس من بيعة أبي بكر وجمعهم الله عليه وصرف عنهم كيد الشيطان أقبلوا على تجهيز نبيهم ، قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرها أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله وأسامة بن زيد هم الذين ولوا غسله وأن أوس بن خولى - وكان بدريا - دخل معهم وحضر غسل رسول الله وأسنده إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يلقبونه معه ، وكان أسامة ابن زيد وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يغسله قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدللكه به من ورائه لا يفضى بيده إلى رسول الله ، وعلى يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حيا وميتا . ولم ير من رسول الله ما يرى من الميت . حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن ابيه عن عائشة قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله من ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن غسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه ، قالت فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكون والقميص دون أيديهم ، فلما فرغ من غسله كفن في ثلاثة أثواب : صحارين وبرد حبرة أدرج فيه ادراجا

وحدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طامحة زيد بن سهيل هو الذي كان يحفر لأهل المدينة وكان يلحد ، فدعا العباس رجلاين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة وللآخر اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خره لرسول الله ، فوجد صاحب أبي

طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد رسول الله ، فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض ، فرغ فراش رسول الله الذي توفي عليه فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ أرسلوا حتى إذا فرغوا أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله أحد . قالت عائشة : ما علمنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء ، وكان الذين نزلوا في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقيم ابنا العباس وشقران مولاه وأوس بن خولى ، وجعل تحتهم قطيفة كان يلبسها ويفترشها . وقال علي : آخر الناس عهدا به ثم بن عباس

ذكر الردة

قال ابن اسحق : ولما توفي رسول الله عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة فيما بلغني تقول : لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، وشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر

قال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله هموا بالرجوع عن الاسلام ، حتى خافهم عتاب بن أسيد فتواري ، فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله وقال : إن ذلك لم يزد الاسلام إلا قوة ، فمن رأينا ضربنا عنقه . فتراجع الناس ، وكفوا . وكان هذا هو المقام الذي أراده رسول الله حيث قال لعمر وقد قال له : انزع ثنيتي سهيل يلدغ بلسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، فقال رسول الله ﷺ « عسى يقوم مقاماً يسرك »

وفي معالم التنزيل : لما قبض رسول الله ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس . انتهى . ومن تمسك بالاسلام ما بين المسجدين أسلم وغفار وجهينا وسزينة

وكعب وثقيف ، قام فيهم عثمان بن أبي العاص ، وأقامت طيء كلها على الاسلام ، قام فيهم عدى بن حاتم ، وهذيل وأهل السراة وبجيلة وخثعم ومن قارب تهامة من هوازن نضر وجشم وسعد بن بكر وعبد القيس قام فيهم الجارود وعبس وبعض أشجع ودوس ونجيب وهمدان . وارتد عامة بنى تميم وأسد وغطفان وطوائف من سليم وأهل اليمامة كلهم وبكر بن وائل وأهل البحرين وأهل دبا وأزد عمان والنمر بن قاسط وكلب ومن قاربهم من قضاة وفزارة وبني عامر بن صعصعة ، وقيل تربصوا ينتظرون لمن تكون الدائرة

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله ﷺ واستخاف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها وحسابه على الله ؟ فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال . والله لو منعوني عمالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلهم على منعه . فقال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله فد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق . قال عمر : والله لرجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعا في قتال أهل الردة . وروى رزين عن عمر قال قلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارتفق بهم ، فقال لي : أجبار في الجاهلية وخوارج في الاسلام ؟ قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقض وأما حي ؟ وفي كتاب الواقدي من قول عمر لأبي بكر : وإنما شجعت العرب على أموالها ، وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئا ، فلو تركت للناس صدقة هذه السنة . وذكر يعقوب بن محمد الزهري عن جماعة من شيوخه قال : كان أبو بكر أمير الشاكرين الذين ثبتوا على دينهم ، وأمير الصابرين الذين صبروا على جهاد عدوهم وهم أهل الردة ، وبرأى أبي بكر أجمعوا على قتالهم ، وذلك أن العرب افتقرت في ردتها فقالت فرقة : لو كان نبيا مات ، وقال بعضهم : انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا بعده ، وفي ذلك يقول قائلهم وهو الخطيئة :

أطعنا رسول الله ما عاش بيننا فيالعباد الله ما لأبي بكر
أبورثها بكرا إذا مات بعده فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

وقال بعضهم تؤمن بالله ونشهد أن محمداً رسول الله ونصلي ، ولكن لا نطيعهم في أموالنا . قلت : وفي هؤلاء وقعت الشبهة والمراجعة بين أبي بكر وعمر وغيره حتى ناظرهم أبو بكر فرجعوا إلى قوله ، وتبين لهم صوابه في قتالهم انتهى . وجادل أبا بكر أصحابه في جهادهم ، وكان من أشدهم عليه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ، فقالوا : احبس جيش أسامة يكون عمارة وأماناً بالمدينة ، وارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فان هذا الأمر شديد غوره ، فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل بمن معك من ارتد ، وقد انفقت العرب على الارتداد ، فهم بين مرتد ومانع صدقة مثل مرتد ، وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك ، قدم رجلاً وأخر رجلاً . فقال أبو بكر : والذي نفسي بيده لو علمت أن السباع تأكلني بهذه القرية لأنفقت هذا البعث الذي أمر رسول الله باتقائه ، ولا أحل لواء عقده رسول الله بيده . ثم قال لأسامة إن رأيت أن تخلف معي عمر فافعل . وأمره بالانتهاء إلى ما أمر به رسول الله ﷺ ، وشيعه ماشياً وأسامة راكب لأنه أقسم عليه ألا ينزل . ومعنى أسامة فجعل لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فهزمهم ورجعوا سالمين

وجد بأبي بكر الجد في قتال أهل الردة ، وأراد الله رشده فيهم ، وعزم على الخروج بنفسه إليهم ، وأمر الناس بالجهاز ، وخرج هو في مائة من المهاجرين والأنصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بقعا يريد أن يتلاحق الناس ويكون أسرع لخروجهم ، ووكل بالناس محمد بن مسلمة يستحثهم ، وأشار عليه عمر وغيره بالرجوع وقالوا : ارجع يا خالفا رسول الله تكن المسلمين فئة وردءا إنالك إن تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل الحق ، وأبو بكر مظهر المسير بنفسه ، وسألهم بمن بدأ من أهل الردة ؟ فاختلفوا عليه . قال أبو بكر : نعمد لهذا الكذاب على الله وعلى رسوله طليحة . ولما ألحوا على أبي بكر بالرجوع وعزم هو عليه استعمل عليهم خالد بن الوليد وقال : يا خالد ، عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه والجهاد في سبيله ، فقد وليتك على من ترى من أهل بدر من المهاجرين والأنصار . ورجع أبو بكر ومن معه ،

وسار خالد حتى نزل على طيء في جبلهم سلمى وأجأ ، وانضم اليه عدى بن حاتم ومن كان من المسلمين في تلك القبائل

وسار الى طليحة وهو على ماء من مياه أسد فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم انهزم طليحة وانهزم الناس ، ثم لحق بالشام ، ثم جاء طليحة بعد ذلك فأسلم وحسن إسلامه وقتل بنهاوند شهيدا ، فدخلت القبائل في الاسلام : بنو حنظله وأسد وفزارة وغطفان وبنو عامر وبنو سليم وغيرهم وبايعوه على الإسلام ، وأخذ كل ما ظهر من سلاحهم ، واستحلقتهم على ما غيبوا منه ، فان حلفوا تركهم ، وإن أبوا شدم أمرى حتى أتوا بما عندهم ، فأخذ سلاحا كثيرا فأعطاه أقواما يحتاجون اليه في قتال عدوهم ، وكتبه عليهم ، ثم رده بعد فقدم به على أبي بكر وعن ابن عمر قال : شهدت بزاحة مع خالد ، فأظفرتنا الله على طليحة ، وكنا كلما أنجزنا على قوم سبينا الدراري واقتسمنا الأموال . وعن يزيد بن شريك الفزاري قال : قدمت مع أسد وغطفان على أبي بكر وافدا حين فرغ خالد من بزاحة ، وجعلت أسد وغطفان تسأل فاجتمعوا عند أبي بكر ، فمنهم من بايع خالد ومنهم من لم يبايعه وجاءوا إلى أبي بكر ، فقال : اختاروا بين خصلتين : حرب مجلية أو سلم مخزية . قال خارجة بن حصن : الحرب المجلية قد عرفتها فما السلم المخزية ؟ قال : تقرون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، وأن تردوا علينا ما أخذتم منا ولا نرد مما أخذنا منكم شيئا ، وأن تدوا قتلانا دية كل قتيل مائة بعير أربعون في بطونها أولادها ولا ندى قتلاكم ، وتأخذ منكم الحلقة والكرراع وتلحقون بأذنان الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين ما شاء فيكم ، أو يرى منكم إقبالا إلى ما خرجتم عنه . فقال خارجة : نعم يا خليفة رسول الله . قال أبو بكر : عليكم عهد الله وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار ، وتعلموه أولادكم ونساءكم ، ولا تمنعوا فرائض الله في أموالكم ، قالوا : نعم . قال عمر : يا خليفة رسول الله كل ما قلت كما قلت إلا أن يدوا من قتل منا فانهم قوم قتلوا في سبيل الله ، فتتابع الناس على قول عمر . وقبض أبو بكر كل ما قدر عليه من الحلقة والكرراع . فلما توفي أبو بكر رأى عمر أن الاسلام قد ضرب بجرانه فدفعه إلى أهله أو إلى عصابة من مات منهم . وأصله في صحيح البخاري من حديث طارق بن شهاب بنحوه مختصر

ثم توجه خالد إلى اليمامة لحرب مسيلة الكذاب ، وكان خالد في بضعة عشر ألفا ومع مسيلة أربعون ألفا ، فقتل الله مسيلة وقتل من أصحابه عشرة آلاف ، وكانت الهزيمة أروا على المسلمين حتى دخل أصحاب مسيلة فسطاط خالد فرعلوا الفسطاط بالسيف ، ثم حمل عليهم المسلمون وقاتلوهم قتالا شديدا حتى قتل الله محكم بن الطفيل وفتح الله على المسلمين ، واشترك في قتل مسيلة وحشى بن حرب قاتل حمزة ورجل من الأنصار ، وكان وحشى يقول : ربك أعلم أينما قتله . وقتل من خيار المسلمين نحو ألف رجل ، منهم زيد بن الخطاب وثابت بن قيس وأبو دجانة وعياد بن بشر وسالم مولى أبي حذيفة . ثم صالح مجاعة خالدا على من في الحصون من قومه ، بعد أن خدع خالدا وبعث إلى قومه وأمرهم أن يلبسوا النساء السلاح وأن يشرفوهن والذراري على رموس الحصون ، وقال له : انظروا إلى المقاتلة والسلاح ، وكان المسلمون يرون أنه لم يبق من مقاتلتهم أحد ، فلما رأوا ذلك ظنوا صدق ما قال ، فصالحه خالد على الصفراء والبيضاء والحلقة والكرع ونصف السبي ، وكان أبو بكر يتروح الخبير عن اليمامة ، وكان رأى في النوم كأنه أتى بتمر من حجر فأكل منه ثمرة واحدة وجدها نواة على خلقة التمرة ، فلاكها ساعة ثم رمى بها ، فتأولها فقال : ليلقين خالد من أهل اليمامة شدة ، وليفتحن الله على يديه . فأرسل خالد أبا خيثة بشيرا إلى أبي بكر ، فلما رآه قال : ما وراءك يا أبا خيثة ؟ قال : خير يا خليفة رسول الله ، قد فتح الله علينا اليمامة . فسجد أبو بكر

وقال زيد بن طلحة : قتل يوم اليمامة من قريش سبعون ، ومن الأنصار سبعون ، ومن سائر الناس خمسمائة . وفي البخارى عن قتادة قال : ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا وأعز يوم القيامة من الأنصار . قال قتادة : حدثنا أنس أنه قتيل منهم يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون ، وزاد غيره وفي جسر أبي عبيد سبعون

ذكر مسير خالد الى العراق

ولما فرغ خالد من قتال أهل اليمامة وأهل الردة انصرف راجعا إلى المدينة . وقيل لما دخلت السنة الثانية من خلافة أبي بكر كتب إلى خالد : إذا فرغت من اليمامة فسر إلى العراق ،

فقد وليتك حرب فارس والحيرة ، فسار خالد إلى العراق في بضعة وثلاثين ألفاً ، فصالح أهل السواد ، ثم أقبل حتى نزل الحيرة وكان عليها قبيصة بن إياس الطائي أميراً لكسرى ، فصالح خالد أيضاً على تسعين ألف درهم كل سنة . فكانت أول جزية وقعت بالعراق . ثم سار خالد إلى الأبله وخرج له هر مز في مائة وعشرين ألفاً فالتقى مع خالد واقتربوا في السلاسل ، فقيل لهم قيدتم أنفسكم لعدوكم فلا تفعلوا فان هذا طار سوء . فأجابوهم : أما أنتم فتحدثوننا أنكم تريدون الحرب ، ثم زحف اليهم فاقتلوا فانهزم أهل فارس ، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل ، فقتل الله من المشركين سبعين ألفاً ، وقتل خالد هر مز ، ونقله أبو بكر قلنسوته وكانت تساوي مائة ألف ، وسميت هذه الواقعة ذات السلاسل ، وكتب خالد إلى كسرى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى الملك كسرى والملوك . أما بعد فالحمد لله الذي فرق كلمتكم وكسر شوكتكم ، فأسلموا تسلموا ، وإلا فآدوا الجزية ، وإلا فقد جئتكم يقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة

فلما قرأوا كتابه أخذوا يتعجبون ، فصالحوا على مائة ألف وتسعين ألفاً في كل سنة ثم قصد خالد الروم ، وكان أبو بكر كتب إليه بذلك انتهى . وارتدت ربيعة بالبحرين كما تقدم إلا الجارود بن عمرو فإنه ثبت على الإسلام فيمن تبعه من قومه عبد القيس ، وعلى البحرين يومئذ العلاء بن الحضرمي ، وكان بعثه عليه رسول الله ﷺ ، فحاصره المشركون بجوانا حصن بالبحرين ، وأصاب للمسلمين جهد شديد من الجوع حتى كادوا أن يهلكوا ، فخرج عبد الله بن حذافة ليلة من اللبالي ليتجسس أخبارهم فوجدهم سكارى ، فأخبر المسلمين بذلك ، فبيتهم العلاء ومن معه من المسلمين فقتل من قتل منهم وأصبح ما أفاء الله على المسلمين من خيولهم عند العلاء في جوانا . ثم سار العلاء إلى المدينة فقاتلهم قتالاً شديداً ، وهزمهم الله حتى لحقوا إلى باب المدينة فتحصنوا بها ، فضيق عليهم ، فطلبوا الصلح والأمان ، فصالحوهم على ثلث ما بالمدينة بأيديهم من أموالهم ، وما كان من شيء خارج عنها فهو له ، فبعث العلاء بمال كثير إلى المدينة . فلما ظهر العلاء على أهل الردة من أهل البحرين بعث أربعة عشر رجلاً من رؤساء عبد القيس وفداً إلى أبي بكر فنزلوا على طلحة والزبير ، فدخلوا على أبي بكر

وأخبروه بمسارعتهم إلى الاسلام وقيامهم في أهل الردة ، ثم دخل القوم على أبي بكر وعنده طلحة والزبير فسألوه أن يعطيهم أرضا من البحرين وطواحين فأسعف أبو بكر وقال : إني فعلت وأعطيتهم كل ما سألوني وعرفت لهم قدر إسلامهم ، وكتب لهم بذلك كتابا . فلما خرجوا من عنده أقرأوا عمر الكتاب ، فلما قرأه تفل فيه ، فرجعوا إلى أبي بكر فأخبروه ، ودخل طلحة والزبير فقالا : والله لا ندرى أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : وما ذاك ؟ فأخبروه ، فقال أبو بكر : لئن كان عمر كره من ذلك شيئا فإني لا أفعله ، فبينما هم على ذلك إذ أقبل عمر ، فقال له أبو بكر : ما كرهت من هذا الكتاب ؟ فقال : كرهت أن تعطى خاصة دون عامة ، ولكن اجعل أمر الناس عندك واحدا لا يكون عندك خاصة دون عامة فتأني أن تفضل أهل السابقة وأهل بدر وتعطى هؤلاء قيمة عشرين ألفا دون الناس ، فقال أبو بكر : وفقك الله وجزاك خيرا . فهذا هو الحق

وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه تفتت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية واتبعتها بنو نعيم وأخوانها من تغلب وغيرهم من بني ربيعة ، وقصدت مسيلة فأرسل إليها : هل لك أن أتزوجك فيقال نبي تزوج نبية ؟ قالت : نعم . فأقامت عنده ثلاثا ، ثم انصرفت إلى قومها ، ثم أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها

ذكر خبر الأسود العنسي وقتله

وفي مدة مرض رسول الله ﷺ قتل الأسود العنسي ، واسمه عبهلة ، وكان بشمذ ويرى الجبال الأعاجيب ، ادعى النبوة ، وكتبه أهل نجران ، وسار الأسود من نجران إلى صنعاء فملكها ، وصفا له الملك باليمن ، واجتمع جماعة من المسلمين في قتله واجتمعوا بامراته وكان الأسود قد قتل أباه فقالت : والله إنه أبغض الناس إلي ، ولكن الحرس يحيطون بقصره ، فأتقوا عليه البيت ، فواعدوها على ذلك ونقبوا عليه ، فدخل عليه فيروز الديلمي فقتله واحتز رأسه ، فخار خوار الثور ، فابتدر الحرس الباب ، فقالت زوجته : هذا النبي يوحى إليه . فلما طلع الفجر أمروا المؤذن فقال : أشهد أن محمدا رسول الله ، وأن عبهلة كذاب . وكتب

أصحاب النبي ﷺ إليه بذلك ، فورد الخبر من السماء إلى النبي وأعلم أصحابه بقتل الأسود ، ووصل الكتاب بقتله في خلافة أبي بكر فكان كما أخبر . وفي الصحيح قال عبيد الله بن عبد الله : سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله فقال ابن عباس : ذكر لي أن النبي ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما ، فاذن لي فنفختها فطارا ، فأولتها كذابين يخرجان . قال عبيد الله : أحدهما العنسي الذي قتله فيروز ، والآخر مسيلة الكذاب

وفي هذه السنة - وهي الأولى من خلافة أبي بكر - ماتت قاطمة رضي الله عنها ، وهي بنت تسع وعشرين سنة

وفيها أمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن لما رأى كثرة من قتل من القراء يوم اليمامة . كما في البخاري عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر جالس عنده ، فقال أبو بكر : ان عمر جاءني فقال إن القتل استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر بالقراء في اللواتن فيذهب كثير ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال زيد فقال لي أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهتك ، قد كنت تكذب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمه . قال زيد : قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني - وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني - حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعصب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمية أو أبي خزيمية الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر . زاد ابن شهاب عن أنس أن حذيفة قدم على عثمان - أي في خلافته - وكان يغازي أهل الشام مع أهل العراق ، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القرآن فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى

حفصة ، أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر بنسخها وأرسل إلى كل أفق بصحف ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . انتهى

ولما دخل شهر ذى الحجة أمر أبو بكر عمر على الحج ، فخرج بالناس سنة إحدى عشرة فحج بالناس ، واشترى في حجته تلك مولاه أسلم

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة فبعث أبو بكر الجنود إلى الشام ، بعث عمرو بن العاص إلى فلسطين ، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم إلى الشام ، وأمرهم أن يأخذوا طريق الشام من أعلى الشام ، وخرج أبو بكر مع يزيد بوصيه ، ويزيد راكب وأبو بكر يمشى ، فقال له يزيد : إما أن تركب وإما أن أنزل . فقال : ما أنا براكب ولا أنت بنازل ، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله . ثم مضوا ونزلت الروم بثنية جلق بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً عليهم تذارق أخو هرقل ، فكتب عمرو ابن العاص إلى أبي بكر يخبره ويستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ، ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم ، وقال له : إذا التقيتم فانت أمير الجماعة . فسار خالد بأهل القوة ، ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة ، واستخلف على من أسلم بالعراق من العرب وغيرهم المثني بن حارثة الشيباني

ثم سار خالد حتى أغار على غشان بمرج راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد ، فصالح أهل بصرى حين رأوا كثرة العسكر على الجزية ، وفتحها الله للمسلمين ، وكانت أول مدينة فتحت من مدائن الشام

ثم ساروا جميعاً مدداً لعمرو بن العاص إلى فلسطين ، فسمع الروم بإجتماع المسلمين ، فانكشفوا إلى أجنادين ، فسار المسلمون اليهم فاقتلوا قتلاً شديداً ، فهزم الله المشركين ، وقتل المسلمون منهم في المعركة ثلاثة آلاف ، واتبعهم يأسرون ويقتلون ، فخرج فل الروم إلى إبلياء وقيسارية ودمشق ، وكانت وقعة أجنادين هذه أول وقعة عظيمة كانت بالشام

وكانت في جمادى الأولى قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة

ثم ساروا إلى دمشق فحاصروها ، فبينما هم كذلك أتاهم آت فأخبرهم أن هذا جيش قد جاءكم من قبل ملك الروم ، فتهاض خالد بالناس على تعبئة حتى لقوهم ، فهزمهم الله ، ورجع الناس قد ظفروا ، ويقال لهذه الواقعة « يوم صرج الصفرة » ، ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها وضيقوا عليهم ، فكان المسلمون يغيرون ، فكلما أصاب رجل منهم شيئا جاء به يلقيه في القبض ، لا يستحل أن يأخذ منه قليلا ولا كثيرا ، فسأل صاحب دمشق بعض عبيوته عن أعمالهم وسيرتهم فوصفهم له بهذه الصفة في الأمانة ، ووصفهم بالصلاة بالليل وطول القيام ، فقال : هؤلاء رهبان بالليل أسود بالنهار ، لا والله مالي بهؤلاء طاعة ، ومالي في قتالهم خير ، فراود المسلمين على الصلح

وفي هذه السنة مات الصديق رضى الله عنه مسي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة بين المغرب والعشاء . وفي سبب موته قولان : أحدهما أن اليهود سمته ، والثاني أنه اغتسل في يوم بارد فخم ، فأمر عمر أن يصلى بالناس . وقيل له في مرضه : ألا ندعو لك الطبيب ؟ قال : قد رأيته . فقالوا : فما قال لك ؟ قال قال : إني فعال لما أريد

ولما آيس من الحياة دعا عثمان وأملى عليه كتاب العهد لعمر فقال :

اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا عنها ، وأول عهده بالآخرة داخلها فيها ، وحين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ، إني استخلفت

ولما انتهى إلى هذا الموضع غشى عليه ، فكتب عثمان « عمر بن الخطاب » ، فأمسك حتى أفاق أبو بكر قال : أ كتبت شيئا ؟ قال : كتبت عمر بن الخطاب ، فقال : جزاك الله عن الاسلام وأهله خيرا . ثم رفع أبو بكر يديه وقال : اللهم وليتهم خيرهم ، ولم أرد بذلك إلا إصلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعمات فيهم بما أنت أعلم ، وقد حضرني من أمرك ما قد حضر ، فاجتهدت لهم الرأي ، ووليت عليهم خيرهم لهم وأحرصهم على رشدهم ، ولم أرد محاباة

عمر وأنا خارج من الدنيا إلى الآخرة ، فأخلفني فيهم ، فهم عبادك ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم واليهم عمر ، واجعله من خلفائك الراشدين ، يتبع هدى نبيه نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده ، وأصلح له أمر رعيتيه

وكتب بهذا العهد إلى أمراء الأجناد : إني قد وايت عليكم خيركم ولم آل نفسي ولا للمسلمين خيرا . ثم دعا عمر رضی اللہ عنہما فقال : إني مستخلفك على أصحاب رسول الله ، يا عمر إن الله حقا في الليل لا يقبله في النهار ، وحقا في النهار لا يقبله في الليل ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق غدا أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفاً . إنما نزلت آية الرجاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرجاء ليكون للمؤمن راغباً راغباً ، فلا ترغب رغبة فتسنى على الله فيها ما ليس لك ، ولا ترهب فيها رهبة تاتى فيها ما بيدك ، إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم ما كان من حسن ، فاذا ذكرتهم قلت إني لأخشى أن أكون من هؤلاء ، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء ، فاذا ذكرتهم قلت : أي من أعمالهم أعمل ؟ فان حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو نازل بك ، وإن ضيقت وصيتي فلا يكن غائب أكره إليك من الموت ولست تمجزه

وبلغ أبا قحافة وهو بمكة موت ابنه ، سمع الهائمة فقال : ما هذا ؟ فقيل : مات ابنك . فقال : رزء جل . قال : قال من عهد ؟ قالوا : إلى عمر . قال : صاحبه ومات بمكة عتاب بن أسيد يوم مات الصديق ، وكانا قد سما جيماً وكان عمر أبي بكر ثلاثاً وستين سنة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس

ولما توفي ارتجت المدينة بالبكاء ، وصلى عليه في مسجد رسول الله ، ونزل في قبره عمر

وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن . وكان له من الولد ستة ؛ ثلاثة بنين : عبد الله وهو أكبرهم
وعبد الرحمن وهو شقيق عائشة ومحمد ، وثلاث بنات : عائشة وأسماء وهي أكبرهن وأم
كثوم ، ماتت وهي في بطن أمها

وعن عائشة قالت : لما مرض أبو بكر قال انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة
فابشوا به إلى الخليفة من بعدى . فلما مات : نظرنا فإذا عبد نوبى كان يحمل صبيانه ، وإذا
ناضح كان يسقى بستاناه ، فبعثنا بهما إلى عمر ، فبكى عمر وقال : رحمة الله على أبي بكر ، لقد
أتعب من بعده تعباً شديداً . وعنها قالت : ما ترك أبو بكر دينارا ولا درهما ضرب
الله سكتة

ذكر خلافة عمر بن الخطاب

بويع له بالخلافة يوم مات أبو بكر ، وكان أول كلام تكلم به حين صعد المنبر أن قال :
اللهم إني شديد فلينى ، وإنى ضعيف فقونى ، وإنى بنجبل فسحنى . أيها الناس ، القوى عندى
ضعيف حتى آخذ منه الحق ، والضعيف عندى قوى حتى آخذ له الحق

وهو أول خليفة دعى بأمر المؤمنين ، وأول من وضع التاريخ بعام الهجرة : وضعه في
السنة السابعة عشرة ، وهو أول من جمع الناس على إمام واحد في قيام رمضان ، وأول من
حمل الدرّة لتأديب الناس ، وكان نقش خاتمه « كنى بالمولود واعظا يا عمر » وحجج بالناس
عشر حجج متواليات ، وحجج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها

وكان في أيامه فتوح الأمصار ، منها دمشق فتحت صلحا على يد أبي عبيدة وخالده ،
وكان عمر قد عزل خالدا واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس ، وكان قد قدم على أبي عبيدة
كتاب عمر بعزل خالد وتوليته ، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرئه الكتاب ، فلما فتحت أظهر
أبو عبيدة ذلك

ثم فتح الله الروم وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان ، وسار عمر بنفسه ففتح بيت
المقدس صلحا ، وفتحت أيضا بعايبك وحمص وحلب وقنسرين وأنطاكية وجولاء والرقّة

وحران والموصل والجزيرة ونصيبين وآمد والرُّها ، وفتحت القادسية والمدائن على يدى سعد ابن أبي وقاص ، وزال ملك الفرس وانهمز يزدجرد ملك الفرس ولجأ إلى فرغانة والترك . وفتحت أيضا كورة الأبله على يد عتبة بن غزوان ، وفتحت كور الأهواز والجابية على يد أبي موسى ، وفتحت نهاوند واصطخر واصبهان وبلد فارس ونستر وسوس وهمذان والنوبة والبربر ، وفتحت أذربيجان وبعض أعمال خراسان ، وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص غرة المحرم سنة عشرين ، وفتح عمرو أيضا الاسكندرية وطرابلس الغرب وما يليها من الساحل . وفي حياة الحيوان : وعدوا مما فتح رأس العين والخابور ويسان والبرموك والرى وما بينها

وفي أيام عمر مصرت البصرة سنة سبع عشرة ، والسكوة ونزلها سعد بن أبي وقاص وفي سنة ثمان عشرة كان عام الرمادة ، واستسقى عمر بالعباس فسقى ، وفيها كان طاعون عمواس مات فيه خمسون ألفا منهم أبو عبيدة ومعاذ وغيرهم من الصحابة وعن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام لقيه الجنود وعليه عمامة وقد خلع خفيه وهو يخوض الماء آخذا بزمام راحلته ، وخفاه تحت إبطه . فقالوا له : يا أمير المؤمنين الآن تلقاك الأمراء وبطارقة الشام وأنت هكذا ؟ فقال : إنا قوم أغرنا الله بالاسلام ، فما طلبنا العز بغير ما أغرنا الله به أذلنا الله

وعن معاوية أنه قال : أما أبو بكر فانه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته ولم يردها ، وأما عثمان فأصاب منها ، وأما نحن فمصرغنا فيها ظهراً لبطن قيل : كان في خدي عمر خيطان أسودان من البكاء

وكثر المال في دولته إلى الغاية حتى عمل بيت المال ، ووضع الديوان ، وفضل أهل السابقة على غيرهم ، ورتب رعيته ما يكفيهم ، وفرغ للأجناد

ولما استخلفه أبو بكر كره بعضهم إمارته ، وقال له طلحة : تولى علينا فظا غليظا ، ما تقول لربك إذا لقيته ؟ فقال أبو بكر : ساندوني . فأجسوه ، فقال : أبا الله تخوفوني ؟

أقول : استخلفت عليهم خير أهلك . وحلفت بالله ما تركت أحدا أشد حباله من عمر ،
وستعملون إذا قارفتوها وتنافستموها

وقال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة : صاحب مصر حين قال ﴿ اكرمي مثواه عسى
أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ﴾ ، وابنة شعيب حين قالت ﴿ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوى الأمين ﴾ ، وأبو بكر حين استخلف عمر

ذكر مقتل عمر

كان رضى الله عايه ملازما للحج في منى خلافته ، وكان من سيرته أن يأخذ عماله
بموافاته كل سنة في موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية ويحجز عنهم الظلم ويتعرف أحوالهم
عن قرب ، وليكون للرعية وقت معلوم ينهون اليه شكاويهم

وقال سعيد بن المسيب : لما صدر عمر من منى أناخ بالأبطح ، ثم كوم كومة بطحاء ، ثم
طرح عليها رداءه واستلقى ، ثم مد يديه إلى السماء ثم قال : اللهم كبر منى ، وضمت قوتي ،
وانتشرت رعيتي ، فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط . ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فما
انسلخ ذو الحجة حتى قتل . روى أن عمر لما انصرف من حجته التي لم يحج بعدها أنى ضجنان
ووقف فقال : الحمد لله ولا إله إلا الله ، يعطى من يشاء ما يشاء . لقد كنت بهذا الوادى
أرعى إبلا للخطاب ، وكان فظا غليظا يتعبنى إذا عملت ، ويضربنى إذا قصرت . وقد
أصبحت وليس بينى وبين الله أحد أخشاه . ثم تمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له	والجنت والإنس فيما بينها ترد
أين لفاوك التي كانت لمزتها	من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب	لا بد من ورده يوما كما وردوا

وعن حفصة بنت عمر وأسلم مولاه عن عمر أنه قال : اللهم ارزقنى شهادة فى سيلك ،

واجعل موتى في بلد رسولك . قالت حفصة ققلت : أتى يكون هذا ؟ قال : يأتي به الله إذا شاء رواه البخارى

وفي الصحيحين ولفظه لمسلم عن معدان بن طلحة أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة فذكر نبى الله ، وذكر أبا بكر ، ثم قال : إني رأيت كأن ديكا قرنى ثلاث نقرات ، وإني لأراه إلا لحضور أجلى ، وإن أقواما يأمرؤتى أن استخاف عليكم ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولا الذى بعث به رسوله ﷺ . قالت عجل بنى أمر فالخليفة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض . وإني قد علمت أن أقواما يطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الاسلام ، فان فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال . ثم إني لا أدع بعد شيئا أهم عندي من الكلالة^(١) ، وما راجعت رسول الله ﷺ ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ لى فى شىء ، ما أغلظ فيها حتى طعن باصبعه فى صدرى وقال : يا مهر ، ألا تكفيك آية الصيف التى فى آخر النساء ، وإن أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأه . ثم قال : اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار ، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا ، ويعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، ويقسموا فيأثم ، ويرفعوا إلى ما أشكل عليهم من أمرهم . ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين البصل والثوم ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وحدر يحمها من الرجل فى المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع ، فنأكلها فليمتها طبخا . فما كانت إلا الجمعة الأخرى حتى طعن عمر . انتهى . وروى أن عمر خرج يوما يطوف بالسوق ، فلقى أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وكان نصرانيا أو مجوسيا ، فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة أثقل على غاى ، فكلمه يخفف عنى . قال : فما صناعتك ؟ قال : نجار حداد نقاش . قال : ما أرى خراجك كثيرا . قال : بلغنى أنك تقول لو أردت أن أعمل رضى تطحن بالريح لعلت . قال : نعم . قال فاعمل لى رضى . فقال : لئن سلمت لأعملن لك رضى يتحدث بها من بالشرق والمغرب . ثم انصرف عنه فقال عمر : لقد توعدنى العالج آثما . وفي حديث عمرو بن ميمون فى البخارى : فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ، وكان اذا مر بين الصفيين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استقوا ، حتى

(١) الكلالة : أن يموت الميت وليس له وارث من والد أو ولد

إذا لم ير فيهم خلا تقدم فكبر ، قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل ونحو ذلك في
الركعة الأولى ، حتى يجتمع الناس ، فإما هو إلا أن كبر فسمته يقول : قتلني - أو أكلني -
الكلب حين طعنه ، فطار العليج بسكين ذات طرفين ، لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا
طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، فمات منهم تسعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح
عليه برنسا ، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه ، فتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه ،
فأما من كان يلي عمر فقد رأى الذي رأيت ، وأما نواحي المسجد فأنهم ما يدرون
ما الأمر ، غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فصلى بهم
عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس انظر من قتلني ، فجال ساعة ثم
جاء فقال : غلام المغيرة بن شعبه . فقال : الصنع ! قال : قاتله الله : لقد كنت أمرت به معروقا .
ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل مسلم ، قد كنت وأبوك تحبان أن تكثر
العلاج بالمدينة

ثم احتمل إلى بيته فانطلقنا معه ، قال فكان الناس لم نصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فأتى
بنيذ فشرب منه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه ، فرفوا أنه ميت .
وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين يبشرى الله ، قد كان لك من صحبة رسول الله
وقدم في الاسلام ، ثم ولت فعدلت ، ثم شهادة . فقال : وددت أن ذلك كفا لآل علي ولآل
فلما أدير الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال : يا ابن أخي ارفع ثوبك ، فإنه أبقى لثوبك
وأنتى لريك . يا عبد الله انظر ما على من الدين ؟ فخبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه
فقال : إن وفي به مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل في بني عدى بن كعب ، فإن لم تف
به أموالهم فسل في قريش ، ولا تعدم إلى غيرهم ، وأدّ عني هذا اللال . انطلق إلى أم المؤمنين
عائشة فقل : يقرأ عليك عمر السلام . ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين بأمر ،
وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . قال : فلم واستأذن ثم دخل عليها
فوجدتها قاعدة تبكي فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام . ويستأذن أن يدفن مع
صاحبيه . فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأثرته اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل : هذا

عبد الله قد جاء . قال ارفعوني . فأسنده رجل اليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين ، أذنت . قال : الحمد لله ، ما كان شيء أهم من ذلك إلي ، فإذا أنا قضيت فأحلووني ، ثم سلم وقل : يستأذن عمر ، فإن أذنت فأدخلوني ، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين . فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف . قال : ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذي توفي رسول الله وهو عنهم راض ، فسمي علياً وعثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمارة سعداً فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة . وقال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين ، أن يعرف لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن سيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم رددوا الإسلام وجباة المسال وغيفظ المدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلتهم عن رضائهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ومادة الاسلام ، وأن يأخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة نبيه ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا إلا طاقتهم

قال سعد بن أبي وقاص : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . انتهى . ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم ، ونزل في قبره عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وكان عمره يوم توفي ثلاثا وستين ، وصلى عليه صهيب الرومي ، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال . وكان له من الولد ثلاثة عشر : تسعة بنين ، وأربع بنات

خلافة عثمان بن عفان

قال أبو عمر : بويع لعثمان رضي الله عنه يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين ، بعد دفن عمر بثلاثة أيام باجتماع الناس . وفي البخاري في حديث المسور : إن الرهط الذين ولاهم

عمر اجتمعوا فتشاوروا فاجلوا ذلك إلى عبد الرحمن ، فلما صلى الناس الصبح اجتمع أولئك
الرهط عند المنبر ، فأرسل عبد الرحمن إلى من كان خارجا من المهاجرين والانصار ، وأرسل
إلى أمراء الأجناد وكانوا قد وافوا تلك الحجة مع عمر ، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن وقال :
أما بعد يا علي فإني نظرت في أمر الناس فلم أرىهم يعدلون بعثمان ، فلا تجمل لي على نفسك سيلا .
فأخذ بيد عثمان وقال : أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفين من بعده . فبايعه عبد الرحمن
وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون ، وهو أقرب المشرة إلى
رسول الله ﷺ بعد علي نسا ، وفضائله كثيرة ، وافتتح في خلافته الاسكندرية ثم نيسابور
ثم طبرستان وسجستان وكرمان ثم الأساورة في البحر ثم إفريقية ثم حصون قبرص ثم ساحل
الأردن ثم مرو . وفي أيامه قتل يزيد جرد ملك فارس في مرو ، وغزا معاوية القسطنطينية ،
وفتحت أرمينية ، وفي أيامه ركب معاوية نائب الشام البحر بالجيوش فافتتح قبرص ، وسار
نائبه على مصر عبد الله بن أبي مرخ بالجيوش إلى إفريقية والتقى هو والعدو فنصر الله
المسلمين ، وكانت وقعة عظيمة هائلة بحيث طبع سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار من الغنمة ،
وامتد ملك المسلمين حتى بلغ المحيط ، وافتتح عبد الله بن عامر بن كريز عامه على البصرة
من أرض فارس مدينة جور وغيرها ، وافتتح المسلمون في أشهر معدودة نحو من عشرين
مدينة . ثم خرج ابن كريز من نيسابور محرما باله من بقتته شكرا لله لما فتح الله عليه من
هذه المدن الكبار ، واستناب على خراسان الأحنف بن قيس ، وسار حتى دخل مكة وطاف
وسعى وحل ، ثم أتى وافدا على أمير المؤمنين عثمان بالمدينة ، وقدم ابن كريز إلى البصرة
فاستقر بها ، ونوابه على خراسان وسجستان والجبال ، وكثر اللال والخراج على عثمان ، وأتته
الخراج من النواحي ، واتخذ الخزانة العظيمة بالمدينة ، وكان يقسم بين الناس فيأمر للرجل بمائة
ألف درهم . واتسعت الدنيا وكثرت الأموال حتى كانت الفرس تشتري بمائة ألف ، وكان
البستان يباع بالمدينة بأربع مائة ألف ، وكانت المدينة عامرة كثيرة الأموال والخيرات والناس ،
ويجبي إليها خراج المالك ، وهي دار الأمان وقبة الاسلام ، فبسط الناس بكثرة الأموال
والنعم ، وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وقرغوا ، فأخذوا ينعمون على خليفتهم لكونه يحطى

المال أقاربه ويوليهم الولايات الجليلة ، فتكلموا فيه وكان قد صار له أموال عظيمة وله ألف مملوك ، قال الأمر إلى أن قالوا : هذا يصلح للخلافة ، وهموا بعزله وجرت أمور طويلة نسأل الله العافية . وروى الإمام أحمد في مسنده حدثنا معاوية بن عمر حدثنا زيد عن عاصم عن شقيق قال : لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال الوليد : أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبلغه أني لم أفر يوم عينين^(١) ، قال عاصم يقول : يوم أحد ، ولم أتخلف يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر . قال فانطلق الوليد فخبّر بذلك عثمان ، قال فقال : أما قوله إنى لم أفر يوم عينين ، فكيف يعيرنى بذلك وقد عفا الله عنه فقال ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ وأما قوله إنى تخلفت يوم بدر فانى كنت أمرض رقية بنت رسول الله ، وقد ضرب لى رسول الله ﷺ بسهم ، ومن ضرب له رسول الله بسهم فقد شهد . وأما قوله إنى لم أترك سنة عمر فانى لا أطيقها ولا هو ، فأتاه فحدثه بذلك . انتهى

ثم اجتمع المنحرفون عن عثمان وحاصروه فى داره بالمدينة ، وعلى الكوفيين الأشتر النخعى ، وعلى المصريين ابن عديس وعمرو بن الحمق ، وعلى البصريين حكيم بن جبلة ، فسير اليهم عثمان رضى الله عنه المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فردوها أقبح رد ولم يسموا كلامهما ، فبعث اليهم عليا فضمن لهم ما يعدهم به عثمان ، وكتبوا على عثمان كتابا بازاحة عنهم والسير فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ، وأخذوا عليه عهدا بذلك ثم تقضوا العهد بعد ذلك . ذكر ابن الجوزى فى شرح الصحيحين أنهم هجموا على المدينة وكان عثمان يخرج فيصلى بالناس وهم يصلون خلفه شهراً ، ثم خرج من آخر جمعة خرج فيها فخصبوه حتى وقع على المنبر ولم يقدر أن يصلى بهم ، فصلى بالناس يومئذ أبو أمامة بن سهل ابن حنيف ، ثم حصروه ومنعوه الصلاة فى المسجد ، وكان يصلى بهم ابن عديس تارة وكنانة ابن بشر أخرى وهما من الخوارج على عثمان . وفى مسند أحمد أن عثمان قال يوم الدار حين

(١) عينان اسم الجبل الذى أقام عليه الرماة يوم أحد ، فسمى به يوم أحد

حصر : إن النبي ﷺ عهد إلى عهدا فأنا صابر عليه ، فكانوا يرونه ذلك اليوم . وروى عبد الله بن أحمد في زيادة المسند أن عثمان رضى الله عنه أعتق عشرين مملوكا ، ودعا بسر اويل فشدّها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر رحمة الله عليهما وأنهم قالوا : اصبر فانك تفطر عندنا القابلة . ثم دعا بمصحف فشر بين يديه فقتل وهو بين يديه . انتهى . ويذكر أن الدم نضح على هذه الآية ﴿ نسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ قال وإنما في المصحف ما حكى . وفي حديث أبي سعيد عند أبي حاتم : فأخذت نائلة بنت الفرافصة حليها فوضعتها في حجرها - وذلك قبل أن يقتل - وتفاجت عليه ، فقال بعضهم : قاتلها الله ما أعظم عجزتها . فلم أن أعداء الله لم يريدوا إلا الدنيا . انتهى . وأرسل على ابنه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوا عنه ، وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمدا ، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا ، فصدوم عن الدار ، فرمى من وصفنا بالسهم ، واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة . وكان معه في الدار جماعة يريدون الدفع عنه ، منهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن سلام وعبد الله بن الزبير والحسن وأبو هريرة ومحمد بن حاطب والمغيرة بن الأحنس ، ويومئذ قتل المغيرة قبل عثمان . وفي الاستيعاب : روى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : إني لمحصور مع عثمان في الدار قال فرمى رجل منا ، فقالت : يا أمير المؤمنين الآن طاب الضرب ، قتلوا منا رجلا . فقال عثمان : عزمت عليك يا أبا هريرة لما رميت نفسك ، فانما يراد تقسى ، وسأقّي المؤمنين بنفسى . قال أبو هريرة : فرميت بسيفي فلا أدري أين هو الساعة

وحج بالناس تلك السنة عبد الله بن عباس - وعثمان محصور - بأمر عثمان ، وخرجت

عائشة للحج هاربة

وعن ابن شهاب قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ؟ وما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله أصحاب محمد ﷺ ؟ قال : قتل عثمان مظلوما ، ومن قتله كان ظلما ، ومن خذله كان معذورا . قلت : وكيف كان ذلك ؟ فذكر السبب في ذلك إلى أن

قال : فسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه ، لأن من كان معه كان فوق البيت ، ولم يكن معه إلا امرأته ، وقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وصرخت امرأته فلم يسمع ضراخها من الجلبة فصعدت إلى الناس فقالت : إن أمير المؤمنين قتل ، فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معها فوجدوه مذبحا ، فانكبوا عليه يبكون ، ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولا ، فبلغ عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا ، فاسترجعوا وقال علي لابنه كيف قتل أمير المؤمنين وأتم على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن ، وضرب صدر الحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، وشتم عبد الله بن الزبير

وخرج علي فأتى منزله وجاء الناس كلهم إلى علي ليبايعوه ، فقال لهم : ليس هذا اليكم ، إنما هو إلى أهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو الخليفة . فلم يبق أحد من أهل بدر إلا قال : ما نرى أحق بها منك . وقتل عثمان رضى الله عنه شهيدا في ذى الحجة . قال الواقدي يوم الجمعة لثمان أو سبع خلت من ذى الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين . قال ابن اسحق : قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما من مقتل عمر بن الخطاب . انتهى . وهي أول مصائب الإسلام وخرومه ، لأن المسلمين استضيئوا في قتله جبهة ، وبقتله فتح باب الفتنة إلى يوم القيامة . قال حسان بن ثابت :

من سره الموت صرفا لا مزاج له	فليات مأمدة في دار عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به	يقطع الليل نسيبعا وقرآنا
صبرا فداء لكم أمى وما ولدت	قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
لتسمن وشيكا في ديارهم :	الله أكبر يا ثارات عثمانا

وقال حسان أيضا ، وقيل هي الكعب ، وقيل هي للوليد بن عتبة :

فكف يديه ثم أغلق بابه	وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوه	عفا الله عن ذنب امرئ لم يقاتل

وكيف رأيت الله ألقى عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أكبر بعده عن الناس إدبار السحاب الحوامل

وعن سعيد بن زيد قال : لو أن رجلا انقض لما فعل بعثمان كان حقيقا. أن ينقض .
وقال ابن عباس : لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمى قوم لوط . قال ابن
اسحق : قتل وهو ابن ثمانين سنة . وقال قتادة : ابن ست وثمانين ، ودفن ليلا بموضع يقال
له حش كوكب ، وكوكب : رجل من الأنصار ، والحش البستان . وتفرقت الكلمة بعد
قتله ، وماج الناس واقتتلوا للأخذ بثأره حتى قتل من المسلمين تسعون ألفا . وفضائله وسبقه
إلى الإسلام معروف . رضى الله عنه

ذكر خلافة علي بن أبي طالب

روى أحمد في المناقب عن محمد بن الحنفية قال : كنت مع أبي حين قتل عثمان ، فقام
فدخل منزله ، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له : إن هذا الرجل قد قتل ، ولا بد
الناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر ولا أقدم سابقة ولا أقرب من
رسول الله منك . قال : لا تفعلوا ، فإني وزير خير من أن أكون أميرا . قالوا : لا والله ما
نحن بفاعلين حتى نبأيعك . قال : ففي المسجد ، فان بيعت لا تكون خفية ، ولا تكون إلا
عن رضى المسلمين . فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم بايع الناس . وقيل أول من بايعه
طلحة وكانت يده شلاء فقيل : يد شلاء وأمر لا يتم . وقال الزهري : أرسل إلى طلحة والزبير
فدعاهما إلى البيعة ، فتلكا طلحة ، فقال الأشتر وسل سيفه : والله لنبايعن أو لأضربن به
بين عينيك . فبايعه ، وبايعه الزبير . وذهب قوم إلى الشام فلم يبايعوه ، ولم يبايعه قدامة بن
مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة . وقال محمد بن حبيب الهاشمي : لم يبايعه سعد وابن
عمر وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد

وطارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان ، فحزن عليه المسلمون ، ولا سيما أهل دمشق ،
وأتى البريد بثوبه بالدم فنصب على منبر دمشق ، ونماه معاوية إلى أهلها فبكوا ، وتماقدوا

على الطلب بدمه وكانوا ستين ألفا . وآلى رجال منهم لا يأتون النساء ولا يغتسلون من جنابة إلا من احتلام حتى يقتلوا قتلته ومن عرض دونهم . وتحلف عن بيعة على معاوية في أهل الشام وأظهروا له الخلاف ونسبوه إلى الإعاقة على قتل عثمان والرضى بها ، وقد برأه الله من ذلك . واجتمع ناس إلى علي فقالوا إن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم ، فقال لهم : يا إخوانه إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا يملكهم ، هاهم هؤلاء قد نارت معهم عبدانكم ، وهم خلالكم بسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعا للقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا والله . وقال طلحة لعل : دعني آتي البصرة ولا ينجأك إلا وأنا في خيل ، وقال الزبير : دعني آتي الكوفة ولا ينجأك إلا وأنا في خيل . فقال : حتى أنظر في ذلك . ودخل عليه المغيرة بن شعبة فقال له : إن لك حق الطاعة والنصيحة . أقرر معاوية على عمله وابن عامر والممال على أعمالهم حتى إذا أتت طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . قال : حتى أنظر . وخرج من عنده ثم أتاه من الغد فقال : اني أمرت عليك أسس ، وإن الرأي أن تعاجلهم فتعرف السامع عن غيره . فلتقاء ابن عباس - وقد أتى من الحج - وهو خارج من عند علي ، فدخل على علي ، فلما انتهى إليه قال : رأيت المغيرة خرج من عندك . قال : جاءني أمس بكذا واليوم بكذا . فقال : أما أمس فقد نصحك ، وأما اليوم فقد غشك . قال فما الرأي ؟ قال كان الرأي قبل اليوم أن تخرج حين قتل الرجل أو قبله فتأتي مكة فتدخل دارك وتناق بابك ، فكانت العرب محائلة ومضطربة في أترك لا نجد غيرك ، فأما اليوم فإن بني أمية يستحشون الطلب وأن يلزموك شقة من هذا الأمر . وفي رواية وإني أخشى أن ينتقض عليك الشام ، مع أني لا آمن طلحة ولا الزبير أن يخرجوا عليك . وإني أشير عليك أن تقر معاوية ، فإن بايع لك فعلى أن أقتله من منزله متى شئت ، فقال علي : والله لا أعطيه إلا السيف . ثم تمثل :

وما مية إن منها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقلت : يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع ، ولست صاحب رأي ، فقال : إذا عصيتك

فأطعني . قال ابن عباس : أيسر مالك عندي الطاعة

وكانت عائشة مقيمة بمكة تزيد عمرة المحرم ، فلما قضت عمرتها وخرجت إلى المدينة سمعت بما جرى ، فانصرفت راجعة إلى مكة ، فأتاها عبد الله بن عامر والى مكة من قبل عثمان فقال : يا أم المؤمنين ما ردك ؟ قالت : ردني أن عثمان قتل مظلوما ، وإن هذا الأمر لا يستقيم وهذه الفوضى ، أمر ، وإنهم بادروا بالعدوان ، وسكفوا الدم الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، وإن هذا حدث عظيم وأمر منكر ، فاطلبوا دم عثمان . فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر ، وذلك أول ما تكلمت به بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم . ثم إن طلحة والزبير رضی اللہ عنہما ندما وعظم عليهما قتله ، فخرجا هاربين إلى مكة من غير أمر علي ، فاجتمعا بعائشة ومن معها من بني أمية ، وجمعوا جمعا عظيما ، واتفق رأيهم على المضي إلى البصرة وقالوا : معاوية بالشام قد كفانا أمرها . وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة فدعوه إلى المسير معهم فامتنع ، وأرادت حفصة المسير معهم فردها أخوها عبد الله ، وأحب أهل المدينة أن يعلدوا ما رأى علي في قتال أهل القبلة وقد بانهم أن الحسن دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس . فدسوا زياد بن حنظلة التميمي فدخل فجلس إليه ساعة ثم قال : يا زياد تسير ؟ قال : لأى شيء ؟ قال : لغزو الشام . فقال زياد : إلاناة والرفق أمثل ، وقال :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة بصرس بأنياب ويوطأ بمنم

فتمثل علي :

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنا حيا تجتنبك . للظالم

فخرج زياد على الناس فقالوا : ما ورايك ؟ قال : السيف يا قوم . فلما بلغه خبر الزبير وطلحة وأم المؤمنين وأنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح بينهم فتعباً للخروج نحوهم ، واشتد على أهل المدينة الأمر وتناقلوا ، فسار على نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعائة ممن بايع تحت الشجرة فالتقى هو وطلحة والزبير ومن معها عند البصرة

فجرت وقعة الجمل للشهورة بلا علم ولا قصد^(١) والتحم القتال من الفوغاء وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير ، وقتل من الفريقين نحو عشرين ألفا ، وقتل طلحة والزبير فلققه عمرو بن جرموز بوادي السباع فقتله ، وكانت عائشة راكبة الجمل وهي في هودج وقد صار كالقنفذ من النشاب ، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة . ولما كثرت القتلى عند الجمل وقطع على خطامه أيد كثيرة قال علي : اعقروا الجمل ، فمقر فسقط . فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل ، وأدخلها أخوها محمد إلى البصرة ثم أمر على عائشة بالرجوع إلى المدينة وأن تقر في بيتها ، فسارت وشيعها الناس ، وجهرها على بما احتاجت إليه ، وكانت بعد ذلك إذا ذكرت مسيرها هذا بكت حتى تبل دموعها خمارها وتقول : يا ليتني كنت نسيا منسيا ، ولوددت أني مت قبل ذلك بعشرين سنة

واستعمل على علي البصرة عبد الله بن عباس ، وسار على إلى الكوفة فنزلها ، واستحكم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ، ولم يبق خارجا عنه إلا الشام ، وأرسل على جرير بن عبد الله إلى معاوية يطلب منه البيعة ويدخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار ، فماطله معاوية وامتنع من مبايعته ، فسار على إلى الشام في سبعين ألفا من أهل العراق ، وسار إليه معاوية وعمرو بن العاص في أهل الشام في ستين ألفا وقيل في مائة وعشرين ألفا فالتقوا بصفين بناحية الفرات ، ودخلت سنة سبع وثلاثين والجيشان بصفين ، ومضى المحرم ولم يكن بينهم قتال ، وأرسل على إلى معاوية رسلا يدعونه إلى الله وإلى الطاعة فأتوه فقالوا له : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله جازيك بما قدمت يداك ، وإنا نشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة أو تسفك دماءها بينها . فقال للمتكلم : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال : إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر بالفضل والدين والسابقة في الاسلام والقرابة من رسول الله . فقال له معاوية : ويطل دم عثمان ؟ لا والله ، لا أفعل ذلك أبدا . فلما دخل شهر صفر تناهبوا ، وبات على

(١) لأن الفريقين باتا على صلح وسلام ، فاندس قتلة عثمان في المعسكرين وأنشبا الحرب بينهما فجأة في الصباح ، فكل معسكر ظن أن الغدر جاء من المعسكر الآخر

يعيء الكعائب ويقول : لا تقاتلوم إلا أن يبدءوكم ، فاذا قاتلتموم فهزمتوم لا قاتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تأخذوا شيئا من أموالهم . قاتلوا أياها ، وكانت بينهم وقعات كثيرة قبل كانت تسعين وقعة ، وقتل من الفريقين أكثر من سبعين ألفا ، وقتل من جند على عمار بن ياسر من السابقين الأولين البدرين وكان من نجباء الصحابة . قال أبو عمر في ترجمته تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال لعمار تنفك الفئة الباغية ، ولما قتل عمار أمسك عمرو بن العاص عن القتال وتابعه على ذلك خاق كثير ، فقال له معاوية : لم لا تقاتل ؟ قال : قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : تنفك الفئة الباغية ، فدل على أنا نحن البغاة . فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما تزال تدحض في بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنما قده على وأصحابه وجاءوا به حتى أقوه بيننا ، وإنما دفننا عن أنفسنا فقتل . فبلغ ذلك عليا فقال : إن كنت أنا قتلته فالنبي ﷺ قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار . ولما قتل عمار حمل على في اثني عشر ألفا ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض

وتخلف جماعة من سادات الصحابة عن القتال في الفتنة ، منهم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو اليسر وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وابن عمر وأسامة بن زيد وصهيب الرومي وأبو موسى الأشعري ورأوا السلامة في العزلة وقالوا : إذا كان غزو الكفار قاتلنا ولما سئم الفريقان تداعوا إلى الخصومة ، ورفع أهل الشام المصاحف على رؤس الرماح وقالوا : ندعوكم إلى كتاب الله ، فرضى الفريقان ، فحكّم على وأهل الكوفة أبا موسى ، وحكّم معاوية عمرو بن العاص ، ورجع على ومن معه إلى العراق ، ومعاوية ومن معه إلى الشام . ثم اجتمع الحكمان بدومة الجندل وانفقا على أن يخلماها معا ويختار المسلون خليفة يرضون به ، وقد عينوا يومئذ عبد الله بن عمر بن الخطاب . ثم اجتمعا بالناس فبدأ أبو موسى فخام عليا ثم قام عمرو وقال : قد خلعت عليا كما خلعه واثبتت خلافة معاوية ^(١) فرضى أهل الشام

(١) الحكمان تركا أمر الامامة لكبار الصحابة ، ولم يقل عمرو إلا ما قاله أبو موسى .
والصحيح في أمر التحكيم مارواه الدارقطني وخليفة بن خياط من شيوخ البخاري ، وانظره
في المواضع من القواصم ص ١٧٢ - ١٧٦

بذلك رجعوا فبايعوا معاوية . ولما جرى اليكم غضب خلق أزيد من عشرة آلاف من جيش علي وقالوا : لا حكم إلا لله ، وكفروه بذلك واعتزلوه ، وهم الخوارج ، وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء ، وقطعوا السبيل ، فبعث اليهم علي عبد الله بن عباس ، قال ابن عباس : فدخلت عليهم فلم أر قط قوما أشد منهم اجتهادا ، جباههم قرحة من السجود ، وأيديهم كأنها ثفن الإبل ، وعليهم قص مرحضة مشرين مسومة وجوههم من السهر ، فسدت عليهم فقالوا مرحبا يا ابن عباس ما جاء بك ؟ قلت : أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ممن عند صهر رسول الله وعليهم أنزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم ، فقالت طائفة منهم : لا تخاصموا قريشا فان الله عز وجل يقول ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ . فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه فقلت : هاتوا ما نقتم ، فقالوا : ثلاثا إحداهن أنه حكم الرجال في أمر الله وقد قال الله ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ، وأنه قاتل ولم يسب ولم يغم فان كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم وسبهم ، وإن كانوا كفارا حل لنا قتالهم وسبهم . ومحا نفسه من إمرة المؤمنين فان لم يكن أمير المؤمنين فانه لأمر الكافرين . فقلت : أما قولكم حكم الرجال في دين الله فانا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض قولكم ، إن الله صبر من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ممن أرب ، وتلا قوله ﴿ لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم - إلى قوله - يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ وفي المرأة وزوجها فقال ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾ فتشدتكم الله هل تعلمون حكم الرجال في اصلاح ذات بينهم وحقن دماهم أفضل أم حكمهم في ممن أرب وبضع امرأة ؟ قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه ؟ قالوا نعم . قلت : وأما قاتل ولم يغم فتسبون أمكم عائشة ؟ فوالله إن قلم ليست أمنا لقد خرجتم عن الاسلام ، وإن قلم لتسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها فقد خرجتم من الإسلام ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم . قلت وأن قولكم محا نفسه عن إمرة المؤمنين فان النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو ، فقال : يا علي اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : ما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال امح يا علي واكتب : هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله . فوالله لرسول الله خير من علي . فرجع منهم ألقان وخرج سائرهم ، فخرج علي

من معه عليهم ورام رجعتهم فأبوا إلا القتال ، فقاتلهم بالنهروان فقتلهم ، ولم ينج منهم إلا القليل
وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بوصفهم وذمهم والتحريض على قتالهم ، ففي
الصحيحين عن سويد بن غفلة قال قال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ
فوالله لئن أخرج من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم بما بيني وبينكم
فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيخرج قوم في آخر الزمان
حدث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأين ما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم
القيامة » وفيها عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج في هذه الأمة
- ولم يقل منها - قوم تحقرون صلواتكم مع صلواتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حلقهم أو
حناجرهم يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر الرامي سهمه فيتماري إلى نصله وإلى
رصافه فيتماري في فوقه هل علق بها من الدم شيء » وفي رواية لها عنه « آيتهم رجل إحدى
يديه أو إحدى يديه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة تدرور يخرجون على خير فرقة من
الناس » قال أبو سعيد لسمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب
قتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأنى به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ
الذي نعت . ولمسلم عن علي رضي الله عنه : لو يعلم الجيش الذين يقاتلونهم ماذا قضى لهم على
لسان نبيهم لا تكلوا عن العمل . انتهى

وفي أيامه أيضا خرجت المغالية وادعوا في علي الإلهية ، قال الحافظ ابن حجر : وروينا
من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال : قيل لعلي إن هنا قوما على باب المسجد
يزعمون أنك ربهم ، فدعاهم فقال لهم : ويلكم إنما أنا مثلكم آكل الطعام كما تأكلون
وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله
وارجعوا ، فأبوا . فلما كان الغد غدوا عليه فجاءه قبر فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك
الكلام ، قال : أدخلهم . فقالوا كذلك ، فلما كان اليوم الثالث قال : لئن قلم ذلك لأقتنكم
بأخبث القتل فأبوا إلا ذلك ، فقال : يا قبر ائمني بفعلة معهم مرورهم فخذ لهم أخدوداً بين

للمسجد والقصر وقال لهم : احفروا فأبعثوا في الأرض ، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال : إني طارحكم فيها أو ترجعوا . فأبوا أن يرجعوا . فقذف بهم فيها حتى احترقوا وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً

واسناده حسن . وفي الصحيح أن ابن عباس لما بلغه تحريقهم قال : لو كنت أنا لم أحرقهم لقول النبي ﷺ « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقناتهم لقول رسول الله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ علياً قول ابن عباس فقال : صدق ابن عباس

ذكر مقتل علي رضي الله عنه

ذكر الزبير بن بكار وغيره : اجتمع ثلاثة نفر بمكة من بقايا الخوارج ، عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التيمي وعمرو بن بكر التيمي ، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة ويرمحووا العباد منهم ، فقال ابن ملجم : أنا لكم بعل ، وقال برك : أنا لكم بماوية ، وقال عمرو بن بكر : أنا أ كفيكم عمرو بن العاص . فاتفقوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان سنة أربعين ، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي يريد ، فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة عازماً على قتل علي ، واشترى سيفاً لذلك بألف ، وسقاه السم . وروى أبو عمر أن عبد الرحمن جاء إلى علي يستحمله لحمله ، ثم قال : إن هذا قاتلي . قيل فما يمنعك منه ؟ قال : إنه لم يقتلني بعد . ولعبد الرزاق عن عبيدة قال : كان علي إذا رأى ابن ملجم قال :

أريد حياناًه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وكان علي كثيراً ما يقول : ما يمنع أشقاها ؟ أو ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذه ؟ ويقول : والله لتخضبن هذه من دم هذا - وبشير إلى لحيته ورأسه - خضاب دم لا خضاب عطر ولا عبير . وروى أبو عبد الرحمن السلمي عن الحسن أنه سمع أباه في ذلك السحر الذي ضرب فيه يقول : يا بني رأيت النبي ﷺ الليلة في نومي فقلت : يا رسول الله

ماذا لقيت من أمتك من اللأواء والدد . فقال : ادع الله عليهم . فقلت : اللهم أبدلني خيرا منهم وأبدلهم بي من هو شر مني . ثم اتبه وجاءه مؤذنه للصلاة فخرج ، فاعتور الرجلان ابن ملجم وشيب بن بَجْرَةَ الأشجعي فاما شيب فوكت ضربته في النطاق وأما ابن ملجم فضربه في رأسه ، وذلك في صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان ، وفي رواية فلما ضربه ابن ملجم قال : الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك . قال علي : فزت ورب الكعبة ، لا يفوتنكم الكلب ، فشد الناس عليه من كل جانب فأخذوه ، فلما أخذ قال علي : احبسوه ، فان مت فاقتلوه ولا تمثلوا به ، وإن لم أمت فالأمر إلى في العفو أو القصاص . وقبر أول ليلة من الشهر الأواخر من رمضان . واختلف في موضع قبره فقيل دفن في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل دفن في رحبة الكوفة ، وقيل دفن في نجف الحسين موضع بطريق الحيرة ، واختلف في سنة يوم مات : فقيل سبع وخمسون وقيل ثلاث وستون قاله أبو نعيم وغيره ولما بلغ عائشة قتل علي قالت : لتصنع العرب ما شاءت ، فليس أحد ينهاها وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وستة أيام . وقيل أربعة عشر يوما وكان رضى الله عنه يسير في الفء بسيرة أبي بكر الصديق ، واذا ورد عليه مال لم يبق منه مالا إلا قسمه ، ولا يترك في بيت المال إلا ما يعجز عن قسمه في يومه ذلك ، ويقول : يا دنيا غري غري . ولم يستأر من الفء بشيء ولا يخلص قريبا ولا يخلص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات . وإذا بلغته عن أحدهم خيانة كتب إليه ﴿ وياقوم قد جاءكم موعظة من ربكم أوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تشوا في الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث اليك من يتسلمه منك . ثم يرفع طرفه في السماء ثم يقول : اللهم انك تعلم أني لم أمرهم بظلم خاتك ولا بترك حقتك . قال أبو عمر : وثبت عن الحسن بن علي من وجوه أنه قال : لم يترك أبي إلا ثمانمائة درهم فضلت من عطائه كان يعدها لخادم يشتريها لأهله . وأما نقشه في لباسه ومطعمه فأشهر من أن يذكر ، وأما فضله وسابقته وجهاده الكفار مع رسول الله ﷺ فأشهر من ذلك . قال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن

اسحق القاضي ، لم يرو في فضائل أحد من الصحابة ما روى في فضائل علي بن أبي طالب
وقيل له ألا تستخلف ؟ فقال : لا . أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ . وقال بعضهم :
إن نحن فقدناك ولا تفقدك بايع الناس الحسن ، فقال : ما أمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر .
ثم دعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا
على شيء منها قولا الحق وارحما اليتيم وأعيننا الضعيف وكونا للظالم خصما والمظلوم عوناً ولا
تأخذ كما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما أوصيت به أخويك ؟
قال : نعم . قال أوصيك بتوقير أخويك ، ولا تقطعن أمرا دونهما . ثم قال : أوصيكما به فإنه
أخوكما وابن أبيكما ، فاعرفا حقه وأكرماه

قال أبو عمر بن عبد البر : وقف جماعة من أئمة أهل السنة في علي وعثمان فلم يفضلوا
واحدا منها على صاحبه ، منهم مالك ويحيى بن سعيد القطان . وأهل السنة اليوم على تقديم
أبي بكر في الفضل على عمر وتقديم عمر على عثمان وتقديم عثمان على علي رضي الله عنهم . وفي
الصحيح عن ابن الحنفية قلت لأبي من خير الناس بعد رسول الله ؟ قال أبو بكر . قلت ثم من
قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت ثم أنت ؟ قال إنما أنا رجل من المسلمين .
وتواتر عنه أنه قال وهو على المنبر في خلافته : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر .
ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر . وفي مسند أحمد عنه قال سبق رسول الله ، وصلى
أبو بكر ، وثلاث عمر ، ثم خبطتنا فتنة يعفو الله فيها عن بشاء . وقد كان بنو أمية ينالون منه
وينقصونه فما زاده ذلك إلا سموا ورفعة ومحبة عند العلماء . قال عمر بن عبد الله بن الزبير :
إن بني مروان شتموه ستين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين بنى شيئا فهدمته
الدنيا ، ولم تبني الدنيا شيئا إلا عادت على ما بنت فهدمته انتهى . وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء
الذين أوصى رسول الله ﷺ بانبايع منهم كما في حديث العرياض بن سارية أنه ﷺ قال :
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور
فإن كل بدعة ضلالة » . وفي السنن ، ويحيى بن حبان عن سفينة ، عن رسول الله ﷺ قال :
الخلافة بئدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا . قال : أمسك قال بعضهم خلافة أبي بكر

سنتان وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان اثنا عشر وخلافة علي ست . قال علي بن الجعد قلت لمجاد : أسفينة القائل أمسك ؟ قال نعم . خرجه أبو حاتم . وهذا مغاير لما ذكره أهل التاريخ في خلافة علي وأنها أربع سنين وثمانية أشهر ، قال الطبري : الصحيح في ولاية الأربعة أنها تسع وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام : أبو بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام وعثمان اثنا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً وعلي أربع سنين وثمانية أشهر انتهى ، فاما أن يكون أطلق الحديث على ذلك الثلاثين لقربه منها أو تكون ولاية الحسن بن علي محسوبة منها وهي تكملتها

وهؤلاء الخلفاء الأربعة هم أفضل أصحاب رسول الله ﷺ ، وبعدهم بقية العشرة أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين . وأما مراتبهم على الأجمال فالمهاجرون أفضل من الأنصار ، وأما على التفصيل فسباق الأنصار أفضل من متأخري المهاجرين

وقد رتب أهل التواريخ للصحابة على طبقات : الطبقة الأولى أول الناس إسلاما كخديجة وعلي وزيد وأبي بكر ومن تلاهم ولم يتأخر إلى دار الأرقم . الطبقة الثانية أصحاب دار الأرقم ونبيها أسلم عمر . والطبقة الثالثة المهاجرون إلى الحبشة . والطبقة الرابعة أصحاب العقبة الأولى وهم سباق الأنصار . والطبقة الخامسة أصحاب العقبة الثانية . والطبقة السادسة أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين . والطبقة السابعة أهل بدر الكبرى . والثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية . والطبقة التاسعة أهل بيعة الرضوان^(١) . الحادية عشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح . الثانية عشرة الذين أسلموا يوم الفتح . وبعده الثالثة عشرة صبيان أدركوا النبي ﷺ ورأوه

وكان سعيد لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة وغزا معه . وقال بعضهم كل من أدركه الحلم وأسلم ورأى النبي ﷺ فهو صحابي ولو أنه لم يصحب النبي ﷺ

(١) لم يذكر العاشرة

إلا ساعة واحدة ، وهذا هو الأكثر والله أعلم . وذكر عن أبي زرعة أنه قال : مات النبي ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً كلهم رآه أو روى عنه ، ذكره غير واحد منهم القطان في مراتب الصحابة وابن الأثير في جامع الأصول . والله أعلم

ذكر خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه

لما مات علي بايع الناس الحسن ، قال أبو عمر : بايع الحسن أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد بايع أباه قبله على الموت ، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيهم من أيه . ثم سار إلى معاوية ، وسار معاوية بجيش الشام لصدده ، ولما تقارب الجمعان علم الحسن أن لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثرهما ، ورأى أن الصالح في جمع الكلمة وترك القتال ، فكتب إلى معاوية يرأسه أنه يصير الأمر إليه ، واشترط عليه أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يكون ولي العهد من بعده وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ منه حاجته ، ففرح معاوية وأجاب إلى ذلك وبعث إليه برقاً فقال : اكتب ما شئت فيه فالتزمه ، والتزم معاوية كل ما كتب واشترط ، وخلع الحسن نفسه وسلم الأمر إلى معاوية . فلما اصطالحا دخل معاوية الكوفة وسمى ذلك العام عام الجماعة ، ووقع مصداق ما أخبر به الصادق المصدق ﷺ بقوله في الحسن « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وغضب من فعله ذلك شيعته ، وقال له بعضهم : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : لا تقل ذلك ، فإني لم أذل المؤمنين وكرهت أن أقتلكم في طلب الملك . وعنه أنه قال : كانت جماجم العرب بيدي يماربون من حاربت وبسالون من سالت ، وتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين

وعن الشعبي قال : لما جرى الصلح بين الحسن ومعاوية قال له معاوية : قم فاخطب بالناس واذكر ما كنت فيه . فقام الحسن فخطب فقال : الحمد لله الذي هدى بنا أولكم ، وحقن بنا دماء آخركم . ألا إن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون كان أحق به مني أو يكون حقى تركته لله وإصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم . ثم التفت إلى معاوية فقال : وإن أدري لعله فتنة

لكم ومتاع إلى حين . ثم نزل . قال عمرو بن العاص : ما أردت إلا هذا
ثم سار الحسن إلى المدينة بأهله وحشمه فأقام بها حتى مات رضى الله عنه
وقد أحببت أن أقصر على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ، فإن فيهم كفاية إن شاء الله
ولنختتم كتابنا هذا بشيء من ألقاظ الرسول ﷺ الوجيزة القليلة اللفظ الكثيرة
المعاني الجامعة للأحكام والحكم ، وقد جمع العلماء من ذلك كثيرا ، فمن ذلك قوله ﷺ :
إنما الأعمال بالنيات ، وقوله : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، المرء مع
من أحب ، أسلم تسلم ، الحرب خدعة ، ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه
عند الغضب ، أى داء أدوى من البخل ، الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيمة ،
الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، إن من البيان سحرا ،
إن من الشعر حكمة ، نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ، من غشنا فليس
منا ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ، لا يحل لمؤمن أن يهجر
أخاه فوق ثلاث ، من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، ترك
الشر صدقة ، الحياء خير كله ، إن الدين يسر ، وأن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا
وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة . الغنى غنى النفس ،
أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل ، تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها فاظفر بذات الدين
 تربت يداك ، كل عسكر حرام ، ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى رجل ذكر ، الولد
للفراش وللعاقر الحجر ، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . المهاجر من هجر ما نهى
الله عنه ، كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، كل شرط ليس فى كتاب الله فهو
باطل وإن كان مائة شرط ، اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، انصر
أخاك ظلما أو مظلوما ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد
الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ، من يضمن لى ما بين لحييه وما بين
رجليه أضمن له الجنة ، المائد فى هبته كالكلب يمود فى قيئه ، مطل الغنى ظم ، وإذا أتبع
أحدكم على مليء فليتبّع ، ابدأ بمن تعول ، كل معروف صدقة ، الكلمة الطيبة صدقة ، الدنيا

حلوة خضرة، إن مما يثبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم، كلكم راع وكلكم مشول عن رعيته
وكل ما ذكرنا مما تقدم في الصحيحين أو أحدهما. ومما ذكر في غيرها قوله صلى الله عليه وسلم
للانصار: انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع، وقوله: عدة المؤمن كالأخذ
باليد، بورك لأمتي في بكورها. لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا الأمانة مضمنا والزكاة مفرما
احتوا التراب في وجوه المداحين، رأس الحكمة معرفة الله، يا خيل الله اركبي وأبشري
بالجنة، الآن حمى الوطيس، لا ينتطح فيها عنزان، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين،
لا يجنى على المرء إلا يده. ليس الخبر كالمعاينة، ساقى القوم آخرهم شربا، المجالس بالأمانة،
لو بنى جبل على جبل لذل الباغى منها، قيدوا العلم بالكتابة، خير المال عين ساهرة لعين
نائمة، خير للمال سكة مأبورة أو مهر مأبورة، المسلم مرآة المسلم، رحم الله من قال خيرا فغم
أو سكت فسلم، السعيد من وعظ بغيره، عفو الملوك بقاء الملك، ارحم من في الأرض
يرحمك من في السماء، المكر والخدعة في النار، ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف
حق كبيرنا، المستشار مؤتمن. الدال على الخير كفاعله، الندم توبة، لا يشكر الله من لا
يشكر الناس، حبك الشيء يعنى وبهم، السفر قطعة من العذاب، المسلمون عند شروطهم
إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا، الرجل أحق بصدر مجلسه وصدر ذابته، الناس
معادن كعادن الذهب والفضة. تمام التحية المصافحة، من حسن المرء تركه ما لا يعنيه،
جبت القلوب على حب من أحسن إليها، التائب عن الذنب كمن لا ذنب له، الشاهد يرى
ما لا يرى الغائب، أعط الأجير أجره قبل أن يجف رشحه، ليس بمؤمن من خاف جاره
بوائقه، اتقوا النار ولو بشق تمرة، لا خير لك بصحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه، الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر، الدعاء سلاح المؤمن، خير الأمور أوسطها، إذا أتاكم كريم
قوم فأكرموه، اشفعوا توأجروا وتحمدوا. ما هلك امرؤ عن مشورة، ما عال من اقتصد
ما قل وكفى خير مما كثر وأهمل، شر الندامة يوم القيامة، شر المعذرة عند الموت، أقبوا
ذو الهيئات عثراتهم، إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله من؟ قال المرأة الحسنة، في
المنبت السوء، البلاء موكل بالمنطق، اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع، لا يدخل الجنة

نمام ، لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود ، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم ، زر غبا تزود حبا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك ، الدين النصيحة ، صنائع المعروف تقي مصارع السوء . صدقة السر تطفى غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، لا تظهر الشماتة لأخيك فيعاقبه الله ويبتليك ، لليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار ، ما ملأ ابن آدم شرا من بطن ، أفلح من هدى إلى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ، كل الصيد فى جوف الفرا ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، قل الحق ولو كان سرا ، أحب للمسلمين ما تحب لنفسك . اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخاق حسن . ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد بما فى أيدي الناس يحبك الناس ، الصدق يهدى إلى البر ، والكذب يهدى إلى الفجور ، كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أبترا أو أجذم ، البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على ، الأعمال بخواتمها

وهذه الأحاديث منها ما هو فى الصحاح أيضا ، ومنها ما هو فى السنن والمسند وهو فى مرتبة الصحة ومنها ما هو فى مرتبة الحسن ، ومنها ما هو ضعيف رفعه إلى النبي ﷺ وهو صحيح أو حسن أو موقوف على الصحابي . والله أعلم

فى آخر المخطوطة التى اعتمدنا عليها فى الطبع ما صه :

وقد وقع الفراغ من هذا الكتاب الجميل القدر ، المحتوى على سيرة سيد البشر محمد ﷺ ونهى من أحواله وأعماله وأخلاقه ومغازيه وقاتله وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ﷺ ورضى عنهم أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى بقية أصحابه أجمعين ، على يد أقر العباد إلى رحمة ربه مبارك بن عبد الله بن مبارك غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، بتاريخ سبعم عشر ليلة مضت من أحد شهور سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والألف من مهاجرة ﷺ . تمت بحمد الله وعونه

فهرس

صفحة	صفحة
٢٥ وصف ما كانت عليه الكعبة	٣ مقدمة الناشر
٢٦ توسيع عمر بن الخطاب المسجد الحرام	٤ ترجمة المؤلف
٢٧ رسالات الله وطروء الوثنية عليها	٨ النسب المحمدي ، وولادته ﷺ
٢٩ وثنية عمرو بن لحي الخزاعي	٩ بيوت قريش التي تجتمع به ﷺ في أجداده
٣٠ البحيرة ، والوصيلة ، والسائبة ، والحامي	١١ عمود نسبه ﷺ في خيار البشر
٣١ أصنام الحجاز وأما كنها	١٢ أبوه وأمه وبشائر ظهوره
٣٦ أديان العرب في الجاهلية	١٣ رضاعه من ثوية عتيقة أبي لب
٣٧ أسباب انتشار الوثنية	١٣ شق بطنه وصدره
٣٩ عود الى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي	١٤ موت أمه وجده
٤٠ أمر الحمس	١٤ جدته النجارية أم عبد المطلب
٤١ أهل الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ	١٥ الاستسقاء به ﷺ وهو طفل
٤١ رباب الشني من عبد القيس	١٦ خروجه مع عمه الى الشام ، وكلمة بحيرا في
٤٢ قس الإيادي وزيد بن عمرو العدوي	١٦ زواجه بأم المؤمنين خديجة
٤٣ مؤامرة أربعة من قريش على الوثنية : زيد بن عمرو ، وورقة ، وابن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش	١٧ حال مكة قبل قريش ، وظهور قصي
٤٧ أمية بن أبي الصلت	١٩ دار الندوة ، وتوزيع السلطة بين بني قصي
٥١ عبد عمرو بن صيفي	٢٠ حلف المطيبين ، وحلف الفضول
٥١ قصة سلمان الفارسي	٢١ رحلة الشتاء والصيف
٥٦ صفاته ﷺ في الكتب المتقدمة	٢١ المطلب ، وعبد المطلب ، واكتشاف زمزم
٦٥ انذار الكهان بظهوره ﷺ	٢٣ إعادة بناء الكعبة
	٢٤ تحكيمة ﷺ في وضع الحجر الأسود بموضعه

صفحة	صفحة
١١٢	٦٨
موت أبي طالب	خبر سواد بن قارب
١١٤	٧٠
النفر الذين كانوا يؤذونه ﷺ	إنذار اليهود به ﷺ
١١٨	٧١
سفر الضر للقاء اليهود في يثرب	مبعثه ﷺ لما بلغ أربعين سنة
١٢١	٧٥
استماع كبار قريش لقراءته ﷺ	فوائد تتعلق ببدء الوحي
في جوف الليل	٨٠
١٢٢	حديث أبي سفيان وهرقل
خبر الوليد بن المغيرة	عنه ﷺ
١٢٣	٨٣
خبر عتبة بن ربيعة	أول من آمن به ﷺ
١٢٤	٨٨
خبر المستهزئين	ابتداء فرض الصلاة
١٢٨	٩٠
نزول سورة عبس	إنذاره ﷺ عشيرته الأقربين
١٣٠	٩١
نزول سورة الكوثر	مطالبة قريش أبا طالب بكف
١٣١	ابن أخيه
من قامت عليه حجة بحق كان	٩٢
متعنتا إذا طلب غيرها	الهجرة الأولى الى الحبشة
١٣٨	٩٦
قدوم وفد من الحبشة عليه ﷺ	مساعى قريش عند النجاشي
وهو بمكة	٩٨
١٣٩	الكتاب النبوي الى النجاشي
دالية الأعشى ميمون في الاسلام	وإسلامه
١٤١	٩٩
خروجه ﷺ الى الطائف للدعوة	خروج أبي بكر مهاجرا وتوسط
١٤٤	ابن الدغنة
إسلام الطفيل الدوسي	١٠٠
١٤٤	إسلام حمزة بن عبد المطلب
حادث الاسراء	١٠٢
١٤٧	إسلام عمر بن الخطاب
إخباره ﷺ قريشا بالاسراء	١٠٤
١٤٨	ازدياد ضغن قريش على النبي
متى كان الاسراء ؟	ﷺ والمسلمين
١٤٩	١٠٦
مبدأ الهجرة ودعوة قبائل العرب	دخول أبي طالب وبني هاشم
١٥٢	الشعب ، وتعليق قريش
عرضه ﷺ نفسه على الأنصار	الصحيفة في جوف الكعبة
في الموسم	١٠٧
١٥٥	لامية أبي طالب
ايفاد مصعب بن عمير الى المدينة	١٠٩
إماما ومرشدا	نقض الصحيفة
١٥٧	١١٠
بيعة العقبة	دالية أبي طالب
١٦٠	
امر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة الى	

صفحة	صفحة
٢٣٠ ما قيل من الشعر في يوم بدر	المدينة
٢٣٦ غزوة بنى سليم، وغزوة السوق	١٦٣ تشاور قريش في دار الندوة
٢٣٧ غزوة غطفان	١٦٦ الاذن لرسول الله ﷺ بالهجرة
٢٣٨ غزوة نجران	وخروجه
٢٣٩ غزوة بنى قينقاع	١٧٠ مروره ﷺ بخيتمى أم معبد
٢٤٠ سرية كعب بن الأشرف	١٧٣ وصوله ﷺ الى المدينة
٢٤٢ غزوة أحد	١٧٦ بناء المسجد النبوى
٢٥٤ شهداء أحد	١٧٨ المؤاخاة بين المهاجرين والانصار
٢٥٦ غزوة حراء الأسد	١٧٩ تشريع الأذان للصلاة
٢٥٧ بعث الرجيع	١٨١ ماجرى بمكة لبيوت المهاجرين منها
٢٥٩ سرية بئر معونة	١٨٣ الاذن بالقتال
٢٦١ غزوة بنى النضير	١٨٤ آداب الاسلام في القتال
٢٦٣ غزوة ذات الرقاع	١٨٧ عداة اليهود للاسلام ، وتسمية
٢٦٥ غزوة بدر الأخيرة	بعض المنافقين
٢٦٥ غزوة دومة الجندل	١٩٤ المهاجرون ووباء المدينة
٢٦٦ غزوة المريسيع	١٩٥ صار الكفار بعد الهجرة ثلاثة
٢٦٧ حديث الإفك	أقسام
٢٧٣ فوائد وشرح ألفاظ تتعلق به	١٩٦ تميؤه ﷺ للجهاد بالبعوث
٢٨٠ غزوة الخندق (الأحزاب)	والسرايا
٢٨٧ نأديب يهود بنى قريظة	١٩٩ تحول القبلة من بيت المقدس الى
٢٩١ قتل سلام بن أبى الحقيق	الكعبة
٢٩٢ غزوة بنى لحيان	٢٠١ فرض صيام رمضان
٢٩٢ سرية محمد بن مسلمة	٢٠٢ غزوة بدر الكبرى
٢٩٣ غزوة الغابة	٢١١ مقتل أبى جهل وصناديد قريش
٢٩٤ سرية زيد بن حارثة	٢١٧ الاستشارة فى أمر الأسارى
٢٩٦ سرية كرز الى العرنين	٢١٩ وصول خبر بدر الى مكة
٢٩٧ غزوة سيف البحر . الحديبية	٢٢١ تسمية من شهد بدر من المسلمين

	صفحة
سرية قطبة بن عامر الى تبالة	۳۰۶
سرية الضحاك بن سفيان الى	۳۱۲
بنى كلاب	مقاسم أسهم خيبر
سرية علقمة بن محرز الى البحر	۳۱۴
الأحمر	بعض ما حدث في غزوة خيبر
سرية على الى صنم طيء لهدمه	۳۱۹
اعتزاله <small>عليه السلام</small> نساءه شهرا	رمان قريش على من يظفر بخيبر
غزوة تبوك	۳۱۹
صلح صاحب أيلة في غزوة تبوك	خبر الحجاج بن علاط السلمي
بعض الأحداث في غزوة تبوك	۳۲۰
خبر مسجد الضرار	۳۲۲
۴۰۲	سرايا المجاهدين بعد خيبر
۴۰۳	۳۲۴
۴۰۳	عمرة القضاء
حديث كعب بن مالك حتى تاب	۳۲۷
الله عليه	غزوة مؤتة
الأحداث بعد العودة من تبوك	۳۳۰
۴۱۳	غزوة ذات السلاسل
۴۱۴	سرية أبي قتادة الى بطن ذي إضم
۴۱۵	۳۳۱
۴۱۶	بعث الغابة
۴۱۷	غزوة الفتح
۴۱۸	۳۳۲
۴۱۹	صلاة الشكر بمنزل أم هانئ
۴۲۰	خطبته <small>عليه السلام</small> بعد الفتح
۴۲۱	اجتماع الناس للبيعة على الصفا
۴۲۲	سرية خالد الى بني جذيمة
۴۲۸	۳۴۶
۴۲۹	ما في فتح مكة من الفقه واللطائف
	غزوة حنين
	سرية أبي عامر الأشعري الى
	أوطاس
	غزوة الطائف
	۳۶۱
	وقد هو ازن الى النبي <small>عليه السلام</small>
	الفوائد والحكم في قصة هوازن
	وثقيف
	قصة كعب بن زهير مع النبي <small>عليه السلام</small>
	السرايا والبموث في سنة تسع
	۳۸۰
	۳۸۴

صفحة	صفحة
بيت عائشة	۴۲۹
۴۶۰ مروا أبا بكر فليصل بالناس	قدم ضمام بن ثعلبة وافد بنى سعد بن بكر
۴۶۱ حديث واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ،	۴۳۰ وفد طارق بن عبد الله وقومه
۴۶۱ قول العباس لعلی : تعال نسأله فيمن هذا الأمر ؟	۴۳۰ وفد تجيب
۴۶۲ الكتاب الذي أراد أن يكتبه لهم	۴۳۱ وفد بنى سعد هذيم
۴۶۳ إن للوت سكرات	۴۳۲ وفد بنى أسد . وفد بهراء
۴۶۴ وفاته صلوات الله وسلامه عليه	۴۳۳ وفد عذرة . وفد بلي . وفد ذى مرة . وفد خولان . وفد محارب
۴۶۵ وقع المصيبة ، وخطبة أبي بكر	۴۳۴ وفد صداء . وفد غسان . وفد
۴۶۶ أمر سقيفة بنى ساعدة	سلامان . وفد عبس . وفد
۴۶۷ البيعة لخليفة رسول الله ﷺ	طامر . وفد الأزدي
۴۶۸ المتخلفون عن البيعة	۴۳۵ وفد بنى المنتفق ، وحديث لقيط ابن عامر
۴۶۹ طلب فاطمة ميراثها	۴۳۸ تفسير حديث لقيط
۴۷۰ غسله ﷺ ونكفيه ودفنه	۴۴۰ وفد النخع
۴۷۱ ذكر الردة	۴۴۱ حديث زرارة بن عمرو في الفتنة
۴۷۲ مراجعة عمر في أمر المرتدين	۴۴۲ بعث جرير البجلي لتخريب ذى الخلصة
۴۷۳ خروج أبي بكر لتكوين المعسكر	۴۴۲ وفاة ابراهيم ابن النبي ﷺ . وبعض أحداث السنة
۴۷۴ مسير خالد لقتال طليحة	۴۴۳ حجة الوداع
۴۷۵ مسيره الى اليمامة لحرب مسيلة	۴۴۸ متعة الحج
۴۷۶ مسيره الى العراق لحرب الحيرة وفارس	۴۵۰ بقية حجة الوداع
۴۷۶ صلح الحيرة وأول جزية وقعت بالعراق	۴۵۸ قفوله ﷺ الى المدينة . وبدء مرضه
۴۷۶ انتصار العلاء بن الحضرمي بالبحرين	۴۵۹ وداعه أهل البقيع بالاستغفار لهم
۴۷۷ خبر الأسود العنسي وقتله باليمن	۴۶۰ استئذانه نساءه أن يمرض

صفحة	صفحة
الشہید	۴۷۸
موقف عائشة وحفصة من الكارثة	۴۷۹
رأى الحسن السبط	الشام
وقعة الجمل	۴۸۰
ارسال على جريراً الى معاوية	۴۸۰
يطلب منه البيعة	۴۸۱
وقعة صفين	۴۸۲
المتخلفون عن الفتنة من سادات	۴۸۲
الصحابة	۴۸۳
التحكيم وظهور الخوارج	۴۸۴
مناظرة ابن عباس للخوارج	۴۸۵
تواتر الأحاديث بدم الخوارج	۴۸۶
والغلو	۴۸۶
ظهور المغالين بالوهبة على وتحريقهم	۴۸۶
مقتل على ، وموضع قبره	صاحبيه
لمحة من سيرة على	۴۸۷
قوله في الاستخلاف : أتم أبصر	۴۸۸
وصيته لبيته	۴۸۸
قوله : خير الناس بعد النبي ﷺ	۴۸۹
أبو بكر ثم عمر	۴۹۰
تفاضل الصحابة وطبقاتهم	۴۹۰
خلافة الحسن وصلحه مع معاوية	عثمان
جوامع الكلم من حديث رسول	۴۹۱
الله ﷺ	۴۹۲

حصار دمشق وفتحها	۴۸۰
وفاة الصديق ، وكتابة العهد لعمر	۴۸۰
ابلاغ العهد لأمراء الأجناد	۴۸۱
تركة أبي بكر عند موته	۴۸۲
خلافة أمير المؤمنين عمر	۴۸۲
ما فتحه الله للإسلام في خلافة عمر	۴۸۳
مقتل عمر	۴۸۴
رؤيا عمر قبل مقتله	۴۸۵
رواية شاهد عيان لمقتل عمر	۴۸۶
وصية عمر في قضاء ديونه	۴۸۶
استئذانه عائشة بأن يدفن مع	۴۸۶
صاحبيه	
جعله أمر الخلافة شورى في الستة	۴۸۷
خلافة أمير المؤمنين عثمان	۴۸۸
ما فتحه الله للإسلام في خلافته	۴۸۸
بطر الخارجين عليه وبغيتهم	۴۸۹
اصبر فانك تفطر عندنا القابلة	۴۹۰
كلية سعيد بن المسيب في مقتل	۴۹۰
عثمان	
وقع الكارثة وشعر حسان فيها	۴۹۱
خلافة أمير المؤمنين على	۴۹۲
التحفز للطالبة بدم الخليفة	۴۹۳

